ديوان الشريف الرضي

٣٥٩ - ٤٠٦ هـ

بشرح

أبي حكيم الخبري

ت ٤٧٦ هـ

تحقيق

الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو

الجمهورية العراقية
وزارة الإعلام

الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو

ديوان الشريف الرضي

الجمهورية العراقية
وزارة الاعلام
١٩٧٧

السعر ٤٠٠ فلس عراقي

سلسلة التراث (٦٠)

ديوان الشريف الرضي

٣٥٩ - ٤٠٦ هـ.

صنعة

أبي حكيم الخبري

... - ٤٧٦ هـ.

تحقيق

الدكتور عبد الفتّاح محمّد الحلو

الجمهورية العراقية

وزارة الاعلام

الطبعة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه ثقتي

صحبت الشريف الرضي منذ ١٩٦٨ م ، وخلطته بنفسي من ذلك الحين ، وعكفت على ديوانه ، أتعرف الى مخطوطاته في المكتبات التي تشتت فيها تراثنا ، وأتملك من مصوراتها النفيس في عراقته وصحته وتحريره ، وأنسَخُ أقدم نسخةٍ وصلت إلينا وأتمَّها وأصحَّها ، ثم أشغل نفسي بالمقابلة بين نُسَخ الديوان ، وكنت قد اعتزمت أن يكون عملي في تحقيق ديوان الشريف الرضي هو موضوعي الذى أتقدم به للإجازة بالدكتوراه ومضيت في عملي لا ألوي على شيء .

ثم يستبد بي الشريف الرضي ، ويأسرني شعره ، فأثني عطفي إلى دراسة هذه الشخصية الفذة ، ويصبح موضوعَ بحثي للدكتوراه « حياة الشريف الرضي ودراسة شعره » حتى إذا يسر الله تمامه ، وأُجِزت بمرتبة الشرف الأولى سنة ١٩٧٤ م ، عدت أدراجي إلى الديوان أتم تحقيقه وشرحه .

وكان من فضل الله عليّ أن جمع لي دراسة الرضي وشعره إلى تحقيق ديوانه ، فالرضي ـ بين من عرفت من شعراء العربية ـ أصدق الناس التحاماً بشعره ، وشعره أدق صورة وأروعها وأكثرها دلالة على أطوار حياته ، ونوازع شخصيته ، ودخيلة نفسه .

وسترى من خلال هذا الديوان أثر دراسة حياة الرضي وشعره ، في التحقيق والشرح ، والإشارة إلى النظير ، وتحقيق الوقائع التاريخية ، وعقد أسباب كثير من الشخصيات التاريخية بالرضي وديوانه .

وكان لا بد من تقديم ، اجتهدت في اختصاره وشموله ، يتضمن أمرين :

١ ــ الشريف الرضي .

٢ ــ ديوان الشريف الرضي .

وستطول صحبتي للرضي ــ إن مد الله في الأجل ونسأ في العمر ــ وهي صحبة تقتضيني حقها : نشر علمه ، ودرس شعره ، وتحقيق ديوانه ، وجلاء جوانب هذه الشخصية الشريفة .

والحمد لله على ما أعان ويسَّر ووفق ، له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون .

القاهرة في يوم الجمعة ٣ من المحرم ١٣٩٧هـ.

٢٤ من ديسمبر ١٩٧٦م.

عبد الفتاح محمد الحلو

الشريف الرضي

تمهيد

ولد الشريف الرضي في القرن الرابع الهجري ، وقد لقي هذا القرن من الباحثين في العصر الحديث عناية فائقة ، واهتماماً كبيراً ، وحرصاً على كشف جوانبه المختلفة من سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية ، لأسباب عدة أظهرها أنه كان العهد الذي بلغت فيه الحضارة الإسلامية ذروتها ، واستوت فيه على سُوقها . والباحثون تغريهم دائماً الفترات المضيئة في حياة الأمم ، لأنها بضوئها والتماعها تجذبهم إليها فإذا ما فرغوا من التعرف على أسرارها ثنَوا عطفهم إلى ما هو أقل التماعاً منها في سائر العصور.

وكانت حياة الرضي في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري والسنوات الست الأولى من بداية القرن الخامس ، في بغداد ، وعاصر في تلك الفترة من خلفاء بني العباس المطيع لله والطائع لله والقادر بالله ، ولم تؤهله سنّه للصلة بالمطيع لله ، وإنما كانت له أعظم العلائق بولده الطائع لله ، ثم لم يتح لعلاقته بالقادر بالله النجاح ، بل قام بينهما نوع من العداء .

وكان البويهيون المتسلطون على العراق خلال هذه الفترة هم : معز الدولة وعز الدولة وعضد الدولة وصمصام الدولة وشرف الدولة ، ولم تكن سن الرضي تؤهله لعلاقة بالأربعة الأول ، كما كانت علاقته بشرف الدولة بسيطة ، لا تتعدى شكره على إطلاق والده من سجنه ، أما بهاء الدولة ، فقد كان أملَه ، فلما فقده لم يجد في نفسه ما يدفعه إلى علاقة مماثلة بخلفه سلطان الدولة .

وكانت الخلافة الفاطمية في غرب الدولة الإسلامية قد استقرت في مصر وشمال أفريقية ، وبسطت سلطانها على مناطق من الشام والحجاز واليمن ، وقد عاصر الرضي

من خلفائها العزيز بالله والحاكم بأمر الله ، كما كان الحمدانيون في شمال الدولة الإسلامية بالموصل وحلب يدفعون عنها عادية الروم ، وقد ضعف أمرهم ، فاستولى العقيليون خلال هذه الفترة ، على إمارة الموصل منهم ، واستولى الفاطميون على حلب في السنوات الأولى من القرن الخامس الهجري .

وعلى أطراف الشام والعراق ، وفي نجد وسواحل الخليج ، كانت تنتشر قبائل الأعراب من خفاجة وأسد وغيرهما ، تسد الطريق على قوافل الحجاج ، أو ينتصر بها قوم على قوم ، مما جعل لها ثقلاً في الميزان السياسي لهذه الفترة .

وقد أدى الصراع السياسي الذي عاشه العراق خلال هذه الفترة إلى اضطراب عظيم في شؤون الحياة ، من فتن قامت بين السنة والشيعة ، وبين الأتراك والديلم ، ومن شغب يثيره العيارون والشطار ، وغلت الأقوات ، ووقعت المجاعات حتى اضطر الناس إلى أكل الجيف ، وبينما كانت ثروات بعض الناس مثل محمد بن عمر بن يحيى العلوي عظيمة جداً ، لدرجة أن بهاء الدولة صادر بعضها ، فوصل إلى مليون دينار عَيْناً ، كان البعض الآخر لا يجد قوت يومه ، وقد أدى هذا التفاوت إلى مصادرات من جانب ملوك بني بويه ، وثورات من عامة الناس .

ولكن هذا العصر باضطرابه كان أحفل العصور بالرقي العلمي والأدبي ، ويكفي أنه أنجب هؤلاء الأعلام : المتنبي ، وأبا فراس الحمداني ، والرضي ، والمعري ، وابن العميد ، والصاحب ابن عباد ، وأبا حيّان التوحيدي ، والصابي ، وبديع الزمان ، وأبا علي الفارسي ، والسيرافي ، وابن جني ، والآمدي ، والقاضي الجرجاني ، وابن فارس ، وأبا هلال العسكري ، والثعالبي ، وابن سينا ، والباقلاني ، والقاضي عبد الجبار ، وأبا حامد الإسفرايني ، وأبا بكر الخوارزمي ، والشريف المرتضى ، والشيخ المفيد ابن النعمان .

وقد ولد شاعرنا أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى ، الشريف الرضي الموسوي ، قبل أن ينتهي العقد الأول من النصف الثاني للقرن الرابع بسنة واحدة ، ونشأ في بيت عرف بمكانته السياسية ، وشرف نسبه ، وتلقى معارفه الأولية على

طريقة أبناء الأشراف في ذلك الوقت ، ثم بدأ بالقراءة على أكابر علماء عصره كالسيرافي ، واعتقل والده وهو في العاشرة ، فألهب هذا الحادث وجدانه ، وأنطقه بالشعر ، وجعله يتنبه إلى طريق المعالي والمجد ، ثم استأنف مسيرته الثقافية فدرس على الشيخ المفيد ، وعلى غيره من علماء عصره كالربعي وابن جني والخوارزمي ، وحين أطلق والده ، وقدم إلى بغداد مع شرف الدولة سنة ٣٧٦هـ أتيحت للرضي الفرصة لإظهار مواهبه الشعرية والسياسية ، وعظمت هذه المواهب أمام الطائع لله الخليفة العباسي ، وفي هذه الفترة ظهرت باكورة مؤلفاته « سيرة والده الطاهر » وعمل كتاباً في « خصائص الأئمة » لم ينته ، وناب عن أبيه في مناصبه من النقابة وإمارة الحج والمظالم سنة ٣٨٠هـ ، ثم ولّاه الطائع لله النقابة والنظر في أمور المساجد ببغداد في رمضان من السنة نفسها ، وقد شهد الرضي خلع الطائع لله سنة ٣٨١هـ ، ورأى بعده تنصيب القادر بالله ، ومَدحه ، ولكن الريح لم تجرِ بينهما رخاء ، وساءت الأمور في سنة ٣٨٤هـ إلى حد هدّد فيه الرضي باللجوء إلى الخلافة الفاطمية في مصر ، فكافأه القادر بالله على ذلك بحرمان الأسرة كلها من مناصبها ، ولم تهدأ نفس الرضي ، بل ازدادت اشتعالاً ، وصحبتها نغمة حزينة لوفاة صديقه الصابي سنة ٣٨٤هـ ، ثم وفاة أمه سنة ٣٨٥هـ ، ولم تهدىء من هذه الثورة صلتُه التي بدأت في التوطد ببهاء الدولة وتلقيبه بالشريف الأجل ، مع نيابته عنه في بغداد سنة ٣٨٨هـ ، وفي سنة ٣٨٩هـ حجَّ الرضي ، ووجدها فرصة لإحياء أمله في المعالي ، ووصوله إلى سدة الخلافة ، فعقد مع أعرابي هو أبو العوام ابن ليلى عهداً ليجمع الأعراب على نصرته ، وعاد ليوطد صلته ببهاء الدولة ، خالعِ الخلفاء ومواليهم ، ولكن صديقه الأعرابي يقتل وهو يدعو له ، وبهاء الدولة يشغل بالحفاظ على ملكه من مناوئيه ، وينصرف الرضي بعد حجه سنة ٣٨٩هـ إلى كتاب الله يحفظه ويتقن قراءاته ، ويؤلف فيه ، كما يؤلف في حديث الرسول ﷺ ، ويبدأ بكتابه الكبير « حقائق التأويل في متشابه التنزيل » الذي استمرت مسيرته معه إلى آخر حياته ، ولكنه رغم مشاغله العلمية لا ينسى أمله الذي عاش من أجله ، سلطة ومنعة توصله إلى الخلافة ، وتبرق أسارير الأمل بتولية

بهاء الدولة له النقابة وإمارة الحج سنة ٣٩٧هـ ، ثم يواصل بهاء الدولة تكريمه بتلقيبه بالرضي ذي الحسبين سنة ٣٩٧هـ وبأن تكون مخاطبته بالكناية سنة ٤٠٠هـ ، ثم تلقيبه بالشريف الأجل مضافاً إلى مخاطبته بالكناية سنة ٤٠١هـ. وفي أثناء ذلك تبرز مؤلفات الرضي التي أضنى نفسه فيها في الفترة الماضية ، فيظهر « نهج البلاغة » سنة ٤٠٠هـ ، و« تلخيص البيان عن مجازات القرآن » سنة ٤٠١هـ ، ثم يتبعه « مجازات الآثار النبوية » . ومع اشتغال الرضي بهذا الجهد العلمي الكبير ، فهو لا يفتأ يحمل عبء النقابة وإمارة الحج ، بل إن بهاء الدولة يضيف إليه أعباء جديدة ، حيث يرسمه في خدمته بالنيروز الفارسي سنة ٤٠٢هـ ويكلفه النظر في أمور الطالبين بجميع البلاد سنة ٤٠٣هـ ، وهو أمر لم يصل إليه نقيب من قبل ، وكأن الرضي بهذا قد حقق بعض أمله ، فأصبح خليفة على فريق من الأمة ، ولكن الزمن لا يمدّ له في هذا الأمل ، فيقضي بهاء الدولة نحبه ــ وهو سنده إلى المجد ــ سنة ٤٠٣ هـ ، ويجنح الرضي إلى العزلة ، ويترك مدح الملك الجديد سلطان الدولة حتى يلح عليه في طلبه ، ثم يلقى ربه سنة ٤٠٦هـ ، عن سبعة وأربعين عاماً .

هذا مجمل لسيرة الرضي ، يقدم تصوراً سريعاً لحياته الحافلة ، وهو مقدمة لازمة للدراسة المتشعبة التالية .

أسرة الرضي ومولده :

يرتفع نسب الشريف الرضي إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فهو أبو الحسن محمد بن أبي أحمد الحسين بن موسى الأبرش بن محمد الأعرج بن موسى أبي سبحة بن إبراهيم المرتضى بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب .

وكان الإمام موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وهو الجد الخامس للرضي ، يسكن المدينة ، فأقدمه المهدي العباسي بغداد فحبسه ، ثم أطلقه وأرسله إلى المدينة ، ثم حمله هارون الرشيد إلى بغداد سنة ١٧٩هـ فحبسه إلى أن توفي سنة ١٨٣هـ ، ودفن في بغداد[١]

وقد استقر كثير من ذريته في العراق ، وكان ممن استقر بالبصرة موسى الأصغر ، المعروف بالأبرش ، وهو ابن محمد الأعرج بن موسى أبي سبحة بن إبراهيم الأصغر المرتضى بن موسى الكاظم رضي الله عنه ، وقد أعقب موسى الأبرش من ثلاثة : أبي طالب الحسن وأبي أحمد الحسين ، وأبي عبد الله أحمد ، وظل الحسن بالبصرة ، أما الحسين والد الرضي ، وأحمد عمه ، فقد اتجها إلى بغداد[٢] ، معترك السياسة

---

(١) وفيات الأعيان ٣٠٨/٥ ـ ٣١٠ .

(٢) عمدة الطالب ٢٠١ ـ ٢٠٣ . وقد ذكر الدكتور إحسان عباس في كتابه الشريف الرضي ٢٢ ، أن ابراهيم بن موسى بن جعفر الذي ينتمي إلى موسى الكاظم خلف واحدا وثلاثين ولداً من الذكور ، أحدهم الحسين المكنى بأبي أحمد ، وهو والد علي الذي لقب بالمرتضى =

في ذلك الوقت ليخُطَّا في تاريخ أسرتهما صفحات جديدة ، دبجت بعد ذلك بمجد الرضي ومعاليه .

ولقد أصهر أبو أحمد (والد الرضي) إلى الناصر الصغير أبي محمد الحسين بن أحمد بن الحسن الناصر الكبير صاحب الديلم ، الذي يتصل نسبه بالحسين بن علي رضي الله عنهما ، فتزوج ابنته فاطمة ، وكان زواجاً سياسياً ، وطد به أبو أحمد صلته بالبيت البويهي ، فقد كان صهره ابن خالة عز الدولة بخْتيار ملك العراق ، كما أنه كان يلي نقابة العلويين بمدينة السلام ، وقد ذكرت المصادر أنه تولاها عندما اعتزلها أبو أحمد سنة ٣٦٢هـ [١] . ولكن هذا الزواج السياسي منح العربية شاعراً من أعظم شعرائها ، وماجداً سجل في شعره آيات الفخار ومراقي العز ، هو أبو الحسن محمد المعروف بالشريف الرضي ، الذي ولد سنة ٣٥٩هـ ببغداد .[٢]

= ومحمد الذي لقب بالرضي ثم بنى على هذا أن أبا أحمد تميز من بين ثلاثين أخاً ، وأن محمداً ابنه سعى ليشق لنفسه طريقاً بين كثير من الأقرباء والأعمام . ومضى على هذا في سائر الكتاب . والحق أن الدكتور إحسان تعجل النقل عن جمهرة الأنساب مصدره صفحة ٥٦ في هذا القول ، والذي جاء فيه أنه ولد لموسى بن إبراهيم بن موسى واحد وثلاثون ولدا ، وأنه كان من ولده الرضي والمرتضى ، وكلام ابن حزم هذا واضح في أن المعني موسى بن ابراهيم بن موسى الجد الثالث للرضي وليس موسى بن محمد بن موسى الجد الأدنى له ، والذي يفصل بينه وبين موسى الجد الثالث جده الثاني محمد . وكذلك أشار الدكتور إحسان في حاشيته الصفحة نفسها إلى أن كل من ترجم للرضي قد ذكره باسم محمد إلا ابن خلدون فقد ذكر أن كلا ابنَي أبي أحمد يسمى عليا ، ثم قال : وابن خلدون ينقل عن ابن حزم ، ومن الطريف أن كتاب الجمهرة الذي نشرته دار المعارف يشير في أصله إلى هذا الخطأ . أنظر الجمهرة ٥٦ . ولم يذكر الدكتور احسان رقم الجزء ولا الصفحة من كتاب ابن خلدون ، وقد رجعت إلى الجمهرة فلم أجد أثرا لهذا الذي ذكره الدكتور إحسان عباس .

(١) الشريف الرضي لكاشف الغطا ٣٦ ، ٣٧ نقلا عن الناصريات للمرتضى .

(٢) يتيمة الدهر ١٣٦/٣ ، تاريخ بغداد ٢٤٧/٢ ، شرح نهج البلاغة ٣١/١ ، وفيات الاعيان ٤١٩/٤ ، المحمدون من الشعراء ٢٤٤ ، إنباه الرواة ١١٥/٣ ، تاريخ ابن الوردي ٣٢٧/١ ، تاريخ أبي الفدا ١٤٥/١ ، الوافي بالوفيات ٣٧٨/٣ ، عمدة الطالب ٢١٠ ، شذرات الذهب ١٨٢/٣ . روضات الجنات ٥٤٧ ، الغدير ١٨٢/٤ .

والرضي بهذا قد جمع عز النسب من أطرافه ، حيث التقى فرعان كريمان من فروع الدوحة العلوية ، فأثمرا هذه الحياة الفذة الثرية ، ولعله من الضروري أن نلقي الضوء على هذه الأسرة التي تضم : أبا الشريف وعمه ، وأمه وجده لأمه وخاله ، وإخوته وأخواته ، فإذا ما استقل الرضي بعد ذلك بأسرة يكونها ألقينا الضوء على زواجه وعقبه .

أبو الرضي :

كانت ولادة أبي أحمد الحسين بن موسى الموسوي والد الرضي سنة ٣٠٤هـ.[١] ، وقد سكتت المصادر التاريخية عنه فترة طويلة ، فلم تذكره إلا في سنة ٣٥٤هـ ، وفيها تقلد نقابة الطالبين وإمارة الحج ، وكتب له منشور من ديوان الخليفة المطيع لله .[٢] وطبيعي أن تكون لأبي أحمد جهود مشكورة في سِنِي عمره السابقة في خدمة الخلفاء العباسيين والملوك البويهيين ، ترفعه إلى هذه المنزلة ، وأن يكون من الكفاءة السياسية

---

(١) شرح نهج البلاغة ٣١/١ ، وفيات الأعيان ٤٢٠/٤ ، وذكر ابن خلكان قولا آخر أنه ولد سنة ٣٠٧ ، وليس بشئ لأن كل من ترجمه ذكر أنه توفي سنة ٤٠٠ هـ عن سبع وتسعين سنة .

(٢) المنتظم ٢٣/٧ ، الكامل ٥٦٥/٨ ، ٥٦٦ ، البداية والنهاية ١٥٥/١١ . ويذكر ابن حزم في جمهرة الأنساب ٥٦ أن أبا أحمد ولي المظالم ببغداد في أيام المطيع (٣٣٤ ـ ٣٦٣ هـ) .
وقد ذكر أديب التقي في كتابه الشريف الرضي ٦٠ أن معز الدولة كان يعتمد أبا أحمد أيام المستكفي في استطلاع أحوال بغداد والخلافة والجند والقواد وتجري المراسلات بينهما سرا في ذلك ، لأن أبا أحمد كان يكره الأتراك ، ويريد أن يسهل لمعز الدولة دخول العراق . وبعد استيلائه على بغداد انتدبه للسفارة بينه وبين الأتراك ، لاستصلاح حالهم واكتساب مودتهم . ولم يذكر مرجعا لهذا ولم أجد فيما بين يدي من المصادر التاريخية ما يشير إلى هذا . وربما استقى أديب التقي هذا من كتاب كاشف الغطاء الشريف الرضي ص ١٤٦ فقد جاء فيه :
ويظهر لنا من فزع المطيع في مشكلاته إلى والد الشريف واعتماده عليه في مهماته وتمكينه من الوظائف العظام ، أن الصلات والوشائك (كذا وصحتها : الوشائج) كانت ما بينهما مبرمة محكمة قبل استخلافه ، ولم يشر المؤلف الى مصدر تاريخي اعتمد عليه وهو ظن ظنه كما ترى .

والقدرة والحنكة بحيث يستمر الاعتماد عليه في هذه الشؤون ، وهذا ما أكدته الأيام . فإذا تتبعنا أبا أحمد منذ ذكر اسمه على مسرح الحياة السياسية في العراق فسترى أنه عاصر في هذه الفترة : عز الدولة بختيار (٣٥٦ ـ ٣٦٧هـ) وعضد الدولة (٣٦٧ ـ ٣٧٢هـ) وصمصام الدولة بن عضد الدولة (٣٧٢ ـ ٣٧٦هـ) وشرف الدولة بن عضد الدولة (٣٧٦ ـ ٣٧٩هـ) وبهاء الدولة بن عضد الدولة (٣٧٩ ـ ٤٠٣هـ) هذا بالنسبة إلى ملوك بني بويه المتغلبين على العراق ، أما بالنسبة للخلفاء العباسيين فقد أدرك في هذه الفترة : المطيع لله (٣٣٤ ـ ٣٦٣هـ) والطائع لله (٣٦٣ ـ ٣٨١هـ) والقادر بالله (٣٨١ ـ ٤٢٢هـ) .

وكان الرضي يحمل لأبيه قدراً كبيراً من الإعظام والإكبار ، وكان يهتبل المواسم والمناسبات ليقف بين يديه منشداً قصيده ، مفتخراً بأرومته ، معطراً أجواء الأبوة بهذا الأريج العبق الأخاذ ، ولعل ذلك يعود إلى تعلقه به منذ صغره حين فتح عينه وهو لم يبلغ من العمر عشراً ، فوجد أباه معتقلاً في القلعة بفارس ، يؤدي ضريبة المجد الذي سلك طريقه ، ويدفع ثمن النشاط السياسي الذي مارسه ، فكبر الشيخ في عين الصبي وعز ، ومكن شوقه إليه من حب أخذ بمجامع نفسه ، وتطلع إلى اليوم الذي يعود فيه الأب الحبيب فيجر ذيل الخيلاء به ، ويتبعه إلى محافل الملوك وعروش الخلفاء ، ويناله من ذلك خير كثير ، يفتح له الطريق الى المجد الذي أنطقه بالشعر وهو ابن عشر سنين . ولعل الرضي أيضاً ـ بل إن هذاهو المحقق ـ كان يرى أباه فوق منزلة الملوك والخلفاء ، وأنه أولى منهم بهذا السلطان العريض ، وكان يرى أن وقوفه أمام ملك أو خليفة أمر تضطره إليه ظروف السياسة وتحكم الأغفال ، أما السدة التي يقف أمامها وينشدها أشعاره في المواسم والمناسبات فهي سدة أبيه ، وارث المجد العلوي ومورثه له من بعده .

وأقدم قصيدة للرضي في أبيه هي التي يبدأها بقوله :

مَن لي برَعْبَلـــةٍ من البُـــزْلِ   ترمي إليـك معاقـدَ الرحـلِ

ويذكر جامع الديوان في مقدمتها أنها من أول قوله ، وهو يتشوقه فيها ويمدحه

ثم يصف محله من قومه فيقول :

ولأنـت مثـلُ السيـف في مُضَـرٍ عاذتْ بقائمـهِ من الـذُّلِّ

ومن يرجع إلى هذا القدر الكبير من قصائد الرضي في أبيه[1] يدرك أن علاقته به مرت بمراحل ثلاث :

الأولى : أثناء اعتقاله ، وحتى عوده إلى بغداد في صحبة شرف الدولة ، وكان نغم الصبي فيها مؤلماً ، وان افتر ثغره عن ابتسامة صغيرة بعد أن أفرج عن أبيه وقرب وصوله إلى بغداد .

الثانية : منذ عاد رب الأسرة إليها في سنة ٣٧٦هـ ورُدَّ إليه بعض أملاكه ، واستقبل البيت عزه القديم ، واكتمل هذا بعَود النقابة إلى أبي أحمد سنة ٣٨٠هـ ، وفيها يمثل الرضي الشاعر الرسمي لأبيه أبي أحمد . يمثل أمامه في كل مناسبة ، وينشده حبه وإكباره ، ورغبته في المجد وترسُّمه خطاه .

الثالثة : منذ تغيرت الأحوال بالرضي ، فولي النقابة في رمضان سنة ٣٨٠هـ وبدأ يسلك السبيل العملي للسياسة ، وأحس بقوة الأقوياء ، وضعف من كان يراهم مصدر القوة ، وأدرك أن طريق أبيه لا يناسبه ، فبدأ يسلك نهجاً آخر لم يرض عنه أبوه ، حيث خاشن الطائع لله في أخريات أيامه ، وخاشن القادر بالله منذ السنوات الأولى لحكمه ، بل إنه عاداه ولم يرض بوساطة والده ، ثم جره هذا الموقف إلى خصومة مع أبيه ، هدأت بل انتهت فيما بعد ، ونتج عن هذا أن قلَّ شعر الرضي في أبيه في هذه الفترة ، وحالت السنوات بين قصيدة وأخرى ، وفقد الإعجاب القديم بأبيه ، فلم يحظ منه إلا بعدد نزر من القصائد ، أدى بها واجباً يخاف الملامة إن لم يؤده ، ولكن وفاة والده أثارت أشجانه ، ومحت آثار السياسة في نفسه ، فانطلق

---

(١) القصائد ١٠ ـ ١٤ ، ٢١ ، ٢٩ ـ ٣٣ ، ٤٤ ـ ٥١ . ٦٠ ، ٦٦ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٨٧ ـ ٩٠ ، ١٠٧ ـ ١٠٩ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٧١ ، ١٩٦ ، ٢٢٨ ، ٢٧٨ ، ٤٢٦ ، ٤٣٦ ، ٤٦٣ .

باكياً ، معدداً مناقبه ، متألماً لفقده ، بقصيدته التي أولها :

وَسَمَتْكَ حالِيةُ الربيع المُرْهِمِ وَسَقَتْك ساقيةُ الغَمامِ المُرْزِمِ

أم الرضي :

وأمه فاطمة بنت الحسين[1] الناصر الصغير بن أحمد بن الحسن الناصر الكبير الأطروش صاحب الديلم بن علي العسكري بن الحسن بن علي الأصغر بن عمر الأشرف بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، رضي الله عنهما .

وأبوها أبو محمد الناصر الصغير : «كان مبجلاً مقدماً في أيام معز الدولة لجلالة نسبه ، ومحله في نفسه ، ولأنه كان ابن خالة بختيار عز الدولة »[2] وولي النقابة على العلويين بمدينة السلام ، عند اعتزال أبي أحمد والد الرضي سنة ٣٦٢هـ [2] ، وربما كان هو المعنيّ بقول الرضي يذكر طرفي المجد في نسبه :

أرُدُّ النَّوائبَ بالمُوسَوِيِّ وأُعْطِي الرَّغائبَ بالناصرِ

أما جدها الأعلى الحسن بن علي ، الناصر الكبير الأطروش ، فهو كما يقول ابن أبي الحديد : « شيخ الطالبيين وعالمهم وزاهدهم ، وأديبهم وشاعرهم ، ملك بلاد الديلم والجبل ، لُقّب بالناصر للحق ، جرت له حروب عظيمة مع السامانية ، وتوفي بطبرستان سنة ٣٠٤هـ وسنه ٧٩ »[3] .

وكان استيلاء الأطروش على طبرستان سنة ٣٠١هـ ، وكان قد دخل الديلم وأقام

---

(١) كذا ورد اسمه في الديوان « الحسين » في ذكر خال الرضي في القصيدتين ١٥ ، ٢٠٦ وكذلك في تاريخ الصابي ٤٠٧ في ذكر وفاة خال الرضي أيضا ، وفي شرح نهج البلاغة ٣٢/١ ، وجاء في كتاب الشريف الرضي لكاشف الغطاء ٣٦ نقلا عن الناصريات للمرتضى « الحسن » وفي هذا النسب في الكتاب خطأ وتكرار لعله من الطباعة ، كما جاء أيضا في عمدة الطالب ٣١٠ « الحسن » ولولا ما في الطبعة من أخطاء لاعتمدته فهو الأقرب إلى تلقيبه بالناصر الصغير لقب جده الناصر الكبير لاتفاق اسمهما حينئذ .

(٢) الشريف الرضي لكاشف الغطاء ٣٧ نقلا عن الناصريات للمرتضى .

(٣) شرح نهج البلاغة ٣٢/١ ، ٣٣ ، وانظر الشريف الرضي لكاشف الغطاء ٣٨ وانظر في وفاته الكامل ١٠٥/٨ .

بينهم نحو ثلاث عشرة سنة يدعوهم إلى الإسلام ، ويقتصر منهم على العُشْر ، ويدافع عنهم ابن حسان ملكهم ، فأسلم منهم خلق كثير واجتمعوا عليه ، وبنى في بلادهم مساجد . وكان الأطروش زيديَّ المذهب ، شاعراً مفلقاً . ظريفاً علاَّمة ، إماماً في الفقه والدين ، كثير المجون حسن النادرة ، وكان سبب صممه أنه ضرب على رأسه بسيف في حرب محمد بن زيد قطرش[1] ويذكر ابن عنبة في سبب صممه أنه كان مع محمد بن زيد الداعي الحسني بطبرستان فلما غلب رافعٌ على طَبَرِسْتان أخذه وضربه ألف سوط فصار أصمَّ[2] وقد ذكره الرضي في رثائه لأمه حيث يقول :

آباؤكِ الغُرّ الذين تفجَّرتْ بهمُ يَنابيعٌ من النعماءِ
مِن ناصرٍ للحقِّ أو داعٍ إلى سُبُلِ الهدى أو كاشفِ الغَمَّاءِ
نزلُوا بعَرْعَرةِ السَّنام من العُلا وعلَوا على الأثْباجِ والأَمطاءِ

كما ذكره في قصيدة التي رثَى بها خاله أبا الحسين أحمد بن الحسين حيث يقول :

فما شئتَ من داعٍ إلى الله مُسْمِعٍ ومن ناصرٍ للحقِّ ماضي الضَّرائبِ

وقد عاش الرضي في أكناف أبيه وأمه منذ ولد سنة ٣٥٩هـ. الى أن قبض على أبيه وسجن بالقلعة في فارس سنة ٣٦٩هـ فحُرم رعاية أبيه حتى عاد إلى بغداد سنة ٣٧٦هـ ، ومعنى هذا أنه عاش سن الفتوة مع أمه ، وقد تعهدته وقامت على أمره وأمر أخيه المرتضى أحسن قيام ، وأنفقت عليهما مما كانت تملك بعد أن صودرت أملاك أبي أحمد ، بل ودفعت بهما في سبيل التعليم ، فقد ذكر ابن أبي الحديد أن المفيد أبا عبد الله محمد بن النعمان الفقيه الإمام رأى في منامه كأن فاطمة بنت رسول الله عليه الصلاة والسلام دخلت عليه وهو في مسجده بالكرخ ، ومعها ولداها الحسن والحسين عليهما السلام صغيرين ، فسلمتهما إليه وقالت له : علمهما الفقه . فانتبه متعجباً من ذلك ، فلما تعالى النهار في صبيحة تلك الليلة التي رأى فيها الرؤيا ، دخلت إليه المسجد بنت الناصر ، وحولها جواريها ، وبين يديها ابناها محمد الرضي وعلى

---

(١) الكامل ٨/٨١ ـ ٨٣ .

(٢) عمدة الطالب ٣٠٨ .

المرتضى صغيرين ، فقام إليها وسلم عليها ، فقالت له : أيها الشيخ ، هذان ولداي قد أحضرتهما لتعلمهما الفقه . فبكى أبو عبد الله وقص عليها المنام ، وتولى تعليمهما الفقه [1] .

وهذه القصة على ما جاء فيها من تشبيه فاطمة بنت الناصر وولديها الرضي والمرتضى بفاطمة بنت رسول الله ﷺ وولديها الحسين والحسن رضي الله عنهما ، وقصد الراوي في ذلك بإعظام هذا البيت وإظهار هذه العظمة في نفوس معاصريه ، تدل دلالة قوية على مبلغ حدب هذه الأم على ولديها ، فهي تذهب بنفسها وحولها جواريها ، وكان يمكن أن يكفيها مؤونة ذلك خادم أو ذو قرابة ، ولكن انتقالها بنفسها إلى مدرسة الشيخ المفيد له أعظم الأثر في نفسه للعناية بولديها .

وحين عاد أبو أحمد سنة ٣٧٦هـ ، وردت إليه أملاكه كان الرضي شاباً قد تجاوز السادسة عشرة من عمره ، وقد ولي النقابة سنة ٣٨٠هـ ، وعزل عنها سنة ٣٨٤هـ قبل وفاة والدته بسنة واحدة ، فقد توفيت سنة ٣٨٥هـ ، والرضي ولدها في رونق الشباب ما زال يخطر في السادسة والعشرين . وقد رثاها بقصيدة باكية حزينة ، دلَّت على نفس ملتاعة ، وألم ممض ، وأسى فاجع ، يقول الرضي في أولها :

أبكيكِ لو نقَع الغليلَ بُكائي — وأقول لو ذهب المقالُ بدائِي
وأعوذُ بالصبر الجميلِ تَعَزِّياً — لو كان بالصبرِ الجميلِ عَزائِي

وقد عبَّر عما ألم به من الجوى ، وما أصابه من الجزع ، ووصف كيف قهره الحزن وأخلف الدهر ظنونه ، فقد كان يؤثر أن يكون فداءها ، عبَّر عن هذا كله بهذه الأبيات :

فارقتُ فيك تماسُكي وتجمُّلي — ونسيتُ فيك تعزُّزي وإبائِي
وصنعتُ ما ثلَم الوقارَ صنيعُهُ — مما عَراني من جَوَى البُرَحاءِ

---

(١) شرح نهج البلاغة ٤١/١ ، الدرجات الرفيعة ٤٥٩ . وذكر ابن حجر في لسان الميزان ٢٢٣/٤ ، ٢٢٤ في ترجمة المرتضى أن الذي ذهب بالولدين إلى المفيد هو أبو أحمد والد الرضي والمرتضى ، وهو خطأ واضح

كم زفرةٍ ضعُفتْ فصارت أنَّـــةً   تمَّمْتُهـــا   بتَنَفُّسِ   الصُّعَداءِ
لَهْفَان أنْزُو في حبائـلِ كُرْبــــةٍ   ملكتْ عليَّ جَـلادتي   وغَنَائِـي

أخوة الرضي :

أنجب أبو أحمد الموسوي بنتين ، هما زينب وخديجة ، وولدين ، هما المرتضى والرضي[1] ، وربما كان لهما ثالث هو المرضي ، على ما يأتي بيانه .

وكان أسبق أولاده إلى الوجود إحدى البنتين زينب وخديجة ، فقد توفيت واحدة منهما في سنة ٤١٩هـ ، عن نيف وتسعين سنة ، ورثاها أخوها المرتضى[2] ، ومعنى ذلك أنها ولدت في العقد الثالث من القرن الرابع الهجري ، ووالدها في نحو الخامسة والعشرين من عمره .

وقد توفيت الثانية في حياة الشريف الرضي ، ودفنت في مشهد الحسين رضي الله عنه ، ورثاها الرضي بقصيدته التي يقول فيها :

شقيقـــتي   إنَّ   خَطْبــــــاً   عـــدا   عليـك   لخَطــبُ
وإن   رُزْءًا   رمــــانـــــي   بالبُعـــدِ   عنك   لصعــبُ
ما كنـــت أحســب يومــــــاً   والدِهــرُ   ضَرْبٌ   وضربُ
أنّــي   أبِيـــتُ   وبينــــــي   وبـــين   لُقْيـاك   سَهْـــبُ

ورزق أبو أحمد من الذكور المرتضى عليا ، والرضي محمداً ، ولكن أبا العلاء المعري في رثائه لأبي أحمد الموسوي يقول :[3] .

أبْقيــتَ فينــا كوكبـين سَناهُمــا   في الصبحِ والظلماءِ ليس بخَافِ
ساوَى الرضيُّ المرتضَى وتقاسمَــا   خِطَطَ العُلا بتناصُفٍ وتَصـافِ
حِلْفَا نَدًى سَبقــا وصلَّى الأَطْهَرُ الْـ   مَرْضِي فيا لَثلاثــةٍ أحْـلافِ

(١) روضات الجنات ٣٧٧ ، وربما فهم من إيراد الخوانساري لاولاد أبي أحمد على هذا النسق : « فولد أبو أحمد زينب وعليا ومحمدا وخديجة ، أربعة أولاد » ان هذا كان ترتيب ولادتهم ، فتكون المعمرة زينب ، والتي ماتت في حياة الرضي ورثاها خديجة .

(٢) قصيدة رثاء الأخت المعمرة ، في ديوان الشريف المرتضى ١٨٦/٣ .

(٣) شروح سقط الزند ١٢٩٧ ، ١٣٠١ .

ويقول التِّبريزيُّ في شرحه على البيت الثالث : والأطهر ولد المرتضَى . لكن البَطَلْيَوْسِيَّ يقول في شرحه عليه : وأراد بالأطْهر المرضيّ أخاً صغيراً كان لهما .

وليس هناك ما يقوِّي قول التبريزي أنّ الأطهر ولد المرتضى ، بل هناك ما ينفيه ، ذلك أن الرضيَّ كان يهنىء أخاه كلما رزق بمولود ، وقد هنأه مرتين بمولودة جاءته[1] وعزاه عن ابنتين له توفيتا[2] ، وهنأه بمولود ذكر فلم يتفق له ذلك[3] ، ثم صنع قصيدة ليهنئه بمولود ذكر ولما جاءت أنثى صرفها إلى غيره[4] ، ومعنى هذا أن المرتضى لم يرزق بولد في حياة أخيه ، وإلا لسجل الرضي هذا في ديوانه ، فقد كان يحتفل لهذه الأمور ، ثم إن أبا العلاء المعري ساق الثلاثة الرضي والمرتضى والمرضي في نسق وهو ما يُشعر بأنهم أبناء أب واحد هو الطاهر أبو أحمد الموسوي .

وليس بين أيدينا ما يدعم قول البَطَلْيَوْسِيّ من المراجع التاريخية ، ولعل هذا الأخ الصغير لم ينبغ مثل أخويه ، فلم تحفل به كتب التاريخ .

أما المرتضى فهو أبو القاسم علي ، ولد سنة ٣٥٥هـ ، أي أنه يكبر الرضي بأربع سنوات ، وانصرف إلى تحصيل العلم فنبغ أي نبوغ ، وله مؤلفات تشهد بعلو قدمه فهو صاحب « الانتصار » في الفقه المقارن ، والأمالي التي تسمى « الغرر والدرر » و« الشهاب في الشيب والشباب » ، و« طيف الخيال » وغيرها . وهو شاعر مكثر يقع ديوانه في ثلاثة أقسام ، وقد طال عمره ، وتوفي سنة ٤٣٦هـ [5] .

وكان المرتضى يشارك الرضي في النيابة عن أبيه في المناصب التي تناط به من نقابة وإمارة حج ونظر في المظالم ، كما أنه كُرِّم يوم قُلِّد الرضي النقابة سنة ٣٨٠هـ [6] .

---

(١) بالقصيدتين ٣٤ ، ٥٣ .

(٢) بالقصيدتين ٢٠٨ ، ٢٠٩ .

(٣) بالقصيدة ٦٧ .

(٤) بالقصيدة ٣٧ .

(٥) انظر أدب المرتضى ٦٣ ـ ٨٠ ، ١٣٢ ـ ١٦٢ ، ومقدمة ديوانه ، ومقدمتي أمالي المرتضى وطيف الخيال .

(٦) انظر حاشية القصيدة ١١٣ .

ولُقِّب بذي المَجْدَين يوم لقب الرضي بذي الحسبين سنة ٣٩٧هـ [١] ، وبعد وفاة أخيه سنة ٤٠٦هـ تقلد ما كان يتقلده أخوه من النقابة وإمارة الحج والمظالم[٢] .

ويتضح من هذا أن المرتضى سلك طريقاً أخرى غير الطريق التي سلكها الرضي فلم يخُضْ غَمرَات السياسة في حياة أبيه وأخيه ، وإنما فرغ إلى العلم يحصله ، وإلى الكتب يؤلفها ، وإلى تلامذته يعلمهم ويُمْلِي عليهم ، أما الرضي فبرغم اشتغاله بالعلم اشتغالاً يبهر ويدهش[٣] ، كان جلّ اشتغاله بالمجد الذي أضناه ، والسياسة التي طمح إليها وهو فتى صغير ، والخلافة التي كانت منتهى آماله ، وبذلك تباعد الأخَوان في مجال الصراع فلم يكن واحد منهما ينْفَس على الآخر ما هو فيه ، وإنما قام بينهما ود أكيد ، وحرمة وذمام، وقصائد ديوان الرضي تنبيء عن هذا الود ، وأول قَوْلَةٍ قالها الرضي فيه كانت سنة ٣٧٤هـ ، حيث أعد قصيدة ليهنئه بمولود ذكر فلم يتفق له ذلك[٤] ، والقصيدة فخرية لم يخلص فيها الرضي إلى خطاب أخيه إلا ابتداء من البيت الخامس والأربعين ، حيث يقول :

أبـا قاسمٍ حَلّاكَ بالشعرِ ماجـــدٌ ... عليك له حتى المَماتِ رَصائـعُ
أخٌ لا يرى الأيامَ أهـلاً لِمَدْحِـهِ ... ولو ضَمِنتْ ألاَّ تراه الفجائعُ
شجاعٌ لأعْنـاقِ النوائبِ راكـبٌ ... هُمامٌ لأطْوادِ الحوادثِ فارعُ
ستَشْرَعُ ماءَ الفخرِ في كأْسِ مِدْحتي ... وما أنا في ماءِ النَّدَى منك شارعُ

وللرضي بعد هذا قصائدُ في التهنئة والرثاء والعتاب[٥] ، تدل على ما كان بينهما من آصرة قوية ، وودّ أكيد .

---

(١) المنتظم ٢٣٤/٧ .

(٢) المنتظم ٢٧٦/٧ .

(٣) سأفصل القول في هذا في ثقافة الرضي .

(٤) هذا ما جاء في المطبوعة البيروتية ، أما ما جاء في نسخة الخبري فهو أنه قال القصيدة يهنئه بمولود ذكر . دون أن يرد فيها « فلم يتفق له ذلك » .

(٥) أنظر القصائد ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٧ ، ٥٣ ، ٢٠٩ ، ٤٦٣ .

عم الرضي :

سبق أن ذكرت أن أبا أحمد الحسين بن موسى ، وأخاه أبا عبد الله أحمد ، تركا البصرة ، وتوطنا بغداد مصطرع الساسة ، ومعترك الملوك في هذا الوقت ، وقد خاض الرجلان غمار الحياة فيها ، وأصبح لهما شأن استأثر فيه أبو أحمد بالنصيب الأوفى ولم يرد ذكر أبي عبد الله إلا حين قبض عليه مع أخيه أبي أحمد سنة ٣٦٩هـ عضدُ الدولة ، وحين ورد بغداد أيضاً مع أخيه في صحبة شرف الدولة سنة ٣٧٦هـ ، بعد أن أطلقهما ، ويدل اعتقال عضد الدولة له مع أخيه على أنه كان ذا شأن يرهبه في بغداد ، أو أن عضد الدولة رأى في تركه طليقاً ضرراً يلحقه ، فقد يقوم أبو عبد الله بتنفيذ سياسة أخيه أبي أحمد مدة اعتقاله ، وقد أشاد الرضي بموقف أبيه وعمه في هذه المحنة .[1]

وكانت وفاة أبي عبد الله عم الرضي في ربيع الآخر سنة ٣٨١ هـ ، فرثاه وعزى والده عنه ـ وكان قد خرج إلى واسط لتلقي بهاء الدولة ـ بقصيدة يقول فيها :[2]

لقد ذهب العيشُ الرقيقُ بذاهـــبٍ	هو الغاربُ المجزولُ من ذِرْوةِ المجدِ
وإني وإن قالـوا مضَى لسبيلـــــه	وهِيلَ عليه التُّرْبُ من جانبِ اللَّحْدِ
كَسَاقِطةٍ إِحْدَى يديْــــــه إزاءَهُ	وقد جَبَّها صَرْفُ الزمانِ من الزَّنْدِ

خال الرضي :

لم نعرف من أخوال الشريف الرضي غير رجل واحد ، هو الناصر الصغير ، ولم تفصح كتب التاريخ والأنساب عن مكانته ، وهو أبو الحسين أحمد بن الحسين (الناصر الصغير) ، أخو فاطمة بنت الحسين أم الشريف الرضي ، وليس بين أيدينا ما يدل عليه غير أربع قصائد قالها الرضي فيه[3] .

ويتضح من هذه القصائد أن أبا الحسين كان حفياً بابن أخته ، يشد عضده في

(١) في القصيدتين ٣٢ ، ٤٧ .

(٢) القصيدة ٢٢٨ .

(٣) القصائد ١٥ ، ٥٢ ، ١٩٣ ، ٢٠٦ .

النوائب ، ويقف إلى جواره في الملمات .

وفي رجب سنة ٣٩١هـ ، توفي أبو الحسين ، فرثاه الرضي بقصيدة مطلعها :

لنا كلَّ يوم رَنَّـةٌ خلفَ ذاهـــبِ ومُسْتَهْلَكٍ بين النَّوَى والنَّــوادِبِ

زواج الرضي وعقبه :

ليس يُدْرى على التحديد متى تزوج الرضي ، وإن كان الظن الغالب أنه تزوج مبكراً قبل أن يصبح نقيباً سنة ٣٨٠هـ ، فإن هذا المنصب لجلالة قدره وعلو منزلته لا يُعطَى إلا لرجل مُحْصَن ، يثق الناس في أهليته له ، وأحسب أن الزواج مما يتم على الرجل تأهله لمثل هذه المناصب .

وليس بين أيدينا ما يفيد ممن تزوج الرضي ، ولكن ابن عنبة في كلامه عن أبي الحسن محمد التقى السابسي[1] ، قال : إنه هو الذي عُزِل به الرضي الموسوي عن النقابة ، وكان الرضي خَتَنَهُ[2] . وهذا الخبر يفيد أمرين ، الأول أن الرضي تزوج بنت أبي الحسن محمد التقي السابسي ، والثاني أن هذا الزواج تمّ قبل عزل الرضي عن النقابة ، ويزداد الأمر إيضاحاً حين يخبرنا ابن الأثير في حوادث سنة ٣٨٤هـ ، أنه ولي النقابة فيها أبو الحسن النهر سابسي ، وعزل عنها أبو أحمد الموسوي ،وكان ينوب عنه فيها ابناه المرتضى والرضي[3] . وإذاً فقد تزوج الرضي بنت أبي الحسن السابسي قبل سنة ٣٨٤هـ وهو أمر لا يقبل الجدل استناداً إلى كلام ابن عنبة وابن الأثير ، ولعل هذا الزواج تم قبل سنة ٣٨٠هـ التي ولي فيها النقابة ، وهو ما أرجحه .

وقد بذل الرضي بعد هذه الزِّيجة محاولتين أخريين ، وكان زواجاً سياسياً في كلتا المرتين ، الأولى حين خطب إلى الوزير أبي نصر سابور بن أردشير ابنته وكان ذلك قبل وزارة سابور الثالثة لبهاء الدولة سنة ٣٨٦هـ بل وقبل وفاة أبي إسحاق

(١) السابسي ، أو النهر سابسي ، كما سيأتي : نسبة إلى سابس ، وهي قرية مشهورة قرب واسط ، على طريق القاصد لبغداد منها على الجانب الغربي . ونهر سابس فوق واسط بيوم عليه قرى . معجم البلدان ٣/٤ .

(٢) عمدة الطالب ٢٨ .

(٣) الكامل ١٠٥/٩

الصابي في شوال سنة ٣٨٤هـ ، فقد احتفظ لنا القَلْقَشَنْدِيُّ بصورة الكتاب الذي كتبه أبو إسحاق الصابي بين الوزير أبي نصر وبين الرضي وأبي أحمد ، بما انعقد من الصلح والصهر بين الوزير وبينهما ، حين تزوج الرضي بنت سابور، وجاء فيه :

« هذا كتاب لسابور بن أردشير ، كتبه له الحسين بن موسى وولده محمد بن الحسين الموسوي ، إنا وإيَّاك عندما وصلَه الله بيننا من الصِّهر والخُلْطة ، ووشَجه من الحال والمودة ، آثرنا أن ينعقد بيننا وبينك ميثاقٌ مؤكد وعهد مجدد ، تسكن النفوسُ إليهما ، وتطمئن القلوب معهما ، وتزداد الألفة على مر الأيام ، وتعاقُب الأعوام ، ويكون ذلك أصلاً مستقراً ، نرجع جميعاً إليه ، ونعوِّل ونعتمد عليه ، وتتوارثه أعقابنا ، وتتبعنا فيه أخلافُنا » ، ثم ترد التزامات يلتزم بها كل من أبي أحمد وولده نحو الوزير وابنته من الإخلاص له ، والصَّون لكريمته ، والتوسعة عليها ، مع توكيد ذلك بالأيمان المغلظة(١) .

ولكن الأمور ساءت بين أبي نصر والشريف أبي أحمد ، بسبب مشورة الأخير لبهاء الدولة في تولي الوزارة ، فيرسل الرضي إلى أبي نصر بقصيدة يطلب إليه أن يعود إلى حلمه ، وأن يرعى جانب القرابة التي نشأت بينهما :

فَعَوْداً إلى الحِلْمِ الذي أنت أهلُـه ... فمثلُك بالإحسان بادٍ وعائـدُ

وحامِ على ما بيننا من قَـرابـةٍ ... فإن الذي بيني وبينك شاهدُ

ويرسل إليه رسالة بهذا المعنى أيضاً . وتخبر مقدمة القصيدة في الديوان(٢) بأن هذه الوصلة على بنت الوزير انفسخت ، أي أن الرضي لم يدخل بها ، بعد عقد العقد وكَتْب الميثاق بين أبي نصر وأبي أحمد والد الرضي .

أما المحاولة الثانية فكانت على بنت الوزير أبي علي الحسن بن محمد بن إسماعيل الموفق وزير بهاء الدولة(٣) ، وذلك قبل سنة ٣٩٠هـ ، تلك السنة التيقضاها الموفق

(١) صبح الأعشى ١٤/٩٧ ـ ٩٩ .

(٢) القصيدة ٢٧ .

(٣) ظن أديب التقي في كتابه عن الشريف الرضي ١٠٩ أن الوزير الذي أراد أن يصهر اليه الرضي هو أبو علي الحسن بن حمد بن أبي الريان، وهو خطأ لأن ابن أبي الريان لم يلقب =

في الحروب بفارس ، والتي أرسل له الرضي فيها قصيدتين ، ويذكره في الأولى بالحرمة التي ستربط بينهما عن طريق المصاهرة ، وكيف أن أسباب الموفق بهذا ستتصل بأمير المؤمنين وآل بيت النبوة :

وأقربُ ما بيني وبينك حُرْمةٌ　　تَدانَى نُفوسٌ وُدُّها وحَبابُها
شَواجِرُ أرْحامٍ إذا ما وَصَلْتَها　　فعند أميرِ المؤمنين ثَوابُها
وما بعدَ ذا من آصِراتٍ إذا انْتَهت　　يكونُ إلى آلِ النبيِّ انْتسابُها

ولقد دفع الرضيَّ إلى هذه المصاهرة مكانةُ الموفَّق المرموقة لدى بهاء الدولة ، حتى قال قائل له : « زيَّنَكَ الله يا مولانا في عين الموفق » ولكن عقد المصاهرة هذا انفسخ لأسباب تجدَّدت ، وربما كان أقواها تغيُّرَ بهاء الدولة على الموفق سنة ٣٩٠هـ ، ثم قَبْضَه عليه سنة ٣٩٢هـ ، وقتلَه سنة ٣٩٤هـ [١] .

وهكذا خاب سعي الرضي في هاتين الزيجتين السياسيتين ، وباء جهده بالفشل . وقد سكتت المصادر بعد هذا عن زواجه ، ولم يفصح الديوان عن شيء ، اللهم إلا القصائد التي رثى بها زوجته [٢] ، ولعلها كانت في الزوجة الأولى بنت السابسي وظني أنها عاشت إلى ما بعد سنة ٤٠٠هـ ، وهي السنة التي ولد فيها عدنان بن الشريف الرضي ، ذلك أنه يذكر في هذه القصائد ما يُشْعِر بأنه يُحِسُّ كبرَ السن وقربَ المورد ، حيث يقول :

ومما يطِيبُ النفسَ بعـدك أنني　　على قَرَبٍ من ماءِ وِرْدِك أو قُرْبِ

= بالموفق وإنما ذلك لقب الحسن بن محمد بن إسماعيل ، كما لم يهتد أديب التقي إلى تعيين أي المحاولتين أسبق ، وقد اتضح الآن أن المحاولة الأولى كانت على ابنة الوزير سابور والثانية كانت على ابنة الموفق .

(١) الكامل ٩/١٦٠ ـ ١٦٢ ، المنتظم ٧/٢١٩ ، ٢٢٨ .

(٢) القصائد ٢١٤ ، ٢٣٨ ، ٢٨٧ وجاء في مقدمة القصيدتين الأوليين في المطبوعة البيروتية « وقال يرثي أمرءا يخصه » وهي كناية عن زوجه ، وجاء في مقدمة القصيدة الثالثة « وقال يرثي بعض أهله » والقصيدتان الأولى والثالثة تدلان بما فيهما على أنهما في رثاء زوجه ، أما القصيدة الثانية فبالإضافة إلى هذا نص الخبري على أنها في رثاء زوجه .

ويقول :

وقالوا تَسَلَّ بأتْرابِها فأين الشبابُ وأينَ الزمانُ

ولا يقول هذا إلا رجل تخطّى الأربعين ، على الأقل ، في هذا التاريخ .

ولم نعرف من عقب الرضي إلا ولده عدنان ، الذي ولد سنة ٤٠٠هـ [١] ، وتكنّى بكنية جده ، كذلك لُقِّب بلقبه ، فكان يُدعَى أبا أحمد الطاهر ذا المناقب[٢] ، وقد تولى نقابة الطالبيين بعد وفاة عمه الشريف المرتضى سنة ٤٣٦هـ [٣] ، فكان يقوم بالمهمات التي قام بها جده من قبل ، ذلك أنه قام بكشف فتنة في بغداد بين السنة والشيعة سنة ٤٤٣هـ [٤] وفي سنة ٤٤٧ هـ أرسل طغرلبك عميدَ الملك الوزير إليه ليشكره على حسن معاملة أهل الكَرْخ للغُزِّ عسكر طُغْرَلْبك[٥] ، وفي سنة ٤٤٨هـ حضر عقد نكاح أرسلان خاتون واسمها خديجة ابنة داود أخي طغرلبك على الخليفة القائم بأمر الله[٦] وقد وافاه أجلُه سنة ٤٤٩هـ [٧] ، وانقرض بانقراضه نسل الشريف الرضي[٨] . وكان عدنان كما قال أبو الحسن العُمَري : « الشريف العفيف المتميز في سَداده وصونه ، رأيته يعرف علم العروض ، وأظنه يأخذ ديوان أبيه ، ووجدته يحسن الاستماع ويتصور ما يُنْبَذُ إليه »[٩] .

---

(١) الكامل ٢١٩/٩ وذكر ابن عنبة أنه انقرض بانقراضه عقب الرضي ، قال ابن معصوم : ورأيت في مشجرة معتمد عليها أن أبا أحمد عدنان المذكور أولد ولدا اسمه علي ، لكنه درج ولم يعقب ، فانقرض بانقراضه عقب الشريف الرضي رضي الله عنه . الدرجات الرفيعة ٤٨٠ .

(٢) عمدة الطالب ٢١١ .

(٣) المنتظم ١١٩/٨ ، الكامل ٥٠٦/٩ .

(٤) الكامل ٥٧٦/٩ .

(٥) الكامل ٦١٢/٩ .

(٦) الكامل ٦١٧/٩ .

(٧) المنتظم ١٨٩/٨ ، الكامل ٦٣٨/٩ .

(٨) عمدة الطالب ٢١١ .

(٩) عمدة الطالب ٢١١ .

ولم يعرف للرضي أيضاً نسلٌ من الإناث ، وقد فتشت ديوان أخيه المرتضى لأعثر على تهنئة له بمولود أو مولودة فلم أجد شيئاً من ذلك ، وهذا يدل على أن الرضي لم يُنْجِب غير عدنان ، فإنه كان يهنىء أخاه المرتضى في كل مرة يولَد له فيها ، وتقتضي رسوم المجاملة أن يقوم أخوه بهذا الواجب متى لاحت فرصته ، ولكن لماذا لم يهنىء المرتضى أخاه بمولد ولده عدنان ؟ ربما كان السبب في هذا أن عدنان ولد في السنة التي مات فيها أبو أحمد والد الرضي والمرتضى ، وقد عم الأسرة حزن شامل فلم يلتفت أحد إلى مولده .

ولعل قلة إنجاب الرضي من زوجه كان من بين دواعيه إلى التفكير في الزواج مرتين بعد زواجه الأول .

صفات الرضي الخَلْقية والخُلُقية :

ليس بين يدي وصف خَلْقي للرضي ، اللهم إلا ما قاله الدكتور زكي مبارك ، من أنه « كان جميل الوجه جداً ، بحيث استطاع بعض أساتذته أن يقول : إنه لم يستبح النظر إلى وجهه إلا بعد أن اخضرَّ شاربه ، ونبت عارضاه[1] » ، ولست أدري عمن نقل الدكتور زكي هذا القول ، فانه لم يعيِّن مرجعه في هذا ، وقد نقل أديب التقي كلام الدكتور زكي ، وزاد على ما أورده أن الشيخ صاحب المقالة هو شيخه المفيد ، ولم يكن له مصدر في هذا إلا كلام الدكتور زكي مبارك[2] .

وقد شكا الرضي وهو في الثالثة والعشرين غزوَ الشيب لرأسه بالقصيدة :

عَجِلْتَ يـا شيبُ على مَفْـرِقِـي وأيُّ عُذْرٍ لك أن تَعْجَـلَا

واستنتج أديب التقى من قصة شَمِّه لحيتَه أمام القادر بالله ، أنه كان مسدل اللحية حتى ليصل طرفها إلى أنفه[3] .

وزعم الدكتور زكي مبارك أن الرضي كان يشكو مرضاً يكتمه عن الأطباء ،

---

(١) عبقرية الشريف الرضي ٢/١١٧ .

(٢) الشريف الرضي ، لأديب التقي ١٢٩ .

(٣) الشريف الرضي ، لأديب التقي ١٢٩ .

وعزا اليه قصرَ عمره ، وسرد كثيراً من شعره في ذكر الموت ، الذي يتسم بنظرة متشائمة ويدل على إدراكه ـ في زعمه ـ قصر عمره[1] ، ويدرك المتصفح لهذا الشعر أن تلك دعوى لا يقوم لها دليل ، وإنما هي خواطر الشعراء ، مشى الرضي في دربها حين رثى الناس .

أما صفات الرضي الخُلُقية ، فإننا لو تركنا شعره وما يحمله من إباء وعزة ، وما يدل عليه من وفاء وإخلاص ، وما ينضَح به من إحساس مرهف ، وفرغنا إلى ما سار من صفاته في كتب المترجمين له ، فسنرى أن ابن الجوزي وصفه بأنه « كان عفيفاً ، عالي الهمة متديناً ... وكان سخياً جواداً »[2] ، وأن ابن أبي الحديد قال فيه : « وكان عفيفاً شريف النفس عالي الهمة ، ملتزماً بالدين وقوانينه ، ولم يقبل من أحد صلة ولا جائزة حتى إنه رد صِلاتِ أبيه ، وناهيك بذلك شرف نفس ، وشدة ظَلَف ، فأما بنو بويه فإنهم اجتهدوا على قبوله صِلَاتِهم فلم يقبل . وكان يرضي بالإكرام وصيانة الجانب ، وإعزاز الأتباع والأصحاب »[3] ، كما ذكره ابن عنبة فقال : « ذو الفضائل الشائعة ، والمكارم الذائعة ، كانت له هيبة وجلالة ، وفيه ورع وعفة وتقشف ، ومراعاة للأهل والعشيرة »[4] .

ونرى من خلال هذه النقول ، أن الرضي يوصف بالعفة والورَع والتقشف والتدين كما يوصف بشرف النفس وعلو الهمة ، وأنه لم يقبل من أحد صلة ، ويوصف أيضاً بالجود والحَدَب على قومه ومراعاتهم .

ويروى في عفة الشريف وورعه وتدينه ، أنه اشترى في بعض الأيام جُزازاً[5] من أمرأة بخمسة دراهم ، فوجد فيه جزءاً بخط أبي على بن مُقْلة ، فقال للدلاَّل : أحضر

---

(١) عبقرية الشريف الرضي ١٦٣/٢ ، ١٨٦ ، ١٩١ ، وسيأتي في وفاته جلاء الوهم الذي وقع فيه كرنكو .

(٢) المنتظم ٢٧٩/٧ .

(٣) شرح نهج البلاغة ٣٣/١ ، وقد نقله صاحب روضات الجنات ٥٤٧ .

(٤) عمدة الطالب ٢٠٦ ، ونقله صاحب روضات الجنات ٥٤٧ .

(٥) الجزاز في الاصل : ما يسقط على الأرض عند الجز ، والمراد هنا قصاصات الورق .

المرأة . فأحضرها ، فقال : قد وجدت في الجزاز جزءاً بخط ابن مقلة ، فإن أردت الجزء فخُذيه وإن اخترت ثمنه فهذه خمسة دراهم . فأخذتْها ودعتْ له وانصرفت[1] .
وهذا أمر يدل على التصوُّن ، ومراقبة الله عز وجل . ونقل الخوانساري عن صاحب حدائق المقربين ، أنه « كان رضي الله عنه في غاية الزهد والورَع ، صاحب حالات ومقالات وكشف وكرامات » .

ويحكى أنه اقتدى يوماً بأخيه المرتضى في بعض صلاته ، فما فرغ قال : لا أقتدي بك بعد هذا اليوم أبداً . قال : كيف ذلك ؟ قال : لأني وجدتك حائضاً في صلاتك خائضاً في دماء النساء . فصدقه المرتضى وأنصف ، والتفت إلى أنه أرسل ذهنه في أثناء تلك الصلاة الى التفكر في مسألة من مسائل الحيض . أقول : وفي بعض المواضع أنه انصرف من صلاته المذكورة ، بمحض أن انكشف له الحال المزبورة ، وأخذ في الويل والعويل وأظهر الفزع الطويل في تمام السبيل ، إلى أن بلغ المنزل بهذه الحالة ، فلما فرغ المرتضى أتى المنزل من فوره ، وشكا ما صنع به إلى أمه ، فعاتبته على ذلك ، فاعتذر عندها بما ذكر ، وأنه كان يتفكر في مسألة من الحيض ، سألته عنها بعض النسوة في أثناء مجيئه إلى الصلاة[2] . وهذا خيال مجنح ، لفقه حوله من ظن أنه لا قدر للرجال إلا إذا سيقت في سيرتهم الكرامات ، ولو كانت على هذا النحو المقزز من ذكر الدماء والصراخ والعويل .

إن المتتبع لحياة الرضي لا يستطيع أن يجد مغمزاً في دينه ، فلم يؤثر عنه أنه انتهك حرمة من الحرم ، أو أخذ فيما كان يأخذ فيه الناس في ذلك العهد من متاع الدنيا حيث يتجاوزون ما أحله الله إلى ما حرمه ، ولست أميل إلى صحة القصة التي يرويها الحصري من أن كوران المغني شرب عند الشريف الرضي ، فافتقد رداءه ، وزعم أنه سرق ، فقال له الشريف : ويحك ، من تتهم منا ؟ أما علمت أن النبيذ بساطُ يُطْوَى بما عليه

---

(١) المنتظم ٢٧٩/٧ ، الوافي بالوفيات ٣٧٩/٢ .
(٢) روضات الجنات ٥٥٠

فقال : انثروا هذا البساط حتى آخذ ردائي واطووه إلى يوم القيامة[1] .

ذلك أن الخبر سيق على سبيل الدعابة ، وهو يحمل في طياته عوامل تكذيبه ، فالرضي لا يشغل بنقاش مع كوران المغني من أجل ثوب مسروق ، ولا يعقل أن يظن كوران بالشريف ـ مع جلالة قدره ، وعظم محله ـ أنه أو أحد جلسائه سرق الثوب . إن هذا لو قيل في مجالس الفتاك والصعاليك لكان له محل من التصديق ، أما في مجلس الرضي ، فلا يرد مثل هذا . ولم يسر في شعر الرضي وصف الخمر ، وحين وصفها بقوله :

راحٌ يحُـول شعاعُهـا بين الضمائرِ والعقـولِ

ذكر في مقدمتها أنه سئل القول في ذلك ، وكذلك حين جعل ذكر الخمر مقدمة لقصيدته في الغزل ووصف الروض ، وكانت من أول قوله ، فقال :

اسْقِني فاليومُ نَشْوانُ والرُّبَى صادٍ وريَّانُ

ذكر في مقدمتها أيضاً أنه قالها على لسان بعض الناس ، مما يُشْعِر بتحرُّجه من ذلك . وكان الرضي شديد النكير على من يشرب النبيذ ، وقد نفى خبراً جاء في « مختصر الكرخي » مَفاده أن عبد الرحمن بن أبي ليلى شرب نبيذاً عند علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقال في التعقيب عليه : « ولأن المعلوم الظاهر ، والمنقول المتداول ، أن أمير المؤمنين والأخيار من ولده عليهم السلام ، لم يُزَنُّوا قط بمثل هذه الفعلة ، ولا عرفوا بهذه الخلة »[2] ، فكيف يخرج نفسه من زمرة هؤلاء الأخيار ؟

وقد التزم الرضي هذا الخلق الصارم منذ شبيبته ، وأعلنه في أوائل ما قال من الشعر . ففي أول قوافيه كما ورد في صدر القصيدة يقول :

بُرْدِي عفيفٌ إذا غيري لِفَجْرتِـه كانت مَناسِجُ بُرْدَيْهِ على التُّهَمِ

وفي سنة ٣٧٧هـ ، وهو في الثامنة عشرة من عمره يقول :

أنا المرءُ لا عِرْضي قريبٌ من العدى ولا فِيَّ للباغِي عليَّ مَقَالُ

---

(١) زهر الآداب ١/٤٤٩ وانظر قطب السرور ٣١٦ .

(٢) حقائق التأويل ٥/٣٤٧ ، ٣٤٨ .

وما العرضُ إلاّ خيرُ عضوٍ من الفتى يُصاب وأقوالُ العداةِ نِبالُ

وفي السنة التالية لها يقول :

وإنّي لَمأمونٌ على كلِّ خَلْوةٍ أمينُ الهوى والقلبِ والعينِ والفمِ
وغيري إلى الفحشاءِ إن عَرَضتْ له أشدُّ من الذُّؤبانِ عَدْواً على الدَّمِ

وفي تلك السِّنِّ أيضاً يصف نفسه فيقول :

وأُعرِضُ عن كأسِ النديمِ كأنها وَمِيضُ غَمامٍ غائرِ المُزْنِ خُلَّبُ
وَقُورٌ فلا الألْحانُ تأْسِرُ عَزْمَتِي ولا تمكُر الصَّهباءُ بي حين أشْرَبُ
ولا أعرفُ الفَحْشَاءَ إلاّ بوصْفِها ولا أنْطِقُ العَوْراءَ والقَلْبُ مُغْضَبُ

هكذا كان الفتى في صدر شبابه ، وللهوى فتون وللشباب جنون ، وقد دعته النقابة إلى أن يكون أشد صرامةً مع نفسه ، لتُحْمَد صرامته على من ولي عليهم ، وذلك قوله لهم :

وَفطَمْتُكم بالزَّجْرِ عن عاداتِكم ورَدَدْتُ مُنْكَرَكم إلى المعروفِ
عَفٌّ السَّريرةِ لم تُلَطَّ لِريبةٍ يوماً عليَّ مَغَالِقِي وسُجُوفِي

وهكذا شغله جِدُّه عن لهو الحياة ، ونأى به مجده عن لذائذها :

شُغِلتُ بالمجدِ عمَّا يُستَلَذُّ بهِ وقائمُ الليلِ لا يَلْوِي على السَّمَرِ

وقد وُصِف الرضي بالزهد والتقشف ، فهل كان هذا الرجل الذي شُغِل بالسياسة منذ عَقَل الدنيا ، وأرَّقته همومُ المجد منذ شبابه ، واصطرع على المناصب ، وخاض غِمار الحوادث في سبيل الخلافة ، هل كان هذا الرجل زاهداً متقشفاً ؟ لقد كان زهدُه ينحصر في السَّمت الهادىء والبعد عن البَهْرج الذي كان يتميز به كل من تصدر في هذا العصر ، فقد كان يُعَدُّ من علماء عصره وفضلائه ، ولكني أميل إلى أن الرضي بعد وفاة بهاء الدولة سنة ٤٠٣هـ ، قصر من نشاطه الذي كان يملأ الدنيا ويشغل الناس ، ولم يعد يسعى إلى ساحة سلطان ، أو يجري وراء مغنم سياسي ، بل إنه ترك قول الشعر في الملك البويهي الجديد شرف الدولة حتى اقتضاه ذلك[1] ، وهذا الارتداد

---

(١) مقدمة القصيدة ٧٠ .

العنيف من الإقبال على الدنيا إلى الصد عنها زهد ما بعده زهد . وفي الديوان عدة مقطوعات[1] وقصيدة واحدة[2] معنونة بأنها قيلت في الزهد ، والمقطوعات جميعها تتضمن معنيين ، السخرية من تعلق الناس بالدنيا ، وقرب نهاية الحياة من بدايتها . ولم تدرك هذه النغمة الرضي وهو يصارع الدنيا ، وإنما هي نغمة من تركها ، ومضى يبحث عن أخراه ، وقصيدته الزهدية وعظ وإرشاد ، وفيها يعلن طلاقَهُ للدنيا :

طَلَّقْتُهَا أَلْفـاً لأَحْسِمَ داءَهـــــا وطلاقُ مَن عَزَم الطلاقَ ثلاثُ

ولا يقع طلاقه هذا إلا في تلك الفترة القصيرة من نهاية مسيرة حياته ، منذ سنة ٤٠٣هـ ، وحتى بداية سنة ٤٠٦هـ ، وقد بكاه مهيار لهذا في مرثيته :

أبْكيك للدنيا الـتي طَلَّقْتَهـــــا وقد اصطَفَتْكَ شبابَهـا وغُرامَها

ورَمَيْتَ غارِبَها بفَضْلَةِ مُعْــرِضٍ زُهْداً وقد ألقتْ إليك زِمامَها[3]

ومما وُصِف به الرضي شرف النفس وعلو الهمة ، وأنه لم يقبل من أحد صلة وسأبين في عَلاقة الرضي بشيخه الطبري خطأ ابن أبي الحديد في النقل ، عندما ذكر أنه لم يقبل صلات أبيه ، وبالتالي خطأه فيما بناه من أحكام على هذا . وأبادر إلى القول بأن الرضي كان يحمل نفساً عظيمة ، لم تتصاغر تصاغر غيره من الشعراء ، فتقف بباب الخلفاء والملوك تنتظر جزاء على الشعر ، ذلك أنه كان لا يرضى بمِيسَم الشعراء حيث يقول مخاطباً أباه :

وعُلاك لا يرضَى بأنِّيَ شاعرُ

وإنما كان يخطب ود الخلفاء والملوك والوزراء والرؤساء بشعره ، ويجعله وصلة إلى ما يريده من مجد ، ولم نجد في أخباره أنه قصد خليفة أو ملكاً أو غيرهما لينال رفده ويحصل على جائزته ، وإنما كانت قصائده مهوراً لعقائل المكرمات ، وطريقاً توصله إلى ما يريد من تكرمة ورفعة ، وقد عبر عن أنفته من التكسب عن طريق المديح

---

(١) بأرقام ٢١٩ ، ٢٣١ ، ٢٤٦ ، ٢٧٤ .

(٢) القصيدة ٢٢١ .

(٣) ديوان مهيار الديلمي ٣/٣٦٩ .

في مقطوعته التي يقول فيها :

كم عَرَّضُوا ليَ بالدنيا وزُخْرُفِهـــا   مع الهُلُوكِ فلم أرفعْ بها رأسَا

وكيف يقبلُ رِفْدَ الناسِ مُحْتَمِــلاً   ذُلَّ المَطالبِ من لا يمدحُ النَّاسَا

كما وعد بتجنُّب الشعر إذا وصل إلى آماله في قوله :

وما قَوْليَ الأشعارَ إلاَّ ذَريعـــةٌ   إلى أملٍ قد آن قَوْدُ جَنِيبِـــهِ

وإنِّي إذا ما بلَّغ اللهُ مُنْيَتـــــي   ضَمِنْتُ له هَجْرَ القريضِ وحوبِهِ

وهذان البيتان من قصيدة ثائرة ، يقول فيها :

فواللهِ لا أَلْقَى الزمانَ بـذلَّـــةٍ   ولو حَطَّ في فَوْدَيَّ أمْضَى غُروبِهِ

قنعتُ فعندي كلُّ مَلْكٍ نزولُـــه   عن العزِّ والعلياءِ مثلُ رُكوبِـــهِ

وموقف العزة هذا الذي وقفه الرضي رفع مكانته في الدولة ، وأسبغ عليه أرفع المناصب وهو في العشرين ، كما أن من يتصل بقصر الخلافة وسدة الملك على هذا النحو لا بد أن تجري عليه الأرزاق ، دون أن يسألها بشعره أو نثره ، وقد أعلن الرضي في إباء ، في مدحته لأبيه وهو بعد شاب لم يبلغ العشرين ، ردَّه منحة الملوك إذا كانت لا تليق بمكانته :

وكنتُ إذا منحْتني الملـــــوكُ   نزاراً من النائـلِ الغامـــرِ

أبيـــتُ القليـــلَ ولكنـــني   رددتُ الرَّذَاذَ عـلى الماطـرِ

وقد أعلن الرضي الطائعَ لله منذ اتصل به ، أنه لا يبغي مالاً ولا ثروة ، وإنما :

أريد الكرامةَ لا المَكْـرُمــاتِ   ونيلَ العُلا لا العَطايا الجِسامَـا

وكانت استجابة الطائع لله لرغبته صادقة ، فقد وصله بالكرامة قبل العطاء :

مدحتُ أميرَ المؤمنين وإنَّـــه   لأشْرَفُ مَأْمولٍ وأعلى مُؤَمَّـمِ

فأَوْسَعني قبلَ العطاءِ كرامـــةً   ولا مَرْحَباً بالمالِ إن لم أُكَرَّمِ

وكان الرضي يجمع إلى إباء النفس حسنَ الشكر لصنيع المُنْعِم ، ولذلك فقد أرسل إلى الطَّائع لله قصيدةً يشكره على تَكْرِمة خصَّه بها وثياب وورق ، وأولها :

أنا للركائبِ إن عرضتُ بمنـــزلِ   وإذا القنوعُ أطاعني لم أرْحَلِ

وكما كانت الأرزاق تجري عليه من قصر الخلافة أيام الطائع لله ، كذلك كانت تجري عليه من بهاء الدولة الملك دون أن يسألها أيضاً ، وقد بدَأت صلته الرسمية به حين استخلفه على بغداد سنة ٣٨٨هـ ، ثم قويت حين ولي بهاء الدولة أبا أحمد الموسوي نقابة الطالبيين والحج والمظالم سنة ٣٩٤هـ ، فقام ولداه الرضي والمرتضى بهذه المهام ، ثم اشتدت قوة حين ولاه بهاء الدولة النقابة وإمارة الحج سنة ٣٩٧هـ ، واستحصدت بعد ذلك على مَرِّ السنين حتى توفي بهاء الدولة سنة ٤٠٣هـ ، وفي خلال ذلك كله كانت الأموال تغدق على الرضي لمركزه ومناصبه فلم يكن الرجل يقدم قصائده لينتظر من وراء إنشادها بِدْرةً أو كيساً من المال .

وهذا ينفي ما ذكرته سابقاً عن ابن أبي الحديد من أن بني بويه اجتهدوا في أن يقبل الرضي صلاتهم فلم يفعل . إن الرضي أبَى موقف غيره من الشعراء في الوقوف بباب الخلفاء والملوك والوزراء استجداء وعطفاً ، لأنه كان يرى نفسه قرينا لبعضهم ، وعالياً على بعضهم ، ولكن لا لوم عليه في أن تأتيه صلاته ومناصبه بالمال الذي يقوم بأحواله بل إن في بعض شعره إلى بهاء الدولة ما يشعر بأنه كان يقلق إذا ما التفت عنه ، فلم يصل ما يدل على عنايته به ، سواء أكان هذا الواصل تكريماً بلقب ومنصب أم لا ، وذلك كقوله فيه سنة ٣٩٤هـ :

يا أيها البحرُ بنا غُلَّـــــــةٌ   فهل لنا عندك مِن مَكْـرَعِ

كما يدل الرضي على تتابع إكرام بهاء الدولة له في قوله سنة ٤٠٢هـ :

في كلِّ يومٍ قِوامُ الدين ينْضَحُنِي   بماطِرٍ غيرِ مَنْزُرٍ ولا وَشِلِ

وإذا كان الرضي يرضى بإكرام الخلفاء والملوك له على هذا النحو ، فإنه كان يترفع عن كل ما عداهما ، ويبتعد عن كل ما يشم منه قبول عطاء من أحد من الناس ، وقد كانت مدائحه لمن دون الخلفاء والملوك تعبيداً للطريــق إليهما ، ويتضح هذا من قوله لمحمد بن المفضل المُهَلَّبيّ :

فهذا ثَنائي لا أُريدُ بــه الغنَـــى   أبَى المجدُ لي أن أجعلَ المدحَ مَكْسَبِي

ولكنْ رجـاءً أن تكـون لِهِمَّتِـي   طريقاً تُؤدِّيني إلى كلِّ مَطْلَبِـي

وقصة الرضي مع أستاذه الطبري في إهداء الأخير له داراً[1] ، خير دليل على إبائه ، كما أن قصته مع فخر الملك ، التي تساق للمفاضلة بين الأخوين الرضي والمرتضى تدل أيضاً على ذلك . وقد ساق هذه القصة ابن أبي الحديد ، فقال : « وقرأت بخط محمد بن إدريس الحِلِّيّ الفقيه الإماميّ ، قال : حكى أبو حامد أحمد بن محمد الإسفرايني الفقيه الشافعي ، قال : كنت يوماً عند فخر الملك أبي غالب محمد (بن علي) بن خلف وزير بهاء الدولة وابنه سلطان الدولة ، فدخل عليه الرضي أبو الحسن ، فأعظمه وأجله ورفع من منزلته ، وخلّى ما كان بيده من الرِّقاع والقصص ، وأقبل عليه يُحَادثه إلى أن انصرف . ثم دخل بعد ذلك المرتضى أبو القاسم رحمه الله ، فلم يعظمه ذلك التعظيم ، ولا أكرمه ذلك الاكرام ، وتشاغل عنه برقاع يقرؤها ، وتوقيعات يوقِّع عليها ، فجلس قليلاً ، وسأله أمراً فقضاه ثم انصرف . قال أبو حامد : فتقدمت إليه وقلت له : أصلح الله الوزير ، هذا المرتضى هو الفقيه المتكلم صاحب الفنون وهو الأمثل والأفضل منهما ، وإنما أبو الحسن شاعر . قال : إذا انصرف الناس ، وخلا المجلس ، أجبتك عن هذه المسألة . قال : وكنت مجمِعاً على الانصراف فجاءني أمر لم يكن في الحساب ، فدعت الضرورة إلى ملازمة المجلس إلى أن تقوَّض الناس واحداً فواحداً ، فلما لم يبق إلا غلمانه وحُجَّابه ، دعا بالطعام ، فلما أكلنا وغسل يديه ، وانصرف عنه أكثر غلمانه ، ولم يبق عنده غيري ، قال للخادم : هات الكتابين اللذين دفعتهما إليك منذ أيام ، وأمرتك أن تجعلهما في السفط الفلاني . فأحضرهما ، فقال : هذا كتاب الرضي ، اتصل بي أنه قد ولد له ولد ، فأنفذت إليه ألف دينار ، وقلت له : هذه للقابلة ، فقد جرت العادة أن يحمل الأصدقاء إلى أخلائهم وذوي مودتهم مثل هذا في مثل هذه الحال ، فردَّها ، وكتب إليَّ هذا الكتاب ، فاقْرأه . قال : فقرأته ، وهو اعتذار عن الرد ، وفي جملته : إننا أهل بيت لا يطلع على أحوالنا قابلة غريبة ، وإنما عجائزنا يتولَّيْن هذا الأمر من نسائنا ، ولسنَ ممن يأخذنَ أجرة ، ولا يقبلنَ صِلَة . قال : فهذا هذا . وأما المرتضى فإننا كنا

(١) انظر القصة في ثقافة الرضي .

قد وزعنا على الأملاك ببادوريا[1] تقسيطاً نصرفه في حفر فوهة النهر المعروف بنهر عيسى ، فأصاب ملكاً للشريف المرتضى بالناحية المعروفة بالداهرية من التقسيط عشرون درهماً ، ثمنها دينار واحد ، قد كتب إليّ منذ أيام في هذا المعنى هذا الكتاب فأقْرأه . فقرأته وهو أكثر من مائة سطر ، يتضمن من الخضوع والخشوع والاستمالة والهز والطلب والسؤال في إسقاط هذه الدراهم المذكورة عن أملاكه المشار إليها ، ما يطول شرحه . قال فخر الملك : فأيهما ترى أولى بالتعظيم والتبجيل ؟ هذا العالم المتكلم الفقيه الأوحد ونفسه هذه النفس أم ذلك الذي لم يُشْهَرْ إلا بالشعر خاصة ونفسه تلك النفس . فقلت : وفق الله تعالى سيدنا الوزير ، فما زال مُوَفَّقاً ، والله ما وضَع سيدنا الوزير الأمر إلا في موضعه ، ولا أحلَّه إلا في محله . وقمت فانصرفت[2] .

وقد ساق ابن عنبة وابن معصوم القصة مروية عن أبي إسحاق الصابي ، وأنه كان عند الوزير أبي محمد المهدي ـ كذا ـ وفيها أن المبلغ الذي تقرر على المرتضى ستة عشر درهماً أو نحو ذلك ، ثم زادا على رواية ابن أبي الحديد ، أن الوزير رد المال على الرضي ليفرقه في طلبة العلم ، فلم يأخذوا منه شيئاً ، إلا قطعة اقتطعها أحدهم من دينار ، ليقضي ديناً استدانه لدهن السراج[3] .

وساق الخوانساري القصة عن الصابي أيضاً[4] ، وذكر أن الوزير هو أبو محمد المهلبي ، وأدمج فيها رواية أبي حامد الإسفرايني[5] .

---

(١) بادوريا : منطقة مزروعة في الجانب الغربي من بغداد . أنظر التعريف بها في معجم البلدان ٤٦٠/١ ، وفي شرح نهج البلاغة « بادرويا » ، وهو خطأ .

(٢) شرح نهج البلاغة ٣٩/١ ، ٤٠ .

(٣) عمدة الطالب ٢٠٩ ، ٢١٠ ، الدرجات الرفيعة ٤٧٣ ، ٤٧٥ وأنظر دار العلم في ثقافة الرضي .

(٤) في عمدة الطالب : « أبو إسحاق محمد بن إبراهيم بن هلال الصابي الكاتب » وفي روضات الجنات : « أبو إسحاق بن إبراهيم بن هلال الصابي الكاتب » وفي مقدمة الطبعة البيروتية القديمة للديوان : « أبو إسحاق محمد بن إبراهيم العباسي الكاتب » ، وكل ذلك خطأ .

(٥) روضات الجنات ٥٤٨ .

ورواية القصة على أنها حدثت مع الوزير المهلبي الذي حرف اسمه إلى « المهدي » في الدرجات الرفيعة وعمدة الطالب ، خطأ تاريخي ، لأن أبا محمد المهلبي توفي سنة ٣٥١هـ كما يذكر ابن الجوزي [١] ، أي قبل أن يولد الرضي بثماني سنوات ، وقد نقل الخوانساري نقلاً طويلاً في الدفاع عن المرتضى ، بلغ فيه إلى سب فخر الملك والشماتة في قتله وتلف جثته ، ولكنه لم ينف وقوع القصة[٢] . أما الدكتور عبد الرزاق محيي الدين فقد نقد القصة من جهة سندها وروايتها ، فاستبعد أن يسجل محمد بن إدريس الحلي الامامي ، وهو من رأى المرتضى ، هذه المنقصة ، كما ذكر أن الإسفرايني كان داخلاً في العداوة بين السنة والشيعة ، وأن علاقة المرتضى بفخر الملك كانت قوية جداً ، ثم إن اضطراب رواية القصة بالإضافة إلى ما سبق ، كل ذلك في رأيه ـ صريح في اختراع القصة أو في اختراع راويها[٣] ـ .

كما نقدها الأستاذ رشيد الصفار بنحو قريب مما فعل الدكتور عبد الرزاق من حيث اضطراب القصة[٤] . ولست أريد هنا أن أناقش الدكتور عبد الرزاق في نقده للقصة ، فإن الذين سبموه في نقد القصة والتعليق عليها ، وهم من الإمامية وأكثر إعظاماً للمرتضى من غيرهم ، لم يطعنوا في القصة أو في روايتها ، وإنما استحمقوا فخر الملك لما صنع ، واحتجوا للمرتضى في سلوكه[٥] .

والقصة توافق خلق الرضي وما عرف عنه ، وما هيَّأ نفسه له في المناخ السياسي ، كما توافق انصراف المرتضى إلى علمه وتثمير ماله وحرصه عليه ، لينفق منه على طلبة العلم واقتناء الكتب[٦] ، وهو أمر حُمِد له على مَرِّ التاريخ ، ولكل وجهته .

وهكذا كان الرضي يدفع عن نفسه عطاء غير الخلفاء والملوك ، ولم يُسَق إليه عطاء

---

(١) المنتظم ٩/٧ .

(٢) روضات الجنات ٥٥٠ ، ٥٥١ .

(٣) أدب المرتضى ٨٤ ـ ٨٦ .

(٤) مقدمة التحقيق لديوان الشريف المرتضي ٤٨ ـ ٥١ .

(٥) روضات الجنات ٥٥٠ ، ٥٥١ .

(٦) انظر مقدمة التحقيق لديوان الشريف المرتضي ٥١ .

لخليفة أو ملك جائزة لقصيدة تكسَّب بها ، وإنما كانت تجري الأرزاق عليه للمناصب التي شغلها ، ولإعظامه وكرامته في نفوس أولي الأمر .

وتمر بنا في بعض شعر الرضي ملامح تجعل المرء يحار بين هذا الإباء المستعلن في جُلِّ قصائده ، وبين هذه الملامح التي تدل على أن الرضي كان يضعف أحياناً أمام بعض الخلفاء والملوك والوزراء ، وبعض هذه الملامح تبدو لنا في السنوات الأولى من تاريخه السياسي ، فقد خاطب الطائع لله وهو ابن سبع عشرة سنة بقوله :

انْظُرْ إليَّ ببعضِ طَرْفِك نظرةً ... يسْمُو لها نظرِي ويُعْرِبُ مِقْوَلِي

وهذا خضوع دفعه إليه رغبتُه في أن يبدأ طريقه السياسي ، ينظر إليه الخليفة ، فينشد الشعر في مجلسه ، ثم يشق طريقه في خضم الحياة السياسية .

ولئن جاز للرضي أن يعدد نعم بهاء الدولة عليه في قصيدة قالها سنة ٣٨٨هـ ، حتى يصل إلى أن يقول :

أنا عبدُ أنْعُمِك التي نشطتْ ... أملِي وأنْهَضَ عِزُّها مِنَنِي
والحرُّ إمَّا شئتَ تملكُه ... بالمَنِّ يُمْلَكُ ليس بالثمنِ

فإنه لا يجوزُ له أن يتهالك حتى يقول لبهاء الدولة سنة ٣٩٤هـ :

يا أيها البحرُ بنا غُلَّةٌ ... فهل لنا عندكَ من مَكْرَعِ

كما أنه تجاوز الحدود حين قال يشكر بهاء الدولة على تلقيبه بالرضي ذي الحسبين سنة ٣٩٨هـ :

وأَعْلَى المدحِ ما يُثْنِي ... به العبدُ على الرَّبِّ

وأحياناً نجد الرضي يقول في وزير قولاً لم يقلْه لخليفة ولا ملك ، رغبةً منه في أن يوطد صلته به ، لأنه طريقه إلى تحقيق بعض آماله كقوله في أبي منصور محمد بن الحسن بن صالحان ، سنة ٣٨٠هـ :

بغيضٌ إلى قلبي سواهُ وإن غدتْ ... له نِعَمٌ تَتْرَى إليَّ رِغابُ
وعِبْءٌ على عينيَّ رُؤْيةُ غيرِه ... ولو كان لي فيه مُنًى وطِلابُ

ويجب أن نلحظ أن هذا قول شاب في الحادية والعشرين من عمره ، وأنه لم

يقرب هذا مع الوزراء بعد ذلك .

وظني أن هذه الملامح التي تدل على أن الرضي كان يضعف أحياناً ، فيتخلى عن إبائه ، كان لها ما يبررها في رأي الرضي ، فإن مطامحه كانت تدفعه إلى موقف يداري فيه خليفة أو ملكاً أو وزيراً ، كما أن قسوة الإرهاب التي كانت تعيشها بغداد في ظل بني بويه ، والتي لم يسلم منها الخلفاء أنفسهم ، جعلته يحني الرأس لهم في قوله معتذراً إليهم حينما أشيع أنه متوجه إلى مصر ، فأحب أن ينفي التهمة عنه ، وأن يثبت ولاءه لهم :

أآلَ بُوَيْهٍ ما نرَى الناسَ غيرَكـم ... ولا نَشْتَكِي للخلقِ أولاكم فَقْدَا
نرَى مَنْعَكم جُوداً ومَطْلَكُم جَـدَا ... وإذْلالَكـم عِزاً وإمْراركُم شُهْدَا
وعيشُ الليالي عند غيرِكم رَدًى ... وبَرْدُ الأماني عند غيرِكم وَقْدَا

ووُصِف الرضي بالحدب على الأقارب ، ولقد كانت الشدة التي ساقهم بها إبَّان نقابته ضرورية ــ في نظره ــ لكي تحسن صورتهم ، وتزكو بين الناس . كما يوصف بالكرم وقد ساق الصفدي قصته مع الشاعر الخالع حين مدحه ، وكان مضيقاً ، فأخرج صحناً نفيساً من داره وباعه ، ليبذل مكافأته[1] .

أما وفاؤه فأمر يضرب به المثل ، وترى في علاقته بأصدقائه الكثير من أمثلته ، كما أن وفاءه للطائع لله ، والصابي ، وصديقه البدوي ابن ليلى ، وصاحب القرامطة ابن شاهُويه ، أمثلة نادرة للوفاء .

ولا يُخِلُّ بوفائه بعض الصور التي ترد مشوِّهة لهذا الخلق في حياته ، فإن الظروف السياسية التي كانت تعيشها بغداد وبقية البلاد الإسلامية لم تدَع لأحد مجالاً للوفاء ورعاية الجانب ، فالناس يصبحون ويمسون بين مصادرة للأموال ، واعتقال للنفوس وهتك للكرامة ، ولا يسلمون من التشويه الجسمي والأدبي ، بل يقتلون لأتفه الأسباب وفي كل يوم يظهر متغلِّب جديد ينكِّل بأنصار القديم ، وهذا يفسر لنا موقف الرضي من القادر بالله ، الذي جاء به بهاء الدولة من البطيحة ، وكان طريداً فيها ، ليجلس

(١) الوافي بالوفيات ٢/٣٧٩ .

في دست الخلافة مكان الطائع لله الذي طرده ، وكان القادر بالله يعلم مدى الصلة بين الرضي والطائع لله ، واقتضت ظروف السياسة ، وحماية النفس من تنكيل الخليفة الجديد ، أن يهنىء الرضي القادر بالله بالخلافة ، بل أنه أراد أن ينفي عن نفسه ما بنفس القادر بالله من ضغينة عليه لولائه للطائع ، فذكر في القصيدة حادثة هرب القادر بالله إلى البطيحة بعد أن نجا من مكيدة الطائع لله ، ووصف الطائع بأنه « غضبان للقربى القريبة ناس » ، وتخطى هذا إلى طلب الود من الخليفة الجديد ، وأن يزيد في تقريبه حتى يربو على ما فعله الطائع معه من قبل ، معلناً أنه جاءه دون أن يدعوه ، منقاداً بلا قياد[1] . تلك خطة اقتضتها ظروف سياسية قاسية لا يصح أن نجعلها مقياساً لوفاء الرضي ، ويدل على هذا أن الرضي انقلب بعد هذا على القادر بالله حين لم يستجب له ، وانقطع عن مديحه طيلة حياته ، واتجه إلى البويهيين بعد أن تأكد أن مقاليد الأمور بأيديهم ، وأن القادر بالله لا يملك له إلا مجرد الخصومة .

وسياتي هجاء الرضي للعقيليين لقتلهم رأس الحمدانيين ، الذين يعتبرهم الرضي من أمجاد العرب ، وقد اقتضته السياسة بعد أن استقر الأمر للعقيليين ، وظهر منهم الساسة والقادة ، أن يرثي بعض هؤلاء[2] ولم ير في ذلك بأساً ، فقد رثى أمجاد بني حمدان ، وهو أيضاً يرثي سادة بني عقيل ، لأنه لا يستطيع أن يناوىء الغالب ، ولأن هؤلاء الغالبين يملكون بعض أطراف البلاد ، التي يرجو عَوْنَها لما يريده من ولاية وخلافة .

---

(١) القصيدة ٥٨ .

(٢) في القصيدتين ٢٤٨ ، ٢٥٢ .

عقيدة الرضي :

الشريف الرضي في البيت العلوي من الصميم ، من أسرة كانت تتولى نقابة الطالبيين في بغداد . فهو من أرفع البيوت العلوية ، وقد نشأ في بغداد بين قوم من الشيعة الإمامية ، وتلقى ثقافته الفقهية على عالمهم في ذلك الوقت الشيخ المفيد ، وقد برع أخوه المرتضى في دراسة المذهب ، وتصدر بعد الشيخ المفيد ، فأصبح عالم الإمامية ومفتيهم ، وإذاً فالرضي بنشأته وبالبيئة التي أحاطت به شيعي إمامي ، وقد أكد هو هذه العقيدة حين ألَّفَ في حداثة الشباب كتاباً في « خصائص الأئمة » ، لم يتمه ، ولسنا في حاجة الى الاستشهاد بالبيتين :

أصبحتُ لا أرجو ولا أبتغِي ... فضلاً ولي فضلٌ هو الفضلُ
جَدِّي نَبِيٌّ وإمامي أبي ... ورايتي التوحيدُ والعدلُ

فإن روح الصنعة البادية منهما ، وما دار حولهما من الشك واختلاف النسبة[1] ، لا يرشحهما دليلاً للقضية ، كما أن المقصورة في رثاء الحسين رضي الله عنه ، التي تصلح دليلاً واضحاً على إمامة الرضي ، قيل : إنها منحولة . وقد رجحت هذا القول [1] .

وربما أكد نسبة الرضي إلى الإمامية قوله في مخاطبة بني أمية :

بني أُمَيَّةَ ما الأسيافُ نائمةً ... عن ساهرٍ في أقاصِي الأرضِ مَوْتُورِ[2]

فهو يعني الإمام الثاني عشر المنتظَر ، إن لم يكن يعني نفسه ، وثورته لاستعادة

---

(١) عقدت دراسة تفصيلية لتوثيق شعر الرضي ، تأتي في الحديث عن ديوانه .

(٢) في المطبوعة « عن شاهر » والمثبت من نسخة الخبري .

الحق السليب »[1] .

وذكر الخوانساريّ أنه وجد في بعض الكتب أن الرضي كان زيدياً ، وانه كان يرى أنه أحق قريش بالإمامة فقال : « وأظن أنه إنما نسب إلى ذلك لما في أشعاره من هذا المعنى »[2] .

ويقول عبد الحسين الحلي : « وأرى أن تهمة الزيدية قد لصقت به من قبل آبائه لأمه[3] ، بني الناصر الكبير أبي محمد الحسن الأُطروش صاحب الدَّيْلَم ، لكن هذا قد ثبت لدى علماء الرجال من الإمامية ، وفي طليعتهم السيد الشريف المرتضى علم الهدى في كتابه شرح المسائل الناصرية ، نزاهتُه ونزاهةُ جميع بنيه عن تلك العقيدة المخالفة لعقيدة أسلافهم[4] » . ثم يعود الحلي فيقرر أن إمام الزيدية هو الداعي إلى الحق الحسن بن زيد المتوفي بِطَبرِسْتان سنة ٢٥٠هـ ، وقد اشتبه به على الناس جدُّ الشريف لأمه الناصر للحق الأُطْروش ، ولكنه رغم ذلك يقول « ولا يبعد دعوى أتباعه أنه زيدي ، ولكنه بريء عن تبعة اعتقادهم[5] » . ويرى الحلي أيضاً أن اصطلاح الكُتَّاب جرى أخيراً على تسمية الثائر في وجه الخلافة زيدياً ، ولو[6] كان بريئاً من عقائد الزيدية ، يريدون أنه زيدي النزعة لا العقيدة »[7] .

هكذا دار النقاش حول إمامية الرضي وزيديته ، حتى وصل الأمر إلى نفي عقيدة

---

(١) استشهد عبد الحسين الحلي على إمامة الرضي أيضا بقوله :

ألستُ من القوم الذين تسلّفُوا ديونَ العُلا قبلَ الأُلَى في الأظِلَّةِ

قال : « والأظلة : عالم المجردات ، وهو ما يسمى بعالم الذرة. سُمي بذلك لأن الأشياء فيه أشياء وليست بأشياء ، كالظل ، وقد جاء في أحاديث الامامية عنه وعن شأن الأئمة فيه ما لا حاجة إلى ذكره « مقدمة حقائق التأويل ٧٣ » .

(٢) روضات الجنات ٥٤٨ .

(٣) هنا في الكتاب زيادة « لأن » والكلام لا يستقيم بها .

(٤) مقدمة حقائق التأويل ٧٥ ، ٧٦ .

(٥) مقدمة حقائق التأويل ٧٦ الحاشية .

(٦) في الكتاب « ولمن » وهو خطأ .

(٧) مقدمة حقائق التأويل ٧٦ .

الزيدية عن الأُطْروش أو التسليم مع براءته من تبعة اعتقادهم .

وليست القضية بالنسبة للرضي قضية ميراث ، بمعنى أنه قد ورث عن أصلابه عقيدة الإمامية ، وعن أخواله عقيدة الزيدية ، وإنما درَس الرضي الإمامية وعاش في أجوائها ، ولكنه لم يلتزم بما تنصح به من تَقِيَّة ، فقد رأى أنه صاحب حق مهضوم لا بد أن يصل إليه ، وأن يعلن الثورة في سبيله ، صراعاً سياسياً ، وسيفاً يشهره لينال حقه ، وهو في هذا يتفق مع الزيدية . ولعلنا ندرك بهذا سر النزاع بينه وبين أبيه وأخيه حول موقفه مع القادر بالله ، حيث آثر أن يهجراه تَقِيَّة ، وكتب والده خطَّه في كتاب يتضمن القَدْح في نسب الفاطميين الحاكمين بمصر تَقِيَّةً أيضاً ، أما هو فقد جاهر القادر بالله بالعداوة ورفض أن يضع خطه في الكتاب ، وهو موقف لا نعرفه من إمامي ، وهو يفسر أيضاً ما نقله الرضي في التَّقِيَّة ، من أنها بالقول والكلام ، والقلب عاقد على خلاف ما يظهره اللسان ، ومن أنها باللسان لا بالعمل[1] . وقد فرغ الرضي في نهاية نقوله إلى الرأي الذي يعتقده لأنه لم يناقشه ، وعدَّه رأي المحقِّقين من العلماء ، فقال : « وقد ذهب المحققون من العلماء إلى أن من أُكْرِه على الكفر فلم يفعل حتى قُتِل ، أنه أفضل ممن أظهر بلسانه ، وان أضمر الإيمان بقلبه ، وقالوا : قد أسر المشركون بمكة خُبَيْب بن عَدِيّ ، وطالبوه بإظهار كلمة الكفر أو العرض على القتل ، فلزم الحنفيَّة ، ولم يُعْطِ التَّقِيَّة ، حتى قتل على ذلك ، وكان عند المسلمين أفضل من عمار بن ياسر ، حين أعطى التَّقِيَّة ، وأظهر كلمة الكفر عند الإلحاح عليه بالعذاب ، مِن جَرِّه على الرَّمْضاء ، وتحريقه بالنار ، وإن كان قلبُه مطمئناً بالإيمان ، ويستدلون بذلك على أن إعطاء التَّقِيَّة رُخْصة ، وأن الأفضل تركُ إظهارها ، وكذلك قالوا في كل أمر فيه إعزاز للدين . فإقامة المرء عليه حتى يُقتل أفضل من الأخذ بالرخصة في العدول عنه حتى يسْلَم »[2]. فالرضي يفترق مع أبيه وأخيه ومع سائر الإمامية في الطريق عند هذه النقطة فهو يجاهر بحقه ، وينشده بكل الوسائل التي

---

(١) حقائق التأويل ٥/٧٤ .

(٢) حقائق التأويل ٥/٧٥ ، ٧٦ .

يستطيعها ، وكان حقه الأكبر ، في ذلك الحين ـ على ما يرى ـ خلافة مغتصَبة ، يجب عليه أن يُشهر السيف في سبيل استعادة حقه فيها .

وقد صدق عبد الحسين الحلي في قوله : « وبعد هذا ، فمن يتعمق في مَناحِي كتابه هذا ، حقائق التأويل ، يعرف أنه هو الرجل الذي إذا قاده البرهان إلى شيء لا يُبالِي أن يُجاهِر به ، ولا يحفل أن يتفق أهل الملل كافة على خلافه »[1] .

ويعتقد الرضي أن علياً ، كرم الله وجهه ، أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ ، وقد صرح بهذا في بيانه الاستعارة في قوله ﷺ لعلي رضي الله عنه : « إن لك لَبْيتاً ، وإنك لذُو قَرْنَيّها » فقد قال : « وهذه استعارة ، لأن المراد إنك لذو قَرْنَي الأمة ، فكأنه عليه السلام قال : وإنك رأسُ هذه الأمة ، لأن الرأس هو ذو القرنين لأن القرنين إنما يكونان فيه ، ويظْهرانِ عليه ، وهذا الخبر على هذا التأويل من الأخبار الدالة على أن أمير المؤمنين عليه السلام ، أفضلُ الناس بعد رسول الله ﷺ ، إذ كان رأس أمته ، ورئيس أسرته »[2] .

كما أنه يؤمن بأن علياً رضي الله عنه ، صاحب الأمر بعد رسول الله ﷺ ، وقد ساق في مجازات الآثار النبوية بعض حديث الغدير ، ثم تكلم على الحديث فعضده من جهة رواياته ، وقال : « وقد روَى عِمْران بن حُصَين ، عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « عليٌّ وليُّ كلِّ مؤمنٍ بعدي » وفي هذا الخبر تصريح بأنه من بعده وليُّ الأمر ووَاليه ، والقائم مكانه فيه ، كما قال الكميت بن زيد في ذلك :

ونِعْمَ وَلِيُّ الأمرِ بعـــدَ وَلِيِّـــهِ ومُنْتَجعُ التقوى ونعمَ المُـؤدِّبُ

والكلام في هذا المعنى يطول ، وليس كتابنا هذا من مَظانِّ اسْتقصائه ومواضع استيفائه »[3] .

ولذلك فقد كان الرضي يشكو من استمرار إمامة المفضول ، حيث يقول في

---

(١) مقدمة حقائق التأويل ٧٧ .

(٢) المجازات النبوية ٨٦ ، ٨٧ .

(٣) المجازات النبوية ٢١٦ ـ ٢١٨ .

رثائه للحسين بن علي رضي الله عنهما ، في عاشوراء سنة ٣٨٧هـ :

كم إلى كم تعلو الطُّغاةُ وكم يحْـ ـكُم في كُلِّ فاضـلٍ مفضـولُ

كما كان يردد وصفَ الإمام رضي الله عنه بالوصيّ ، إيماناً بما جاء في حديث الغَدِير ، كما في تهنئته أباه بغدير سنة ٣٧٦هـ :

غَدَرَ السرورُ بنـــا وكــا ن وفـاؤه يـومَ الغَدِيـرِ
يومٌ أطــافَ بــه الوَصِـيُّ وقـد تلقَّـب بالأمـيرِ

وكما في قوله مفتخراً :

جَدِّي النبيُّ وأُمِّي بنتُـه وأبـي وَصِيُّـه وجُدودِي خِيرَةُ الأُمَمِ

وكان إعجاب الرضي بالإمام علي ، كرم الله وجهه ، يفوق كلَّ إعجاب ، وقد جعله مثلَه الأعلى في حياته ، وكان يفتخر به دائماً ، ولو ذهبت أستقصي فخره به لطال المقام ، ولكني أكتفي هنا بذكر نموذجين من فخره به ، يدلان على عقيدته أيضاً . والأول قوله في علي رضي الله عنه :

قَسِيمُ النارِ جدِّي يومَ يُلْقَـى به بـابُ النجـاةِ من العـذابِ
وساقِي الخلقِ والمُهُجـاتُ حَـرَّى وفاتحـةُ الصِّراطِ إلى الحسابِ
ومن سَمحتْ بخاتمِـه يَمِـينٌ تَضِـنُّ بكـلِ عاليـةِ الكعابِ
أما في بـابِ خَيْبَـرَ مُعْجِـزاتٌ تُصَدَّقُ أو مُنـاجاةُ الحبـابِ
أرادتْ كيـدَه والله يـأْبَـى فجاء النصرُ من قِبَلِ الغـرابِ
أهـذا البـدرُ يُكْسَـفُ بالدّياجي وهذِي الشمسُ تُطْمَسُ بالضَّبابِ

والثاني قوله :

وأبي الذي حصَد الرقابَ بسيفـهِ في كلِّ يومٍ تَصادُمٍ ونِطَاحِ
رُدَّتْ إليه الشمسُ يُحْدِثُ ضَوْؤُها صُبْحاً على بُعْـدٍ من الإصْباحِ
سائِلْ به يومَ الزُّبَيْـرِ مُشَمِّـراً يخْتالُ بـين ذَوابـلٍ وصِفَـاحِ
واسْأَلْ به صِفِّـينَ إنَّ زئـيرَهُ أَوْدَى بكَبْشِ أُمَيَّةَ النَّطَّـاحِ
واسْأَلْ شُـرَاةَ النَّهْرَوانِ فإنَّهـم ضُرِبُوا بمُنْذَلِقِ اليدَيْنِ وَقـاحِ

وقد حداه إعجابه ببلاغة أمير المؤمنين إلى جمع كتابه « نهج البلاغة » كما أنه ذكر كثيراً من أقواله خلال بيانه للاستعارات والمجازات في حديث رسول الله ﷺ ، في « مجازات الآثار النبوية » .

وكان رأي الرضي في بعض الصحابة منطلقاً من اعتقاده في أمير المؤمنين عليه السلام ، وفي الدفاع عنه ، والانتصار له ، ويمثل ذلك رأيه في حسان بن ثابت رضي الله عنه ، فقد قال في بيانه للمجاز في قوله ﷺ : « حَسَّانُ حِجازٌ بين المؤمنين والمُنافقين ، لا يحبُّه مُنافِق ، ولا يَبْغَضُه مؤمن » : وهذا الكلام عندنا في حسَّان متعلق بوقت مخصوص ، وهو زمن النبي صلى الله عليه وآله ، فأما حين ظاهرَ أمير المؤمنين عليه السلام بعداوته ، ورماه بمَعارِيض القول في أشعاره ، فقد خرج من أن يكون حِجازاً بين الإيمان والنفاق ، وتحيَّز إلى جانب النِّقْمة والضلال »[1]

وكان نكير الرضي على ما فعله بنو أمية بالعلويين شديداً ، وهل يسطيع علوي أن ينسى عداوة بني أمية ، بعد ما فعلوه بالحسين رضي الله عنه ، وبذرية علي من بعده ؟ ولذلك فقد كانت ذكرى عاشوراء تمر على الرضي مؤلمة موجعة ، واستمع إليه في ذكرى سنة ٣٩١هـ. يقول ذاكراً مصارع أسرته :

كانت مآتِم بالعـــراق تعُـــدُّها	أُمَوِيَّـــةٌ بالشام مـــن أعْيَـادِهَا
ما راقَبَتْ غضبَ النبيِّ وقد غَـــدَا	زَرْعُ النبيِّ مَظِنَّةً لحَصادِهَــــا
باعَــتْ بصائـرَ دِينِهـــا بضلالِها	وشَرَتْ مَعاطِبَ غَيِّها برَشَادِها
جعلتْ رسولَ اللهِ من خُصَمائِهـــا	فلَبِئْسَ ما ذَخَرتْ ليوم مَعادِهَا
نَسْلُ النبيّ على صِعابِ مَطِيِّهــــا	ودَمُ النبيِّ على رُؤُوسِ صِعَادِها

ثم يقول في اغتصابها الخلافة :

إنَّ الخلافةَ أصبحتْ مَزْوِيَّـــــةً	عن شِعْبِها ببَياضِها وسَوادِهــا
طَمَستْ منابرَهــا عُلوجُ أُمَيَّـــــةٍ	تنْزُو ذئابُهُم عــلى أعْــوادِهــا

ويصل في العداوة معهم إلى حد القذف والسِّباب ، إذ يقول :

---

(١) المجازات النبوية ١٣١ ، ١٣٢ .

أألله ما تنفكُّ في صَفحاتِها خُموشٌ لكَلْبٍ من أُمَيَّةَ عاقِدِ

ولكن الأسى يجلب الأسى ، فنرى الرضي يتذكر هنا ما نال بيته من أذى على أيدي أبناء عمومتهم بني العباس :

ويا رُبَّ أدْنَى لُحْمةً من أُمَيَّةٍ رَمَوْنا على الشَّنآنِ رَمْيَ الجَلامِدِ
طَبَعْنا لهم سيفاً فكُنّا لِحَدِّهِ ضَرائِبَ عن أَيْمانِهم والسَّواعِدِ
ألا ليس فعلُ الأَوَّلين وإنْ عَلَا على قُبْحِ فعلِ الآخِرين بزائِدِ
يُريدون أن نَرْضَى وقد مَنَعُوا الرِّضَا لَسَيْرُ بني أعمامِنا غيرُ قاصِدِ
كذَبْتُك إن نازعْتَني الحقَّ ظالماً إذا قلتُ يوماً إنني غيرُ واجِدِ

وعلى الرغم من الأسى الذي يجده الرضي ، لتنكيل العباسيين بأسرته ، فإنه كان يفتخر بصَنِيعهم في بني أمية ، وانْتصافهم منهم لشهداء البيت العلوي :

خَطَمُوا أنوفَ الخالِعين وذَلَّلُوا أُمَماً من الأعداء بعدَ شِماسِ
طَلَعُوا على مَرْوانَ يومَ لقائِهِ من كلِّ أَرْوَعَ بالْقَنَا دَعَّاسِ
سَدُّوا النجاة عليه دون جمامِه بقِراعِ لا عُزُلٍ ولا نُكَّاسِ
بالزَّابِ والآمالُ واقفةُ الخُطَا بين الرَّجاءِ لنَيْلِها واليَاسِ
حتى رأَى الجَعْدِيَّ ذَلَّ قِيادُه لِيَدِ المَنُونِ تُمَدُّ بالأمْراسِ
وهَوَتْ به أَيْدٍ أناملُها القَنَا مَهْوَى كُلَيْبٍ عن يَدَيْ جَسَّاسِ
ضَرَبُوه في بَطْنِ الصَّعِيدِ بنَوْمَةٍ أبَدَ الزمانِ وَلاتَ حينَ نُعاسِ
وتَسَلَّمُوها غَضَّةً فمضَى بها الْـ أبرارُ ناشِزَةً عن الأَرْجاسِ

ولم يسْتَثْنِ الرضي من بني أمية إلا عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ، فقد كان يجله لما أُثِر عنه من عدل ، ولما كان يصِل به أهل البيت سراً ، مما كان يعينهم على ضِيق الدنيا واضطهاد الأمويين ، ولذلك فقد رثاه الرضي بقصيدة يقول فيها :

يا ابنَ عبدِ العزيز لو بكتِ العيْـ ـنُ فتًى من أُمَيَّةٍ لبكَيْتُكْ
غيرَ أني أقول إنسك قد طِبْـ ـتَ وإن لم يطِبْ ولم يَزْكُ بيْتُكْ
أنتَ نَزَّهْتَنا عن السَّبِّ والقَذْ فِ فلو أمكنَ الجزاءُ جزيْتُكْ

وَلَـو أنِّي رأيتُ قبرَكَ لاسْتَحْـــــ ـــيَيْــتُ مِن أن أُرَى وما حَيَّيْتُكْ

ويختمها بهذا الفداء ، مما يدل على كرم النفس ، والوفاء ، وهما من خُلُق الرضي :

فلو أنِّي ملكتُ دَفْعـاً لمـــا نـــا لَـك من طارِقِ الرَّدَى لَفَدَيْتُكْ

ولكنك تحس الرضي ينتزع القافية من نفسه انتزاعاً ، وكأنَّ كرم نفسه وطيب شمائله يقْسِرانه على القول قسراً .

مذهب الرضي الكلامي :

ليس في شعر الرضي ما يدل على مذهبه في الأصول ، إلا ما ورد في البيتين المتنازع في نسبتهما ، من قوله :

ورايتي التوحيدُ والعدلُ

ولا نظفر بعد ذلك بشيء في شعره يعين على بيان مذهبه . أما كتبه التي وصلت إلينا ، واهتمت بهذا الجانب ، وهي الجزء الخامس من « حقائق التأويل » و« تلخيص البيان عن مجازات القرآن » و« مجازات الآثار النبوية » فقد بينت بوضوح مذهبه الكلامي ، وأعانت على تحديده .

وأول ما نلحظه في هذه الكتب تصدِّي الرضي للمشبهة والمجسمة والقائلين بالجهة ورده عليهم ، وتجد أمثلة لهذا في تفسيره مجيء الله والملائكة ، وفي الكلام على معنى الإصبع واليد لله . وفي نَفْسِ الجهة عنه والمسافة ، وفي تفسير معنى التقرب إليه[1] وقربه .

ولكن أين يقع الرضي من الفئتين اللتين سيطرتا على حلقات العلم في ذلك الوقت : أهل السنة (الأشاعرة والماتريدية) ، والمعتزلة ؟

ان عبد الحسين الحلي يسارع إلى نَفْي الاعتزال عن الرضي ، حيث يقول : « غريب ما سمعته في هذه الآونة ، من رمي الشريف بالزيدية ، وبنزعة الاعتزال »[2]

---

(١) تلخيص البيان ٢٣٧ ، ٢٣٨ . المجازات النبوية ٣٤٦ ـ ٣٥٠ . ٣٦٢ . ٣٦٧ ، ٣٧١ ، ٣٧٢ .

(٢) مقدمة حقائق التأويل ٧٥ وقد سبقه إلى هذا التعجب البياني في نسمة السحر ، لوحة ٣٤٠ . حيث قال : « ان جماعة ممن قصر فهمهم من المؤلفين باليمن يتوهمون أنه على مذهب =

ثم يفصِّل الأمر حين يقول : أما النزعة الاعتزالية ، فقد ظهرت عليه في مسألة الإرجاء والوعيد ومسألة خلق الجنة والنار ، ولكن موافقة المعتزلة في رأيين يتبعهم فيهما كثير من الناس لا يقتضي الرمي بالاعتزال . على أن الاعتزال منهج لا عقيدة ، يسلكه الإمامي وغيره . ولقد كان الشيخ أبو جعفر الطوسي يقول بالوعيد ثم رجع عنه ـ وما من منقصة على إمامي إذا ذهب في مسألة إلى رأي من يقول بالعدل ويبني أصله عليه ، ومع ذلك فالشريف ليس بالرجل الذي يوافق المعتزلة على سائر آرائهم ، وإن شئت فقل : هو إمامي واقف في حيطة اعتزال محدود لا يتجاوز آراء خاصة ، وبعد هذا فمن يتعمق في مناحي كتابه هذا ، حقائق التأويل ، يعرف أنه هو الرجل الذي إذا قاده البرهان إلى شيء لا يبالي أن يجاهر به ، ولا يحفل أن يتفق أهل الملل كافة على خلافه .[1]

وقد اتضح مما سبق تدرج الحلي في رأيه حول مذهب الرضي الكلامي فهو يتعجب في أول الأمر من رميه بالاعتزال ثم بعد ذلك يرى أنه يوافق آراء بعض المعتزلة ، وأنه إمامي في حيطة اعتزال محدود ، ثم هو يراه كرَّة أخرى لا يخضع لمذهب بعينه ، وإنما يقوده البرهان إلى ما يعتقده .

والحق أن الرضي تلقى على كثير من المعتزلة ، وتأثر خطاهم . أما كتبه فهي مشحونة بما يدل على اعتزاله ، وسأبدأ بالكتاب الذي قدم له عبد الحسين الحلي « حقائق التأويل » وسأترك المسألتين اللتين ذكرهما دالتين على اعتزاله ، لأضرب مثالاً واحداً يوضح اعتزال الرضي ، وأحب أن أنبه قبل هذا إلى ما أوضحته في بيان منهج الرضي في هذا الكتاب ، من كثرة نقله عن المعتزلة ، وتعضيده لرأيهم واعتراضه على بعضهم أحياناً[2]

= الامام أبي الحسين زيد بن زين العابدين » . ومضى في تقرير أن الرضي كان يريد الملك لأنه يرى أنه أحق به .

(١) مقدمة حقائق التأويل ٧٧ .

(٢) في ثقافة الرضي .

أما المثال الذي جاء في « حقائق التأويل » ، فهو عند تأويل قوله تعالى :﴿ رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾من سورة آل عمران ، وقد ساق الرضي شبهة المشتبه هكذا : « لو لم تكن إزاغة القلوب من الله سبحانه ، لما كان للدعاء بألا يفعلها تعالى معنى ولا فائدة ، وإزاغة القلوب من قبيل الإغلال والإغرار ، وهذا الذي يذهب إليه خصومكم »[1]. هذا هو نص الكتاب ، وقد علق شارحه محمد الرضا آل كاشف الغطاء على قوله : « خصومكم » في الحاشية ، فذكر أنهم الأشاعـرة . وأخذ الرضي في الرد على هذه الشبهة بذكر الأقوال التي وردت في ذلك ، ثم فرغ إلى رأيه فقرره قائلاً : « والذي أقوله في ذلك : ان من أصلنا رد المتشابه من الآي إلى المحكم منها ، كما بينا أولاً ، وقد ورد في القرآن مِن ذكر الإزاغة ما بعضُه محكم وبعضه متشابِهٍ ، فيجب رد متشابه إلى محكمه ـ على الأصل الذي قررناه ـ فالمتشابه من ذلك قوله سبحانه ههنا :﴿ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا﴾ ، وهذا لا يجوز أن يكون محمولاً على ظاهره لأنه يقودنا إلى أن نقول : إن الله سبحانه يُضِل عن الإيمان ، وقد قامت الدلائل على أنه سبحانه لا يفعل ذلك ، لأنه قبيح ، وهو غنيٌّ عنه ، وعالم باستغنائه عنه ، ولأنه تعالى أمرنا بالإيمان وحببنا إليه[2] ، ونهانا عن الكفر وحذرنا منه ، فوجب ألا يضلنا عما أمرنا به ، ولا يقودنا إلى ما نهانا عنه . وإذا لم يكن محمولاً على ظاهره فاحتجنا إلى تأويله على الوجوه التي قدمنا ذكرها فهو متشابه ، لأن من صفة المتشابه ألا يُقْتَبَس علمه من ظاهره وفَحْواه ، فوجب رده إلى ما ورد من المحكم في هذا المعنى ، وهو قوله تعالى :﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ ﴾. فعلمنا أن الزَّيْغ الأول كان منهم ، وأن الزيغ الثاني كان من الله سبحانه على سبيل العقوبة لهم ، وعلمنا أيضاً أن الزيغ الأول غير الزيغ الثاني ، وأن الأول قبيح إذ كان معصية ، والثاني حسن إذ كان جزاء وعقوبة ، ولو كان الأول هو الثاني لم يكن للكلام فائدة ، وكان تقديره : فلما مالوا عن الهدى أملناهم عن الهدى ، فكان خُلْفاً من القول يتعالى الله

(١) حقائق التأويل ٥/١٥ .

(٢) كذا في الكتاب ، وأصله : « وحببه إلينا » .

عنه ، لأن الكفر الذي الذي حصل في الكفار (الذين وصفهم سبحانه بميلهم عن الإيمان) قد أغناهم عن إحداث مثله لهم ، وخَلْق ما يجري مجراه فيهم ، فعلمنا أن زيغهم كان عن الإيمان ، وإزاغته تعالى لهم إنما كانت عن طريق الجنة والثواب ، وأيضاً فإن هذا الفعل لمَّا كان من الله سبحانه على سبيل العقوبة لهم ، علمنا أنه من غير الجنس الذي فعلوه ، لأن العقوبة لا تكون من جنس المعصية ، إذ كانت المعصية قبيحة ، والعقوبة عليها حسنة »[1] .

وهذا النقل عن الرضي ـ على طوله ـ يؤكد ثبات قدم الرضي في الاعتزال فقد بني تأويله على أصل من أصولهم ، هو الحسن والقبح .

وفي « تلخيص البيان » نرى أمثلة أخرى تؤكد اعتزال الرضي ، فقد ذكر أن العلماء اختلفوا في ذم نار جهنم ، هل هو على الحقيقة أم على المجاز ؟ ويظن من يقرأ هذا القول أن الرضي يعني بالعلماء علماء الأمة قاطبة ، ولكنه يعجب حين يرى الخلاف محصوراً بين أبي علي الجُبَّائِيّ وأبي القاسم البَلْخِي من أئمة المعتزلة[2] .

وكذلك يذكر الرضي حين يوضح البيان في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا ﴾ من سورة الكهف ، أنه قرأ على القاضي عبد الجبار كتابه « تقريب الأصول » وعلق عنه في أخريات باب التعديل والتجوير ، أن المعنى مصادفة القلب غافلاً ، كما علق عنه الاحتجاج له[3] ، وقد ذكر ذلك كله ذِكْرَ آخِذٍ به ، ناصرٍ له .
وفي توضيح بيان قوله تعالى :﴿وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ من سورة المؤمنون ، يقول : « وهذه استعارة ، والنطق لا يوصف به إلا من يتكلم بآلة ، وسمعت قاضي القضاة أبا الحسن يجيب بذلك من سأله : هل يجوز أن يوصف القديم بأنه ناطق ، كما يوصف بأنه متكلم ، فمنع من ذلك ، وقال ما قدمت ذكره .. »[4] . وكفى بذلك متابعة لإمام المعتزلة في عصره ، قاضي القضاة عبدِ

(١) حقائق التأويل ٥/٢٣ ، ٣٤ .
(٢) تلخيص البيان ٨٠ .
(٣) تلخيص البيان ١٢٦ ، ١٢٧ .
(٤) تلخيص البيان ١٥٣ ، ١٥٤ .

الجبار بن أحمد أستاذِه .

أماَ مجازات الآثار النبوية ، فقد احتشدت بكثير مما يدل على ثبات قدم الرضي في الاعتزال ، وسأورد هنا بعض الأمثلة اكتفاء بها عن غيرها :

أ ـ حديث رؤية الله عز وجل ، فقد طعن الرضي في سنده ، ولم يقبله ، ونقلَ في هذا عن القاضي عبد الجبار شرطاً في قبول خبر الواحد ، وزاد عليه قيداً من عنده ، ثم ذكر أنه حتى لو صح سندُه ، فلا يمكن قبوله إلا على المجاز ، بمعنى أن يكون المراد بقوله ﷺ : « ترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته » ، أنكم ترون أشراط يوم الميعاد وما وعد الله به وأَوعْد من الثواب العقاب كما ترون القمر ليلة البدر ، يريد في البيان والظهور ، والإصْحار للعيون »[1] .

ب ـ تعريفه العقل ، حيث قال : « وهو عندنا اسم لعلوم مخصوصة ، يطول بتعدادها الكتاب » ، وقد ذكر منها : العلم بمجاري العادات ، والعلم بالمشاهدات ، والعلم بأن الشيء لا يخلو من وجود أو عدم ، والموجود لا يخلو من حدوث أو قدم إلخ ، ثم قال : « وذكر لي قاضي القضاة أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد عند قراءتي عليه ما قرأته من كتابه الموسوم « العمدة » في أصول الفقه ، أن هذه العلوم المخصوصة إنما سميت عقلاً ، لأنها تعقل من فعل المقبحات : وذلك لأن العالم بها إذا دعته نفسه إلى ارتكاب شيء من المقبحات ، منعه علمه بقبحه من ارتكابه ، والإقدام على طَرْق بابه .... » واستطرد في النقل عن القاضي عبد الجبار ثم اعتذر عن تفصيل هذه العلوم ، لأن الكتاب ليس من مظان ذكرها[2] .

وقد اتضح من خلال ذلك أنه استفاد تعريفه للعقل من القاضي عبد الجبار

(١) المجازات النبوية ٤٧ ـ ٥١ .

(٢) المجازات النبوية ١٧٩ ـ ١٨١ .

فقوله « عندنا » تصريح منه بانتمائه إلى المعتزلة .

جـ ـ نقل الرضي عن القاضي عبد الجبار بن أحمد ، أن النعمة هي المنفعة إذا قصَد بها فاعلها وجه الإحسان ، وتفصيله هذه المسألة ، في التعقيب على حديث الرسول ﷺ : « الأيدي ثلاث : فيد الله العليا » ثم رتب الرضي على ذلك الفرق بين الإنعام والإحسان ، فقال : « ولذلك نقول : إن الله سبحانه لو عفا عن العصاة كان منعماً عليهم ، ولو سهل لهم السبيل إلى الفرار من النار كان محسناً إليهم »[1] . وهذا الفرق الدقيق مما أعمل فيه المعتزلة ـ والرضي منهم ـ عقولهم .

د ـ في تعليقه على قوله ﷺ : « والصدقة تطفىء الخطيئة » . قال : إن في الكلام استعارة « وذلك أنه عليه الصلاة والسلام جعل الخطيئة بمنزلة النار من حيث كانت مُفْضية إلى عذاب النار، وجعل الصدقة مطفئة لها ، إذا كثرت فأثرت في سقوط عقابها . وهذا القول يصح على طريقة من يقول بالموازنة » والموازنة رأي لبعض المعتزلة ، وقد شرح الرضي المراد بها فقال : « فإذا كان عقاب الخطيئة مائة جزء ، وكان ثواب الصدقة خمسين جزءا ، سقط من أجزاء العقاب بقدر أجزاء الثواب ، فكأن الصدقة بنقصانها من قدر العقاب قد أطفأت وَقْدَتَه وكسرت سورته . وكان أبو هاشم يختار في الاحباط والتكفير الموازنة وكان أبو علي يقول : إن الزائد يسقط الناقص من الثواب والعقاب لا على طريق الموازنة »[2] .

وأبو هاشم وأبو علي الجبائيان من أئمة المعتزلة .

هـ ـ اشترط الرضي اجتناب المسلم للكبائر ، في بيان حديث رسول الله ﷺ : « إن المسلم إذا توضأ ثم صلى الخمس تحاتَّتْ خطَايَاه ، كما يتحاتُّ الورق » حيث قال : « فأراد عليه الصلاة والسلام : أن من قام بهذه الواجبات التي

(١) المجازات النبوية ٣٦١ ـ ٣٦٣ .

(٢) المجازات النبوية ١٩٠ ـ ١٩١ .

عددناها ، واجتنب الكبائر التي توعَّد بالعقاب عليها ، سقط عنه عقاب معاصيه الصغائر ، كما يتساقط الورق المتناثر »[1] .

و ـ في توضيح بيان قوله عليه الصلاة والسلام : « العين حق تستنزل الحالِق » يقول الرضي معقباً ، بعد أن بين مجاز الحديث ، وخاض في مسائل علم الكلام « والذي يقوله أصحابنا ، إن الله سبحانه يفعل الصالح بعباده ، على حسب ما يعلمه من الصلاح لهم في تلك الأفعال التي يفعلها ، والأقدار التي يقدرها ، وإذا تقررت هـذه القاعدة فغير ممتنِع أن يكون تغييره تعالى نعمة زيد مصلحةً لعمرو »[2].

فماذا يعني الرضي بقوله « أصحابنا » ؟ ومن الذي يقول بالصلاح والأصلح غير المعتزلة ؟

وقد استبان بهذا كله أن الرضي معتزلي ، كون ثقافته على أساتذتهم ، واتبع مذهبهم ، ونقل عنهم ، وانتصر لهم انتصاراً طيباً .

ولإزالة الشبهات حول هذا الأمر أقول : إن المعتزلة قد عرفوا بمسائل خالفوا فيها الفرق الأخرى هي : صفات الله عز وجل ، والإرجاء والوعيد ، وخلق الجنة والنار ، والحسن والقبح ، والصلاح والأصلح ، ورؤية الله تعالى . وقد وافقهم الرضي في هذه المسائل كلها ، ما عدا المسألة الأولى ، فلم أجد له قولاً فيها ، وربما وقع رأيه في هذه المسألة فيما هو مفقود من الأجزاء من كتابه « حقائق التأويل » الذي بسط فيه القول في هذه القضايا ، كما أني لم أجد له رأياً يوافق غير المعتزلة فيها . فهل نستطيع بعد هذا أن نقول مع عبد الحسين الحِلِّيّ : « ولكن موافقة المعتزلة في رأيين يتبعهم فيهما كثير من الناس لا يقتضي الرمي بالاعتزال » ومن هو هذا الكثير من الناس الذي يتبع المعتزلة في الإرجاء والوعيد ، وفي خلق الجنة والنار ؟ وهل نستطيع أن نقول معه أيضاً : « وإن شئت فقل : هو إمامي واقف في حيطة اعتزال محدود ، لا يتجاوز آراء

---

(١) المجازات النبوية ٣١٥ ـ ٣١٧ .

(٢) المجازات النبوية ٣٦٨ .

خاصة» ؟ الحق أننا لا نستطيع أن نقول معه هذا القول ، بعد أن رأينا الرضي يوافق المعتزلة في المسائل التي تميزوا بها ، ما عدا مسألة لم نعثر له فيها على رأي فيما بقي بين أيدينا من تراثه ، وهي مسألة الصفات .

ولكننا نستطيع القول مع عبد الحسين الحلي : « وبعد هذا فمن يتعمق في مناحي كتابه هذا ، « حقائق التأويل » ، يعرف أنه هو الرجل الذي إذا قاده البرهان إلى شيء لا يبالي أن يجاهر به ، ولا يحفل أن يتفق أهل الملل كلهم على خلافه » . ولا عار على الرضي في أن يقوده البرهان إلى الاقتناع بآراء المعتزلة في هذه المسائل ، التي تميزهم عن الفرق الأخرى .

الرضي والسياسة[1]

لقد هُيِّ الرضي للحياة السياسية منذ صغره ، بل لعله دُفع دفعا إلى أن يعيشها منذ بلغت سنه عشر سنوات ، فقد فتح الفتى عينيه ذات يوم من سنة ٣٦٩هـ ليرى أباه وهو يودع الأسرة ، وليحس بالفجيعة وهي تتردد في جنباته ، فقد قبض عضد الدولة على أبي أحمد ، وأرسله الى القلعة بفارس ، مع آخرين من ذوي الشأن في عاصمة الخلافة ؛ تنفيذا لخطته في القضاء على من يخشى بأسهم على ملكه .

فلا عجب بعد هذا أن تكون هذه القضية هي شغلُه الشاغل منذ ذلك الوقت ، وحتى يفرَج عن أبيه سنة ٣٧٢ هـ ، ولا غرو أن توطئ له هذه الحادثة الصلات بعد ذلك بالخلفاء العباسيين وبالملوك البويهيين ، شكرا على إطلاق أبيه ورد أملاكه ، وتعبيرا عن وفاء هذه الأسرة ومكانتها التي يجب أن تراعى في خدمة الخلافة والدولة ، وأن تصبح هذه الصلة بعد ذلك منطلقا إلى تحقيق آمال الرضي ، يعقد من ورائها ألوية رغباته ، ويعلق بأستارها تطلعه إلى الرئاسة بل إلى الخلافة ، وتبرق له في خلال ذلك أسارير الأمل ، ثم تخبو ، ثم تبرق ، وهو أثناء ذلك كله لا يني عن السعي وراء المجد الذي ينشده ، وإن قصرت به الأسباب ، وتقطعت به السبل .

---

(١) هنا عرض مختصر جدا ، وتحت يدي دراسة موسعة لا يظيقها هذا المكان .

وقد أصبحت الخلافة العباسية في بغداد منذ استولى البويهيون على العراق خلافة اسمية ، لا يملك الخليفة إلا أمر نفسه ، وله كاتب يقوم مقام الوزير ليدبر شئونه ، أما البويهيون فقد استبدوا بكل شئ ، فهم الذين يولون ويعزلون ، وبيدهم الجيش ولهم الغلبة والحكم ، ولم يعد للخلفاء إلا التوقيع لإنفاذ مشيئتهم ، ولذلك أرى أنه من المفيد أن تُدرَس علاقة الرضي بدار الخلافة دراسة مستقلة ، وأن تُدْرَس علاقة الرضي بملوك بني بويه أيضا دراسة مستقلة ، وسترى أن دراسة علاقة الرضي بدار الخلافة ستشمل إلى جانب دراسة علاقته بالخليفة ، بيان علاقته بمن يتولون الأمر له من كاتب يدير شئونه ، أو رئيس لديوان الإنشاء يعد مراسيمه ، كما أن دراسة علاقة الرضي ببني بويه المتغلبين على العراق سيتبعها دراسة علاقاته بالوزراء وكبار رجال الدولة ؛ لأن هؤلاء يمثلون وحدة متكاملة تقوم بشئون الملك ، ويدور الصراع بينها عنيفا وحادا ، وفي حين أن قصر الخلافة يمثل مظهرا من مظاهر الحكم ، يخدع غير البصير بشئون السياسة في ذلك الوقت . وسترى أن الرضي خُدِع أيضا بهذا المظهر في الفترة الأولى من حياته ، فعلق أسبابه بقصر الخلافة سنوات ، ثم تكشفت له الحقيقة قبل وأثناء خلع الطائع لله ، فانقشعت الغشاوة عن عينه ، وبدأت أسبابه تنقطع بقصر الخلافة ، بينما قويت أمراسه بالبويهيين ووزرائهم ورجال دولتهم .

الفترة الأولى (٣٦٩ ـ ٣٨١ هـ) :

أما الفترة الأولى من حياة الرضي السياسية ، فهي التي عاشها في ظلال عهد الخليفة الطائع لله (٣٦٣ ـ ٣٨١ هـ) منذ وعى اول مشكلة سياسية تعترض حياته وهو صبي ، أي منذ القبض على والده سنة ٣٦٩ هـ . وقد بدأت صلاته السياسية سنة ٣٧٤ هـ ، حين بدأ يمدح الطائع لله بالقصيدة (١٩) وهي بداية متواضعة ، قويت بعد ذلك حين عاد أبوه من فارس ، ودخل على الطائع لله سنة ٣٧٦ هـ ، واستمرت بعد ذلك في النمو حتى خلع الطائع لله سنة ٣٨١ هـ .

وفي ظلال خلافة الطائع لله ، كانت للرضي علاقات بوزيره وكاتبه أبي الحسن علي بن عبد العزيز بن حاجب النعمان ، وبرئيس ديوان الانشاء لديه أبي إسحاق إبراهيم

بن هلال الصابي ، وقد امتدت علاقته بهما إلى عهد القادر بالله ، خَلَفِ الطائع لله .

كما كانت للرضي في خلال عهده ، علاقات بالملوك البويهيين المتغلبين على العراق بعضها غير مباشر ، كحديثه عن موت عضد الدولة ، وبعضها مباشر كعلاقته بشرف الدولة وبهاء الدولة[1] ، إلا أن علاقة الرضي ببهاء الدولة لم تبدأ إلا بعد خلع الطائع لله . ولذلك فارجئ دراستها إلى الفترة الثانية .

كذلك كانت للرضي صلات بوزراء بني بويه خلال هذه الفترة ، ولعل أقدمها هذه العلاقة غير المباشرة مع المطهر بن عبد الله وزير عضد الدولة ، لمواقفه السيئة من أبيه ، ثم علاقته بالوزير أبي نصر سابور بن أردشير ، الذي قدم مع شرف الدولة سنة ٣٧٦ هـ ، ثم صارت الوزارة إلى أبي منصور محمد بن الحسن بن صالحان ، حين ورد بغداد سنة ٣٧٧ هـ ، وتلقاه شرف الدولة ، واستمر وزيرا إلى أن توفي شرف الدولة سنة ٣٧٩ هـ ، وحين تولى بهاء الدولة بعده احتفظ أبو منصور بمنصب الوزارة وأقره الطائع لله عليه[2] ، ثم قبض عليه بهاء الدولة في سنة ٣٨٠ هـ ، واستوزر أبا نصر سابور بن أردشير[3] .

الفترة الثانية :

تبدأ الفترة الثانية بتولي القادر بالله مقاليد الخلافة سنة ٣٨١ هـ ، وهي فترة نشطة في حياة الرضي السياسية ، ولكن نشاطه فيها لم يكن متجها إلى قصر الخلافة ، وإنما وُئِد هذا النشاط في السنوات الأربع الأولى ، واتجه بعد ذلك إلى المجال الحقيقي للعمل السياسي ، وهو العلاقة بالبويهيين ووزرائهم ، ورجال دولتهم ، بل والعلاقة بالمتغلبين على مناطق خاصة من الخلافة الإسلامية ، كالحمدانيين وأمراء بني عقيل وغيرهم ، وظهرت أخطر آمال الرضي في هذه الفترة وهي الخلافة ، ونشط في العمل لها سالكا طريقين : الأولى ؛ طريق بني بويه فهم الذين يخلعون ويولون الخلفاء

---

(١) أصبح بهاء الدولة ملكا في بغداد سنة ٣٧٩ هـ . أي قبل خلع الطائع بنحو سنتين .

(٢) المنتظم ١٣٥/٧ ، ١٤٩ ، البداية والنهاية ٣٠٧/١١ وأنظر الكامل ٥٠/٩ ، ٦٢ . .

(٣) الكامل ٧٧/٩ ، الغبر لابن خلدون ٤٣٩/٣ .

من بني العباس ، والثانية ، طريق أهل البادية ، فإن من يستطيع في ذلك الوقت أن يتألفهم يضمن سندا قويا للسيطرة على مقاليد الأمور .

والديوان يعرض علاقة الرضي بالقادر بالله ، كما يعرض علاقة الرضي بملوك بني بويه في ذلك الوقت ، وقد نال النصيب الأوفى فيها بهاء الدولة ، الذي استمرت علاقته به من أول هذه الفترة حتى وفاته سنة ٤٠٣ هـ ، ثم كانت علاقته بولده سلطان الدولة منذ ذلك التاريخ حتى وفاة الرضي سنة ٤٠٦ هـ .

أما وزراء بني بويه في ذلك الوقت ، فإن الأمر يقتضي وضع بيان بهم ، لاضطراب ذكرهم في المصادر التاريخية ، وحتى يمكن التعرف على نفوذهم السياسي ومدى ارتباط الرضي بهم . وسيعيننا هذا البيان أيضا على تأريخ بعض قصائد الرضي .

ولو اتبعنا التسلسل الزمني ، فسنرى أنه في سنة ٣٨١ هـ كان أبو نصر سابور بن أردشير هو وزير بهاء الدولة ، ولكنه قبض عليه في هذه السنة ، ثم أطلقه فالتجأ إلى البطيحة ، وأقام عند مهذب الدولة علي بن نصر ، خوفا من ابن المعلم ، واستوزر بهاء الدولة أبا القاسم عبد العزيز بن يوسف الحَكَّار ، فوزر له خمسة أشهر [1] .

وفي سنة ٣٨٢ هـ وزر له أبو القاسم علي بن أحمد الأَبَرْقُوهِيّ ، ثم قبض عليه بهاء الدولة ، واستدعى أبا نصر سابور بن أردشير من البطيحة ، وجمع بينه وبين أبي منصور محمد بن الحسن بن صالحان في الوزارة ، وخلع عليهما في يوم الأحد تاسع شعبان ، وكانا يتناوبان في الوزارة [2] .

وفي سنة ٣٨٣ هـ شغب الديلم ، وقصدوا دار أبي نصر سابور بباب خراسان وهجموا فنهبوها ، وأفلت من أيديهم هاربا من السطوح ، وكان هذا يعني انتهاء وزارته ، فاستعفى رفيقه أبو منصور بن صالحان ، واستوزر بهاء الدولة أبا القاسم علي بن أحمد الأبرقوهي ، ثم هرب ، فعاد أبو نصر سابور بن أردشير الى الوزارة

---

(١) الكامل ٩/٩٠ ، والعبر لابن خلدون ٣/٤٤٠ ، وأنظر ترجمة الحكار في المنتظم ٧/٢٠٣ .

(٢) المنتظم ٧/١٩٦ ، الكامل ٩/٩٤ ، العبر لابن خلدون ٣/٤٤٠ .

بعد أن أصلح أمور الديلم ، ثم تركها فاستوزر مكانه الفاضل[1] .

وقد سكتت المصادر التاريخية عن تسمية الوزير في سنة ٣٨٤ هـ ، فهل استقرت الأمور للفاضل خلال هذه السنة[2] ؟

وفي سنة ٣٨٥ هـ كان الفاضل وزير بهاء الدولة ، وأرسل بهاء الدولة إلى البطيحة يطلب أبا القاسم علي بن أحمد الأبرقوهي ليستوزره ، فحضر عنده ولم يتم ذلك ، وكان الفاضل مع بهاء الدولة بواسط ، فلما علم الحال استأذن في الإصعاد إلى بغداد فأذن له ، فأصعد وعاد بهاء الدولة وطلبه ليرجع إليه ، فغالطه ولم يعد[3] .

وفي سنة ٣٨٦ هـ قبض بهاء الدولة على وزيره الفاضل وأخذ ماله ، واستوزر أبا نصر سابور ، فبقي في الوزارة شهرين ، وفرق أموال بهاء الدولة في القواد ، نكاية فيه ، ثم هرب إلى البطيحة ، فاستوزر بهاء الدولة عيسى بن ما سرجس[4] .

أما سنوات ٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ هـ ، فقد سكتت المصادر التاريخية عن تسمية الوزراء فيها ، فهل استمر الأمر بعيسى بن ماسرجس ، أم أن الموفق أبا علي الحسن بن محمد بن إسماعيل قد شرَكه في بعضها ؟ إن ابن الأثير يذكر أن أبا علي الموفق عاد إلى طاعة بهاء الدولة سنة ٣٨٨ هـ وهو بواسط ، فوزر له ، وقام بأمر حروبه خلال السنوات التالية حتى تم الاستيلاء على فارس سنة ٣٩٠ هـ ، ثم قبض عليه في هذه السنة وقتله سنة ٣٩٤ هـ[5] ، ومعنى ذلك أنه كان يشغل منصب الوزارة في سنوات ٣٨٨ ـ ٣٩٠ هـ . ويذكر ابن الجوزي أن القبض على الموفق تم في شعبان

---

(١) المنتظم ١٧٢/٧ ، الكامل ١٠٠/٩ ، العبر ٤٤٠/٣ .

(٢) في مقدمة القصيدة ٥١٤ من ديوان الرضي ما يفيد أن أبا العباس عيسى بن ماسرجس بذل الدنانير الكثيرة حتى تقلد الوزارة في شوال سنة ٣٨٤ هـ ، ولئن صح هذا فمعناه أن بهاء الدولة عزل الفاضل ليولي ابن ماسرجس في هذه السنة ثم أعادها إليه ، لكن ما في ذيل تجارب الأمم ٢٥٨ يوضح أن هذا كان في وزارة البصرة ، وليس في وزارة بغداد .

(٣) الكامل ١١٥/٩ .

(٤) الكامل ١٢٨/٩ ، والعبر لابن خلدون ٤٤١/٣ .

(٥) الكامل ١٤١/٩ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٢ .

سنة ٣٩٢ هـ[1] . ومعنى هذا أن الوزارة امتدت به سنتين أخريين .

وفي المحرم سنة ٣٩٣ هـ قبض بهاء الدولة على أبي غالب محمد بن خلف وزيره ، وقرر عليه مائة ألف دينار قاسانية ، وهذا يدل على أنه كان وزيراً قبل هذا التاريخ ، أي من شعبان سنة ٣٩٢ هـ إلى خمس وعشرين من المحرم سنة ٣٩٣ هـ[2] .

وقد سكتت المصادر التاريخية عن الوزارة خلال السنوات من ٣٩٤ ـ ٤٠٠ هـ ولكن ابن الأثير يذكر في حوادث سنة ٣٩٢ هـ ، أن أبا جعفر الحجاج حينما ترك بغداد لقتال قرواش بن المقلد ، اختلت الأحوال بها ، فسير بهاء الدولة إلى العراق لحفظِه أبا علي بن أستاذ هرمز ، ولقبه عميد الجيوش ، وأرسل إلى أبي جعفر الحجاج وطيَّب قلبه ، ولكن الحرب نشبت بين أبي جعفر الحجاج وعميد الجيوش ، وبلغ الأمر إلى أن يحاصر أبو جعفر الحجاج بغداد سنة ٣٩٧ هـ في غيبة عميد الجيوش ، ولكنه انهزم عنها ، واستمر الأمر لعميد الجيوش بالعراق حتى توفي سنة ٤٠١ هـ ، فلما مات استعمل بهاء الدولة مكانه بالعراق فخر الملك أبا غالب[3] .

ومعنى هذا أن أبا جعفر الحجاج بن هرمز القائد كان يملك أمر العراق حتى سنة ٣٩٢ هـ ، وأن عميد الجيوش تسلم الأمر منه بعد ذلك ، وطيلة مدة ثماني سنين وأربعة أشهر وسبعة عشر يوما ، فضبط العراق أشد الضبط ، وكان القائد والوزير معا ، وعندما مات ترك هذا الأمر لخلفه من بعده فخر الملك أبي غالب .

ولكن القصيدة (٤١) التي مدح الرضي فيها أبا غالب محمد بن خلف وشكره على قضاء حاجته ، مؤرخة بشعبان من سنة ٣٩٦ هـ ، ومعنى ذلك أنه كان وزير في ذلك الوقت ، أو على الأقل صاحب نفوذ يقضي حاجة كبار القوم ، وكذلك فإن أبا غالب في سنة ٣٩٧ هـ ، كان يطارد بجيشه ابن واصل حاكم البطيحة[4] ، فهل كان أبو غالب في ذلك الوقت قائدا للجيش أم وزيرا ؟ أم كان بهاء الدولة

(١) المنتظم ٧/٢١٩ .

(٢) المنتظم ٧/٢٢٢ .

(٣) الكامل ٩/١٧١ ، ١٧٤ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ٢٢٤ .

(٤) المنتظم ٧/٢٣٦ ، الكامل ٩/١٤٤ ، البداية والنهاية ١١/٣٣٢ .

يستعمله في بعض المهام ؟ إن المصادر التاريخية تذكر أنه في سنة ٤٠١ ﻫ ورد الوزير أبو غالب إلى بغداد وقد رد إليه أمر العراق ، ولقب فخر الملك ، وهذا يعني أنه منذ قبض عليه في سنة ٣٩٣ ﻫ لم يرد إلى العراق ، ولم تكن له الوزارة ، وإنما كانت تُوكَل إليه أعمال أخرى ، حتى أعيد إلى مكانته سنة ٤٠١ ﻫ ، وكرم بنلقيبه فخر الملك ، ومنذ ذلك التاريخ وفخر الملك وزير بهاء الدولة إلى أن توفي سنة ٤٠٣ ﻫ ، فوزر لولده سلطان الدولة حتى قتله بالأهواز سنة ٤٠٧ ﻫ[1] .

كل هؤلاء الوزراء كان للرضي علاقات بهم ، سجلها في شعره ، وبعضها علاقات صداقة عدا الوزير الفاضل[2] . ولقد كان بعض هذه العلاقات هينا لا يتعدى الإشاره إلى مسلك بعينه ، كعلاقته بأبي العباس عيسى بن ماسرجس ، الذي بذل الكثير من الدنانير حتى قلد الوزارة[3] ، فأجرى قوم ذكر هذا الأمر عنده ، واستكثروه فقال الأبيات (٤١٥) في شوال سنة ٣٨٤ ﻫ ، والتي بدأها بقوله :

اشْتَرِ العِزَّ بمـا بِيـ ـعَ فما العِزُّ بِغَالِ

وفيها ينتصر لعمل الوزير ، وكأنما قد أصبح الرضي يؤمن بهذا المسلك بعد أن رأى فساد أحوال السياسة والساسة .

كما كان بعض هذه العلاقات قويا متينا ، مثل علاقته بفخر الملك .

وكان للرضي علاقات أخرى بكبار رجال الدولة ، كعلاقته بأبي الخطاب حمزة ابن إبراهيم المنجم .

---

(١) المنتظم ٢٥٢/٧ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، الكامل ٢٤٤/٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، البداية والنهاية ٣٤٤/١ ، ٥/١٢ ، ٦ .

(٢) لم أجد بيانا شافيا عنه في كتب التاريخ ، وقد تضمنت هذه الكتب بعض أخباره . انظر ذيل تجارب الأمم سنوات ٣٨٤ ﻫ ـ ٣٨٦ ﻫ .

(٣) في ذيل تجارب الأمم ٢٥٨ في أخبار سنة ٣٨٤ ﻫ ، أن أبا العباس عيسى بن ماسرجس شرع في خطبة الوزارة ، وراسل الفاضل أبا نصر في السفارة فيها بعد أن كان قد بذل أبو علي الأنماطي لبهاء الدولة بذولا ، ووعده بملاطفات يحملها ، وعشرة آلاف دينار يخدمه بها ، وكان هذا عن وزارة البصرة .

علاقات الرضي السياسية خارج بغداد :

أما علاقات الرضي السياسية خارج بغداد فقد اتجهت في أنحاء ثلاثة ؛ كان أولها ناحية المشرق في فارس ، في علاقةٍ بالصاحب ابن عباد لم يمهلها الزمن ، وكان ثانيها ناحية الشمال في الموصل ، في علاقة بالحمدانيين أُلى الأمر فيه إلى سنة ٣٨٢ هـ ، ثم بالعقيليين المتغلبين عليه بعد ذلك ، وكان ثالثها ناحية البادية ، حيث تألف الرضي ابن ليلى ومن والاه ، ممن يملكون المنافذ إلى الحرمين الشريفين .

وكأنما كان الرضي يضرب في كل اتجاه يرى أنه يخدم مآربه في التطلع إلى يوم يجلس به في بغداد خليفة عليها ، يُنصِّبه بنو بويه ، كما ينصبون خلفاء بني العباس ، أو متغلبا يملكها بالثورة والكفاح .

مناصب الرضي وألقابه :

حظي الرضي بمناصب خطيرة في الدولة ، هي : نقابة الطالبيين ، والنظر في أمور المساجد بمدينة السلام ، وإمارة الحاجّ ، والنظر في أمور الطالبيين في جميع البلاد ، وخلافة والده حينا في النظر في المظالم والحج بالناس ، وخلافة بهاء الدولة الملك البويهي ، حينا آخر ، في مدينة السلام .

ووضح كذلك مما تقدم أن بهاء الدولة لقبه بالشريف الجليل سنة ٣٨٨ هـ ، ثم بالرضي ذي الحسبين[1] سنة ٣٩٨ هـ ، ثم أمر سنة ٤٠٠ هـ أن تكون مخاطبته بالكناية ثم بالشريف الأجل مضافا إلى المخاطبة بالكناية سنة ٤٠١ هـ[2] .

---

(١) لقب أبو الحسن محمد بن الحسين الموسوي بالرضي قبل هذا التاريخ ، ولعل والده منذ ولادته كناه ولقبه « أبو الحسن الرضي » ذلك أنه أشار إلى لقبه هذا في قصيدته ٣٣/٨٢ إلى شرف الدولة سنة ٣٧٦ هـ ، وهو في السابعة عشرة حيث قال :

ما عُذْر مثليَ في نَقْصٍ وقَوْلُته   أنّي الرَّضِيُّ وجدِّي خاتمُ الرُّسُلِ

ولا ينقض هذا ما جاء في رسالة بهاء الدولة إليه ، المثبتة في جمهرة الإسلام ، والتي جاء فيها : ثم لقبناك بالرضي ذي الحسبين ، لقبين بك لائقين ، فإن ما في الرسالة اعتراف رسمي باللقب الأول « الرضي » مع إضافة الثاني « ذو الحسبين » . وقد تنبَّه أديب التقي إلى تلقيب الشريف بالرضي منذ صغره . انظر الشريف الرضي له ٨٣ ، ٨٤ .

(٢) أنظر القصائد ٤ ، ١٠٠ ، ١٠٢ .

ويبدا عهد الرضي بالمناصب منذ رد الطائع لله على والده أبي أحمد أعماله القديمة وهي النقابة وإمارة الحاج والنظر في المظالم في جمادي الأولى سنة ٣٨٠ هـ ، واستخلف له ولداه الرضي والمرتضى . ولم تمض شهور حتى رتب الطائع لله الرضي في رتبة أبيه في مجلسه ، وأفرده بتولية نقابة الطالبيين ، والنظر في أمور المساجد بمدينة السلام واستخلفه عن والده للنظر في المظالم والحج بالناس ، وتمت قراءة العهد بذلك في رمضان من هذه السنة . وقد استمر الرضي على ذلك بقية عهد الطائع لله وأوائل عهد القادر بالله ، فصرفه وصرف أسرة أبي أحمد عن هذه المناصب في سنة ٣٨٤ هـ ، وظل البيت مصروفا حتى سنة ٣٩٤ هـ عندما قلد بهاء الدولة أبا أحمد قضاء القضاة والحج والمظالم والنقابة ، فأمضى القادر بالله هذا التقليد ما عدا قضاء القضاة ، وبدهي ان الرضي والمرتضى كانا يقومان بهذه المهمات ، فقد كان أبوهما في ذلك الحين في العقد العاشر من عمره ، وقد بلغ به الضعف مبلغه ، فولى بهاء الدولة الرضي النقابة وإمارة الحاج في جمادى الأولى سنة ٣٩٧ هـ ، ثم أضاف إليه في المحرم سنة ٤٠٣ هـ النظر في أمور الطالبيين بجميع البلاد ، وهو أمر لم يصل إليه أحد من أهل هذا البيت[١] .

وثمة منصب مهم آخر شغله الرضي ، ذلك أنه في سنة ٣٨٨ هـ قلده بهاء الدولة ـ وكان بواسط ـ خلافته بمدينة السلام ، وخلع عليه خلعا جليلة . كما رسمه في خدمته في النيروز الفارسي سنة ٤٠٢ هـ[٢] .

ولكن ، كيف كان موقف الرضي من هذه المناصب ، رغب فيها أم رغب عنها ، وكم كلفته من جهد ، وبذل من تضحيات ؟ إن أول عمل رسمي تقلده الرضي أصالة هو نقابة الطالبيين ، والنظر في أمور المساجد بمدينة السلام ، وليس بين أيدينا ما يدل على ما كان يُناط بمن ينظر في أمور المساجد ، وظني أنه عمل إداري ، يتعلق بالأوقاف المُحَبَّسة عليها ، ورعاة القائمين بالأمر فيها ، والمحافظة عليها صالحة لأداء الشعائر .

---

(١) انظر القصيدتين ٦٣ ، ٢٣ .

(٢) انظر القصيدتين ٨٦ ، ١١٦ .

أما نقابة الطالبيين ، فكانت كما ذكر الماوردي « موضوعة على صيانة ذوي الأنساب الشريفة عن ولاية من لا يكافئهم في النسب ، ولا يساويهم في الشرف ، يخير منهم أجلهم بيتا ، وأكثرهم فضلا ، وأجزلهم رأيا ... والنقابة على ضربين : عامة وخاصة ، فأما الخاصة فهو أن يقتصر بنظره على مجرد النقابة من غير تجاوز لها إلى حكم ، وإقامة حَدٍّ[1] » ، ثم ذكر الماوردي ما يلزم النقيب على أهله من حقوق النظر ، وهي : حفظ أنسابهم من داخلٍ عليها أو خارج منها ، وتمييز بطونهم ، ومعرفة أنسابهم ، وتسجيل ذلك في ثَبْت ، وأخذهم بالأدب ، وتنزيههم عن المكاسب الدنيئة ، وكفهم عن ارتكاب المآثم والمحارم ، ومنعهم من التسلط على العامة ، وعونهم على اكتساب حقوقهم وأخذ الحقوق منهم ، والنيابة عنهم في المطالبة بحقوقهم من الفيْ والغنيمة ، ومنع أياماهم أن يتزوجن إلا من الأكفاء ، ورعاية وقوفهم ، بحفظ أصولها ، وتنمية فروعها ورعاية قسمتها بين مستحقيها[2] . وأما العامة فيضاف إليها أشياء : الحكم بينهم فيما ملكوه ، واقامة الحدود عليهم فيما ارتكبوه ، وتزويج الأيامى اللاتي يتعين أولياؤهن أو تعينوا فهجروهن ، وايقاع الحَجْر على من به عَتَهٌ أو سَفَه[3] .

ويشترط فيمن يلي النقابة العامة أن يكون عالما من أهل الاجتهاد ، ليصح حكمه وينفذ قضاؤه[4] .

هذه ملامح أصلية للنقابة ، يتبين منها خطرها ، فقد كانت رعاية كاملة للطالبيين داخل الدولة ، تكتفي بها الخلافة مشكلاتهم ، وتضمن ولاءهم . وكانت نقابة الرضي عامة ، يدل عليها ما جاء من أنه كان ينسب إلى الإفراط في عقاب الجاني ، فقد شكت إليه امرأة علوية زوجها ، وأنه يقامر بما يحصله من حرفة يعانيها ، وأن لها

---

(١) الأحكام السلطانية ٨٢ ، ٨٣ .
(٢) المصدر السابق .
(٣) الأحكام السلطانية ٨٤ .
(٤) المصدر السابق .

أطفالا ، وهو ذو عيلة وحاجة . وشهد لها من حضر بالصدق فيما ذكرت ، فاستحضره الشريف ، وأمر به فبُطح ، وأمر بضربه ، فضرب والمرأة تنتظر أن يكف والأمر يزيد حتى جاوز ضربه مائة خشبة ، فصاحت المرأة : وايُتْمَ أولادي ، كيف تكون حالنا إذا مات هذا ! فقال لها الشريف : ظننتِ أنك تشكينه إلى المُعَلِّم ! ![1] .

أما إمارة الحج التي استخلف فيها الرضي عن والده سنة ٣٨٠ هـ ، ثم وليها أصالة سنة ٣٩٧ هـ ، فقد كانت مهمة ضخمة ، وهي إما إمارة على تسيير الحج أو على إقامته ، والإمارة التي تولاها أبو أحمد الموسوي وولده الرضي كانت تجمع بين الأمرين لأنهما كانا إذا تخلفا عن الركب أنابا عنهما من يحج بالناس[2] .

وتسيير الحج ولاية سياسية ، تقتضي تدبيرا لأمر القافلة قبل الرحلة ، وتأمين السبل لها ، ويشترط في أميرها أن يكون مطاعا شجاعا صاحب رأي وهيبة وهداية ؛ لأنه بمثابة الخليفة في القافلة طيلة أيام الحج ، يقيم حدود الله ، ويقضي بين الناس ويدبر لهم ما يحتاجون اليه ، وكذلك فإن الولاية على إقامة الحج تقتضي من صاحبها فقها في الدين ، وبَصَرا بشعائر الحج ، وأن يكون قدوة صالحة للناس[3] .

ولم يكن الإعداد للحج ، ورعاية القافلة في الرحلة ، وأداء الشعائر ، ثم العودة إلى بغداد ، لم يكن هذا كله سهلاً ، لاضطراب أحوال الدولة ، وتنازع السلطة على الحرمين الشريفين بين الخلافة العباسية في بغداد ، والخلافة الفاطمية في القاهرة والقرامطة في هَجَر ، وتجد أمثلة واضحة لأثر ذلك على الحج في أخبار سنوات ٣٦٠ ، ٣٦٥ ، ٣٧٠ ، ٣٩٦ هـ[4] ، كما كان الأعراب من بني هلال وبني سليم وبني خفاجة وغيرهم ، يعترضون قوافل الحجاج وينهبونها ، ويمنعون الناس من مواصلة الرحلة ، بل وصل بهم الأمر إلى أسر الحجاج واسترقاقهم ، وفرض ضريبة عليهم ، كما

---

(١) الدرجات الرفيعة ٤٧٣ ، روضات الجنات ٥٤٨ .

(٢) المنتظم ٧/١٥٣ ، الكامل ٩/٧٨ .

(٣) انظر الأحكام السلطانية للماوردي ٩٣ ، ٩٤ .

(٤) المنتظم ٧/٥٣ ، ٨٠ ، ٨١ ، ١٠٥ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، الكامل ٨/٦٦٧ ، ٩/٩ .

كانت العوامل الطبيعية من رياح ورمال وفقد ماء سببا في هلاك بعض الحجاج ، أو ردهم عن الطريق ، وقد ساق ابن الجوزي وابن الأثير أخبارا محزنة لكل هذه الأمور في حوادث سنوات : ٣٥٥ ، ٣٥٧ ، ٣٦١ ، ٣٦٤ ، ٣٧٩ ، ٣٨٤ ، ٣٨٩ ، ٣٩٢ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥ ، ٣٩٧ ، ٣٩٩ ، ٤٠١ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣ ، ٤٠٥ هـ[(١)] .

تلك كانت ظروف الحج في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري وبداية القرن الخامس ، وهي الفترة التي باشر فيها الأمر بيت أبي أحمد الموسوي ، ومن هذا يتبين جسامة المهمة التي توضع في عنق أمير الحاج .

وليس فيما بين يدي من كتب التاريخ وشعر الرضي ، ما ينبئ عن أنه خرج مصاحبا لقافلة الحج أميرا لها ، وإنما كان يدبر أمرها ، ثم يقوم بإمرة الحاج نيابة عنه علوي آخر ، وكان الرضي في بعض هذه السنوات مستخلَفا عن أبيه في إمارة الحاج ، أما حين أصبح أميرا للحاج أصالة ، منذ سنة ٣٩٧ هـ إلى وفاته ، فلم تذكر المراجع التاريخية ولا الديوان خروجه إلى الحج في هذه السنوات ، وكان أمير الحج في سنوات : ٣٩٦ ، ٤٠٠ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣ هـ أبا الحارث محمد بن محمد بن عمر العلوي[(٢)] ، وفي سنوات : ٤٠٤ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦ هـ أبا الحسن محمد بن الحسن بن الأقْسَاسيّ[(٣)] ، ولم يرد في المراجع خبر عن حج سنة ٣٩٨ هـ ، أما سنتا : ٣٩٧ ، ٣٩٩ هـ ، فقد اعتاق الأعراب الحاج[(٤)] ، وأما سنة ٤٠١ هـ فلم يحج أحد من أهل العراق[(٥)] .

وتخبرنا المراجع وديوان الرضي أنه حج مرتين سنة ٣٨٩ هـ وسنة ٣٩٣ هـ ، أي

---

(١) المنتظم ٣٣/٧ ، ٤٣ ، ٥٧ ، ٧٤ ، ١٤٧ ، ١٧٤ ، ٢٠٦ ، ٢١٩ ، ٢٢٧ ، ٢٢٩ ، ٢٣٤ ، ٢٤٤ ، ٢٥٢ ، ٢٥٧ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٨ ، والكامل ٥٧٤/٨ ، ٦٩/٩ ، ١٠٥ ، ١٨٢ ، ٢٠٥ ، ٢٢٦ ، ٢٣٦ ، ٢٤٥ .

(٢) المنتظم ٢٣٠/٧ ، ٢٤٧ ، ٢٥٧ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، الكامل ٢٣٦/٩ .

(٣) المنتظم ٢٦٧/٧ .

(٤) المنتظم ٢٣٤/٧ ، ٢٤٤ ، الكامل ٢٠٥/٩ .

(٥) المنتظم ٢٥٢/٧ ، الكامل ٢٢٦/٩

في الوقت الذي لم يكن فيه أميرا مستخلَفا عن أبيه ، أو أميرا بالأصالة ، وكان أمير الحج في المرة الأولى أبا الحارث محمد بن محمد بن عمر العلوي أيضا [1] ، وقد سكتت المراجع عن الحج في المرة الثانية .

وولاية المظالم التي وليها السريف الرضي ، مستخلفا عن أبيه من سنة ٣٨٠ ﻫ إلى سنة ٣٨٤ ﻫ ، ولاية تشريعية وتنفيذية ، ومهمتها « قود المتظالمين إلى التناصف بالرهبة ، وزجر المتنازعين عن التجاحد بالهيبة ، فكان من شروط الناظر فيها أن يكون جليل القدر ، نافذ الأمر ، عظيم الهيبة ، ظاهر العفة ، قليل الطمع ، كثير الورع »[2] .

وهذه صفات مَن جمع إلى الفقه والعلم ، السيادةَ والرفعة ، وعلوَّ البيت وصفاء الشِّيَم . وتولِّي أبي أحمد الموسوي وولديه الرضي والمرتضى لها ، يدل على منزلة هذا البيت الاجتماعية ، وعظيم محله في قلوب الناس .

أما خلافة الرضي لبهاء الدولة في مدينة السلام سنة ٣٨٨ ﻫ ، فهي منصب جليل يلتزم في صاحبه القدرة على سياسة الرعية ، والكفاءة في التوفيق بين الديلم والأتراك ، وبين الشيعة والسنة ، وفي الأخذ على يد الدّعَّار والشطار والعيَّارين ، وحسم الفتن في المدينة المضطربة . والناظر في كتب التاريخ خلال النصف الثاني من القرن الرابع الهجري وبداية القرن الخامس ، يرى أن الفتن بين السنةوالشيعة لم تهدأ خلال السنوات ٣٥١ ـ ٣٦٢ ، ٣٧١ ، ٣٨٠ ، ٣٨٩ ، ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٣٩٨ ، ٤٠٢ ، ٤٠٦[3] ﻫ ، كما يرى أن نشاط العيارين ازداد خلال السنوات : ٣٦١ ، ٣٦٤ ، ٣٨٠ ، ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٣٩٨[4] ﻫ ، كما قامت فتن أخرى ببغداد في سنوات : ٣٦٢ ، ٣٧٥ ،

---

(١) المنتظم ٢٠٦/٧ ، وهي المرة التي اعتاق فيها ابن الجراح الطائي الحاج فأعطاه الشريفان : الرضي والمرتضى ، تسعة آلاف دينار من أموالهما .

(٢) الأحكام السلطانية ٦٤ .

(٣) المنتظم ٧/٧ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٩ ، ٢٣ ، ٣٣ ، ٣٨ ، ٥١ ، ٥٣ ، ٥٧ ، ١٠٧ ، ١٥٣ ، ٢٠٦ ، ٢٢٠ ، ٢٢٢ ، ٢٣٧ ، ٢٥٤ ، ٢٧٦ ، الكامل ٥٤٢/٨ ، ٥٤٩ ، ٥٥٨ ، ٥٨٩ ، ٦٠٠ ، ٦١٩ ، ١٥/٩ ، ٧٦ ، ١٥٥ ، ١٧٨ ، ٢٠٨ ، ٢٦٣ .

(٤) المنتظم ٧٤/٧ ، ٧٥ ، ١٥٣ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٣٧ ، والكامل ٦١٩/٨ ، ١٧٨/٩ .

٣٧٦ ، ٣٧٩ ، ٣٨٣ ، ٣٩١ ، ٣٩٢[1] هـ . ولم يقتصر الأمر على فتن الطوائف ، وانما انتشر الغلاء وعانَى الناس من الجوع والتشرد والأمراض ، وتجد صورا مؤسفة لكل هذا في حوادث السنوات : ٣٥٨ ، ٣٦٤ ، ٣٧٣ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ ، ٣٨٢ ، ٣٨٣ ، ٣٩٣ ، ٣٩٧ هـ[2]

وقد بُلِيَ الرضي بمعاناة هذا كله ، نقيبا للطالبيين ، وخليفة لبهاء الدولة في بغداد ، فقام بالمهمتين خير قيام ، وأدى هذا الى أن تسود قصائده نغمة بين الفخر والشكوى ، والاقبال على محافل السياسة ومراكز السطوة والصد عنها ، مما أثرى شعره بعواطف جياشة ، ومعان سامية رفيعة .

كسب الرضي :

كان أبو أحمد ، والد الرضي ، عظيم المكانة في بغداد ، لدى الخلفاء العباسيين والملوك البويهيين ، نقيباً للعلويين ، أميراً للحج ، والياً على المظالم ، سفيراً بين الملوك ، وكان بيته بهذا مثابة للعظماء ، والوزراء . ورجل على هذا القدر من الجلال والمشاركة في سياسة الدولة لا بد أن يكون من الغنى وثراء الحال بالقدر الذي تبلغُه هذه المكانة السياسية .

وقد نشأ الرضي في هذا البيت الثري ، حتى إذا قبض عضد الدولة على أبيه وصادر أملاكه ، والفتى في العاشرة من عمره ، تغيرت الحال بالأسرة ، فقد اعتادت حياة النعيم والترف على مستوى رفيع ، ولا يمكن تبديل الحال بين عشية وضحاها ، وأحس الرضي بعبء الحياة ، وأدرك حرص أمه على أن تحفظ للبيت هيبته ، بما ورثته من أموال عن أسرتها ، ولكن ذلك لم يكن كافياً ، كما يبدو من قول الرضي في قصيدته التي بعث بها إلى أبيه قبل عودته إلى بغداد بعد فك إساره ، وكان الرضي

---

(١) المنتظم ٥٩/٧ ، ٦٠ ، ١٢٧ ، ١٧٢ ، ٢١٩ ، والكامل ٤١/٩ ، ٤٦ ، ٤٩ ، ٦٣ ، ١٠٠ ، ١٦٨ .

(٢) المنتظم ٤٧/٧ ، ٧٦ ، ١٢١ ، ١٣٢ ، ١٣٦ ، ١٤١ ، ١٧٠ ، ١٧٢ ، ٢٢٢ ، والكامل ٣٧/٩ ، ٥١ ، ٥٦ ، ٩٤ ، ١٠١ ، ٢٠٤ .

في السادسة عشرة من عمره :

أكْدَتْ عليَّ الأرضُ مِن أطرافِها ... وتَدَرَّعتْ بمَدارِعِ الإظْلامِ
وعَهِدْتُها خضراءَ كيف لَقِيتُها ... أبْصَرْتُ فيها مَسْرَحاً لسَوَامِي
أشكو وأكتُم بعضَ ما أنا واجِدٌ ... فأعافُ أن اشْكُو من الإعْدامِ
وإذا ظَفِرت من المناقبِ بالمُنَى ... أهْوَنْت بالأرْزاق والأقْسامِ

وهذا يفسر فرحة الرضي برد أملاك أبيه إليه ، فقد عاد إلى البيت عزه القديم وثراؤه الكبير . ولكن الفتى يكبر ، وتنزع نفسه إلى المناصب ، فينال وهو في الثانية والعشرين النقابة ، ويُعْزَل عنها ، وتُرَدُّ إليه ، ويصبح أميراً للحج ، ووالياً على المظالم ، وتدور به دورة الحياة السياسية بين ولاية وعزل ، ووفاق ، ومخاصمة ، ورضاء وسخط ، والمناصب السياسية لا تدوم ، وهي حين تأتي تحمل المرء على مظاهر لها تكاليفُها ، وحين تذهب لا تضعُ عن كاهلِه هذه التكاليف ، ولذلك كان حظُّ الرضي الذي اشتغل بالسياسة ، من اليُسْرِ ، مُتقلّباً ، بينما كان حظ المرتَضى ، الذي اشتغل بالعلم عظيماً[1] لأن الثاني ثمَّر ماله الذي ناله من والده ووالدته في حياتهما وبعد وفاتهما ، أما الرضي فإن تقلُّب الحياة السياسية به ، لم يدع له يُسْراً يستمر ، ولهذا دهش أستاذ له حين علم أنه يقيم في دار أبيه ، فأهداه داراً ، وهذا أيضاً يفسر ما يرويه الصَّفَدِيُّ وابن الجَوْزِيِّ عن الشاعر الضالع قال : مدحت الرضي بقصيدة ، فبعث إليَّ بتسعة وأربعين درهماً . فقلت : لا شك أن الأديب خانني . ثم أجزت بسوق العروس فرأيت رجلاً يقول لآخر : أتشتري هذا الصحن ، فإنه أخرج من دار الرضي أبيع بتسعة وأربعين درهماً ، وهو يساوي خمْسة دنانير . فعلمت أنه كان وقته مضيقاً ، فأباع الصحن ، وأنفذ ثمنه إليَّ[2] .

وقد عبر الرضي عن فترات الإضاقة التي كانت تعرِض له في الظروف السياسية السيئة ، في رثائه لوالدته التي توفيت سنة ٣٨٥هـ ، بعد عَزْلِه عن النقابة في المرة

---

(١) انظر مقدمة التحقيق لديوان الشريف المرتضى ٥١ .

(٢) الوافي بالوفيات ٣٧٩/٢ ، المنتظم ٢٧٩/٧ ، ٢٨٠ .

الأولى بسنة واحدة ، عبَّر عن الإضاقة بقوله :

وَمِن المُمَوِّلُ لي إذا ضاقتْ يـــدي ومَن المُعَلِّلُ لي من الأدْواءِ

ويبدو أن فترات الإضاقة كانت تُلِمُّ به قليلاً ، وأن اليسر كان أغلبَ عليه ، خاصة بعد أن توطدت صلته ببهاء الدولة ، فقد افْتَدى الرضيُّ والمرتضى نفسيهما سنة ٣٨٩هـ بتسعة آلاف دينار من ابن الجرَّاح الطائي ، حين اعترض طريقهما في الحج[1] ولا يدفع هذه الفدية إلاَّ مَيْسور .

الرضي والخلافة :

قضية طموح الرضي إلى الخلافة لا يمكن فصلها عن مسيرة المجد لديه ، وهذه المسيرة تنتظم حياته كلها . ولا أكون مبالغاً حين أقول : إنها تكاد تنتظم شعره كله . ومن هنا كان عسيراً أن نسير في عرض هذه القضية دون أن ننظر في شعره جميعه .وفي علاقات الرضي السياسية ، بل وفي علاقاته بأسرته وأصدقائه بيانُ الكثير في هذا الأمر ، وسأحاول هنا إقامة الجسور بين هذه الأشياء .

وقد فتح الرضي عينيه على حدث سياسي ، هو اعتقال والده عندما بلغ هو العاشرة من عمره ، فليس عجيباً أن يبدأ الرضي مسيرته منذ ذلك التاريخ فيقول :

المجدُ يعلمُ أن المجدَ من أَرَبِـــــي ولو تماديْتُ في غَيٍّ وفي لَعِبِ

وقد بكَّر المجدُ لدى الرضي ، وبدأت معالمه تتضح منذ كان في الخامسة عشرة :

ولي أملٌ من دون مَبْرَكِ نِضْـــــوه يُقَلْقِـلُ أثْبَاجَ المَطِيِّ البَـــوارِكِ

وتبرق في هذه السن بوارقُ الأمل في عودة أبيه من منفاه ، فيرى نفسه صورة منه :

تَشابَـهُ أيـامي بـه فكأنَّمـــــا أوائلُها مَمْزوجةٌ بالأواخــــرِ

ويتخيل والده خليفةً للمسلمين ، كأنما بدأ حلمه يتجسد في أبيه :

إذا ذكروه للخلافةِ لم تـــــزَلْ تَطَلَّعُ من شَوْقٍ رِقابُ المنابـرِ

لعلَّ زمانـاً يَرْتَقِي دَرجاتِهـــــا بأَرْوَعَ من آلِ النبيِّ عُـــراعِـرِ

وجنون الفتى بالمجد جعله يفْجَأُ والده ، وهو يهنئه بعوده إلى بغداد سنة ٣٧٦هـ

---

(١) المنتظم ٢٠٦/٧ .

بهذه الأبيات :

طلبتَ لنفسِك فاطْلُبْ لنا ... من العزِّ إن المُحامي طَلُوبُ
وإن كنتَ تأْنَفُ مِن حُبِّه ... فإنَّ العَلاءَ إلينا حبيبُ
وما نحنُ أنتَ وكلٌّ إلى ... دُعاءِ العُلا طَرِبٌ مُسْتَجِيبُ

وفي هذه السن يؤرقه أمله فلا ينام ، وإنما يشغله التفكير في فَعْلَةٍ عظيمة :

لَيْلِي ببغدادَ لا أَقَرُّبه ... كأنني فيه ناظرُ الرَّمِدِ
يَنْفِرُ نَومِي كأنَّ مُقْلَتَه ... تُشْرَجُ أَجْفَانُها على ضمدِ
أُفكِرُ في حالةٍ أُطاولُها ... وفَعْلَةٍ تخضِبُ القَنَا بدَمِي

ويجد الرضي طريقه إلى أمله حين يتصل بالطائع لله ، ويعدّ نفسه سنة ٣٧٧هـ أحد المدافعين عن سلطانه :

فلستُ ابنَ أُمِّ الخيلِ إن لم أَعُدْ بها ... عَوابِسَ تأْبى الضَّيْمَ مثلَ إبائِي
وأُرْجِعُهَا مَفْجوعةً بحُجُولِها ... إذا انْتَعَلتْ من مَأْزَق بدماءِ
إلى حَيٍّ مَن كان الإمامُ عَدُوَّه ... وصَبَّحَه من أمرِه بقَضاءِ

هذا أمام الطائع لله ، فإذا ما خرج من مجلسه ارْتَجز :

ستعلمون ما يكونُ منِّي
إن مَدَّ مِن ضَبعَيَّ طَوْلُ سِنِّي

ومما يجلو هذا التحمُّس الذي يملأ على الرضيِّ أقطارَه ، قوله :

أرى نَفْسِي تتوقُ إلى النجومِ ... سأحملها على الأمرِ العظيمِ

ويتبع هذا بقوله في أثناء القصيدة :

وعن قُرْبٍ سيشغلُني زماني ... برَعْي الناسِ عن رَعْيِ القُرومِ
ومالي من لقاءِ الموتِ بُدٌّ ... فمالي لا أشُدُّ له حَزِيمِي
سألتمسُ العُلَا إمَّا بعُرْبٍ ... يُرَوُّون اللَّهاذِمَ أو بِرُومِ
ولو أني أُعِنْتُ بآل عُكْلٍ ... رغبتُ عن الذَّوائِب من تميمِ

وقد التمس الرضي المجد ـ كما قال ـ بكل طريق ، ورأى أن السطوة الغالبة

بيد غير العرب من البويهيين الذين تسلطوا على مقادير الأمور ببغداد ، فاتجه إليهم حيث خاطب بهاء الدولة بقوله :

فيا مُنْبتي هل أنتَ بالعزِّ مُورِقِي ... حَنانَيْك كم أبقَى وقد طال مَنْبتِي
أما كمُلتْ عند الخطوبِ تجاربي ... أما خلُصتْ عند الأمورِ رَوِيَّتِي
أما أنا موزونٌ بكلِّ خليفةٍ ... أرى أنفاً من أن يكون خليفتِي

وهكذا يكشف الرضي اللثام عن غرضه ، في قصيدة فخرية لا يخص بها أحداً بعينه ، ولكنها بما حملته الأبياتُ السابقة متجهة إلى الملك البويهي في ذلك الوقت بهاء الدولة ، وهو السلطة الحقيقة ، التي تولي الخلفاء وتعزلهم ، والخليفة الذي يأنف الرضي من أن يكون خليفته في ذلك الوقت . هو الطائع لله .

وقد أقبلت سنة ٣٨١هـ ، وهي تحمل الكثير لأُمْنية الرضي ، فهذا صديقه أبو إسحاق الصابي . كاتب ديوان الخلافة . وهو من خبر الدول ، وعرف الناس ، ينبئه أن فراسته الصادقة ترشحه للخلافة :

أبا حسنٍ لي في الرجالِ فِراسةٌ ... تعودَّتُ منها أن تقول فتصدُقَا
وقد خبَّرتْني عنك أنك ماجدٌ ... سترْقَى من العلياءِ أبْعَدَ مُرْتَقَى

ويذكر ابن عنبة وابن معصوم ، أن الرضي كان يُرَشَّح للخلافة ، وأن الصابي كان يُطمِعه فيها . ويزعم أن طالعه يدل على ذلك[1] ، كما يذكر الخوانساري أنه كان شح للخلافة . بل كان منتظراً لها صباحاً ومساء ، حتى خاطبه الشعراء بالتهنئة بها . منهم أبو إسحاق الاديب الصابي[2] » . وكان من بين ما أقبلت به سنة ٣٨١ على الرضي خَلْعُ بهاء الدولة للطائع لله ، وتنصيبُه القادر بالله مكانه . وقد حاول الرضي أن يبدأ بداية حسنة مع القادر بالله ، فمدحه حين جلس على سرير الخلافة ، ومحا ما قاله من قبل عن العباسيين بقوله في مدحته :

مِن معشرٍ وَسَمُوا الزمانَ مَنَاقِباً ... تبْقَى بقاءَ الوَحْيِ في الأطْراسِ

---

(١) عمدة الطالب ٢١٠ . الدرجات الرفيعة ٤٧١ .

(٢) روضات الجنات ٥٥٠ .

مُتَرادِفين على المكارمِ والعُــــلا   مُتسابقين إلى النَّــدَى والْبـــاسِ
حَطَمُوا أُنُـوفَ الخالِعين وذَلَّلُــوا   مِن كلِّ أرْوَعَ بالْقَنَــا دَعَّــاسِ

ولكن الرجلين لم يلتقيا . فانطلق الرضي في سبيله :

دَعْني أُخاطر بالحيــاةِ وإنمــا   طَلَبُ الرجالِ العِزَّ ضَرْبُ قِداحِ
إمَّا لقاءُ الْمُلْـكِ قَسْـراً أو كمـــا   لَقِيَ ابنُ حُجْرٍ من يَدِ الطَّمَّـاحِ

وبدأ ينذر بثورته :

إذا غدا الأُفُقُ الغربيُّ مُخْتَمِـــراً   من الغُبارِ فظُنُّوا بي وظُنُّــوني
فإن أُصَبْ فمقاديرٌ مُحجَّـــزَةٌ   وإن أصِبْ فعلى الطَّيْرِ المَيَامِـين

ولقد ساءت الأحوال بين الرضي والقادر بالله في السنة التالية، سنة ٣٨٢هـ بسبب الأبيات التالية :

ما مُقامي على الهَــوانِ وعنــدي   مِقْـوَلٌ صارِمٌ وأَنْـفٌ حَمِـيٌّ

وكانت صرخته تلك تنفسياً عن شَجَنٍ غذَّاه الصابي حين كتب إليه قبل موته بأيام يذكِّره بأحَقِّيته في الخلافة :

ألستَ لها بعـد الوَصِيِّ وآلِـــه   وأنتم أناسٌ فيكمُ المجدُ قد قَطَنْ
ولكنَّ هذا الدهرَ جارَ عليكـــمُ   وبالَغَ حتى في الكُنَى لكمُ مِحَنْ
يُجاذِبُكم عَلْيَاءَهَا كـلُّ حاسـدٍ   به مَرَضٌ بين الْحَيَازِمِ قد كَمَنْ

وكانت فرصةً سنحت للقادر بالله ، لينْتصف لنفسه . فعَرَّى ظهرَ الرضي عن منصبه بتهمة الخيانة السياسية ، لرغبته في اللجوءِ إلى العدو الفاطمي في مصر ، ولم تحمل قصيدة الرضي إلا دفعة وجدانية متحمسة ، فلم تتحدث المصادرُ التاريخية عن صلة وثيقة أو وَاهِية للرضي بالخلافة الفاطمية في مصر ، ولكن كيف يستطيع القادر بالله أن يسكت على رجل ينذره بالثورة ، أينتظر القادر بالله حتى يطأ الرضي سريره ، وينتزع ملكه ! !

ولقد استقبل الرضي بعد هذا وحتى سنة ٣٨٨هـ سنين عِجافاً من الصراع النفسي والعداوة مع القادر بالله ، فلما بدأت الدنيا في الابتسام له بنيابته عن بهاء الدولة في

بغداد سنة ٣٨٨هـ ، راح يُعِدُّ للوصول إلى بُغْيته إعداداً عملياً ، فحج سنة ٣٨٩هـ وبدأ صلته ـ في الظن الغالب ـ بأبي العوّام البدوي ، واتخذه داعية له يؤلف القلوب حوله ؛ ليكون سنده عندما يختمر الأفقُ الغربي بالغبار ، وحرص على نموِّ علاقته ببهاء الدولة خالعِ الخلفاء ومُولِّيهم ، كما حرص على نموِّ علاقته بوزرائه وخاصة الموفق ، الذي بلغ من علو منزلته وتحكمه في الأمور ، أن قال أحد جلساء بهاء الدولة له : « زيَّنك الله يا مولاي في عين الموفق » فراح الرضي يتقرب إليه برغبته في البناء على ابنته ، وكتب إليه سنة ٣٩٠هـ:

لقد كنتُ أرجو أن تكون ذَرائعِي	إلى غيرِكم حيثُ العُلا واكْتسابُها
فهذِي المعالي الآن طَوْعَى لأمرِكم	وفي يدِكم أرْسانُها ورقابُها
إذا لم أُرِدْ في عزِّكم طلبَ العُلا	ففي عِزٍّ مَن يُجْدِي عليَّ طِلابُها
ولَوْلاكُمُ ما كنتُ إلاَّ بباحَةٍ	من العِزِّ مضروباً عليَّ قِبابُها
أجوبُ بلادَ اللهِ أو أبلغُ التي	يسوءُ الأعاديَ أن يَعُبَّ عُبابُها

وكان من بين الذين يعتمد عليهم الرضي في شمال البلاد بنو عقيل في الموصل وكان أميرهم أبو حسان المقلد بن المسيب صديقاً له ، فلما قتله غلمانه أدرك الرضي أن ركيزة من ركائزه هدمت ، فرثاه رثاء قوياً ، قال فيه معبراً عن تطامنه لأحداث الزمان في صفر سنة ٣٩١هـ :

فقُلْ للَّيالي بعدَهم هاكِ مِقْوَدي	تَقضَّى إبَابي فاصْدُري بيَ أو ردي
ودُونك مِن ظهري وقد غال أُسْرتي	طريقُ الرَّدَى ظَهْر الذَّلُولِ المُعَبَّدِ
بأيِّ يدٍ أرْمِي الزمانَ وساعدٍ	وكانوا يَدِي أعطيتُها الخَطْبَ عَنْ يَدِ

ولقد كان المأمول ـ والرضي قد سلك الطريق الجَدَد إلى بغيته ـ أن يستعصم بالصبر ، وأن يتريَّث حتى تنجح خطته ، ولكنه كان متلهفاً متعجلاً ، وينبىء عن هذا قوله في ذي القعدة سنة ٣٩١هـ:

أستعجلُ الأمرَ وحظِّي رائثٌ	نفسٌ أُرَجِّي أبداً خِداعَها

وقد بدأت آمال الرضي تتراجع في الخلافة بعد أن توطدت دعائم الخلافة للقادر

بالله ، وشُغِل بهاء الدولة عن ذلك كله بحروبه خارج بغداد ، وحينما فكر بهاء الدولة أن يتولى بنفسه سنة ٣٩٤هـ تعيين النقيب وأمير الحاج والقائم على المظالم ، أسند ذلك كله إلى أبي أحمد الموسوي والدِ الرضي .

ولعل هذا مما جعل اليأس يدب إلى نفسه ؛ فإن النقابة لم تعد إليه ، وإنما أُنيطت بأبيه ، وقد عبر عن يأسه هذا ، حين قال عند خروجه إلى واسط لتلقي والده ، وقد عاد من فارس سنة ٣٩٥هـ :

قد قلتُ للنفسِ الشّعاعِ أضُمُّهـــا   كم ذا القِراعُ لكلِّ بابٍ مُصْمَتِ
قد آن أنْ أعصَى المطامعَ طائعـــاً   لليأسِ جامعَ شَمْلِيَ المُتَشَتِّـــتِ

فإذا ما اضفنا إلى ما سبق أن قصائد الرضي في رثائه ابن ليلى منذ قتل سنة ٣٩٣هـ مليئة ببكاء الآمال التي ذهبت ، والتحسر على فقدِه الناصر والمعين ، أدركنا إلى أي مدًى بدأ دَسْتُ الخلافةيتوارَى أمام عينيه ، وتقوم مقامه نظرة واقعية إلى الظروف السياسية التي يعيشها .

وقد بدأ الرضي مرحلة جديدة بتولِّيه النقابة وإمارة الحج سنة ٣٩٧هـ ، ولم يكن قد تخلص في ذلك الحين ، حتى بعد تولِّيه النقابة ، من روح الضجر واليأس التي ألمت به ، حيث يقول في شوال سنة ٣٩٧هـ :

إلى أين مَرْمَى قصدِهـــا وسُراهـــا   رمى اللهُ مِن أخْفافِها بوَجاهَا
هو اليأسُ فليحبسْ هبابَ رِقابِهـــا   كما كان مغرورُ الرجاءِ حُداهَا

وهي قصيدة مليئة بالضيق والضجر بمن يأمل مدحه ، ويرجو قريضه .

وتحس منذ ذلك الحين أن أطماع الرضي في الخلافة توارت تماماً ، وأنه بدأ يعايش واقعه ، فيرضى بما يقدمه له بهاء الدولة بين حين وآخر ، من تكرمةٍ بلقب ، أو زيادة في المنصب ، بل إن الرضي علَّق مصيره بمصير بهاء الدولة ، وتدرك من إشفاقه عليه في مرضه ، وتتابع مدائحه له ، أن الرضي بدأ يُخْلِي القمةَ التي ملكت عليه وجدانه في السنوات الفائتة ، ويُطامِن من الأمل الذي أقلق جوانحه ، وأقضّ مضاجعه ، حتى إذا قضَى بهاء الدولة ، قضت آمال الرضي بموته ، ويمثل حالَه أصدق تمثيل في

ذلك قوله :

لم يبقَ عندي من الإباء سِوَى النَّـــ ـــظْرةِ مُحْمَـرَّةً من الغَضَـــبِ
وعَضٍّ كفِّي على الزمانِ من الغَيْـــ ـــظِ وشكوَى وقائعِ النُّــوَبِ
أو زَفْرةٍ تحسبُ الضلـوعَ لهـــا أُطُرَ قِسِيٍّ يَرْمِين باللَّهَـــبِ
مضَى الرجالُ الأُلَـى مُذِ افْترقُـوا عنِّي صار الزمانُ يلعبُ بـِي
أقول لمَّـا عدمـتُ نُصْرتَهـــم وَالَهْـفَ أُمِّـي عليكُـمُ وأبـي

كما يمثله قوله :

ولمَّـا بدا لي أن ما كنتُ أرْتَجِــي من الأمرِ وَلَّى بعد ما قلتُ أَقْبَلا
تَلوَّمْتُ بينَ اللَّوْمِ والعُـذْرِ ساعـةً كذي الورد يرمى قبلَ أن يتبَدَّلَا

ويتضح مما تقدم ، أن الخلافة كانت الحلم الذي تبلور في وجدان الرضي ، ومضت عليه مسيرة جهاده في حياته كلها ، ولقد بدأ أمل الشاب مجداً غير محدود الأرجاء في فُتُوَّته ، ثم بدأ يصرِّح به في شبابه خلافةً للمسلمين ، وإن ألقى رداءها على أبيه أولاً ، تعظيماً له وحياء منه ، ثم استعلن برغبته حين رأى البويهيين يخلعون ويولون الخلفاء ، وأدى هذا إلى جفوة بينه وبين القادر بالله ، يقابلها وُدٌّ وتقرب من بهاء الدولة وأهل دولته ، ثم عمل الرضي لنيل الخلافة ، تشجعه فَراسة الصابي ، وتسنده نصرة ابن ليلى في البادية وصداقة العقيليين في الشمال ، ولكن ذلك كله يبدأ في التراجع مع موت الصابي ، وقتل ابن ليلى ، واضطراب أمر العقيليين بعد مقتل أبي حسان أميرهم وصديقهِ ، وانشغال بهاء الدولة بحروبه خارج بغداد ، ثم توليته أباه أبا أحمد الموسوي النقابة والحجَ والمظالِم ، وتُطِلُّ سنة ٣٩٧هـ على الرضي بمسيرة جديدة ، يتولى فيها النقابة والحج ، ثم تتتابع ألقاب التكريم عليه ، ويرتفع في مناصبه حتى ينظر في أمور الطّالبيين بجميع البلاد ، وتحس من الرضي نوعاً من القناعة بما وصل إليه ، وحرَصاً على وليٍّ نعمته ، فإذا ما ولّى ولت معه النعمة ـ في نظر الرضي على الأقل ـ وإن بقيت له صفتها الرسمية ، ويستقبل الرضي أياماً يرغب فيها عن الحياة حتى تفارقه في المحرم من سنة ٤٠٦هـ.

ثقافة الرضي

تطالعنا في وقت مبكر من حياة الرضي الثقافية قصتان طريفتان :

الأولى : ذكرها أبو الفتح عثمان بن جني في بعض مجاميعه ، قال : إن الشريف الرضي أُحضر الى ابن السِّيرافي النحوي وهو طفل جدا لم يبلغ عشر سنين ، فلقَّنه النحو وقعد معه يوما في حلقته ، فذاكره بشيءٍ من الإعراب على عادة التعليم ، فقال له : إذا قلنا « رأيت عمرو »[1] فما علامة النصب في عمرو ؟ فقال له الرضي : بغضُ عليّ . فعجب السيرافي والحاضرون من حدة خاطره .

والثانية : قصة الرؤيا التي أريها الشيخ المفيد[2] ، حيث رأى فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، وهي تدخل عليه مسجده ، وتدفع إليه بولديها الحسن والحسين ليعلِّمهما الفقه ، فلما انتبه من نومه ، وجلس في حلقته ، دخلتْ عليه فاطمة بنت الناصر ، ودفعت إليه بولديها الرضي والمرتضى ليعلمهما الفقه . وتذكر الرواية أن الرجل بكى ، وقص رؤياه على الناس .

---

(١) هكذا ذكر ابن خلكان ٤١٦/٤ ، وهو أقدم من ذكر القصة ، على أن المراد « عمرو ابن العاص » ، وقد اعتاد النحويون التمثيل بزيد وعمرو ، وتبعه على هذا ابن الوردي في تاريخه ٦٢٧/١ ، وأكد أن المراد ، عمرو بن العاص بقوله : « أشار إلى عمرو بن العاص وبغضه لعلي » ، كما زاد هذا القول توثيقا أبو الفدا في تاريخه ١٤٥/١ حيث أورد القصة ، وعقب عليها بقوله : « أراد السيرافي النصب الذي هو الإعراب . وأراد الرضي الذي هو بغض علي ، فأشار إلى عمرو بن العاص وبغضه لعلي ، وأورد ابن حجر القصة في لسان الميزان ١٤١/٥ كما أوردها ابن خلكان . واللفظ فيه « عمرو » أما الصفدي في الوافي بالوفيات ٣٧٥/٢ ، وابن العماد في شذرات الذهب ١٨٢/٣ . والخوانساري في روضات الجنات ٥٤٧ وابن معصوم في الدرجات الرفيعة ٤٦٨ : فقد جاءت اللفظة لديهم « عمر » على أن المراد عمر بن الخطاب رضي الله عنه . وربما كان هذا خطأ في النسخ أو الطباعة ، وربما كان وهما سبق الى الأذهان للنكتة النحوية في منع صرف الكلمة ولو كانت اللفظة صوابا لم يكن جواب الرضي سديدا . لأن شيعة علي رضي الله عنه إنما يذكرون بغض عمرو بن العاص له ، ولم يذكر أحد أنه قامت بين عمر وعلي رضي الله عنهما مثل هذه البغضاء التي استمرت تذكر على مدى الأيام .

(٢) تقدمت في صفحة ١٩

هاتان القصتان تثيران الانتباه ، وتدلان على أمرين :

الأول : أن الرضي دُفع إلى مجالس كبار العلماء في سن مبكرة جدا ، فقد جلس إلى ابن السيرافي الذي كان من أعلم الناس بمذهب البصريين ، وهو دون العاشرة وجلس إلى الشيخ المفيد ، شيخ الإمامية وعالمها بعد أن جاوزها بقليل ، وهذا يدل على مبلغ كرامة أسرته وإعزازها عند العلماء ، وعلى فطانته وقدرته المبكرة على تلقِّي العلم ، والجلوس إلى كبار العلماء .

والثاني : تمثُّل الرضي للثقافة التي تلقَّاها ، فقد استطاع أن يلقفَ بسرعة ما يهتم له الشيعة من إعظام مكانة أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ، وحشد كل المعارف التي دارت حوله ، وبيان موقفه من الصحابة وموقف الصحابة منه ، وتلقين ما يعتقدونه صحيحا من ذلك للنشئ ، ويدل خبره مع ابن السيرافي على أنه قد تمثَّل ذلك تماما ، بل إنه ليدل على حدة خاطره كما قال ابن جني ، فكثير من نشئ الشيعة يحفظ كل هذه المعارف ولكنك لا تجد من يستطيع في هذه السن أن يستفيد منها في موقف كهذا ، وتدفعه حدة خاطره إلى أن يظن أن شيخه يعني أمرا من أمور الخلاف بين السنة والشيعة ، فيجيب بهذا الجواب المُسْكِت .

ولا أظن أن الرضي أتيح له أن يجلس في حلقة ابن السيرافي وهو دون العاشرة ، وفي حلقة المفيد وهو فوقها ، إلا بعد أن يكون قد لقف من العلم ما يستطيع به أن يفهم عنهما ، فلم تكن الدراسة لدى هذين الشيخين في أوليات العلوم ، وإنما كان يأخذ عنهما العلماء فمن دونهم ، وهذا يؤكد ما قلته من قبل من أن الرضي بدأ حياته الثقافية في وقت مبكر جدا .

وقد استطاع الرضي أن يدلنا على كثير من أساتذته أثناء نقله عنهم ، أو ذكرهم أو مناقشتهم ، فيما وصل إلينا من مؤلفاته ، وتكفل بعد هذا المترجمون لحياته ببيان من لم يرد ذكر لهم في هذه المؤلفات .

وكان الرضي ينهل من ينابيع ثلاثة : علوم اللسان العربي ، وعلوم الشريعة الإسلامية ، وعلم النسب .

وكان يسقيه من الينبوع الأول هؤلاء الشيوخ :

١ ـ أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المَرْزُبان السِّيرافيّ النحوي ، وكان من أعلم الناس بنحو البصريين ، شرح كتاب سيبويه وأجاد فيه ، وقرأ القرآن على أبي بكر ابن مجاهد ، ويُذكر عنه أنه كان معتزليا وإن لم يظهر اعتزاله ، كما كان ينتحل مذهب أهل العراق في الفقه . ولي القضاء ببغداد ، وكان لا يأكل إلا من كَسْبِ يده ، حيث ينسخ كل يوم ورقات يبيعها قبل أن يخرج إلى مجلسه ، وكان الناس يدرسون عليه في فنون كثيرة . توفي سنة ٣٦٨ هـ عن أربعة وثمانين عاما[١] .

٢ ـ أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي النحوي ، ولد بفَسا ، وقدم بغداد فاستوطنها ، وعلت منزلته في النحو ، وخدم الملوك ونفَق عليهم ، وكان متهما بالاعتزال . توفي سنة ٣٧٧ هـ[٢] .

روى عنه الرضي بالإجازة[٣] في كتابه الإيضاح .

٣ ـ أبو عبد الله بن الإمام المنصوري ، المتوفي في جمادى الآخرة سنة ٣٩١ هـ وكان الرضي يقرأ عليه اللغة ، ورثاه بقصيدة مطلعها :

ما أقلَّ اعتبارَنا بالزمانِ وأشدَّ اغْترارَنا بالأماني

٤ ـ أبو الحسن علي بن عيسى بن الفرج الرَّبَعِي البغدادي النحوي ، تلميذ السيرافي أبي سعيد ، ثم أبي علي الفارسي ، وله شرح على مختصر الجرمي ، وشرح على الإيضاح لأبي علي الفارسي . توفي سنة ٤٢٠ هـ عن ٩٢ عاما[٤] .

---

(١) تاريخ بغداد ٣٤١/٧ ، ٣٤٢ ، المنتظم ٩٥/٧ ، وفيات الأعيان ٧٨/٢ ، ٧٩ ، الجواهر المضية ١٩٦/١ ، ١٩٧ . وانظر الغدير ١٨٣/٤ .

(٢) تاريخ بغداد ٢٧٥/٧ ، ٢٧٦ ، المنتظم ١٣٨/٧ ، وفيات الأعيان ٨٠/٢ ـ ٨٢ .

(٣) الغدير ١٨٣/٤ ، وانظر المجازات النبوية ١٢٧ ، وتلخيص البيان ١٣٤

(٤) تاريخ بغداد ١٧/١٢ ، ١٨ ، معجم الأدباء ٧٨/١٤ ، إنباه الرواة ٢٩٧/٢ ، وفيات الأعيان ٣٣٦/٣ ، وانظر روضات الجنات ٥٥٠ ، الغدير ١٨٤/٤ ، وانظر لقراءة الرضي عليه : حقائق التأويل ٨٧/٥ ، ٨٨ ، المجازات النبوية ٦٧ ، ٦٨ ، ٣٨٩ .

٥ ـ أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي النحوي ، صاحب الخصائص واللمع ، وشارح شعر المتنبي ، وقد قرأ على أبي علي الفارسي ، وبرع وحذق[1] : وتوفي سنة ٣٩٢ هـ[2] .

أما الينبوع الثاني الذي نهل منه الرضي فهو علوم الشريعة الإسلامية ، وأساتذته في هذا الباب كثرة ، هم :

٦ ـ أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن محمد الطبري المقرئ الفقيه المالكي ، سمع الكثير من الحديث ، وأخرج له الدارقطني خمسمائة جزء ، وكان أحد الشهود ببغداد ، أمَّ بالناس في المسجد الحرام أيام الموسم ، وما تقدم فيه من ليس بقرشي غيره ، وكان كريما مُفْضِلا على أهل العلم ، توفي سنة ٣٩٣ هـ[3] .

وقد قرأ عليه الرضي القرآن بعد أن كبر ، فقد ذكر ابن جني وأحمد بن عمر بن روح ، أن الرضي تلقَّن القرآن بعد أن دخل في السن ، فجمع حفظه في مدة يسيرة[4] . وقد شرح ابن الجوزي قولهما : « بعد ان ذخل في السن » حين قال : حفظ القرآن في مدة يسيرة بعد أن جاوز ثلاثين سنة[5] . ونقل عنه ذلك ابن أبي الحديد وابن معصوم[6] .

وللطبري هذا مع تلميذه الرضي قصة تدل على كرم خلقه ، وإفضاله على أهل العلم ، وتدل أيضا على عزة الرضي وإباء نفسه ، فقد ذكر ابن الجوزي أن الرضي

(١) تاريخ بغداد ٢٧٥/٧ . المنتظم ١٣٨/٧ .

(٢) تاريخ بغداد ٣١١/١١ . ٣١٢ . المنتظم ٢٢٠/٧ . ٢٢١ . وفيات الأعيان ٢٤٦/٣ ـ ٢٤٨ ، وانظر : روضات الجنات ٥٥٠ . الغدير ١٨٤/٤ . وانظر لقراءة الرضي عليه : تلخيص البيان ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٣٤ ، ١٨٦ ، حقائق التأويل ٣٠/٥ ، ٥١ . ١٤٠ . ٢٢١ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ، المجازات النبوية ٢٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ١٢٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ . ٢٥١ . ٢٥٢ ، ٢٨٥ ، ٣٨٩ ، ٤٣٦ .

(٣) تاريخ بغداد ١٩/٦ ، المنتظم ٢٢٣/٧ ، وانظر الغدير ١٨٥/٤ .

(٤) تاريخ بغداد ٢٤٦/٢ ، وفيات الأعيان ٤١٦/٤ ، شذرات الذهب ١٨٣/٣ ، روضات الجنات ٥٤٧ .

(٥) المنتظم ٢٧٩/٧ .

(٦) شرح نهج البلاغة ٣٣/١ ، الدرجات الرفيعة ٤٦٧ .

قرأ عليه القرآن فقال له يوما : أيها الشريف ، أين مقامك ؟ فقال : في دار أبي بباب المحول . فقال له مثلك لا يقيم بدار أبيه . ونحله الدار التي بالبركة من الكرخ ، فامتنع الرضي وقال : لم أقبل من غير أبي شيئا . فقال له : حقِّي عليك أعظم ، لأني حفظتك كتاب الله . فقبلها[1] .

وقد نقل ابن أبي الحديد القصة عن ابن الجوزي نقلا غير دقيق ، فزاد بعد قوله إن الرضي قرأ عليه القرآن : « وهو شاب حدث السن »[2] ، مع أنه ذكر قبل هذا ـ كما تقدم ـ أن الرضي حفظ القرآن بعد أن جاوز ثلاثين سنة . كما بدل ابن أبي الحديد رواية ابن الجوزي لقول الرضي : « لم أقبل من غير أبي شيئا » إلى قوله : « لم أقبل من أبي شيئا قط[3] » ، وبنى على هذا حكمة القائل : « ولم يقبل من أحد صلة ولا جائزة حتى إنه رد صِلاتِ أبيه ، وناهيك بذلك شرف نفس ، وشدة ظَلَف[4] » ، وقد تبعه ابن عنبة فغيَّر قول الرضي السابق إلى : « إني لا أقبل بر أبي فكيف أقبل برك ! ! » ، وزاد على رواية ابن أبي الحديد للقصة أن الطبري توسل إليه فقبل الدار ، وحكم أيضا بأن الرضي لم يقبل من أحد شيئا أصلا ، نقل ذلك عن أبي الحسن العمري ، وتبعه على هذا الخوانساري[5] » .

وهذا أمر مُستبعَد الحدوث ، فانه لو صح أن الرضي ترفَّع عن صلة أبيه لكان منه سلوكا غير طبيعي ، كيف وهو الذي تقلَّب في نَعْمائه طفلا وفتى وشابا ، فهل يُعقل أن يذكر الرضي أنه يمتنع عن قبول بر أبيه ، وهل بين الشاب وأبيه ما يسمى صلة ! ! .

---

(١) المنتظم ٧/٢٢٣ .

(٢) شرح نهج البلاغة ١/٣٤ . وبنى الأميني على ذلك قوله : « تلمذ له ـ أي للطبري ـ في عنفوان شبابه » . الغدير ٤/١٨٥ .

(٣) شرح نهج البلاغة ، الموضع السابق . وتبعه على هذا ابن معصوم . انظر الدرجات الرفيعة ٤٦٨ .

(٤) شرح نهج البلاغة ١/٣٣ .

(٥) عمدة الطالب ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، روضات الجنات ٥٤٨ ، هذا وقد تبع ابن معصُوم أيضا ابن أبي الحديد في مقالته . انظر الدرجات الرفيعة ٤٦٨ .

هذا ولم يكن الرضي في هذا الوقت فقيرا لا يجد المأوى إلا في بيت أبيه حتى يحتاج إلى هذه الصلة من أستاذه الطبري ، كيف وقد جاوز الثلاثين ، وكان قد تقلّد النقابة وأمور المساجد ببغداد وهو إبن احدى وعشرين ، وافتدى نفسه مع المرتضى من ابن الجراح الطائي حين اعتاقهما وهما في طريق الحج بتسعة آلاف دينار من مال أسرتهما ، حدث ذلك سنة ٣٨٩ هـ قبل لقائه بأستاذه هذا وتلقّيه القرآن عليه ، ولو أراد الرضي أن يبتني لنفسه دارا من مال أبيه ، وهو الموسر ذو الأملاك لفعل ، ولكنه على عادة الأسرات كان يقيم في دار أبيه ، وهي يومئذ ملتقى رجال السياسة ، ومنتدَى أهل النفوذ ببغداد . ولم يكن إهداء شيخه الطبري الدار له إلا تعبيرا عن إعزاز الشيخ لتلميذه ، ووسيلة لإظهار عاطفته نحوه ، وتوثيقا للرابطة بينهما .

٧ ـ أبو الفرج المُعافَى بن زكريا بن يحيى النَّهْرَواني القاضي . وكان فقيها على مذهب ابن جرير الطبري ، أديبا له شعر حسن ، توفي سنة ٣٩٠ هـ[١] .

٨ ـ أبو حفص عمر بن ابراهيم بن أحمد الكناني المقرئ المحدث ، كان ثقة ، ويقول عنه الخطيب : « كان كتابه بقراءة عاصم عن ابن مجاهد فيه بعض النظر » توفي سنة ٣٩٠ هـ[٢] .

وقد صرح الرضي بأنه قرأ عليه القرآن بروايات كثيرة ، كما صرح بأنه روى عنه الحديث أيضا[٣] .

٩ ـ أبو عبيد الله محمد بن عمران المَرْزُباني ، مؤلف معجم الشعراء ، وكان صاحب أخبار وراويةً للأدب . ثقة في الحديث ، معتزليا ، صنف كتابا جمع فيه أخبار

(١) تاريخ بغداد ٢٣٠/١٣ . المنتظم ٢١٣/٧ ، ٢١٤ . معجم الأدباء ١٥١/١٩ ـ ١٥٤ . إنباه الرواة ٢٩٦/٣ . وفيات الأعيان ٢٢١/٥ ـ ٢٢٤ ، غاية النهاية ٣٠٢/٢ . وانظر لقراءة الرضي عليه القراءات : تلخيص البيان (بغداد) ...

(٢) تاريخ بغداد ٢٦٩/١١ ، المنتظم ٢١١/٧ . وانظر روضات الجنات ٥٥٠ ، الغدير ١٨٥/٤ وهكذا جاءت نسبته « الكناني » في المراجع المتقدمة عدا الغدير ففيه وفي كتب الرضي « الكتاني » ولم أجد لدي ما يعضد إحدى النسبتين .

(٣) المجازات النبوية ٢٧ . ٢٨ . ٢٤٢ . ٢٤٣ . وتلخيص البيان ، الموضع السابق .

المعتزلة ، كما كان فيه تشيع ، توفي سنة ٣٨٤ هـ[1] ، وصلى عليه أبو بكر الخوارزمي الفقيه الآتي ذكره .

١٠ ـ سهل بن أحمد بن عبد الله الدِّيباجي ، ذكر الذهبي أنه رُمي بالأخوَيْن : الرفض والكذب ، وروى ابن حجر عن أبي الفوارس أنه كان رافضيا غاليا : قال : كتبنا عنه كتاب محمد بن محمد بن الأشعث ، ولم يكن له أصل يعتمد عليه . وقال العَتِيقي لم يكن بذاك في الحديث . توفي سنة ٣٨٥ هـ[2] .

١١ ـ أبو القاسم عيسى بن علي بن عيسى بن داود بن الجراح ، الذي نظر للطائع لله وكتب له ، وكانت له معرفة بعلوم الأوائل ، كما كان ثَبْتَ السماع صحيحَ الكتاب وأملى الحديث ، وله معرفة بالمنطق ، رُمي بسببها بشيئ من مذهب الفلاسفة ، توفي سنة ٣٩١ هـ[3] .

١٢ ـ أبو بكر محمد بن موسى الخُوارِزْمي الحنفي ، شيخ أهل الرأي وإمامهم ، دُعي إلى الحكم مرات فامتنع منه ، وكان معظما في النفوس ، مقدما عند السلطان والعامة . لا يقبل من أحد من الناس بِرّاً ولا صلة ولا هدية ، وكان له إمام يصلي به حنبلي ، وسئل عن مذهبه في الأصول ، فقال : ديننا دين العجائز ولسنا من الكلام في شيئ . توفي سنة ٤٠٣ هـ[4] .

---

(١) تاريخ بغداد ١٣٥/٣ ـ ١٣٦ ، المنتظم ١٧٧/٧ ، وفيات الأعيان ٣٥٤/٤ ـ ٣٥٦ ، لسان الميزان ٣٢٦/٥ . وانظر : روضات الجنات ٥٥٠ ، الغدير ١٨٣/٤ . وذكر ابن خلكان تاريخ وفاته ثم قال : « وقيل سنة ٣٧٨ ، والأول أصح » وانظر لقراءة الرضي عليه : المجازات النبوية ٢١٧ ، ٢١٨ .

(٢) ميزان الاعتدال ٢٣٧/٢ ، لسان الميزان ١١٧/٣ . وانظر لرواية الرضي عنه الحديث : المجازات النبوية ٢٤١ .

(٣) الإمتاع والمؤانسة ٣٦/٢ ، تاريخ بغداد ١٧٩/١١ ، ١٨٠ ، المنتظم ٢١٨/٧ ، ٢١٩ . وانظر الغدير ١٨٥/٤ . وانظر لرواية الرضي الحديث عنه : المجازات النبوية ٢٤١ .

(٤) تاريخ بغداد ٢٤٧/٣ ، المنتظم ٢٦٦/٧ ، الجواهر المضية ١٣٥/٢ . وانظر روضات الجنات ٥٥٠ ، الغدير ١٨٤/٤ .

وقد نص ابن الجوزي على أن الرضي من تلامذته[1] ، وصرح الرضي بأنه قرأ عليه مختصر أبي جعفر الطحاوي[2] .

١٣ ـ أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله الأسَدي الأكْفاني المحدِّث ، الذي أنفق على العلم مائة ألف دينار ، وولي القضاء أربعين سنة نيابة ورياسة ، وجمع له قضاء جميع بغداد سنة ٣٩٦ هـ ، وتوفي سنة ٤٠٥ هـ[3] .

وقد أخبرنا الرضي أنه درس عليه مذهب أبي حنيفة والشافعي[4] .

١٤ ـ أبو عبد الله محمد بن محمد بن النُّعْمان المعروف بابن المُعَلِّم ، الشيخ المُفِيد ، يقول ابن الجوزي عنه : « شيخ الإمامية وعالمها على مذهبهم ، من أصحابه المرتضَى . كان لابن المعلم مجلس نظر بداره بدرب رباح ، يحضره كافة العلماء ، وكانت له منزلة عند أمراء الأطراف بمَيْلهم إلى مذهبه[5] » . وقد توفي سنة ٤١٣ هـ[6] .

قرأ عليه الرضي مع أخيه المرتضى فقه الامامية ، وتقدمت قصة الرؤيا التي رآها ابن المعلم ، وقدوم والدتهما بهما عليه .

١٥ ـ أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد ، قاضي القضاة ، كان ينتحل مذهب الشافعي في الفروع ، ومذاهب المعتزلة في الأصول ، وله في ذلك مصنفات ، ورد بغداد حاجا وحدث بها ، وتوفي سنة ٤١٥ هـ[7] .

---

(١) المنتظم ٢٦٦/٧ .

(٢) حقائق التأويل ٨٥/٥ ، ٨٦ ، وتلخيص البيان ٢٥٠ . وانظر حقائق التأويل ١١٥/٥ ، والمجازات النبوية ٨٥ ، ٨٦ ، ١٤٥ .

(٣) تاريخ بغداد ١٤١/١٠ ، ١٤٢ ، والمنتظم ٢٧٣/٧ . وانظر : الغدير ١٨٥/٤ .

(٤) حقائق التأويل ٣٤٦/٥ .

(٥) المنتظم ١١/٨ .

(٦) رجال النجاشي ٢٨٣ ، فهرست الطوسي ١٥٧ ، البداية والنهاية ١٥/١٢ . وانظر تاريخ بغداد ٢٣١/٣ ، روضات الجنات ٥٤٧ ، الدرجات الرفيعة ٤٥٩ ، الغدير ١٨٤/٤ .

(٧) تاريخ بغداد ١١٣/١١ ـ ١١٥ ، طبقات الشافعية الكبرى ٩٧/٥ ، ٩٨ . وانظر : روضات الجنات ٥٥٠ ، الغدير ١٨٤/٤ .

وقد أخذ عنه الرضي أصول المعتزلة ، فقرأ عليه كتابه تقريب الأصول ، وعلق عنه وصرح بهذا عند تقريره أن معنى قوله تعالى (أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ) صادفناه غافلا[1] كما قرأ عليه كتاب العمدة في أصول الفقه ، ذكر هذا في نقله عنه الكلام على معنى العقل[2] وقرأ عليه كتابه شرح الأصول الخمسة ، وعلق عنه فوائد وهو يقرؤه عليه ، ذكر هذا عند تفسيره اليد بمعنى النعمة[3] .

ويبدو أن الرضي قرأ كثيرا على قاضي القضاة عبد الجبار ، وتأثره وعلق عنه ، فقد تبعه في الكلام على صحة حديث رؤية الله عز وجل يوم القيامة وعدمها ، وكونه خبر آحاد ، وأن من شرط قبول خبر الواحد أن يكون راويه عدلا ، ثم طعن في راوي الخبر بأنه كان منحرفا عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه[4] . كما قيد عنه الإجابة على قولهم : هل يجوز أن يوصف القديم تعالى بأنه ناطق ، كما يوصف بأنه يتكلم[5] .

ويتضح تأثر الرضي بشيخه عبد الجبار في الإكثار من ذكره في هذا الجزء الذي وصل إلينا من كتاب حقائق التأويل[6] .

والينبوع الثالث الذي نهل منه الرضي ، علم التاريخ والنسب ، وكان له في أستاذيه : المعافَى بن زكريا ، ومحمد بن عمران المَرْزُباني ، وما تميَّزا به من الولوج في كل فن ، والإكثار من مرويات التاريخ والأدب ، ما مكنه من التزود بزاد كبير من الأخبار والآثار ، كما أنه درس علم النسب على :

١٦ ـ أبي الحسن محمد بن أبي جعفر محمد بن أبي الحسن على الجرار ، الذي يجتمع معه في النسب في علم زين العابدين رضي الله عنه ، ولأبي الحسن مصنفات

---

(١) تلخيص البيان ١٢٧ .

(٢) المجازات النبوية ١٨٠ .

(٣) المجازات النبوية ٣٦٢ .

(٤) المجازات النبوية ٤٨ ، ٤٩ .

(٥) تلخيص البيان ١٥٣ .

(٦) انظر صفحات : ١٠ ، ٢٢ ، ٤١ ، ٥٩ ، ٦٨ ، ١١٦ ، ١٢٠ ، ١٥٦ ، ١٧٧ ، ١٨٤ ، ١٩٠ ، ٢٠٤ ، ٢٢٤ ، ٢٣٤ ، ٢٦٢ ، ٢٧٣ .

كثيرة في علم النسب مختصرة ومطولة ، قارب المائة وهو صحيح الأعضاء ، وتوفي سنة ٤٣٥ هـ ، وكان شيخا للمرتضى أيضا إلى جانب الرضي[١] .

وذكر الأميني للرضي بعد هذا شيخين هما :

١٧ ـ أبو محمد هارون بن موسى التَّلَّعُكْبَرِي ، الشيخ الأقدم المتوفي سنة ٣٨٥ هـ ، ولم يعين ماذا أخذ عنه الرضي ، ولا كيف كان ذلك ، كما أنه لم يكشف عن المصدر الذي استقى منه أنه كان شيخا للرضي[٢]

١٨ ـ أبو يحيى عبد الرحيم بن محمد بن إسماعيل ابن نباته الخطيب ، المتوفي سنة ٣٧٤ هـ[٣] ولم يذكر الأميني أيضا من أين استقى هذا القول ، ولعله أخذه من قول ابن معصوم في ترجمة المرتضى : « وقرأ هو وأخوه الرضي على ابن نباتة صاحب الخطب ـ الآتي ذكره ـ وهما طفلان[٤] » .

وكان ابن نباتة الفارقي هذا خطيب حلب ، وبها اجتمع بأبي الطيب المتنبي في خدمة سيف الدولة ، وأكْثَرَ من خطب الجهاد[٥] . ولم تذكر المصادر التاريخية رحلة له إلى بغداد ، أو رحلة للرضي إلى حلب ، حتى يأخذ عنه ، ورغم أن الرجل كان إماما في علوم الأدب إلا أنه لم يعرف عنه أنه كان يقعد للإقراء والتدريس ، ولهذا فلست أرى وضعه في مشيخة الرضي .

وهناك رجلان ذكرهما الرضي عرضا ، وهما أبو نصر بشر بن هارون الكاتب النصراني ، وأبو عبد الله محمد بن يحيى بن مهدي الجُرْجاني الحنفي ، أما الأول فقد

---

(١) عمدة الطالب ٣٢٢ .

(٢) الغدير ١٨٤/٤ . ولم أجد له ترجمة .

(٣) ذكر الأميني في الغدير ١٨٤/٤ أنه توفي سنة ٣٩٤ هـ . وما أثبته هنا عن ابن خلكان ، فإنه قال : « وهذا الخطيب لم أر أحدا من المؤرخين ذكر تاريخه في المولد والوفاة سوى ابن الأزرق الفارقي في تاريخه ، فإنه قال : ولد في سنة ٣٣٥هـ وتوفي سنة ٣٧٤ هـ بميافارقين ، ودفن بها » . وفيات الأعيان ١٥٧/٣ .

(٤) الدرجات الرفيعة ٤٥٩ .

(٥) وفيات الأعيان ١٥٦/٣ .

ذكر الرضي أنه صديقه وشيخه ، حيث قال في جواب رسالة لأبي إسحاق الصابي : « وأنا بتوفيق الله أبدأ بذكر البيتين اللذين أنشدهما صديقنا وشيخنا أبو نصر بشر بن هارون ، أدام الله عزه[1] » . وكان الصابي قد أرسل إلى الرضي بيتين رواهما له أبو نصر هذا وعارضهما أبو إسحاق بمقطوعات طلب من الرضي أن يحكم عليها[2] .

ولست أرى أن قولة الرضي : «صديقنا وشيخنا» خرجت إلا على سبيل المجاملة للصابي وصديقه ، فإن الرضي لم يذكر هذا الرجل في مؤلفاته ، كما لم يذكره أحد ممن ترجم للرضي في شيوخه ، ولم أجد في المصادر شيئا عن مشيخته له .

أما الثاني ، فقد كان يدرس بقطيعة الدقيق ببغداد ، وتوفي سنة ٣٩٨ هـ[3] . وقد ذكره الرضي في بيان الأفضلية بين الصوم والصلاة ، فقال : « وقال لي أبو عبد الله محمد بن يحيى الجُرْجاني الفقيه : عند أصحابنا أن الصلاة أفضل من الصيام »[4] . وهذا إخبار من الجُرْجاني عن رأي الحنفية في المسألة ، فهل رقي هذا الإخبار إلى الإقراء والمشيخة ؟ علمُ ذلك عند الله .

دار العلم :

اتخذ الرضي لطلبة العلم الذين يدرسون عليه دارا سماها دار العلم ، ذكر ذلك كل من ابن معصوم والخوانساري في سياق قصة للرضي مع أحد وزراء عصره[5] . دل بصنيعه معه على إبائه ورده الصِّلات ، فقد أرسل إليه ذلك الوزير طبقا فيه ألف دينار حينما علم أنه ولد له غلام ، فرده الرضي ، وعاود الوزير إرساله هدية للقوابل ، فاعتذر الرضي بأن عجائز بيته يتولَّيْنَ هذا الأمر ، ولا تحتاج نساؤهم إلى قابلة ، ورده فأرسله إليه الوزير للمرة الثالثة ، وقال : يفرقه الشريف على ملازميه من طلاب

---

(١) رسائل الصابي والشريف الرضي ٨٦ وتجد لأبي نصر هذا ترجمة في دمية القصر ١/٣١٥ .

(٢) المرجع السابق ٨٢ .

(٣) تاريخ بغداد ٣/٤٣٣ ، الجواهر المضية ٢/١٤٣ .

(٤) المجازات النبوية ١٨٩ .

(٥) الدرجات الرفيعة ٤٧٢ ، ٤٧٣ ، روضات الجنات ٥٤٨ وسبق الكلام على هذه القصة في صفحة ٣٧ .

العلم ، فلما جاءه الطبق وحوله طلاب العلم قال : ها هم حضور ، فليأخذ كل أحد ما يريد ، فقام رجل منهم وأخذ دينارا ، فقرض من جانبه قطعة وأمسكها ، ورد الدينار إلى الطبق ، فسأله الشريف عن ذلك ، فقال : إني احتجت إلى دهن السِّراج ليلة ، ولم يكن الخازن حاضرا فأقرضت من فلان البقال دهنا للسراج ، فأخذت هذه القطعة لأدفعها إليه عوض دهنه ـ وكان طلبة العلم الملازمون للشريف الرضي في عمارة قد اتخذها لهم ، سماها دار العلم ، وعيَّن لهم جميع ما يحتاجون إليه ـ فلما سمع الرضي بذلك أمر في الحال بأن يتخذ للخزانة مفاتيح بعدد الطلبة ، ويدفع إلى كل منهم مفتاح ليأخذ منها ما يحتاج إليه ، ولا ينظر خازنا يعطيه ، ورد الطبق على هذه الصورة .

هكذا ساق ابن معصوم والخوانساري خبر دار العلم ، ضمن قصة للرضي مع أحد الوزراء ، وسواء أكانت هذه القصة صحيحة أم غير صحيحة ، فإن دلالتها على عناية الرضي بتلامذته ، والإنفاق عليهم ، وتربيتهم على علو الهمة ، وإباء النفس ، قوية وواضحة ، فالذي أورد القصة إنما جاء بها ليبين الفرق في السمات الخُلُقية بين الرضي وأخيه المرتضى ، واذا فرضنا أنه اختلق القصة ليدعم بها رأيه في كل من الأخوين فقد وجد ما يبني عليه نسجَه للقصة من عناية الرضي بتلامذته ، وتربيته لهم على الإباء والأنفة في دار العلم .

وكانت بغداد تضم إلى جوار دار العلم التي أنشأها الشريف الرضي[1] ، دارا أخرى سميت بدار العلم ، كانت خزانة للكتب أنشأها الوزير أبو نصر سابور بن أردشير سنة ٣٨١[2] .

هذا ولم تدلنا مؤلفات الرضي على تلامذته الذين كانوا يتلقون العلم في الدار التي أنشأها ، ولم تذكر المصادر التي بين أيدينا غير تَلْمذة مهيار بن مرزويه الديلمي

(١) ذكر كاشف الغطاء في كتابه الشريف الرضي ١٣٢ أن خازن الدار كان أبا أحمد عبد السلام بن الحسين البصري . وهذا وهم ، فعبد السلام بن الحسين البصري كان خازنا لدار الكتب في بغداد ، وتوفي سنة ٤٠٥ هـ . انظر المنتظم ٢٧٣/٧ ، ٢٧٤ .

(٢) المنتظم ١٧٢/٧ ، ٢٢/٨ ، الكامل ١٠١/٩ ، ١٥٠ ، البداية والنهاية ٣١٢/١١ ، ٩/١٢ .

له بعد إسلامه على يده سنة ٣٩٤ هـ[1] . ولكن الأميني ذكر تلامذته والرواة عنه على هذا النحو ، قال : « ويروى عنه جمع من أعيان الطائفة وأعلام العامة ، منهم :

١ ـ شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطُّوسي ، المتوفى سنة ٤٦٠ هـ .

٢ ـ الشيخ جعفر بن محمد الدوريستي .

٣ ـ الشيخ أبو عبد الله محمد بن علي الحلواني ، كما في الإجازات .

٤ ـ القاضي أبو المعالي أحمد بن قُدامة ، المتوفى سنة ٤٨٦ هـ ، كما في كثير من إجازات أعلام الدين .

٥ ـ أبو زيد السيد عبد الله بن علي كيابكي ابن عبد الله الحسيني الجرجاني ، كما في إجازة الشهيد الثاني ، لوالد شيخنا البهاء العاملي ، وإجازة مولانا المجلسي الأول لولده العلامة المجلسي .

٦ ـ أبو بكر أحمد بن الحسين بن أحمد النيسابوري الخزاعي ، وهو من أجلاء تلامذة المترجم ، وأخيه الشريف المرتضى ، كما في المقاييس للعلامة الحجة التَّسْتُري .

٧ ـ أبو منصور محمد بن أبي نصر محمد بن أحمد بن عبد العزيز العُكْبَرِي المُعَدّل ، كما في قصص الأنبياء للرَّاوِنْدِي .

٨ ـ القاضي السيد أبو الحسن علي بن بُنْدارين محمد الهاشمي ، يروي عن المترجم ـ أي الرضي ـ وأخيه علم الهدى المرتضى ، كما في إجازة الشيخ عبد الله السماهيجي الكبيرة للشيخ ياسين ، وإجازته للشيخ ناصر الجارودي سنة ١١٢٨ هـ

٩ ـ الشيخ المفيد عبد الرحمن بن أحمد بن يحيى النَّيْسابُورِي ، يروي عن المترجم ـ يعني الرضي ـ وأخيه علم الهدى ، جميع مصنفاتهما بلا واسطة ، كما في إجازة الشيخ عبد الله السماهيجي الكبيرة المذكورة »[2] .

وأضيف الى ما ذكره الأميني أن للسيد المرتضى أخي الرضي بنتا ، كانت فاضلة جليلة روت عن عمها كتاب « نهج البلاغة » ، ويروي عنها الشيخ عبد الرحيم

---

(١) تاريخ بغداد ١٣/٢٧٦ . وفيات الأعيان ٥/٣٥٩ .

(٢) الغدير ٤/١٨٥ ، ١٨٦

البغدادي المعروف بابن الأخوة ، ذكر ذلك القطب الرَّاوَنْدِي في آخر شرحه على نهج البلاغة[1] .

مؤلفات الرضي :

هذا بيان بمؤلفاته التي وصل إليها علمنا مرتّبة حسب حروف الهجاء :

١ ـ أخبار قضاة بغداد .

ذكره ابن عنبة والصفدي والخوانساري والأميني[2] .

اختيار شعر ابن الحجاج = الحسن من شعر الحسين

انتخاب شعر ابن الحجاج = الحسن من شعر الحسين

٢ ـ تعليق خلاف الفقهاء .

ذكره النَّجاشِي والخُوانْساري وابن معصوم والأميني[3] .

٣ ـ تعليقة على إيضاح أبي علي الفارسي .

ذكره النجاشي والخوانساري وابن معصوم والأميني[4] .

٤ ـ تلخيص البيان عن مجازات القرآن .

ذكره الرضي في كتابه مجازات الآثار النبوية[5] .

كما ذكره النجاشي ، وابن خلكان ، حيث قال : « وصنف كتابا في مجازات القرآن فجاء نادرا في بابه » ، والصفدي ، ذكره أولا فقال : « وله كتاب في مجاز القرآن » ، ثم ذكره بعد ذلك باسمه « تلخيص البيان عن مجازات القرآن » ، وذكره ابن عنبة ، وابن العماد ، حيث نقل قول ابن خلكان ، والخوانساري حيث نقل

---

(١) مقدمة التحقيق لديوان الشريف المرتضى ١١٢ .

(٢) عمدة الطالب ٢٠٨ ، الوافي بالوفيات ٣٧٥/٢ ، روضات الجنات ٥٤٨ نقلا عن عمدة الطالب ، الغدير ١٩٩/٤ نقلا عن العمدة أيضا .

(٣ ، ٤) فهرست النجاشي ٢٨٣ ، روضات الجنات ٥٥٠ ، الدرجات الرفيعة ٤٦٧ ، الغدير ١٩٩/٤ نقلا عن فهرست النجاشي .

(٥) المجازات النبوية ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ٣٦ ، ٩٨ ، ٢٢٨ ، ٢٩٣ ، ٤٢٩ .

أيضا قول ابن خلكان ، ثم ذكره باسمه نقلا عن ابن عنبة ، وذكره ابن معصوم والأميني[1] .

وقد ذكر ابن حِجَّة الحموي أن الشريف الرضي عمل كتابا سماه « مجاز القرآن » ومات قبل استيفائه[2] .

ولعل الأمر اختلط عليه ، فإن مجاز القرآن المعروف بتلخيص البيان تام كامل ، أما الذي يمكن أن يقال إن الرضي مات قبل استيفائه فهو حقائق التأويل .

وكان تأليف الرضي لهذا الكتاب سنة إحدى وأربعمائة ، ابتدأ تصنيفه في يوم الخميس لعشر ليال بقيت من شعبان ، وفرغ منه في يوم الأحد لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال[3] ، فاستغرق في تأليفه نحو ثلاثة وخمسين يوما .

وقد طبع الكتاب ثلاث مرات حتى الآن ، الأولى طبعة مصورة عن النسخة الخطية التي عثر عليها السيد محمد المشكاة المدرس في جامعة طهران ، وهي نسخة ترتقي في كتابتها إلى القرن الخامس الهجري مخرومة الأول ، مبتورة الآخر ، وفي أثنائها نقص في عدة مواضع ، وقد صنع لها السيد محمد المشكاة مقدمة ، كما كتب لها الدكتور حسين علي محفوظ مقدمة أخرى ، وألحق بالكتاب عدد من الفهارس الفنية ، وكان الانتهاء من هذه الطبعة سنة ١٣٦٩ هـ ، وقد حصل الأستاذ محمد عبد الغني حسن على نسخة من هذه الصورة ، فأعاد إخراج الكتاب محققا مع مقدمة ضافية عن الشريف الرضي والبيان ، وألحق بالكتاب فهارس فنية كاشفة ، وكان صدوره عن دار احياء الكتب العربية سنة ١٩٥٥ م ، ولكن السيد محمد الحَيْدَرِي صاحب مكتبة الخلاني العامة بالنجف ، حصل على نسخة أخرى من الكتاب عند السيد محمد الموسوي الجزائري بالنجف ، وهي نسخة مُحدَثَة ولكنها

---

(١) فهرست النجاشي ٢٨٣ ، وفيات الأعيان ٤١٦/٤ ، الوافي بالوفيات ٣٧٥/٢ وفيه خطأ « عن مجاوزات القرآن » ، عمدة الطالب ٢٠٧ ، روضات الجنات ٥٤٧ ، ٥٤٨ ، الدرجات الرفيعة ٤٦٧ ، الغدير ١٩٨/٤ نقلا عن النجاشي .

(٢) خزانة الأدب ٥٣٢ .

(٣) تلخيص البيان ٢٨٨ .

أتم من سابقتها ، حيث لا يوجد فيها نقص إلا بمقدار ورقة تركها الناسخ بيضاء ، وقد اشترك مع السيد محمد الحيدري في إخراج الكتاب الأستاذ مكي السيد جاسم ، وطبعته مطبعة دار المعارف ببغداد سنة ١٩٥٥ م أيضا . والكتاب يحتاج بعد هذا إلى جهد جديد في إخراجه وتقويم نصه .

٥ ـ الجَيِّد من شعر أبي تمام

تفرَّد بذكره الخوانساري [١] .

٦ ـ الحسن من شعر الحسين .

وهو ما انتخبه الرضي من شعر أبي عبد الله الحسين بن أحمد المعروف بابن الحَجَّاج ، ذكره الصابي عند ذكره وفاة ابن الحَجَّاج سنة ٣٩١ هـ ، حيث قال : « وتفرد بفن من السخف لم يسبقه إليه سابق ، وكان مع تعاطيه هذه الطريقة مطبوعا في غيرها ، وقد اختار الرضي أبو الحسن الموسوي من شعره السليم قطعةً كبيرة ، في غاية الحسن والجودة والصنعة والرقة » ، وذكره النجاشي ، كما ذكره ابن الجوزي في وفيات سنة ٣٩١ هـ حيث قال : « وتفرد بالسخف الذي يدل على خَساسة النفس ... وقد أفرد أبو الحسن الرضي من شعره ما خلا عن السخف ، وهو شعر حسن » ، وذكره أيضا ابن كثير وقال : « وقد جمع الشريف الرضي أشعاره الجيدة على حدة في ديوان مفرد » وذكره أيضا ابن عنبة ، والصفدي وسمي الكتاب « شعر ابن الحجاج » ، والخوانساري وابن معصوم وسماه « انتخاب شعر ابن الحجاج » والأميني [٢] .

وبهذه النقول المتقدمة يتضح أن الرضي لم يستهوه السخف في شعر ابن الحَجَّاج وكان صديقا له ، وإنما أراد أن يلفت الناس إلى جانب عظيم من فن ابن الحجاج ، وهو

(١) روضات الجنات ٥٥٠ .

(٢) كتاب الصابي ٤٠٣ ، ٤٠٤ ، فهرست النجاشي ٢٨٣ ، المنتظم ٢١٦/٧ ، عمدة الطالب ٢٠٨ ، الوافي بالوفيات ٣٧٥/٢ ، روضات الجنات ٥٤٨ نقلا عن عمدة الطالب ، الدرجات الرفيعة ٤٦٧ ، الغدير ١٩٩/٤ .

شعره الخالي عن السخف ، الذي يصفه الصابي المؤرخ بأنه في غاية الحسن والجودة والصنعة والرقة ، وقد لهج الناس بشعره السخيف فألهاهم هذا عن أصالة الشاعر وقوة أدائه للأغراض الأخرى ، فصنيع الرضي صنيع ناقد بصير ، يرد إلى صديقه الشاعر اعتباره ، ويضعه في مكانه اللائق به بين شعراء العربية [1] .

٧ ــ حقائق التأويل في متشابه التنزيل .

ذكره الرضي بهذا الاسم في مقدمة تلخيص البيان [2] ، وفي مجازات الآثار النبوية [3] وذكره باسم الكتاب الكبير ، ويبدو أنه كان يطلق عليه أحيانا اسم كتابي الكبير ، وذكره باسم كتابنا الكبير [4] ، وقد أورده الرضي أيضا باسم : « كتابنا في علوم القرآن [5] » ، كما أورده على أنه في « تأويل القرآن » [6] ، وأورده ضمن كتبه الموضوعة في علوم القرآن [7] .

وذكر هذا الكتاب النجاشي ، واختصر اسمه فسماه « حقائق التنزيل » ، وكذلك فعل ابن معصوم ، وذكره الخطيب البغدادي ولم يسمه ، وإنما قال : « قال ــ أي أحمد بن عمر بن روح ــ وصنف كتابا في معاني القرآن يتعذَّر وجود مثله » كما ذكره ابن خلكان ، ولم يسمه أيضا ، وإنما ساق ما أورده الخطيب ، وزاد عليه قوله :

---

(١) ظن الأستاذ محمد عبد الغني حسن في مقدمته لتلخيص البيان ١٠٠ أن الرضي اختار من الشعر الماجن لابن الحجاج ، واعتذر له بما أورده الثعالبي من أن الفضلاء يتفكهون بثمار شعره ، ويحتمل المُحْتَشِمون فرط رقته وقذعه . ثم ذكر ان لابن الحجاج قطعا رائعة خالية من الفحش المفرط ، ثم قال : ولعل هذه القطع هي التي اختارها الشريف الرضي فيما اختار . ولا محل لهذا التأرجح بعد وصف الصابي وابن الجوزي وابن كثير لما اختاره الرضي من شعر ابن الحجاج .

(٢) تلخيص البيان ٢ .

(٣) المجازات النبوية ١١ ، ١٢ ، ٣٥٠ .

(٤) تلخيص البيان ٤٢ ، ٩١ ، ٩٥ ، ١٢٣ ، ١٩٢ ، ٢١٥ ، ٢٤٧ ، ٢٧٢ ، ٢٧٩ .

(٥) المجازات النبوية ٤٤ .

(٦) المجازات النبوية ٢٧ .

(٧) المجازات النبوية ٣٦ ، ٩٨ .

« دل على توسعه في علم النحو واللغة » وذكره ابن عنبة ، وسماه المتشابه ، ونقل عن أبي الحسن العمري قوله : « شاهدت مجلدا من تفسير القرآن منسوبا إليه مليحا حسنا ، يكون بالقياس في كبر تفسير أبي جعفر الطبري أو أكثر » ، وجعله الصفدي كتابين ، فقال : « وله ... وكتاب في معاني القرآن ، والمتشابه من القرآن » ، ونقل ابن العماد عن ابن خلكان قوله ، وكذلك الخوانساري حيث نقل عن العمدة تسميته بالمتشابه ، ثم نقل كلمة العمري ، وزاد على العمدة قوله : « قلت وفي نسخة « الطوسي » وعليها يكون المراد هو كتاب تبيان الشيخ رضى الله عنه » وذكره الأميني[1] .

ولكن الخوانساري يعود مرة أخرى فيذكر أن للرضي تفسيرين آخرين غير التفسير الكبير الذي هو على كبر تبيان الشيخ الطوسي ، قال : « ذكرهما النجاشي وغيره ، أحدهما حقائق التنزيل ، والآخر حقائق التأويل[2] » . وهذا خلط منه فقد عد التفسير كتابا ، وحقائق التأويل كتابا ، وحقائق التنزيل كتابا ، وذكر أن هذين الكتابين ذكرهما النجاشي وغيره ، ولم يذكر النجاشي غير « حقائق التنزيل » وقد سبق ترجيحي أن النجاشي اختصر « حقائق التأويل في متشابه التنزيل » إلى « حقائق التنزيل » ولا يعقل أن يذكر النجاشي ، وهو المعاصر للرضي ، وربما كان أحد تلامذته ، كتابا للرضي باسم « حقائق التنزيل » وينسى كتابه الذي طارت شهرته في الآفاق في المتشابه ، وهو « حقائق التأويل » ، أما غير النجاشي فلم نر أحداً ذكر هذين الكتابين إلا ما تقدم من قول الصفدي إن له كتابا في معاني القرآن وكتابا في المتشابه ، وهو وهم أوقع فيه أن من سبق الصفدي يذكر كتابه في المتشابه فيقول : « وصنف كتابا في معاني القرآن يتعذر وجود مثله » فظن الصفدي أنه غير المتشابه وهما كتاب واحد .

وقد اختلط الأمر على ابن معصوم أيضا ، فذكر للرضي كتاب « المتشابه في

(١) فهرست النجاشي ٢٨٣ ، الدرجات الرفيعة ٤٦٧ ، تاريخ بغداد ٢٤٦/٢ ، وفيات الأعيان ٤١٦/٤ ، عمدة الطالب ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، الوافي بالوفيات ٣٧٥/٢ ، شذرات الذهب ١٨٣/٣ ، روضات الجنات ٥٤٨ ، الغدير ١٩٨/٤ .

(٢) روضات الجنات ٥٥٠ .

القرآن » وكتاب « حقائق التنزيل » ، وكتاب « تفسير القرآن [1] » . أما حقائق التنزيل فقد سبق أنه اختصار لعنوان الكتاب « حقائق التأويل في متشابه التنزيل » وأما تفسير القرآن ، وكتاب « المتشابه » فهما كتاب واحد هو « حقائق التأويل » ، وبعض الناس يذكره باسم التفسير ، كما يذكره البعض الآخر باسم كتاب الرضي في المتشابه .

ويذكر الأميني أن للرضي كتابا اسمه « معاني القرآن » وينقل ذلك عن ابن شهراشوب[2] ، ثم يقول : « وقال : يتعذر وجود مثله » ، ثم ينقل كلمة النسابة العمري المتقدمة ، ويقول : « ولعل الممدوح هو تفسيره السابق[3] » . وقد عقب الأستاذ محمد عبد الغني حسن على ذلك بقوله : « ولا نستطيع الجزم إذا ما كان هذا الكتاب هو بعينه حقائق التأويل ، أم كتابا غيره [4] » .

ولكنا نستطيع الجزم بما تقدم لدينا من النقول واستقرائها ، وتتبع ورودها التاريخي بأن كتاب الرضي في معاني القرآن هو كتابه « حقائق التأويل في متشابه التنزيل » الذي يتعذر وجود مثله ، والذي دل به على توسعه في علم النحو واللغة ، والذي لم يفتخر الرضي بغيره ، ولم يذكر غيره بالإعظام في كتبه الأخرى [5] .

ولم يصل إلينا من حقائق التأويل إلا الجزء الخامس ، وقد طبع بمطبعة الغري بالنجف سنة ١٩٣٦ م ، بشرح محمد الرضا آل كاشف الغطاء ، وتدقيق لجنة علمية من أعضاء منتدى النشر ، وتقديم عبد الحسين الحلي .

والنسخة التي أخذت عنها المطبوعة كتبت سنة ٥٣٣ هـ ، نسخت من نسخة عليها خط المؤلف ، وعليها تاريخ تأليفه وهو سنة ٤٠٢ هـ ، منقول من خط مؤلف [6] .

(١) الدرجات الرفيعة ٤٦٧ .

(٢) معالم العلماء ٤٤ .

(٣) الغدير ٤/١٩٨ ، ١٩٩ .

(٤) مقدمة تلخيص البيان (طبعة الحلبي) ١٠٠ .

(٥) انظر أيضا مقدمة عبد الحسين الحلي لحقائق التأويل صفحة ٩٠ ، وكتاب كاشف الغطاء عن الشريف الرضي ١٢٤ ، ١٢٥ .

(٦) من ترجمة كاشف الغطاء لما جاء في فهرست المكتبة الرضوية . انظر الشريف الرضي ، له صفحة ١٢٠ .

ويبتدئ الجزء بالآية السابعة من سورة آل عمران ، وينتهي إلى الآية الثامنة والاربعين من سورة النساء .

حقائق التنزيل = حقائق التأويل

٨ ـ خصائص الأئمة .

ذكره الرضي في مقدمة نهج البلاغة فقال : « فإني كنت في عنفوان السن وغضاضة الغصن ، ابتدأت بتأليف كتاب في خصائص الأئمة عليهم السلام ، يشتمل على محاسن أخبارهم ، وجواهر كلامهم ، حداني عليه غرض ذكرته في صدر الكتاب ، وجعلته أمام الكلام ، وفرغت من الخصائص التي تخص أمير المؤمنين عليا عليه السلام ، وعاقت عن إتمام بقية الكتاب محاجزات الزمان ، ومماطلات الأيام[١] » ، كما ذكره مرة ثانية في تعقيبه على قول علي رضي الله عنه : « تخففوا تلحقوا » فإنه قال : « وقد نبهنا في كتاب الخصائص على عظم قدرها وشرف جوهرها[٢] » .

وذكره النجاشي ، وابن عنبة وسماه « الخصائص » والخوانساري وابن معصوم وحاجي خليفة والأميني[٣] .

وهذا الكتاب الذي توقف فيه الرضي عند خصائص أمير المؤمنين ، وعاقته الأيام عن إتمامه ، كان يشتمل على فصل يتضمن محاسن ما نقل عنه عليه السلام من الكلام القصير واستحسنه الناس ، وسألوا الرضي أن يؤلف كتابا يضم كلام علي عليه السلام من خطب وكتب ومواعظ وآداب ، فأخرج كتاب نهج البلاغة سنة ٤٠٠ ه[٤] ، ويبدو أن الناس شغلوا بنهج البلاغة عن « خصائص الأئمة » ، فلم يشتهر شهرته ، ولم يسر سيره . وقد ذكر الخوانساري أنه موجود في زمانه (١٢٢٦ ـ ١٣١٣ ه) ، حيث قال : « إن كتاب الخصائص المنسوب إلى سيدنا الرضي هو كتاب خصائص

(١) نهج البلاغة ١٩ .
(٢) نهج البلاغة ٤٨ .
(٣) فهرست النجاشي ٢٨٣ ، عمدة الطالب ٢٠٧ ، الدرجات الرفيعة ٤٦٧ ، كشف الظنون ١٩٩٢ ، روضات الجنات ٥٤٨ ، نقلا عن العمدة ، الغدير ١٩٨/٤ .
(٤) نهج البلاغة ١٩ ، ٤٣٢ .

الأئمة ، الذي ينقل عنه في البحار كثيرا ، وهو الآن موجود أيضا مثل سائر كتبه الأربعة المتقدمة عليه في عبارة العمدة [1] » ، وذكر أيضا محمد رضا آل كاشف الغطاء ، أن ابن طاوس والمجلسي ينقلان عنه ، ثم قال : « وفي مكتبتنا نسخة خطية حديثة الخط كتب عليها كتاب الخصائص للشريف الرضي . وذكر مؤلفها في الديباجة أنها تشتمل على خصائص الأئمة الاثني عشر (ع) إلا أنني أشك في صدق النسبة ، فإن من مارس مؤلفات الشريف يجزم بأنها ليست من ذلك الأسلوب الذي يُحَبِّره قلم الشريف[2] » ، كما ذكر عبد الحسين الحلي مثل هذا فقال : « ونقل منه السيد ابن طاوس الحسني الداودي في كتابه الطرف أحاديثَ في فضل علي ، وكذا العلامة المجلسي في كتاب بحار الأنوار ، فإنه نقل عنه كثيرا بنحو يظهر منه أنه وقف عليه ، وتوجد في العراق نسخ باسمه تشبهه في المنهج ، ولكن لم تصح نسبتها[3] » . ويعقب الأميني على كلام الحلي هذا بقوله : « عندنا منه نسخة ، وقد شرح فيها بعض كلمات أمير المؤمنين عليه السلام وذكر اسمه في غير موضع واحد ، والعجب عن العلامة الحلي وكلامه حوله ، قال : توجد في العراق نسخ باسمه تشبهه في المنهج ، لم تصح نسبتها [4] » .

وقد أورد الطَّهراني وصفا للكتاب قال فيه : « كان عند شيخنا المحدث النوري ، ورأيت في مكتبة الشيخ هادي آل كاشف الغطاء نسخة [5] ، كتابتها حدود ١٠٧٠ ، قال في ديباجته : كنت ـ حفظ الله عليك دينك ، وقوى في ولاء العترة يقينك ـ سألتني أن أصنف لك كتابا يشتمل على خصائص أخبار الأئمة الاثني عشر صلوات الله عليهم ، وعلى ترتيب أيامهم ، وتدرج طبقاتهم ، ذاكرا أوقات مواليدهم ،

(١) روضات الجنات ٥٥٠ . والكتب الأربعة التي يعنيها هي : المتشابه في القرآن ، مجازات الآثار النبوية ، نهج البلاغة ، تلخيص البيان .

(٢) الشريف الرضي لكاشف الغطاء ١١٦ ، ١١٧ .

(٣) مقدمة الحلي لحقائق التأويل ٧٢ .

(٤) الغدير ٤/١٩٨ .

(٥) تقدم قبل سطور الشك في صحة نسبة هذه النسخة الى الرضي .

ومدد أعمارهم . وتاريخ وفياتهم ، ومواضع مقابرهم ، وأسامي أمهاتهم ، ومختصرا من فضل زياراتهم ، ثم موردا طرفا من جوابات المسائل التي سئلوا عنها ، واستُخْرِجت أقاويلهم فيها ، ولمعا من أسرار أحاديثهم ، وظواهر وبواطن أعلامهم ، ونبذا من الصحاح في النص عليهم .

إلى أن ذكر في سبب التأليف أن الباعث على تأليفه هو تعيير بعض علينا بعدم تأليف لنا في هذا الموضوع .

وكان شروعه في التأليف ٣٨٣ والأسف أنه لم يتم الكتاب بجميع مقاصده ، لاشتغاله بجَمْع كتابه نهج البلاغة ، كما صرح بذلك في أول النهج ، وإنما خرج من الخصائص أبواب وفصول من خصائص أمير المؤمنين عليه السلام ... ولم يمهله الأجل لإتمام الخصائص . ونسخة الشيخ شير محمد الهمداني المعاصر في النجف منتسخة من نسخة الشيخ هادي ، ورأيت في طهران نسخة أخرى في مكتبة سلطان العلماء ، ونسخة في مكتبة راجة قيض آباد ، كما في فهرسها المخطوط[1] » .

ورأيت في حاشية عمدة الطالب ٢٠٧ أن الكتاب طبع في المطبعة الحيدرية بالنجف ، كما ذكر عبد الزهراء الحسيني أنه طبع في النجف سنة ١٣٦٩ هـ[2] . فأرسلت في طلبه وسلكت وما زلت أسلك الأسباب الموصلة إليه ، ولم يتح لي بعد الحصول عليه .

ولا أستطيع أن أدلي برأي حول نسبة هذا المطبوع إلى الرضي ، حتى يُيَسِّر الله به .

٩ ـ ديوان شعره .

ذكره النجاشي وابن الأثير وابن خلكان ، وقال : « وديوان شعره كبير ، يدخل في أربعة مجلدات ، وهو كثير الوجود ، فلا حاجة إلى الإكثار من شعره » ، وابن عنبة والصفدي ، وقال : « ثلاث مجلدات » وابن العماد ، وقال : « في أربع

---

(١) الذريعة ١٦٢/٧ . وانظر مصادر نهج البلاغة ١٢٢/١ ، ١٢٣ .

(٢) مصادر نهج البلاغة ١٢٣ .

مجلدات » وابن معصوم والخوانساري ، ونقلا عبارة ابن خلكان ، والأميني[1] .

وذكر ابن خلكان أنه « قد عني بجمع ديوان الشريف الرضي المذكور جماعة ، وأجود ما جمع الذي جمعه أبو حكيم الخبري » ، ونقل ذلك عنه ابن العماد ، والخوانساري ولكن الخوانساري حرَّف كلمة « أجود ما جمع » إلى « آخر ما جمع[2] » . وقد طبع الديوان في الهند وبيروت ومصر ، وسيأتي الكلام عليه مستوفى في الباب الثاني من هذا البحث .

١٠ ـ رسائله .

ذكرها ابن عنبة والصفدي ، وقالا : إنها في ثلاث مجلدات ، والخوانساري والأميني ونقلا ذلك عن ابن عنبة أيضا[3] .

ولكن الخوانساري زاد في نقله عن ابن عنبة قوله : « إلى أبي إسحاق الصابي » فقال : « كتاب رسائله إلى أبي إسحاق الصابي في ثلاث مجلدات[4] » ، وكذلك قال الأميني « كتاب رسائله في ثلاث مجلدات ، ولأبي اسحاق الصابي المتوفي قبل سنة ٣٨٠ كتاب مراسلات الشريف الرضي ، كما ذكره ابن النديم في الفهرست ١٩٤[5] » ، وقال الأستاذ محمد عبد الغني حسن : « وله كتاب رسائله الذي جمعه أبو إسحاق الصابي ، وكان معاصرا له ، وقد ذكر ذلك ابن النديم في الفهرست ، وهذا الكتاب مطوي في أحناء الغيب[6] » .

أما الخوانساري فلست أدري من أين أتى بهذه الزيادة عن ابن عنبة وهو

---

(١) فهرست النجاشي ٢٨٣ ، الكامل ٢٦١/٩ ، وفيات الأعيان ٤١٦/٤ ، عمدة الطالب ٢٠٨ ، الوافي بالوفيات ٣٧٥/٢ ، شذرات الذهب ١٨٣/٣ ، الدرجات الرفيعة ٤٦٧ ، روضات الجنات ٥٤٧ ، ٥٤٨ ، الغدير ١٩٩/٤ ، وانظر أيضا كشف الظنون ٧٩٤ ففيه أنه في أربعة أجزاء ، وأنه مرتب على حروف الهجاء .

(٢) وفيات الأعيان ٤١٦/٤ ، شذرات الذهب ١٨٣/٣ ، روضات الجنات ٥٤٧ .

(٣) عمدة الطالب ٢٠٨ ، الوافي بالوفيات ٣٧٥/٧ ، روضات الجنات ٥٤٨ ، الغدير ١٩٩/٤ .

(٤) روضات الجنات ، الموضع السابق .

(٥) الغدير ، الموضع السابق .

(٦) مقدمة تلخيص البيان (طبعة الحلبي) ١١٠ .

يصرح بأنه ينقل عنه ، وأما الأميني فقد أخطأ في تاريخ وفاة الصابي ، فقد توفي أبو إسحاق سنة ٣٨٤ هـ ، لا قبل سنة ٣٨٠ هـ . وأما قضية أن الصابي جمع رسائل الشريف الرضي ، فذلك وهم وقع فيه ابن النديم ، وتبعه عليه الأميني والأستاذ محمد عبد الغني حسن ، ذلك أن الرضي كان في الخامسة والعشرين من عمره حين توفي أبو إسحاق ، ولم يكن له في هذا الوقت من المكاتبات ما يقوم بكتاب ، فقد كانت صلاته بالخلفاء والملوك والوزراء تسلك أول الطريق ، وكان الرضي حفيا بمن يصنع له شيئا كهذا ، كما فعل مع أستاذه ابن جني حين شرح بعض قصائده ، فلو أن صديقه الصابي جمع رسائله حتى ذلك الوقت لاتضح هذا في علاقته به ، ولأثنى على جهوده ، لكن الذي حدث هو أن بعض الناس جمع ما تبادله الرضي والصابي من الشعر والنثر ، وأطلق على هذا المجموع اسم « نسخ المكاتبات من النظم والنثر الجارية بين الشريف الرضي رضي الله عنه وبين أبي اسحاق إبراهيم بن هلال الصابي » ، وهو الذي نشر بالكويت سنة ١٩٦١ م باسم « رسائل الصابي والشريف الرضي » بتحقيق الدكتور محمد يوسف نجم .

هذا ولم يصل إلينا من المجلدات الثلاث ، التي ضمت رسائل الرضي ، إلا فصول قصيرة جاءت في « الدرجات الرفيعة »[1] ، وقد نشرت « مجلة العرفان » بصيدا بعضها قبل نشر « الدرجات الرفيعة »[2] ، وفصول قصيرة أخرى في « جمهرة الإسلام ذات النثر والنظام للشيزري »[3] ، وثلاث رسائل طويلة له في « الجمهرة » أيضا والرسائل المتبادلة بينه وبين الصابي في « رسائل الصابي والشريف الرضي » .

١١ ـ الزيادات في شعر أبي تمام .

ذكره النجاشي ، وابن معصوم ، والخوانساري وسماه « الزيادات من شعر

(١) في الصفحات من ٤٧٥ ـ ٤٧٨ . وقد ساقها ابن معصوم لأن إنشاءه ومراسليه قليلة الوجود .
(٢) الشريف الرضي لكاشف الغطاء ١١٨ .
(٣) مخطوط (مصور بمعهد المخطوطات عن النسخة الوحيدة بليدن) .

أبي تمام » ، كما ذكره الأميني[1] .

١٢ ـ الزيادات في شعر ابن الحجاج .

ذكره النجاشي والأميني[2] .

١٣ ـ سيرة والده الطاهر .

ذكره ابن عنبة ، والصفدي ، وابن معصوم ، والخوانساري ، والأميني[3] وقد انتهى الرضي من تأليف هذه السيرة سنة ٣٧٩ هـ ، وذكرها في تهنئة أبيه بعيد الفطر من هذه السنة .

١٤ ـ ما دار بينه وبين أبي إسحاق الصابي من الرسائل شعرا .

هكذا جاء ذكره عند النجاشي والأميني[4] ، وعند ابن معصوم : « ما دار بينه وبين أبي إسحاق من الرسائل ، ثلاث مجلدات »[5] ، وعند محمد رضا آل كاشف الغطاء « كتاب ما دار بينه وبين أبي إسحاق الصابي من الرسائل والشعر[6] » وواضح أن ما أورده ابن معصوم يتعلق برسائل الرضي التي تقدم ذكرها ، وأن ما أورده كاشف الغطاء يتعلق بـ « نسخ المكاتبات » التي سبقت الإشارة إليها .

المتشابه في القرآن = حقائق التأويل

١٥ ـ مجازات الآثار النبوية

ذكره الرضي في « نهج البلاغة[7] » ، كما ذكره في « تلخيص البيان عن

(١) فهرست النجاشي ٢٨٣ ، الدرجات الرفيعة ٤٦٧ ، روضات الجنات ٥٥٠ ، الغدير ١٩٩/٤ .

(٢) فهرست النجاشي ٢٨٣ ، الغدير ١٩٩/٤ .

(٣) عمدة الطالب ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، الوافي بالوفيات ٣٧٥/٢ ، الدرجات الرفيعة ٤٦٧ ، روضات الجنات ٥٤٨ ، الغدير ١٩٩/٤ .

(٤) فهرست النجاشي ٢٨٣ ، الغدير ١٩٩/٤ .

(٥) الدرجات الرفيعة ٤٦٧ .

(٦) الشريف الرضي له ١١٨ .

(٧) نهج البلاغة ٤٦٤ .

مجازات القرآن[1] ، كما ذكره النجاشي ، وابن عنبة ، والصفدي ، وابن معصوم ، والخوانساري ، والأميني[2] .

طبع الكتاب أولا في مطبعة الآداب ببغداد سنة ١٣٢٨ هـ ، ثم طبع بمصر بتحقيق محمود مصطفى سنة ١٣٥٦ هـ ، وطبع مرة ثالثة بمصر بتحقيق الدكتور طه الزيني سنة ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٧ م .

١٦ ـ مختار شعر أبي إسحاق الصابي .

ذكره النجاشي ، وابن معصوم ، والأميني نقلا عن النجاشي[3] .

معاني القرآن = حقائق التأويل

١٧ ـ نهج البلاغة ، من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، كرم الله وجهه .

ذكره الرضي في « حقائق التاويل »[4] ، كما ذكره الرضي في « تلخيص البيان »[5] وذكره أيضا في المجازات النبوية خمس مرات[6] ، وقد ذكره له النجاشي ، وابن عنبة ، والخوانساري ، وابن معصوم ، والأميني[7] .

وكان للمرتضى أخي الرضي بنت فاضلة جليلة ، روت عن عمها هذا الكتاب : وروى عنها الشيخ عبد الرحيم البغدادي المعروف بابن الأخوة ، على ما أورده الراوندي في آخر شرحه لنهج البلاغة[8] .

---

(١) تلخيص البيان ١٦٧ .

(٢) فهرست النجاشي ٢٨٣ ، عمدة الطالب ٢٠٧ ، الوافي بالوفيات ٣٧٥/٢ ، الدرجات الرفيعة ٤٦٧ ، روضات الجنات ٥٤٨ نقلا عن ابن عنبة ، الغدير ١٩٨/٤ .

(٣) فهرست النجاشي ٢٨٣ ، الدرجات الرفيعة ٤٦٧ ، الغدير ١٩٩/٤ .

(٤) حقائق التأويل ١٦٧/٥ .

(٥) تلخيص البيان ١٧٨ .

(٦) المجازات النبوية ٣٩ ، ٤٠ ، ٦٧ ، ١٩٩ ، ٢٥١ .

(٧) فهرست النجاشي ٢٨٣ ، عمدة الطالب ٢٠٧ ، روضات الجنات ٥٤٨ ، الدرجات الرفيعة ٤٦٧ ، الغدير ١٨٦/٤ ـ ١٩٨ .

(٨) مقدمة ديوان الشريف المرتضى للصفار ١١٢ .

وذكر ابن خلكان هذا الكتاب في ترجمة المرتضى[1] ، وعن ابن خلكان نقل اليافعي[2] ، ونسبه الذهبي للمرتضى ، وعن الذهبي نقل ابن حجر[3] ، وذكره الصفدي أيضا[4] للرضي .

وقد طبع هذا الكتاب مرارا في إيران ومصر وبيروت ، وأقدم طبعة له في تبريز سنة ١٢٤٧ هـ ، طبع حجر[5] ، كما شُرِح عدة شروح ، أشهرها شرح عز الدين عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن محمّد بن أبي الحديد المتوفي سنة ٦٥٥ هـ ، وهو شرح حافل وموسوعة ثقافية ، وشرحه شرحا مختصرا الشيخ محمد عبده ، وطبع في بيروت سنة ١٨٨٥ هـ .

ولمجد الدين محمد بن أحمد الإربلي المتوفي سنة ٦٧٧ هـ كتاب « مختصر أمثال الشريف الرضي[6] » ، وقد دل الإربلي على كتاب للرضي يسمى الامثال حين قال في مقدمة المختصر : « وبعد ، فإني وقفت على مجموع من الشعر موسوم بالأمثال ، منسوب إلى اختيار الشريف الرضي الموسوي ، رحمة الله عليه ، وصلواته على آبائه الطاهرين ، فاغترفت من إحسانه ، واتبعته في استحسانه ، غير أن الهمم كانت في زمانه عالية ، والأمم بجواهر الآداب حالية ، ومن شوائب الشواغل خالية ، والآن قد قصرت الهمم والآمال ، وحالت الشواغل والأحوال ، فاجتنيت من ثمار غصونه ، واجتليت محاسن من أبكاره وعونه » . والكتاب اختيارات من شعر الشعراء في أغراض شتى ، في مدح بعض الأخلاق وذم بعضها . وليس لهذا الكتاب ذكر فيما بين أيدينا من مصادر ترجمت للرضي أو ذكرته ، كما أن قول الإربلي : « منسوب إلى اختيار

(١) وفيات الأعيان ٣/٣١٣ .

(٢) مرآة الجنان ٣/٥٥ .

(٣) ميزان الاعتدال ٣/١٢٤ ، ولسان الميزان ٤/٢٢٣ ، ولست أدري كيف جزم بروكلمان بأن الكتاب للمرتضى ، في تاريخ الأدب العربي (الترجمة العربية) ٢/٦٤ .

(٤) الوافي بالوفيات ٢/٣٧٥ .

(٥) معجم المطبوعات العربية والمعربة ١١٢٥ .

(٦) مصور بمعهد المخطوطات برقم ٧٥١ أدب عن نسخة دار الكتب المصرية رقم ١٥٠٠ أدب .

الشريف الرضي » لا يقطع بنسبته إليه ، بل إنه ليشككك فيها .

وهناك ثلاثة كتب نسبت خطأ إلى الرضي ، هي :

١ ــ انشراح الصدر في مختارات من الشعر .

ذكره له جورجي زيدان[١] ، ونقل ذلك عنه الأميني ، ثم قال : « أقول هو لبعض الأدباء ، اختاره من ديوان المترجم له ، كما في كشف الظنون ١/٥٣١[٢] » وصدق[٣] .

٢ ــ أوصاف ألف غلام وغلام . من هذا الكتاب نسخة في مكتبة دير الإسكوريال بإسبانيا ، برقم ٤٦١[٤] ، وهو منسوب خطأ إلى الشريف الرضي ، وقد رجعت إلى النسخة فتبين لي أن ذلك وهم ، ساق إليه أنه يوجد في نسب صاحب الكتاب لفظتا الرضي والموسوي ، حيث جاء أول الكتاب في النسخة هكذا: « قال الشريف ابن الشريف دفترخُوان الطوسي العادلي على بن محمد بن الرضي بن محمد الحسيني الموسوي : قد أكثر الناس بعد الثعالبي النيسابوري ، صاحب اليتيمة ، في معارضة كتابه الذي ألفه في وصف مائتي غلام من أقوال الشعراء ، وقد نظمت كتابا في وصف مائتي غلام ومائتي جارية ، واشتهر في كتبي المتقدمة ، ولم أسمع أن أحدا قبلي تعدى مائتين نظما فقط ، وحين رأيت ميل الناس إلى محاسن الغلمان ، قلت هذا الكتاب في أوصاف ألف غلام وغلام ، لا شريك لي فيه » وجاء في ختام الكتاب : « كملت ثلاثة آلاف بيت وثلاثة أبيات . قال الشريف ابن الشريف دفترخوان الطوسي العادلي ، قائل هذا الكتاب : هذا كتاب ألف غلام وغلام ، الذي غرتني بقوله خزعبلات الشباب الرائق ، وأغرتني بنظمه ترهات باكورة الصبا المفارق ... والحمد لله وحده .... » .

---

(١) آداب اللغة العربية ٢/٢٥٧ .

(٢) الغدير ٤/١٩٩ .

(٣) منه نسخة مصورة بمعهد المخطوطات برقم ٧٠ أدب .

(٤) منها مصورة في معهد المخطوطات . انظر قوائم المخطوطات التي فهرستها بعثة المعهد إلى إسبانيا سنة ١٩٧١ م ، القائمة ٤ كتاب ٣٠ .

وأبو الحسن ابن دفترخوان هذا أديب شاعر ، ولد بحماة سنة ٥٨٩ هـ ، وورد إربل من بغداد ، وتوفي سنة ٦٥٥ هـ[1] .

٣ ـ طيف الخيال

ذكره البغدادي في « إيضاح المكنون »[2] على أنه للرضي ، وفي « هدية العارفين » مرة على أنه له[3] ، وأخرى على أنه للمرتضى[4] ، كما نسبه إليه كحاله[5] ، وذكر الأميني أن « طيف الخيال » مجموعة تنسب إليه ، ثم قال : « أقول : هو من تأليف أخيه الشريف المرتضى ، لا له[6] » ، وقد فصل الأستاذ حسن كامل الصيرفي ، في مقدمة تحقيقه لهذا الكتاب ، القولَ في هذه المسألة ، وأثبت نسبة الكتاب للمرتضى ، لا الرضي[7] .

وبعد ، فلست أدري كيف جمع الرضي بين هذه الكثرة الكاثرة من الشعر ، التي ضمها ديوانه ، وبين التفرغ للدراسة والبحث ، على المستوى الذي أنتج هذه المؤلفات أيضا ، على الرغم من أن ما وصل إلينا منها قليل ، ويزداد العجب حين ندرك أن الرضي قضَى وهو في السابعة والأربعين من عمره ، وكانت حياته مسرحا لصراع سياسي عنيف ، يصرف صاحبه صرفاً عن أن يتفرغ للدراسة ، ويجلس للتأليف ، كما أن خواطر الشعراء الذين عرفوا بالفحولة في الشعر والسبق في حلبته ، لا تكون ـ غالبا ـ طيعة في مجال البحث ونقاش الآراء ، والتهدي إلى مبتكرات الفنون ، على النحو الذي نجده فيما وصل إلينا من مؤلفات الرضي .

أدب الرضي

كان المجال الثالث الذي عبر فيه الرضي عن نبوغه وثقافته هو أدبه ، من شعر

(١) معجم المؤلفين ١٩٧/٧ . وانظر شعرا له في نثار الأزهار ١٢ ، ١٢٨ ، ١٢٩ .
(٢) صفحة ٨٩ .
(٣) في صفحة ٦٠ .
(٤) في صفحة ٦٨٨ .
(٥) معجم المؤلفين ٢٦١/٩ .
(٦) الغدير ١٩٩/٤ .
(٧) مقدمة التحقيق لكتاب طيف الخيال ٣٨ ، ٣٩ ، وانظر دائرة المعارف الإسلامية ٢٨٦/١٣ .

فائق ، ونثر بليغ .

نثر الرضي :

القدر الذي بين أيدينا الآن من رسائل الرضي المطولة والقصيرة ، لا يمكننا من الحكم على نثره وتطوره ، ومكانته من عصره ، حكما مفصلا ، ولكنه يتيح لنا رؤية لبعض ملامح نثر الرضي ، إلى أن يجود علينا الزمان بما ضاع منه .

والرسائل الطوال التي بين أيدينا تنتظم أغراضا متعددة ، من تهنئة ومعاتبة وتعزية وعهود ونقد شعر .

ورسائل التهنئة كتبها الرضي إلى ثلاثة من الوزراء الذين عاصرهم ، وكانت الأولى إلى سليمان بن أحمد الأَبَرْقُوهي ، يهنئه بالنجاة من حادث ، ربما كان سياسيا ، وقد ذكر الرضي في أولها ما بينهما من علائق الإخاء وغرائس الصفاء ، وقلقه عليه من هذا الحادث ، وتوالي سؤاله عنه في مدته ، والدعاء له ، حتى عاد إلى وطنه مكنوفا بالسلامة ، ثم يصف سروره الخالص بعودته وسلامته[1] .

أما الرسالة الثانية فكانت إلى أبي القاسم عبد العزيز بن يوسف الحَكَّار ، يهنئه بما صار إليه من العودة إلى العلياء ، ونجاته مما ألم به ، ولعله يعني العزل عن الوزارة ثم العودة اليها ، وقد بدأ رسالته ببيان بَرَمِه بالليل والنهار ، وسخطه بواقع الأقدار ، لعجزه عن الوصول إليه لمرضه وعلته ، وكان أمله أن يبادر إليه ليقوم بالواجب نحو تهنئته بنجاته مما أصابه ، ويذكره بما يفعله الزمان بعظام الرجال ، من تقلب أحوالهم في الخير والشر ، وأن العواقب دائما لمن يصبر ، ويبشره بالأجر على ما أصابه ، وزيادة النعمة واضطرادها ، ويحمد الله على أن جعل محنته محنة أدب لا محنة غضب ، ونكبة استصلاح لا نكبة اجتياح ، ويصفه بالعلم والأدب[2] .

والثالثة كانت إلى الوزير سابور بن أردشير ، يهنئه بعودة الوزارة إليه ، في الدفعة الرابعة ، ويذكر في أولها أن هذه نعمة شملت الناس عموما وشملته خصوصا

(١) جمهرة الإسلام ، الباب الرابع .

(٢) جمهرة الإسلام ، الباب الثاني .

وأن خلو الوزارة منه كان غمة على الخاصة والعامة ، ويدعو الله أن يديم عليه هذه المنة ولا ينقله عنها إلا إلى ما هو أجل منها ، ويصف كفايته ، وما وصل إليه من تدبير الوزارة أربع مرات ، مما لم يحصل عليه أحد في ذلك الزمان ، ثم يذكر ما جمع الله فيه من الخلال الحميدة ، ويدعو الله أن يتم له ما خوَّله ، ويعينه على ما قلَّده[1] .

ونلاحظ أن هناك معاني تتردد في رسائل التهنئة هذه ، مثل بيان ما بين الرضي وبين هؤلاء الوزراء من علائق ، وما يشعر به نحوهم من الولاء أو الإخاء ، وأنها تهنئة بنعمة جاءت بعد نقمة ، أو بتولية بعد عزل ، كما يلاحظ كثرة الدعاء فيها ، بدوام النعمة واضطرادها .

أما رسالته الى الصابي في الرد على تهنئة له بعيد الفطر من سنة ٣٨٤ ه ، فقد ذكر الرضي فيها أنه سعد بهذه التهنئة من بين التهاني كلها ، لما يعلمه من انها تهنئة صادرة من قلب غير متقلب ، ويدعو الله له بطول البقاء ، ويواسيه عن علته بأنه أرسى لنفسه على تطاول الزمن مجدا ، ويقبل عذره في نيابة الرسالة عن حضوره لتهنئته ، ويطلب منه الصبر لأن الزمن لا يُطالب بالمناصفة ، ويصف مكانه المكين من قلبه ويشكره على ما أرسله اليه من الشعر ، ويذكر رده عليه[2] .

وقد وجه الرضي رسالته في العتاب إلى أحد أصدقائه ، ويذكر شوقه إليه ، ويعتب عليه تأخر مكاتباته ، ويذكره بما بينهما من عهود ، وبما مضى لهما في ربيع الأيام وشباب الدنيا ، ويبين عذره في شدة لومه ، لتبدل حاله ، فقد كان خصيصا به ، وكان أقاربه يعلمون خبره عن طريق الرضي ، ثم انقلب ذلك إلى ضده ، ويذكره بالعودة قبل أن يحول بينهما الزمان ، كما فعل في سلبه صديقه الحميم أبا إسحاق الصابي ، ثم يصف صداقته له ، ولَواعِجَه في فراقه ، ومكانته الأدبية والسياسية ، وما دار بينهما ، وما رثاه به ، ويدعو الله أن يحفظ مهجة صديقه ، وأن يثني عطفه نحوه .

(١) جمهرة الإسلام ، الباب السادس .

(٢) رسائل الصابي والشريف الرضي ٩٨ .

والرسالة إخوانية رائعة ، تكاد تذوب رقة ووجدا [1] .

ورسالة الرضي الى الصابي في تعزيته عن ولده سنان ، في ربيع الآخر سنة ٣٨٠ هـ رسالة فريدة ، وضع فيها الرضي خُلاصة حبه لصديقه ، وحدبه وإشفاقه عليه ، وذكر فيها أنه عاد من تعزيته وقد أضيف إلى حزنه على الشاب قلقه على ما صار إليه حال صديقه من الحزن والحُرَق ، ثم يذكره بما لا ينساه من الصبر ، وما يعرفه من تقلب الأيام ، والاعتبار بمن مضى من القرابة والخلان ، وأن المرء سائر الى مصيره فلم كل هذا الحزن ، وفي الأيام خلف من الغائب ، ويسأل الله أن يزيد سروره بمن بقي من أولاده ، وأن يبارك فيهم . وقد عدل الرضي في هذه الرسالة إلى الحِجَاج في أكثر من موضع ، رغبة في أن يصل بصديقه المكلوم إلى اقتناع يسرِّي عنه ، ويصرف عنه الحزن [2] .

وقد كتب الرضي إلى الصابي رسالتين أخريين ، في سنتي ٣٨٠ ، ٣٨١ هـ يبين له فيهما ما يريد توكيده في العهدين الصادرين من دار الخلافة ، وكان الأول بمناسبة تقليده نقابة الطالبيين والنظر في أمور المساجد بمدينة السلام والنيابة عن والده في المظالم والحج ، وكان الثاني في تقليده بعمل جديد ، ولم يتم أمره .

ولم يكتب الرضي إلى الصابي لقصور يعرفه فيه ، وإنما أراد أن يوضح له أمرين ؛ الأول ، الحفاظ على مكانة أبيه وتعظيمها ، فقد كانت القضية شديدة الحساسية ، ذلك أن الطائع لله ولى أبا أحمد النقابة والحج والمظالم ، في أوائل سنة ٣٨٠ هـ ، ثم ولى ولده النقابة في رمضان من السنة نفسها ، والأمر يقتضي في كتابه المرسوم كياسة لا بد أن يُنَبِّه الرضي صديقه الصابي الكيِّس إليها ، زيادة في الحيطة ، وتبرئة للنفس . والثاني ، رغبة الرضي في إسباغ مظاهر التكريم عليه في هذين المرسومين وقد أشار على الصابي بالإطالة في مواطن خاصة ، يرى فيها إظهار الكرامة والرفعة [3] .

---

(١) رسائل الصابي والشريف الرضي ١٠٣ .

(٢) رسائل الصابي والشريف الرضي ٦٣ .

(٣) رسائل الصابي والشريف الرضي ٧٣ ـ ٧٧ .

والرسائل التي بين يدي تشيع فيها ظاهرة الموازنة بين السجع والازدواج ، وقلما يكتب لأحدهما الغلبة على الآخر ، ويدرك القارئ لها أن الرضي يكن يعمد إلى أحدهما ، وإنما كانت المعاني تسوقه فيضعها في القالب الذي يناسبها ، فبينما يلجأ الرضي إلى السجع في قوله : « وبينما هذه الدنيا ترضعنا درتها ، وتصرح لنا عن زبدتها ، وتلحفنا فضل جناحها ، وتغرنا بركود رياحها » إذ به يعود إلى المُرَاوحة بين السجع والمزاوجة ، فيقول : « وتغذينا بما نستمرئه برهة ونسْتَمِرُّه مدة ، ونستحليه أوانا ونسْتَوْبِيه آونة ، حتى تعطف علينا عطف الضروس ، وتضرحنا ضرح الشموس ، وتريق ما حلبت من النعيم ، بضروب ما جلبت من الهموم »[1] .

وقد يعمد الرضي إلى تضمين رسائله بعض شعره كما فعل في ختام رسالته لسابور ، فقد ضمنه الأبيات ٢٩ ، ٣١ ــ ٣٣ من القصيدة (١٣٥) ، أو تضمينها شعر غيره كما فعل في رسالته إلى الحَكَّار ، حيث ضمن قول القائل :

وللدهر في صُــمِّ الصِّلاب نصيبُ[2]

وضمن قول الآخر :

كل حبسٍ يهونُ عند الليالي بعد حَبْسِ الأرواحِ في الأجسادِ[3]

وتكثر الجمل الدعائية في رسائل الرضي ، مثل دعائه بطول البقاء والعز والتمكن إلخ ، وقد يتداخل الدعاء في الكلام بما يفصل بين أجزائه ، مثل قوله لسابور « فإن رأى سيدنا الوزير ــ أدام الله علوه ــ أن يأمر ــ أعلى الله أمره ــ بإجابتي ....[4] » كما يفصل أحيانا بين جزءي الجملة ، لحشد كل ما يتعلق بالمعنى ، ولَمِّ شتاته ، كما في قوله : « وبعد ، فبيننا من مناسبة الخلائق ، ومشاكلة الطبائع ، ثم من المودة التي ألفت بين شخصينا ، وضربت برواقها علينا ، وما كنا نتهاداه من ألطاف الفضائل ،

(١) رسائل الصابي والشريف الرضي ٦٧ .
(٢) في نسخة الجمهرة « ففي صم السلام نصيب » ، وهو خطأ .
(٣) جمهرة الإسلام ، الباب الثاني .
(٤) جمهرة الإسلام ، الباب السادس .

ونتشاراه من أعلاق المناقب ، ما يعذرني في أن أفرط جزعي عليه ...[1] » ، وكما تقدم في آخر رسالته لسابور ، الذي تقدم نقله .

والفصول القصار التي ساقها الشَّيْزَرِي في آخر جمهرة الإسلام ، وساقها ابن معصوم في « الدرجات الرفيعة » ، ونشرتها « مجلة العرفان » قبل طبع « الدرجات الرفيعة » ، لا تخرج في جملتها عن رسائله المطولة ، فهي في ظني فقرات من رسائله الطوال ، وليست رسائل مستقلة ، ذلك لأن كل رسالة منها لا تستقل بغرض ، وإنما هي نُبَذٌ من إنشاء الرضي ، كما نص على ذلك ابن معصوم . وقد فتشتها فلم أجد فيها خروجا عما سبق بيانه من المعاني في الرسائل الطوال ، كما أنها تتضمن الخصائص الفنية التي سبقت الإشارة اليها .

شعر الرضي[2] :

وأغراض الرضي الشعرية حافلة ، وقد تعاظم قدر المدح في شعره حتى ليربو على ثلث ديوانه ، ثم يليه الرثاء والفخر والشكوى والنسيب ثم بقية الأغراض .

وأول هذه الأغراض المدح والتهنئة ، ومدائحه لأسرته يجمع لهم فيها بين شرف النسب وعلو الهمة ، وكرائم الأخلاق من مثل قوله في أبيه :

وأين مثلُ الحسينِ إن حسنتْ ... صنائعُ البيضِ والْقَنَا القُصُدِ
أبْلَجُ إن صاحتْ المطِيُّ بـه ... فَدَى التَّنائي بعَيْشه الرَّغِدِ

وقوله فيه :

تتزاحمُ الأضْيافُ في أبْياتِـه ... فِرَقاً تَحِنُّ إلى القِرَى وتتُوقُ
وإذا رآهم لم يقلْ مُتَمَثِّلاً ... أبَنِي الزمانِ لكلِّ رَحْبٍ ضِيقُ

وفي مدائحه للخلفاء العباسيين ، يعدد لهم صفات المجد وعلو النسب وإحكام الخلافة ، من مثل قوله في الطائع لله :

مَلِكٌ إذا حصر السِّماطُ بـه ... كثُر العثارُ وطبَّق الزَّلَلُ

(١) رسائل الصابي والشريف الرضي ١٠٨ .

(٢) هذا تعريف موجز بشعر الرضي ، أما سعة القول فهو في دراسة مفصلة شاملة تحت يدى .

وإذا السَّريرُ سما بقَعْدتِه غُرِيَتْ بظاهِرِ كَفِّه القُبُلُ
جلَتِ الأئمةُ عن مَناقبِه واستَوْدعته نورَها الرُّسُلُ

وفي مدائحه للبويهيين ، يصفهم بالقوة واستلاب الملك قهرا ، والبأس والكرم ، يقول في بهاء الدولة :

إذا ابْتَدرَ الرِّهانَ مُبادِرُوه تَمَطَّر دونهم يومَ الجِراءِ
وإن طُلِب النَّدَى خرجتْ يَداه خُروجَ الوَرْقِ من خَلَلِ الغماءِ
حَذَارِ إذا تلَفَّع ثوبَ نَقْعٍ حذارِ إذا تعمَّم باللِّواءِ
حذارِ من ابنِ غَيْطَلَةٍ مُدِلٍّ يسُدُّ مطالعَ البِيدِ القَواءِ

وفي مدائحه للوزراء والكتاب وأصحاب الجاه والمتغلبين على البلاد والاصدقاء والعلماء ، يبين خصائص مدحه لكل طائفة ، وله قدرة على تمييز ما يمدح به كل فريق .

وقصائده في الرثاء والتعزية ، تظهر تفجعه على من فقدهم من أسرته ، أو من الخلفاء والملوك والوزراء والكتاب والاعوان والأصدقاء والعلماء . انظر إلى لوعته في رثاء أمه :

فارقتُ فيك تمسُّكي وتجمُّلي ونسِيتُ فيك تعزُّزي وإبائي
وصنعتُ ما ثَلَم الوقارَ صنيعُه ممَّا عَراني من جَوَى البُرَحاءِ
كم زَفْرةٍ ضعفتْ فصارتْ أنَّةً تمَّمْتُها بتنفُّسِ الصُّعَداءِ
لَهْفان أنْزُو في حبائلِ كُرْبةٍ ملكتْ عليَّ جَلادتِي وغَنائِي

وتفرُّده في هذا اللون من الفن ، وامتزاجُه بمأساة الموت ، وبكاؤه الملتاع ، كل ذلك استحق به أن يسمَّى النائحة الثكلى .

وكان الفخر الميدان الذي يُجلِّي فيه الرضي ، ويكشف عن آماله ، ويبين عن منازعه العالية ، ويظهر قدرته على التصور حين يرى نفسه بطلا يقود الفرسان ، وقد كشف شعره في هذا الاتجاه عن أخلاق الفرسان كما يراها ، وعن صفات الجواد الأصيل الذي لا يمتطي ظهره إلا صناديدُ الرجال ، وقصيدته التي يبدؤها بقوله :

نَبَّهْتُهم مثلَ عَوالِي الرِّماحْ   إلى الوغَى قبل غُمُومِ الصَّباحْ

توضح ذلك . كما كانت الشكوى مُتنفَّسا له ، يبث فيها متاعبه في دنيا الأقارب والاصدقاء، ومحاربة الدهر له ، وانتكاس أمانيه . وشعره في الفخر والشكوى ذاتيٌّ خالص . ينبع من نفس قلقة وَثَّابة حساسة . كما أن شعره الوجداني في النسيب وطيف الحبيب غاية في الرقة ، والإفصاح عن الأخلاق العالية ، والنفس التي صقَلها الوجد ، وهذبها العشق ، وأصبحت حجازياته بما تحمل من معالم فنية طريقا ممهدا للشعراء بعده ، وهام الناس بها لعذوبة وقعها ورقة حواشيها ، وقد عارض الشعراء كثيرا قصيدته الكافية :

يا ظَبْيَة الْبانِ ترعَى في خَمائِلِه   لِيَهْنِكِ اليومَ أن القلبَ مَرْعاكِ

وقصيدته الميمية :

يا ليلةَ السَّفْحِ ألاَّ عُدْتِ ثانيةً   سقى زمانَك هَطَّالٌ مِن الدِّيَمِ

كما أن بكاءه الشباب ، ونفوره من المشيب ، فتح له بابا من القول الطريف ، ونفَّس عن ما تحمله نفسه المكروبة من هم – عن طريقه – في شعره .

وكانت صداقات الرضي ميدانا رَحْبا لشعره ، أبان فيه عن معرفة بطبائع الرجال ، وحرص على الصورة المُثْلَى للمجتمع ، وهو يمثل واحةً له في هجير صحراء الحياة[1] ، كما يمثل نوعاً من الحكمة في معالجة عِوَج الأصدقاء ، يدل عليها قصيدته :

وكم صاحبٍ كالرمحِ زاغتْ كعُوبُه   أبَى بعدَ طولِ الغَمْزِ أن يَتَقَوَّما

ومِيسَم الهجاء عند الرضي حاد لاذع ، لكنه غيرُ فاحش ، وهو يجمع لمن يهجوه المثالب التي تبعده عن طريق العلا ، ولا يصفه بما يصف الهجاؤون به الناس ، من هتك لأعراضهم ، وتعريض بمعايبهم الجسمية ، مما يؤذي النفس ويجرح الحس ، ولذلك فإن أهاجيه تبلغ ما تريد ، ولا يتحرج المرء من روايتها أو التمثل بها .

---

(١) انظر بعض قصائده في أصدقائه كالحَكَّار وابن خَلَف وابن حَمْد والبَتِّي في الديوان . القصائد : ٩ ، ١٦ ، ١٢٣، ٢١٥ ، ٢٤٨ ، ٥٣٨ .

وإنك لتحس في قصيدته :

أبيعُـك بَيْـعَ الأديـمِ النَّغِـلْ وأطوِي وِرادَك طَـيَّ السِّجِلّ

ثورة الغضب ، ولذعة الهجاء ، وألم المثالب .

والشريف الرضي شاعر وَصَّاف ، ولكن وصفه لا يأتي غالبا إلا استطرادا ، وهو حين يصف يخلط الوصف بنفسه ، ويمزجه بخطرات قلبه ، ولذلك لا ترى في وصفه عناية بإبراز الحسيات ، وقد وصف الطبيعة وما يعيش فيها[1] . كما وصف الحرب والصراع السياسي .

وقد اقتضته ظروفه التي عاشها أن يتقلب في أحضان السياسة ، وأن يشهد مؤامراتها ودسائسها ، وأن يكتوي بنارها ، وشعره في هذا الجانب يعطي ملامح عصره ، ويشترك مع النصوص التاريخية في الكشف عنه ، وينبئ عن القيم السياسية التي كان الناس يتعاملون على أساسها في تلك الفترة ، من شراء المناصب ، إلى المكائد والدسائس التي تفتك بالناس ، إلى الغدر بمن كان محل الثقة ، إلخ[2] .

والرضي رقيق في عتابه ، يدعو إلى البقيا ولَمِّ الشمل[3] ، ولكنه عنيف في تهديده لا يبقي ولا يذر ، ولا يرعى مقامَ خليفة أو ملك ، يهدد بالقطيعة والرحلة ، والحرب والقراع ، كما يهدد بأَسَلات شِعره[4] .

وله نظرات خاصة في الحياة ، كونتها لديه تجاربُه ، وهو لا يبخل بتقديم نصائحه للساسة أو لعامة الناس ، حتى تستقيم الحياة على وجهها ، وله في هذا الجانب أبيات تسير مسير الأمثال ، ولكن أمثاله لم تشتهر شهرة غيره من الشعراء كالمتنبي مثلا ، ويتصل بهذا قصائد ومقطوعات للرضي ، يتزهد فيها ، وينذر الناس بالآخرة ،

---

(١) انظر وصفه للأسد في حديثه عن نفسه في الديوان قصيدة ٥٢٤ ، ووصفه للذئب في الديوان قصيدة ٤٧٢ .

(٢) انظر بعض أمثلة لذلك في الديوان ، قصائد : ١٧٠ ، ١٧١ ، ٤٣٦ ، ٥١٤ ، ٥٥٠ .

(٣) الديوان قصيدة ١٢٧ .

(٤) الديوان قصيدة ٥٢٨ .

وينفِّر من الركون إلى الدنيا بعدما أبدتْ من غِيَر ، ويشكر الله على نعمه ، وهو في هذا كله لا يعبر عن فلسفة خاصة لها منهاجها ، وإنما هي شذرات مفرقة أقرب إلى الحكمة والموعظة .

والرضي ممن لا يُقْبِل على ما يعتذر منه ، ورغم ذلك فله مقطوعات وقصائد رقيقة في هذا الجانب ، وله قصيدتان[1] في استعطاف بهاء الدولة ، يشينان الصورة التي يرسمها سائر شعره في إبائه وأنفته ، ولعل قهرا سياسيا هو الذي دفعه إلى هذا الموقف ، كما أن له بعض الشعر في الاقتضاء وإنجاز الوعد ، وله قصائد ومقطوعات وأبيات مفردة لا تستطيع أن تخضعها لغرض بعينه .

والرضي أشعر الطالبيين ، حسب ما وصل إلينا من شعرهم ، وأشعر قريش[2] إذا نظرنا إلى إكثاره في فنون الشعر المختلفة ، وإجادته لها ، أما في الجانب الذي اختص به عمر بن أبي ربيعة ، وهو وصف النساء وأحوالهن وأحواله معهن ، فلا تصحُّ المقارنة بينهما .

وفاة الرضي :

قلت من قبل : إن الرضي ودع آماله حين سوي على بهاء الدولة التراب سنة ٤٠٣ هـ ، وقد اتضح هذا من هجره القريض ، إلى الحد الذي جعل سلطان الدولة يواصل اقتضاءه منه ، حتى اضطر إلى أن يكتب قصيدته في صفر سنة ٤٠٤ هـ ، وفيها يقول :

رام مـنيِّ قَـوْدَ القَريضِ ولـولا ... هُ لقـد جـاذَب الزِّمامُ الأَكُفَّا

هَبَّ مـن رَقْـدةِ الفُتـورِ إليـهِ ... بعـدمـا غَضَّ ناظريْه وأغْفَـى

بل إنه كان يدرك أنه يودع الحياة نفسها ، ففي شعبان سنة ٤٠٥ هـ رثى صديقه البَتِّيّ ، فختم مرثيته بقوله :

مـا أخطأتْـك النائبـا ... تُ إذا أصابتْ مَـن تُحِـبّ

---

(١) الديوان قصيدة ٦٣ ، وقصيدة ١١٦ .

(٢) انظر يتيمة الدهر ٣/١٣٦ .

ولم يمضِ على هذا إلا أكثر قليلا من أربعة شهور حتى لقي ربه في بكور يوم الأحد ، لست خَلَوْن من المحرم سنة ٤٠٦ هـ[١] (٢٦ يونيو سنة ١٠١٦ م) عن سبع وأربعين سنة[٢] .

وقد تساءل أديب التقي عن السبب في قصر عمر الرضي ، وهو من أسرة معمِّرة فوالده بلغ السابعة والتسعين ، وأخوه مات عن إحدى وثمانين سنة . وعزا هذا ـ في تقديره ـ إلى مرض مفاجئ دهمه بالموت قبل أن يعالَج ، ثم ساق ما ذكره كرنكو ، من أن الشريف كان ضعيف البنية[٣] ، وذكر كرنكو أيضا أنه شكا الشيب وهو في الحادية والعشرين[٤] .

ولست أدري من أين استقى كرنكو قوله : إن الرضي كان ضعيف البنية ، بل إنه ذكر أيضا أن المرض اشتد عليه اشتدادا خطيرا سنة ٤٠٣ هـ ، في جمادى الأولى

---

(١) تاريخ بغداد ٢٤٧/٢ ، المنتظم ٢٨٢/٧ ، وفيات الأعيان ٤١٩/٤ ، الكامل حوادث سنة ٤٠٦ هـ ، المحمدون من الشعراء ٢٤٤ ، إنباه الرواة ١١٥/٣ ، تاريخ ابن الوردي ٣٢٧/١ ، تاريخ أبي الفدا ١٤٥/١ ، تذكرة الحفاظ ١٠٦٥/٣ ، عمدة الطالب ٢١٠ ، روضات الجنات ٥٤٨ ، الدرجات الرفيعة ٤٧٨ .

وفي نسخة من وفيات الأعيان : « توفي بكرة يوم الخميس سادس المحرم ـ وقيل صفر ـ سنة ست وأربعمائة » ، وعنها نقل الصفدي في الوافي بالوفيات ٣٧٨/٢ ، وابن العماد في شذرات الذهب ١٨٤/٣ ، وفي البداية والنهاية لابن كثير ٣/١٢ أنه توفي في خامس المحرم سنة ٤٠٦ هـ . وتفرد ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ٤٠/١ بأنه توفي في المحرم من سنة أربع وأربعمائة . وكذلك ذكر الخوانساري في روضات الجنات ٥٤٩ ، بعد أن ذكر التاريخ الأول في صفحة ٥٤٨ . والقول الأول هو المعتمد في أقرب المراجع التاريخية إلى الرضي . وهو الذي يتفق مع ما جاء في ديوانه في رثائه التي المشار إليه فيما سبق ، وما جاء في ديوان أخيه المرتضى وتلميذه مهيار في رثائهما له ، الذي سأذكره فيما بعد .

(٢) جاء في كتاب الدكتور إحسان عباس عن الشريف الرضي ١٤٤ أنه توفي عن قرابة اثنين وأربعين عاما . وهو خطأ .

(٣) الشريف الرضي ١٠٤ ، ١٠٥ .

(٤) دائرة المعارف الإسلامية ٢٨٥/١٣ . وهذا خطأ لأن الرضي شكا الشيب وهو في الثالثة والعشرين ، كما جاء في مقدمة قصيدته (٣٧٠) .

حتى يئس الناس من حياته ، بيد أنه ما أن انقضى شهران حتى أبَلَّ من مرضه ، إلى حد أنه استطاع أن يرسل في شهر رجب قصيدة أخرى إلى سلطان الدولة في أرَّجان[1] .

وواضح من هذا أن الأمر اختلط على كرنكو ، فالذي مرض حتى يئس الناس منه هو بهاء الدولة لا الرضي .

وقد ساق ابن معصوم والخوانساري قصة في إنشاء الرضي لبيتين أكمل بهما عمل أخيه المرتضى[2] روياها عن أبي الحسن العمري ، وجاء في آخرها في رواية ابن معصوم أن المرتضى قال : « يعزُّ عليّ أخي ، قتله الذكاء . فما كان إلا يسيرا حتى مضى لسبيله » وفي رواية الخوانساري : « يعز على أخي ، يقتله الفهم بعد أسبوع ، فما دار الأسبوع إلا وجاء نعي الرضي ، ومضى لسبيله » ، والقصة ـ كما ذكر أديب التقي والدكتور إحسان عباس[3] ـ صيغت على مثال قصة أبي تمام مع الكندي ، وصنعت لبيان بديهة الرضي ، وقوة حدس المرتضى . وقد ذهب الخوانساري ، بعد رواية القصة ، بعيدا في أن ذلك حدث لاحتراق خلط السوداء ، أو لتوجيه الحواس الباطنية بكليتها إلى التأمل[4] . وليس لهذا كله يد في أجل انتهى ، فلكل أجل كتاب .

ولما توفي الرضي حضر الوزير فخر الملك وجميع الأشراف والقضاة والشهود والأعيان ، وصلى عليه الوزير في الدار مع جماعة أَمَّهم أبو عبد الله بن المهلوس العلوي ، ثم دخل الناس أفواجا عليه ، ودفن في داره بخط مسجد الأنباريين بالكرخ[5] .

ولم يستطع أخوه المرتضى أن ينظر إلى تابوته ودفنه ، فمضى إلى مشهد موسى الكاظم بمقابر قريش ، وركب فخر الملك في آخر النهار ، فعزاه وألزمه العودَ إلى

---

(١) المرجع السابق .

(٢) روضات الجنات ٥٤٨ ، الدرجات الرفيعة ٤٦٨ ، ٤٦٩ .

(٣) الشريف الرضي ، لأديب التقي ١٠٢ ، ١٠٣ ، وللدكتور إحسان ٢٥٨ ـ ٢٦٠ .

(٤) روضات الجنات ٥٤٩ .

(٥) المنتظم ٢٨٢/٧ ، ٢٨٣ ، وفيات الأعيان ٤١٩/٤ ، الوافي بالوفيات ٣٧٨/٣ ثم بعض المراجع التي سبقت في وفاته .

داره ففعل . وقد حفظ له المرتضى هذا الصنيع ، فقال في رثائه لأخيه :

مَن مبلغٌ فخرَ الملوك بأنني ... للفضلِ من نُعْماه لستُ بناسِ
شرَّدتَ عني كَرْبَها من غُمَّةٍ ... وعَدلتَ لي الإيحاشَ بالإيناسِ
وخَلَسْتني منها وقد ضَمَّت على ... جلدِي الرَّواجلَ أيَّ يوم خلاسِ
إن كان فَرْعِي قد مضى وبَقِيتَ لي ... فالفرعُ مسدولٌ على الآساس[1]

وهذه الأبيات ، وما تدل عليه من عظم المصيبة لدى المرتضى في أخيه ، تمحو الظنَّ الذي ظنه أديب التقي ، حيث قال : « إن تعليل هذه الحادثة لا يقنع ، فالمرتضى إلى ذلك الحين ، كان قد ذرف على الخمسين ، وما هو بالفتى الحدث الذي يجزع لرؤية الموت ينزل بعزيز عليه ، ولم يكن من ضعف الإيمان بالحالة التي لا تتحمل قضاء الله ينفذ في أخيه ، وربما كان لهذه الحادثة باعث غير باعث الجزع ، وقد يكون الباعث نفسانيا لم نطلع عليه ، وبين الرضي وأخيه وحشة سالفة ، استدعت العتاب والمراسلات بالشعر وغير الشعر[2] » .

وقد دفن الرضي ـ كما سبق ـ في داره بخط مسجد الأنباريين بالكرخ ، ويذكر ابن خلكان وابن العماد نقلا عنه ، أن الدار خربت ، وأن القبر دثر[3] ، بينما يذكر ابن عنبة أنه نقل بعد ذلك إلى مشهد الحسين عليه السَّلام بكربلاء ، فدفن عند أبيه ، وقبره ظاهر معروف[4] ، ويقول ابن معصوم « ثم نقل الرضي إلى مشهد الحسين بكربلاء فدفن عند أبيه[5] » ، أما الخوانساري فقد زاد في النقول عن ابن عنبة بعد قوله : « وقبره ظاهر معروف » ، قوله : « هناك قريبا من الروضة المنورة » ثم نقل قول الطباطبائي : « والظاهر أن قبر السيد ـ يعني المرتضى ـ وقبر أخيه وأبيه ، في المحل المعروف بإبراهيم المجاب ، وكان إبراهيم هذا هو جد المرتضى ، وابن الإمام موسى

(١) ديوان الشريف المرتضى ٢/٢٣٥ .
(٢) الشريف الرضي ١٠٥ .
(٣) وفيات الأعيان ٤/٤١٩ ، شذرات الذهب ٣/١٨٤ .
(٤) عمدة الطالب ٢١٠ ، ٢١١ .
(٥) الدرجات الرفيعة ٤٧٨ .

عليه السلام وقبر إبراهيم لمجاب في الحائر معروف مشهور » ، قال الخوانساري : « وكأنه القبر الواقع في أواخر ـ كذا ـ رواق فوق الرأس من الحرم المطهر ، وقيل : إنه الآن في المسجد المتصل بالحائر من جهة خلف الحضرة المقدسة فليلاحظ »[1]

وفي الكاظمية ببغداد قبة قائمة على قبر ينسب إلى الشريف الرضي ، وقد جزم السيد محسن الأميني بأن هذا القبر ليس قبر الرضي[2] . وقد لقب بالرضي جماعة ذكرهم ابن عنبة[3] ، فلعل القبر لواحد منهم .

ورثى الرضيَّ أخوه المرتضى بقصيدة باكية ، مطلعها :

قُدْنِي إليك فقد أمِنْتَ شِماسِي ... وكُفِيتَ منِّي اليومَ صِدْقَ مِراسِي

وفيها يقول :

يا للرِّجال لِفَجْعَةٍ جذَمتْ يدي ... ووددتُها ذهبتْ عليَّ براسِي

ما زلت أحذَر وِرْدَها حتى أتتْ ... فحسَوْتُها في بعض ما أنا حاسِ

ثم يصف مكارم أخلاقه ، وعظيم صفاته ، فيقول .

ونُعِي إليَّ وليته لم يُنْعَ لي ... عنتَ القروم وفاضحَ السُّوَّاسِ

ومُعَثِّرَ النُّجباء خلفَ ترابه ... ومُعَجِّزَ النظراءِ والأجْناسِ

مَن قاد شُوسَ الفخرِ بعد تَقاعُسٍ ... واسْتاقَ شُمَّ الذِّكر بعد شِماسِ

من كان مَرْجُوّاً لكلِّ حفيظةٍ ... تُدْعَى ومدعوّاً ليوم عماسِ

مَن كان يأبَى فضلُه العالي الذُّرا ... من أن يُقاسَ إلى الورَى بقِياسِ

ويشير إلى اختطاف الموت له :

وَاهاً لِعُمْرِك من قصيرٍ طاهرٍ ... وَلَرَبَّ عُمْرٍ طال بالأرْجاسِ

كما يبلغ به الأسى مبلغه في قوله :

---

(١) روضات الجنات ٥٤٩ .

(٢) انظر الشريف الرضي لأديب التقي ١٠٨ .

(٣) عمدة الطالب ٧٥ .

يا موتُ كيف أخذتَ نفسِي تاركاً ... نفساً عليها جَمَّةَ الأنْفـاسِ [1]

كما رثاه تلميذه مهيار الديلمي بقصدة ميمية ، أبان في آخرها عن لوعته لفراقه :

لَأساهِرَنَّ الليـلَ بعـدك حسرةً ... إنْ ليلـةٌ عابتْ حزينـاً نامَهـا

ولأشْرِجَنَّ عن العذولِ على الأسَى ... أُذُناً مُحرَّمةً على مَن لامَهـا

ولأُبْدِلَـنَّ الصـبرَ عنـك بقرْحةٍ ... في الصدرِ لا يجدُ الدواءُ لحامَها

أبكي لأُطْفِئَهـا وأعلـمُ أنـني ... بالدمعِ مُحْتَطِبٌ أشُبُّ ضِرامهَا[2]

وهي قصيدة طويلة ، أجاد فيها مهيار في رثاء أُسْتاذه ، فغاظ ذلك قوما ممن كان يحسد الرضي بالفضل ، ونسبوه إلى السَّرَف في ادِّعاء علاقته بالرضي[3] ، فقال قصيدته الدالية :

أقريشُ لا لِفَمٍ أراك ولا يـدِ ... فتوَاكَلي غاضَ النَّدَى وخلا النَّدي

وقد حذا فيها حذوَ أُستاذه الرضي في رثائه أبا طاهر بن ناصر الدولة بالقصيدة :

ألْقِي السلاحَ ربيعةُ بـنَ نـزارِ ... أوْدَى الردَى بقَرِيعِك المِغْـوارِ

ويقول مهيار مخاطبا قريشا :

خلاَّك ذو الحسَبَيْن أنقـاضاً متى ... تُجْذَبْ على حبلِ المَذَلَّةِ تَنْقَـدِ

قَمَرَ الدُّنا اضْحتْ سماؤُك بعـدَه ... أرْضاً تُداسُ بحـائِرٍ وبمُهْتَـدِ

ثم يذكر أمجادَ الرضي :

عادتْ أَراكـةُ هاشمٍ مـن بعـدِه ... خوْرَا لفأسِ الحاطبِ المُتوَقِّـدِ

فُجِعتْ بمُعْجِز آيـةٍ مشهـودةٍ ... ولَرُبَّ آياتٍ لهـا لم تُشْهَـدِ

كانتْ إذا هي في الإمامةِ نُوزِعَتْ ... ثم ادَّعَتْ بك حقَّها لم تُجْحَـدِ

رَضِيَ المُـوافقُ والمُخالِفُ رغبـةً ... بك واقْتَدَى الغاوي برَأْيِ المُرْشدِ

---

(١) ديوان الشريف المرتضى ٢/١٣١ ـ ١٣٥ . وقال الصفدي في الوافي بالوفيات ٢/٣٧٨ : « ورثاه المرتضى بمراث كثيرة » ، وقد فتشت في ديوانه فلم أعثر له إلا على هذه المرثية .

(٢) ديوان مهيار الديلمي ٣/٣٧٠

(٣) الدرجات الرفيعة ٤٧٩ ، ومقدمة القصيدة الدالية في ديوان مهيار الديلمي ١/٢٤٩ .

تَبِعَتْكَ عاقدةً عليك تَميمَها	وعُرَى تَميمِك بعدُ لَمَّا تُعْقَدِ
ورآك طفلاً شِيبُها وكهولُها	فتزحْزَحُوا لك عن مكانِ السيِّدِ

ولا ينسى ما لَمَزه به اللامزون عند إنشاده القصيدة الأولى ، فيصِمُهم بالتقصير والعجز :

أحْسَنْتُ فيك فساءَهم تقصيرُهم	ذَنْبُ المُصيبِ إلى المُغيرِ المُقْصِدِ

ويختم المرثيَّة بهذا الدعاء وتلك اللوعة :

لا غَيَّرتْك جنائبٌ تحت البِلَى	وكساك طِيبُ البَيْتِ طِيبَ المَلْحَدِ
وقَرُبْتَ لا تَبْعُدْ وإن عُلالةً	للنفسِ زُوراً قَوْلتِي لا تَبْعُدِ [١]

ورثاه ابو القاسم الوزير المغربي بقصيدة ، منها :

أذْكرْتَنا يا ابنَ النبيِّ محمدٍ	يوماً طَوَى عنَّا أباك محمدَا
ولقد عرفتُ الدهرَ قبْلَك سالِباً	إلاَّ عليك فما أطاق تَجَلُّدَا
ما زلتَ نَصْلَ الدهرِ تأكلُ غِمْدَه	حتى رأيتُك في حَشاهُ مُغْمَدَا [٢]

ورثاه سليمان بن فهد بقصيدة ، مطلعها :

عَذِيرِيَ من حادثٍ قد طرقْ	أماتَ الهُدُوَّ وأحْيَا القَلَقْ [٣]

وفي هذه المراثي بعضُ الوفاء للرجل الذي كان يعظِّم ألَمَ الفَقْد ، ويبكي على كل صديق فارقه ، بل إنه كان يبكي على أناس لا يفتقدهم أحد ، رقة قلب ، وسُمُوَّ عاطفة ، حتى عرفه الأدباء بالنائحة الثكلى [٤] .

---

(١) ديوان مهيار الديلمي ١/٢٤٩ ـ ٢٥٣ .
(٢) دمية القصر ١/٩٧ .
(٣) مقدمة حقائق التأويل ١١٢ ، الشريف الرضي لأديب التقي ١٠٦ .
(٤) انظر الوافي بالوفيات ٢/٣٧٤ .

ديوان الشريف الرضي

كان نبوغ الشريف الرضي مبكراً ، فقد قال الشعر بعد أن جاوز العشر من سِنِي عمره بقليل ، كما يذكر الثعالبي[1] . وحين بلغ الخامسة عشرة من عمره كانت جوانب قصر الخلافة في بغداد تردد مدحته للطائع لله ، التي افتتحها بقوله :

أغارُ على ثَـراك من الريـــاحِ وأسألُ عن غَدِيرِك والمــراحِ

فلا غرو أن ينال هذا النبوغ المبكر إجلال الأدباء والنقاد ، ولا عجب أن ينفذ الصاحب إسماعيل بن عباد ـ ومنتداه في أصبهان والري وجرجان روضة العلم والأدب[2] ـ إلى بغداد سنة ٣٨٥هـ من ينسخ له ديوان الرضي ، ذلك الشاعر الذي لم يتجاوز عمره ستة وعشرين عاماً[3] .

ويدل هذا على أن شعر الرضي قد استوى على سوقه في هذه السن ، وقد بلغ من الشهرة حداً جعل جامع ديوانه يقدم للقصيدة ٢٦ بقوله : « وقد بلغه ـ أي الرضي ـ أن شيئاً من شعره وقع إليه ـ أي إلى الصاحب ـ فأعجب به ، وأنفذ إلى بغداد لانتساخ تمام شعره » .

وقد بلغ من حرص المعاصرين للرضي على استنساخ ديوانه أن تقية بنت سيف الدولة التي توفيت سنة ٣٩٩هـ أنفذت من مصر إلى العراق من ينسخ لها ديوان الرضي على التمام ، وهي لا ترى هدية أنفس منه يوم حمل إليها[4] .

---

(١) يتيمة الدهر ١٣٦/٣ .

(٢) يتيمة الدهر ١٩٣/٣ .

(٣) الديوان قصيدة ٢٦ ، والغدير ٢٠٠/٤ .

(٤) مقدمة القصيدة ٢٧٠ ، والغدير ٢٠٠/٤ .

كل ذلك يشعر بأن شعر الرضي كان يُجْمَع على نحو ما في حياته ، ويرجح صاحب الغدير أن الرضي كان يجمع ديوانه بنفسه ، وأن جمعه له كجمع اخيه الشريف المرتضى لديوانه على ترتيب سني نظمه المتمادية [1] .

ويؤكد هذا أن كثيراً من قصائد الديوان مقدم له بذكر التاريخ الذي قيلت فيه القصيدة والمناسبة التي واكبتها ، ويغلب على الظن أن هذا من عمل الرضي ويقويه أيضاً ما ذكره الشريف المرتضى عند تعليقه على قول الرضي :

كان عندي أن الغـــرورَ لطَرْفِـــي فإذا ذلك الغـرورُ لقلبِـــي

قال : « ولهذا المعنى بناء لا بد من أن أذكره ، وهو أنني لما كنت قلت في جملة قصيدة :

وعهدِي بتَمْويهِ عـينِ المُحـــــبِّ يَنِمُّ عـلى قلبِـه الطائـــــرِ

فلمَّا الْتَقَيْنـــــا برَغْـمِ الرُّقـــــا دِ مَـوَّهَ قلــبِي على ناظــرِي

وذلك على ما أظن في سنة نيف وثمانين وثلاثمائة ، تداول أهل الأدب إنشاد هذه الأبيات ، واستغربوا هذا المعنى ، وشهدوا بأنه مستبدأ غير مسبوق إليه .

وسمع أخي رضي الله عنه هذه الأبيات ، لأنه قلما كان يخرج لي شيء من الشعر إلا ويسمعه وينشده ، ولا يخرج له رحمه الله طول حياته إلا ما ينشدنيه ، فشهد لهذا المعنى بأنه مبتكر مخترع ، وأنه مستحسَن مستعذَب ، ولم أسمع له رحمه الله طول حياته في هذا المعنى شيئاً .

ولما تصفحت شعره رضي الله عنه لإخراج ما يتعلق بالطيف في هذا الوقت ، وهو سنة نيف وعشرين وأربعمائة ، وجدت هذه الأبيات ملحقة بخطه الذي لا أشك فيه .

ولست أعلم كيف جرت الحال في هذا المعنى ، وهل قصد رحمه الله إلى نظمه على علم حتى لا يخلو شعره من هذا المعنى المستغرَب ، أو أُنْسِيَ رحمه الله سماعَه له وقذف به خاطره وجرى على هاجِسه ، فأثبته تقديراً منه أنه مُبْدِع له لا مُتَّبِعٌ فيه » [2]

---

(١) الغدير ٤/٢٠٠ .

(٢) طيف الخيال ٩٥ ، ٩٦ ، وشرح الشريشي على المقامات الحريرية ١/٢٨٦ .

فهذا يدل على أن شعر الرضي كان بين يديه مجموعاً في حياته ، وأنه كان يضيف إليه بخطه في الحاشية ما يبدعه خاطره من معان مبتكرة يُلحقها بموضعها الذي يرتئيه من الديوان .

وقد استمر الرضي في صنعه هذا طيلة حياته ، وكانت آخر قصيدة سجلها مؤرخة في ديوانه هي رثاءه لصديقه أحمد بن علي البَتّيّ ، الذي توفي في شعبان سنة خمس وأربعمائة ، وبعده بشهور توفي الرضي في محرم سنة ست وأربعمائة[1] .

وقد اهتم عدنان ابن الشريف الرضي بشعر أبيه بعده ، فأخرج من مسوداته أوراقاً قليلة نحو كراسة ، زادها على شعر أبيه ، ثم جاء أبو حكيم الخَبْرِي[2] ، فأخذ هذه الكراسة ، وضم إليها الأقطاع والأبيات التي وجدها ، وصنع من ذلك كله باباً ألحقه بالديوان سماه باب الزيادات ، وقد ذكر في خاتمة هذا الباب أن ما اجتمع له أضعاف ما جمعه ابنه عدنان . وكثير مما جمعه الخبري أبيات مفردة .

وقد دفع أبو حكيم قول القائل : أي فائدة في هذه الأبيات ، ولو كانت مما ارتضاه الرضي لسطَّره في شعره ، ولَمَا نفاه عن نفسه ؟ قائلاً : « ولا هو كما ظنه وتخيله أنه نفاها وأسقطها ، بل أكثرها معان كانت تقع له .... من القصائد عند الحاجة إليها وقد وجدت له كثيراً من ذلك نقله إلى قصائده ، فكان في ضَمٍّ .... على أهلها ، وإعادة الفاذَّةِ إلى مَراحِها »[3] .

---

(١) مقدمة القصيدة ٢١٥ .

(٢) هو أبو حكيم عبد الله بن إبراهيم الخبري ، نسبة إلى خبر ، وهي من نواحي شيراز . كان يعرف العربية ، ويكتب الخط الحسن ، ويضبط الضبط الصحيح ، وشرح « الحماسة » وعدة دواوين ، كالبحتري والمتنبي والرضي الموسوي . وأدركته منيته وهو يكتب في مصحف في ذي الحجة سنة ست وسبعين وأربعمائة . طبقات الشافعية الكبرى ٦٢/٥ ، ٦٣ . وانظر في حاشيته مصادر أخرى لترجمته . قال ابن خلكان : « وقد عني بجمع ديوان الشريف الرضي المذكور جماعة ، وأجود ما جمع الذي جمعه أبو حكيم الخبري » . وفيات الأعيان ٤١٦/٤ .

(٣) لوحة ٢٢٥أ من نسخة أبي حكيم بدار الكتب المصرية . ومكان النقط كلمات ذهبت بها الرطوبة والتلف . ويأتي وصف النسخة .

وأبو حكيم بصُنعه هذا حفظ لنا الصورة الأولى للعمل الفني عند الشريف الرضي حينما كانت تخطر له خاطرة أو يجِدُّ له معنى فيضمنه بيتاً من الشعر ، ثم يجد لهذا المعنى مكانه في قصيدة يقولها ، فيصنعه صنعة أخرى ويضمنه فيها .

وليت الزمن حفظ صنع أبي حكيم هذا ، فقد عاثت الرطوبة والأرضة في باب الزيادات من النسخة الكاملة الوحيدة التي وصلت إلينا من صنعته ، وهي مكتوبة بعد الخمسمائة ، وقد اجتهدت ما وسعني الاجتهاد ، وبذلت أقصى الجهد في قراءتها وتقويم نصها .

وباب الزيادات الذي صنعه أبو حكيم الخبري يضم خمسة وثلاثين وتسعمائة بيت ، زادها على صنعة الرضي لديوانه ، وليس كل هذا الشعر من قبيل الأبيات المفردة أو المقطوعة ذات البيتين أو الثلاثة أو الخمسة ، وإنما بعض هذا الشعر قصائد ، منها قصيدته التي تضم الأبيات (٥٧٧ ـ ٦٠٧) وهي التي خاطب فيها سلطان الدولة وعرَّض بذم أعدائه[1] ، ومنها قصيدته التي تضم الأبيات (١ ـ ٦٢) وهي في رثاء الحسين بن علي رضي الله عنهما .

وقد رتب أبو حكيم الديوان على الأغراض ، فجعل بابا للمدح ، وبابا للافتخار وشكوى الزمان ، وبابا للمراثي ، وبابا للنسيب ، وبابا للفنون المتنوعة . ورتب القصائد في داخل كل باب على القوافي حسب حروف الهجاء . ولكنه عندما ساق باب الزيادات رتبه ترتيب قواف دون اعتبار للأغراض .

وحين جاء الناس بعد أبي حكيم رغبوا عن هذا الطريق ، وعدلوا عنه إلى ترتيب قصائد الديوان على القوافي حسب حروف الهجاء ، وألحقوا بآخر كل حرف الزيادات منه منبِّهين حيناً إلى أن المقطوعة أو البيت من الزيادات ، ومغفلين ذلك أحياناً أخرى .

وعدل بعضهم إلى طريق أخرى ، فاختار من الديوان ، مرتباً اختياره على القوافي

(١) رقمت ما ورد في باب الزيادات من القصائد والمقطوعات والأبيات المفردة ترقيما متسلسلا ، حسب تتابع الأبيات فيها جميعا ليسهل الرجوع إليها ، ولتتميز عن الديوان الذي رقمت فيه القصائد والمقطوعات ، ثم رقمت الأبيات في كل منهما .

أو مورداً للقصائد دون ترتيب ، وبعضهم اختار شعره في النسيب ، وسمي مجموعه « الحجازيات » لأنه يكثر في نسيبه ذكر مواطنه .

مخطوطات الديوان

في مصر :

١ ـ نسخة في دار الكتب المصرية ، برقم ١٤٠ أدب ، في أولها ورقة تتضمن ترجمة حياة الشريف الرضي ، وبداية الترجمة في ورقة مفقودة ، والترجمة بخط نسخي مجوّد ، غير خط النسخة ، وهي ترجمة منقولة عن وفيات الأعيان .

والنسخة من صنعة أبي حكيم عبد الله بن إبراهيم الخبري ، مرتبة على الأغراض .

وعلى صفحة العنوان من أعلى ناحية اليسار بقلم رقعي محدث « ديوان السيد الرضي ره آمين » . وفي وسط الصفحة من أعلى بقلم نسخي معتاد : « بسم الله والحمد لله. دخل في نوبة أقل الخليقة بل لا شيء في الحقيقة الع الع صافي بن إبراهيم بالبيع الشرعي في أحد شهور السنة الخامسة والعشرين من المائة الثانية عشرة شهر ذي الحجة الحرام ، لست ليال خلون منه ، من الهجرة النبوية على مهاجرها وآله أفضل الصلاة وأشرف السلام وأكمل التحية قيمة ٥٠ » وتحته خاتم ثماني باسمه « الواثق بالله العظيم صافي بن إبراهيم » وتحت هذا خاتم الكتبخانة الخديوية المصرية ورقم النسخة فيها .

وأول ما جاء من الديوان « هذا ديوان السيد الأجل ....[1] باب المديح قافية الهمزة . قال يمدح الخليفة الطائع لله .... :

جزاء أمير المؤمنين ثنائي   على نعم ما تنقضي وعطاء »

وأمام « باب المديح » من اليمين خاتم مربع أقرب إلى الاستطالة فيه « الواثق بالله الأمين عبد حسين بن رضي الدين ١١٥٩ » .

وآخر النسخة بعد الزيادات[2] : « تم شعر الرضي ، رضي الله عنه وأرضاه والحمد لله رب العالمين ، وصلاته على خير خلقه سيدنا محمد وآله وصحبه وسلامه

---

(١) انظر مقدمة الديوان فيما يأتي صفحة ١٨٧ .

(٢) انظر ختام الديوان ، يسر الله تمامه

فرغ من كتابته ...[1] بن المبارك بن العيني في أواخر صفر من سنة ...[1] خمس مائة » . وعلى يسار هذا من أعلى خاتم بيضاوي محدد الطرفين في وسطه « الفقير عبد اللطيف » ، وعلى جانبه كتابة دقيقة ، استطعت أن أقرأ منها على جانب « بخاتم الرسل ينتفع الأنام ، » وعلى الآخر « ... كتاباً يجيب عند الختام » وتجد هذا الخاتم في مواضع أخرى من النسخة وعلى يمين الصفحة في هذا الموضع بقلم معتاد : « نظر فيه مستحسناً لمعانيه ، قاطفاً لزهر مغانيه ، مترحماً لمؤلفه ، مستغفراً لمرصفه ، العبد الأقل ، غريق طول ربه بر وجل ، علي بن أحمد بن علي بن حامد ... الويصي[2] » وتحت ذلك كله نقول تنتهي بها الصفحة .

ويبدأ الديوان بباب المديح ، ويضم الأوراق من ١ ـ ٧٥ بالإضافة إلى ست ورقات في أول الديوان غير مرقمة ، ويلي هذا باب الافتخار وشكوى الزمان من ورقة ٧٥ ـ ١١٤ ، ثم باب المراثي من ورقة ١١٤ ـ ١٥٩ ، ثم باب ذكر النسيب وذكر المشيب ووصف طيف الحبيب من ورقة ١٥٩ ـ ١٧٦ ، ثم باب الفنون المختلفة من ورقة ١٧٦ ـ ٢٠٩ ، والقصائد في كل باب من هذه الأبواب مرتبة على القوافي . ويلي بابَ الفنون المختلفة بابُ الزيادات من ورقة ٢٠٩ ـ ٢٢٥ . وكلها على حروف الهجاء تأتي أولاً القصائد والمقطوعات ، ثم الأبيات المفردة .

والأوراق الست الأولى كانت ناقصة من النسخة الأصلية ولذلك يبدأ الترقيم بعدها ، ولكن الناسخ الذي أكمل النسخة كان ماهراً في تقليدها من حيث الخط والضبط ومشابهة الورق ، وإن لم يجد لون الحبر الذي كتبت به النسخة فكتب التكملة بحبر أسود .

كتبت النسخة بخط نسخي جيد جداً ، والعناوين بخط الثلث ، والكلمات مشكولة وفي نهاية أكثر القصائد بخط ناسخ النسخة عدد الأبيات فيها ، وفي أول أكثر

---

(١) سقطت نقطة حبر أسود على هذا الموضع وكشطت فضاعت معالم الكلمتين ، ولعل الأولى « سعد » أو « محمد » ولعل الثانية « خمس » .

(٢) كتب الاسم بطريقة الامضاء ، وهذا اجتهادي في قراءته .

القصائد بقلم معتاد محدث البحر الذي منه القصيدة ، وتشتمل الصفحة الواحدة من الورقة على نهرين ، وقد عاث السوس في النسخة وأصابتها الأرضة والرطوبة خاصة في الأوراق الأخيرة مما سد الطريق أمام قراءة بعض الأبيات في الزيادات ، وتقع النسخة في ٢٢٥ ورقة أصلية بالإضافة إلى ٦ ورقات تكملة أوائل الديوان ، ومسطرتها ٢١ سطر ومقاسها ٢٠ × ٢٩ سم .

وقد اعتمدت هذه النسخة أصلاً للتحقيق ، ونسختها ، وأشير إليها في حواشي القصائد بكلمة « الأصل » .

٢ ـ نسخة في دار الكتب المصرية ، برقم ٥١٨ أدب ، تشتمل على الأجزاء الثالث والرابع والخامس من صنعة أبي حكيم ، وبالورقتين الأوليين منها نقول ، وفي أولاهما مع النقول خاتم الكتبخانة الخديوية المصرية ،ورقم النسخة فيها ، وفي الصفحة الأولى من الورقة الثالثة « الجزء الثالث من شعر الشريف العلامة ذي الحسبين نقيب النقباء أبي الحسن محمد الرضي بن النقيب الطاهر ذي المنقبتين أبي أحمد الحسين بن موسى الأبرش ... » ثم يذكر بقية نسبه على ما تجده في أول هذا الديوان . وفوق العنوان تملك باسم السيد إسماعيل بن محمد بن قانع ، وفي الصفحة تملك آخر باسم محمد بن الحسين بن علي ، في شهر رجب سنة ١٠٧٠هـ . ، ثم تملك بالهبة لأخيه عبد الله بن الحسين عام سبعة وسبعين وألف . وتملك باسم السيد حسين بن محمد بن أحمد بن علي الشامي شراء من السيد محمد بن يحيي الديلمي ، وفي الصفحة أيضاً أنه من كتب خزانة المولى أمير المؤمنين المنصور بالله في سنة ١٢١٧هـ . .

وفي أول الصفحة الثانية من الورقة التي يبدأ بها الجزء لصق عليه خط محمد بن الحسين بتمليكه لأخيه ، ونصه : « وكتب الفقير إلى الله ، محمد بن الحسين : ملكت الصنو عبد الله بن الحسين هذا المحصل بخط السيد عز الدين الشرفي من شعر الشريف الرضي (ويتضمن هذا الجزءين الثالث والرابع) الملصق إلى المحصل له وهو الجزء الخامس ، وكذا ملكته أيضاً المحصل بخط السيد يحي بن إبراهيم بن عبد الله ، وجملة ذلك هو الذي كنت حصلته بعناية الصنو عبد الله ، وجعلت ذلك

خالصاً لوجه الله تعالى » .

وعلى هذا اللصق أيضاً : « يسر الله قصاصة هذا من أول حرف منه إلى آخره على نسخة المدينة ، وذلك في عام أربع وسبعين وألف ، فرغ منه في يوم السبت وقت الضحى ، لعله اليوم العشرون من شهر جمادى الآخرة من السنة المذكورة ، واستقصى في الغالب التصحيف والتحريف والمبيض والمشكل عليه ، ورد الساقط من قلم الناسخ وأثبت فيه النسخ ، وأما الإعراب ففيه البعض وبعض ترك لئلا يمنع عن أهم منه ، والنية على إصلاحه إن شاء الله تعالى ، والكثير منه في الأنواع الثلاثة : الفخريات والمراثي والنسيب ، كان قص على كراريس مبتورة صحيحة ، وقص أيضاً إلى أحرف الميم من الفخريات على نسخة خراسانية صحيحة في الأغلب والحمد لله رب العالمين » .

وفوق هذا : « ويسر الله قصاصته جميعاً على النسخة المدنية مرة ثانية بعد الفراغ من القصاصة الأولى ، بعد المضي مقدار الشهر فقط ، ونجزت في نصف النهار في اليوم الثالث عشر أو الرابع عشر من رمضان المعظم ، من سنة أربع وسبعين وألف ختمها الله بكل خير وعافية في الأديان والأبدان » .

وأول الديوان : « بقية حرف الدال من باب الافتخار . وقال يفتخر بقريش ونزار على قحطان واليمن ، وذلك في شهور رمضان من سنة خمس وثمانين وثلاثمائة :

أراك ستحدث للقلب وجدا   إذا ما الركائب ودعن نجدا

وعلى يسار الوجه الاول من الورقة الثانية : « الحمد لله سبحانه . مما تفضل به المولى الكريم على عبده ، والله ذو الفضل العظيم ، وذلك بالشراء الشرعي ، في صنعاء البهية ٤ جمادى الآخرة في يوم الجمعة الغراء سنة ١٢٦٥ » وبعده خاتم مدور « محمد بن عبد بن حميد » .

وفي الورقة الأخيرة من الجزء الثالث أبيات الرضي الدالية في الزهد التي تنتهي بقوله :

ورأى أن لا نجاة له   فمضى يبغي النجاة غدا

وبعدها : « آخر الجزء الثالث من شعر الشريف الرضي ، رضى الله عنه وأرضاه ،

ويتلوه في الجزء الرابع . قافية الراء . وقال يرثي الحسين بن علي عليهما السلام . والحمد لله رب العالمين . كان تمام رقمه ضحوة يوم الثلاثاء لعشرين مضت من جمادى الآخرة سنة سبعين وألف . وكتب الفقير إلى الله عز الدين بن محمد بن عز الدين بن الهادي بن عز الدين بن القاسم بن أبي الفضائل محمد بن الأمير المستنصر بالله إبراهيم بن الإمام المتوكل على الله المطهر بن يحيى بن المرتضى عليه السلام » ، وعلى يسار الصفحة « صحت مقابلة على نسخة أخرى غير الأم ، وصحت على ثالثة مدنية ، والحمد لله » ، وتحته تكرر هذا ، ثم جاء : « قوبل حرف الدال على جميع الأبواب على المدنية والحمد لله » .

وفي صفحة العنوان من الجزء الرابع من النسخة نفسها جاء بعد انتهاء نسب الشريف : « مرتباً على الأبواب والقوافي مفسراً ، صنعة الشيخ أبي حكيم عبد الله بن إبراهيم الخبري رحمه الله » ، وأول الجزء « قافية الراء . وقال يرثي الحسين بن علي عليهما السلام في يوم عاشوراء من سنة سبع وسبعين وثلاثمائة :

صاحت بذودي بغداد وآنسني　　　تقلبي في ظهور الخيل والعير »

وآخره في قافية الهمزة من باب النسيب :

فلم أر يوم القر أكثر ضاحكاً　　　ولم أر يوم النفر أكثر باكيا

ثم : « نجزء الرابع من أربعة أجزاء من ديوان أشعار الشريف الرضي رضي الله عنه وهو آخرها ، والحمد لله رب العالمين .... كان ابتداء رقم هذا الكتاب المبارك إلى هذه الكراريس عشية يوم الخميس غرة شهر جمادى الآخرة من عام سبعين وألف ، والتمام له بإعانة الله وتيسيره في عشية يوم السبت ، لعله تاسع شهر رجب الفرد الأصب فتحه الله وختمه ، وفتح ما بعده باليمن والسعادة والظفر بالحسنى وزيادة ، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على محمد وعلى آله . وكتبه الفقير إلى الله سبحانه عز الدين بن محمد بن عز الدين بن الهادي الهادوي نسباً ، وفقه الله ولطف به ـ كان ذلك بمحروس قصر صنعاء . والحمد لله رب العالمين حمداً كبيراً طيباً مباركاً فيه » .

وفي أعلى الصفحة بيان من متملك النسخة بطريقة صنع أبي حكيم للديوان وقضية الزيادات التي أثبتها . وعلى الجانب الأيسر تعليق على قول الناسخ إن الرابع آخر الديوان ، يبين فيه متملك النسخة أنه ليس بآخر الديوان ، بل بعده الجزء الخامس المشتمل على الأغراض المختلفة وملحق به الزوائد في آخره ، ثم بيان بعدد أبيات الأغراض والزوائد ، وعدد القصائد والأقطاع والأبيات ، وجملة شعر الشريف الرضي ، وقصة حصول متملك النسخة على الجزء الخامس .

وعلى يسار الصفحة : « بلغ قراءة وقصاصة ومقابلة على ... [1] على سيدنا العلامة جمال الدين علي بن محمد بن سلامة [2] حفظه الله ، ولم يأل جهداً في التصحيح والتحري لمواقع الإصابة بحسب الإمكان والطاقة على ركة في .... [3] وتصحيف كثير وبيضنا ما لا نجد إلى تحقيقه سبيلاً ولا تظنينه ، وتاريخ تمام قصاصته كان في يوم ثاني تمام نسخه والحمد لله رب العالمين ، والله نسأله رضاه عنا وحسن التوفيق لما يحبه ويرضاه منا من قول وعمل واعتقاد والصلاة والسلام على محمد وعلى آله الكرام الأمجاد وكتب الفقير إلى الله عز الدين بن محمد ، وفقه الله بتاريخه بقصر صنعاء » .

وهذان الجزءان الثالث والرابع كتباً بقلم نسخي معتاد ، والعناوين بالحمرة ، وعليهما مقابلات كثيرة وتقييدات وتصحيحات . وهما في ١٤١ ورقة مسطرتها ٢٥ سطراً ، ومقاسها ٣٠ × ١٩,٥ سم .

وبعد هذين الجزءين في النسخة أوراق بها نقول ، ثم يأتي عنوان الجزء الخامس في ورقة ١٥٠ ، وهو : « الكتاب الخامس من شعر الشريف » بقلم نسخي ثم بخط الثلث المجود : « الأغراض والزيادات من قول الشريف الرضي رضي الله عنه » وفوق العنوان بقلم تعليق : « في الأم في نقش خاتم يا عالم الغيبي كن لأحمد

(١) كلمة لم أعرف قراءتها ، لعلها « مدونه » .

(٢) عالم كبير متفنن ، قاض محقق أصولي ، توفي بصنعاء سنة ١٠٩٠ هـ . ملحق البدر الطالع ١٧٩ ، ١٨٠ .

(٣) كلمة لم أعرف قراءتها ، لعلها « كلامه » .

الحلبي في سنة ١٠٦٧ » وبعده « لعل هذا الديوان الذي هو الأم لهذه الكراريس مما شراه سيدي ضياء الإسلام من الحلبي في سنة سبعين وألف ، وكان ذكر لي الحلبي في طلب هذا الديوان ، وأنه لا يوجد إلا مع بعض الأشراف ، ولعله يشير إلى هذه النسخة ، فإنها لبعض الأشراف ، وهو شراها السنة ...[1] من قوله ، والله أعلم وهي التي حججنا فيها وهي سبع وستين وألف » . وفي يسار الصفحة تملك غير مؤرخ باسم عبد الله بن الحسين بن علي بن إبراهيم ، وتملك باسم محمد بن الحسين الديلمي في ربيع الأول من سنة ١١١٦ ، وبعده تملك غير مؤرخ باسم حسين بن محمد بن أحمد بن علي الشامي ، وعلى يمين الصفحة « في الأم ما صورته : يا لطيف ، برسم إسماعيل سبط الحسن الماجد الهزبر مولى المنن سليل عز الدين والإسلام عين عيون السادة الأعلام في عام سبعين وألف .... » . وعلى يساره : « وفي الأم ما لفظه من تفضلات الله على عبده إسماعيل بن محمد بن الحسن بن أمير المؤمنين لطف الله به آمين بالشراء الصحيح في شهر شوال سنة ٧٠ بمدينة أرداع المحمية » ، وتحت ذلك كله : « هذا وفي الأم أنها نسخت لخزانة السيد السند السيد حسن بن علي بن شدقم المدني الحسيني بخط علي بن عبد الكريم الصيمري ، فرغ منها في سلخ شهر ذي القعدة سنة سبعين وتسعمائة » ثم ذكر خاتماً ورد في النسخة الأم بعد هذا يحوي بيتين من الشعر .

وأول الجزء : « باب الأغراض من قول الشريف الرضي رضي الله عنه وأرضاه ، قافية الهمزة . قال وكتبها إلى صديق له يسأله عن حال نكبة لحقته :

خطوب لا يقاومهـــا البكـــاء ... وأحوال يـدب لهـا الضـراء »

وآخره : «

تسري كواكبه إلى الـــــــــ ... إصبـــاح والليـــل المطيـــه

تمت بحمد الله وحسن عونه ومنه نهار الأحد من شهر رجب الأصب سنة أربع وسبعين ألف » ثم نقل بخط مغاير عن ابن أبي الحديد وغيره . وعلى الصفحة تملك

---

(١) كلمة مضبب عليها .

باسم إسماعيل بن عبد الله بن حسين جحاف سنة ١١١٦هـ .

وقد ألحقت في هذا الجزء زيادة كل قافية بالفنون المختلفة ، أي أن الزيادة فرقت على القوافي ، وألحقت كل قافية منها بما فيها من الفنون المختلفة .

كتب الجزء بخط نسخي جيد مشكول في معظمه ،والنسخة مجدولة بالحمرة والعناوين بالحمرة أيضاً ، وعليها تعليقات ومقابلات وهي في ٨٧ ورقة ، ومسطرتها ١٩ سطراً ٣٠ × ١٩,٥ سم .

وقد اعتمدت هذه النسخة في التحقيق ، وأرمز إليها بالحرف « ي » .

٣ ـ نسخة في دار الكتب المصرية ، برقم ٨٨٩ شعر تيمور ، وهي مرتبة على القوافي ، وعلى الصفحة الأولى منها « هذا ديوان الشاعر البليغ المجيد محمد بن الطاهر الشريف الرضي البغدادي رحمه الله آمين » ثم خاتم « أحمد بن إسماعيل بن محمد تيمور بمصر » ورقم النسخة في المكتبة .

وأول الديوان : « قال محمد بن الطاهر ذي المنقبتين أبي أحمد .... وابتدأ يقول الشعر بعد أن جاوز العشر السنين .... قافية الألف :

أي العيون تجانب الأقذاء ... أم أي قلب يقطع البرحاء »

والقصيدة الثانية :

خطوب لا يقاومها البقاء ... وأحوال يدب لها الضراء

وآخر الديوان في زيادات قافية الياء :

إذا انتسب النجاح إلى سواهم ... غدا فيهم وإن كرموا دعيا

وبعد البيت : « وافق الفراغ من نسخه في غرة رجب من سنة ألف وثلاثمائة واثنتين تم شعَر الرضي » .

والنسخة بهذا تسلك نسق نسخة كوبريلي ، التي يأتي وصفها في مخطوطات تركيا ، وتجد في آخرها البيتين الموجودين في آخر نسخة كوبريلي :

إن قول الجواد يتبعه الـ ... ـفعل كما يتبع الوظيف الوظيف

ما يذل الزمان بالفقر حرا ... كيف ما كان فالشريف شريف

كتبت النسخة بقلم نسخي معتاد ، وهي في ٨٤٨ صفحة ومسطرتها ٢١ سطراً ومقاسها ١٧,٥ × ٢٣ سم .

٤ ــ نسخة في دار الكتب المصرية ، برقم ٧٩١٢ أدب ، وهي مرتبة على القوافي وفي أول ورقة منها قصيدة الرضي في مدح الطائع لله :

جزاء أمير المؤمنين ثنائي — على نعم ما تنقضي وعطاء

وعلى الورقة خاتم دار الكتب المصرية ، ورقم النسخة فيها .

وفي الورقة الثالثة يبدأ الديوان بنسب الشريف الرضي ، وقصيدته في بهاء الدولة :

بهاء الملك من هذا البهاء — وضوء المجد من هذا الضياء

وفي آخر كل قافية تأتي الزيادة ، وهي خالية من المفردات .

وآخر الديوان من قافية الياء :

كالذي يخبط الظلام وقد أقـ — ـمر من خلفه النهار المضي

ثم نقل قصة الأبيات عن ابن أبي الحديد ، ويلي هذا نقل عن أبي الحسن علي صدر الدين بن أحمد بن نظام الدين بن محمد معصوم بن أحمد بن إبراهيم الحسيني ، مالك النسخة الأولى . وآخر ما جاء لكاتب هذه النسخة : « وهذا ديوان السادس مما منَّ الله به عليّ في كتابته ، وقد تم في سادس ذي القعدة سنة ألف ومائتان (كذا) وست » ولم يذكر الناسخ اسمه .

وفي الورقة الأخيرة من الديوان نقل بخط مغاير لقصيدة الرضي :

أقول وقد حنت بذي الأثل ناقتي — قرى لا ينل منك الحنين المرجع

ثم يقول الناقل : « هذه قصيدة وجدتها بخلاف الديوان فأثبتها في آخره ، والله الموفق للصواب ، وإليه المرجع والمآب ، وصلى الله على محمد » .

كتبت النسخة بخط نسخي ، والعناوين بالحمرة ، وهي مقابلة على نسخة أخرى أثبتت فروقها في بعض المواضع ، وتقع في ٣٦٠ ورقة ، ومسطرتها ٢٣ سطراً ومقاسها ٢١ × ١٤ سم .

٥ ــ نسخة في المكتبة الأزهرية برقم (٢٠١) أباظة ٦٨٠٦ ، في مجلدين بقلم

معتاد ، بخط شلبي محمد العايدي ، سنة ١٢٨٨ هـ ، في ٢٠١ ، ٢٣٣ ورقة ومسطرتها ١٩ سطراً ـ ٢٣ سم .

٦ ـ نسخة في المكتبة الأزهرية ، برقم (٦١٤) أباظة ٧٢٠٩ ، ضمن مجموعة وهي تضم الجزء الأول في مجلد بقلم معتاد ، سنة ١٢٧٠هـ ، من ورقة ١ ـ ٩٨ ، مسطرتها ٢١ سطراً ـ ٢٣ سم .

في سوريا :

٧ ـ نسخة في المكتبة الظاهرية برقم ٨٧٥٣ ، وهي مرتبة على حروف الهجاء سقطت من أولها بعض ورقات ، وكذلك من آخرها . أول الموجود منها قصيدة سقط من أولها بعض ورقات ، وكذلك من آخرها ، ويبدأ الباقي منها بالبيت التالي :

قد قلت للباغي عليّ ودونه   من فضل أحلامي ذرى وذوائب

وآخر الموجود منها قصيدة في رثاء صديق له من بني العباس ، ثم من بني المنصور ، توفي سنة ٣٩١هـ ، ومطلعها :

ما أقل اعتبارنا بالزمان   وأشد اغترارنا بالأماني

وقد سقطت الأبيات الأخيرة من هذه القصيدة .

والنسخة حديثة جيدة مقروءة ومصححة ، وفي صفحاتها جميعاً جداول بالحمرة وقد أصابت الرطوبة أطراف أوراقها وأعقابها . كتبت بقلم نسخي دقيق وأغلب العبارات في أول القصائد مكتوبة بالحمرة . وهي في ٢٦٥ ورقة ، ومسطرتها ٢٧ سطراً ومقاسها ٢١ × ١٤ سم .

فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (الشعر صفحة ١٦٩) .

٨ ـ نسخة في المكتبة الظاهرية برقم ٨٧٦٨ ، وهي مرتبة على حروف الهجاء والقصائد في كل قافية مقسومة على أبواب حسب المعاني ، أولها باب المديح ثم الفخر وما في معناه ، ثم النسيب ، ثم الأغراض المختلفة ، ثم الزيادات .

أولها قصيدة في مدح بهاء الدولة الديلمي ، ومطلعها :

بهاء الملك من هذا البهاء   وضوء المجد من هذا الضياء

وآخرها قصيدة قالها في أمر ضاق به صدره ، مطلعها :

ما مقامي على الهوان وعنـــدي مقول صـارم وأنـف حمـيّ

وهي نسخة حديثة جيدة مقروءة ومصححة ، كتبت بخط نسخي معتاد ، مشكول بعض الشكل وأسْماء القوافي والأبواب والعبارات التي في أول القصائد مكتوبة بالحمرة . وهي في ٣٥٧ ورقة ، ومسطرتها٣٣ سطراً ، ومقاسها ٢٣ × ١٥ سم .

فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (الشعر صفحة ١٧٠) .

٩ ـ نسخة في المكتبة الظاهرية برقم ٣٣٣٩ (الشعر ٢٠) ، وهي مختارات من شعر الرضي ، أولها قصيدة مطلعها :

أرى نفسي تتـوق إلى النجـوم سأحملها على الخطر العظـيم

وآخرها أرجوزة في وصف الحية ، مطلعها :

نبهت مني يا أبـا الغيـداق

أصم لا يسمـع صوت الراقي

والنسخة جيدة منقولة من نسخة قديمة ، وهي مقروءة ومصححة ، في الصفحتين الأوليين منها جداول بالحمرة ، وقد تركت الورقة السابعة منها بيضاء وهي بخط نسخي معتاد مشكول ، كتبها عبد الرحيم بن تاج الدين أحمد المحاسني[1] سبط العلاّمة الحسن البوريني ، سنة ١٠٢٦ هـ ، وتقع في ١٤٩ ورقة ، ومسطرتها ١٥ سطراً ، ومقاسها ٢١ × ١٥ سم .

فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (الشعر صفحة ٣٧١) .

١٠ ـ نسخة من الحجازيات من شعر الشريف الرضي في المكتبة الظاهرية برقم ٣٣٢٤ (الشعر ٥) ، اختارها أبو عمرو زكريا بن أبي جعفر محمد بن أبي القاسم

(١) فاضل أديب ذكي قوي الحافظة ، يحفظ كتبا عدة ، ويكتب الخط الحسن ، ويرمي بالسهام رميا جيدا ، ويعوم ، وله معرفة باللغة الفارسية ، وبلغ ما بلغ من هذه الغايات وسنه لم يبلغ العشرين . ولد بدمشق سنة عشر بعد الألف ، وتوفي بالقاهرة مطعوناً في سنة سبع وعشرين وألف . خلاصة الأثر ٤٠٧/٢ ـ ٤١٠ .

محمود الكموني .

أولها القصيدة الكافية التي مطلعها :

يا ظبية البان ترعى في خمائلـــه ليهنك اليوم أن القلب مرعاك

وآخرها المقطوعة العينية التي مطلعها :

وقفت بربـع المالكيـــة وقفـــة فعز اشتياقي والدموع خواضع

وقال في آخره : « تمت الحجازيات ، وفرغ من ذلك أبو عمرو زكريا بن أبي جعفر محمد .. » والنسخة قديمة قيمة أصابها البلى ، فتقطعت أطراف أوراقها ، وخرمت أجزاء من صفحاتها ، فذهبت بذلك سطوروأجزاء من السطور في كثير من الصفحات .

كتبت النسخة بقلم نسخي معتاد جيد مشكول ، وهو خط صاحب الاختيار أبي عمرو زكريا الكموني سنة ٦١٨ هـ ، وهي ضمن مجموعة (الورقات ٧٦ ــ ١٩٤) ، ومسطرتها ١٧ سطراً .

هكذا جاء في فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (الشعر صفحة ٩١) وظني أن النسخة ليست بخط الكموني مختارِها ، وإن كانت قد كتبت في حياته ، فإن ورقة العنوان تحمل بعد اسم الكموني عبارة « مُتِّع به » ولا يكتبها أحد لنفسه ، كما أن بالنسخة أخطاء سأنبه عليها في التحقيق ، لا تقع ممن يتصدى للاختيار .

وفي ورقتي ٨٠ ، ٨٨ خاتم الواقف ، ونصه « وقف الوزير أسعد باشا على مدرسة والده إسماعيل باشا » .

وهناك سقط بين ورقتي ٩٢ ، ٩٣ لم ينتبه إليه أحد لتوالي ترقيم الأوراق وسأدل عليه في مكانه من تحقيق الديوان .

وقد اعتمدت هذه النسخة للتحقيق ، ورمزت إليها بالحرف « ز » .

في العراق :

١١ ــ نسخة ذكرت في الكشاف عن مخطوطات خزائن كتب الأوقاف صفحة ١٥٧ ، جاء وصفها فيه هكذا : « ٢٠٩٨ ــ ديوان الرضي ٩٨١٢ ، ٢٧ × ١٨ س . مؤلفه الشريف الرضي الموسوي (ــ ٤٠٦) نسخة حديثة كتبت سنة ١٣٠٤ » .

١٢ ـ نسخة ذكرت أيضاً في الكشاف عن مخطوطات خزائن كتب الأوقاف صفحة ١٥٧ جاء وصفها فيه هكذا : « ٢١٠٠ ـ نسخة أخرى ٥٧٤٠ ، ٢٨ × ١٦ س . نسخة حديثة كتبت سنة ١٢٨٥ » .

١٣ ـ نسخة ذكرت في فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف العامة في الموصل ١/١٢٥ وجاء وصفها فيه هكذا : « ٦/١٤ ديوان الشريف الرضي . الشريف الرضي الموسوي المتوفي سنة ٤٠٦هـ أوله :

بهاء المجد من هذا البهاء وضوء المجد من هذا الضياء

نسخت ببغداد سنة ١٢٢١ هـ (ولادة الشريف سنة ٣٥٩هـ) .

ق ـ ٥/٢١ × ٥/١٤ .

و ـ ٣٨٦ » .

١٤ ـ نسخة جاء وصفها في فهرس مخطوطات حسن الأنكرلي المهداة إلى مكتبة الأوقاف العامة ببغداد ، صفحة ٥٥ ، وهي برقم ٥٩/١٢١٨١ وجاء فيه : « مجلد ورقه أزرق رقيق صقيل ، خطه جيد .

أوله : قال الشريف الرضي الموسوي عليه الرحمة يمدح بهاء الدولة الديلمي :

بهاء المجد من هذا البهاء وضوء الملك من هذا الضياء

والنسخة نفيسة جداً ، خزائنية . وتم الفراغ من نسخها في صبيحة يوم الثلاثاء الثاني والعشرين من رمضان من شهور سنة ١٣٠٤هـ ، على يد عباس الشيخ علي الحلي عدد أبيات الصفحة ٣٤ . ق = ٣٥٢ . ٣٠ سم × ١٨ سم » .

في السعودية :

١٥ ـ نسخة في مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة ، كتبت سنة ١٠١٠هـ ، وتقع في ٢٠٠ ورقة . ذكرها الدكتور علي جواد الطاهر ، في مقال له عن أهم المخطوطات في مكتبة شيخ الإسلام[١] .

١٦ ـ نسخة في مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة ، وهي مختارات من شعر

---

(١) مجلة المكتبة (مكتبة المثنى ببغداد) العدد ٦٨ ، السنة العاشرة ، كانون الثاني سنة ١٩٧٠ م .

الشريف الرضي . ذكرها الدكتور علي جواد الطاهر ، في مقاله السابق[1] .

في المغرب[2] :

١٧ ـ نسخة في الخزانة الملكية بالرباط ، برقم ١/٦٠٢ ، وهي مختارات من شعر الشريف الرضي ، ضمن مجموعة ، وأولها : « قال الشيخ الإمام العالم العلامة ... أديب زمانه ... الشريف الرضي ، رضي الله عنه :

حيـــا دون الكثيـــــب   مرتـــع الظـــبي الربيـــب

وآخرها :

شوق ألمَّ وما شوقي إلى أحـــــد   سوى الذي نام عن ليلي وأيقظني

كمل شعر الشريف الرضي بحمد الله وحسن عونه ، وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وعبده » .

كتبت النسخة بقلم مغربي ، وقد أصابتها الرطوبة والأرضة ، وتقع في ٥١ ورقة ، ومسطرتها ١٣ سطراً ، ومقاسها ١٤ × ١٩ سم .

١٨ ـ نسخة في الخزانة الملكية بالرباط برقم ٦٠٤ ، تتضمن النصف الأول من الديوان ، وهي غير مرتبة على القوافي ، وأكثر ما جاء فيها في المديح والافتخار ، والصفحة الأولى منها باهتة سيئة التصوير ، عليها تملكات لم أستطع قراءتها .

وأول ما جاء فيها : « قال أبو الحسن محمد ... يمدح الطائع لله أمير المؤمنين ويشكره ... سنة ثلاث وسبعين :

هي سلـوة ذهبـــت بكل غـــرام   والحب نهب تطـاول الأيام »

وتأتي بعد ذلك قصيدة لامية ، ثم أخرى همزية ، وهكذا .

وآخر ما جاء فيها : «

« ناد بالركب قد بلغت إلى البحـــ   ـــر فَعَرِّسْ به كفـاك كفاكا »

---

(٢) المصدر السابق .

(٣) لدى معهد المخطوطات مصورات المخطوطات التي يأتي وصفها ، وهي مما صورته بعثته الأولى الى المغرب ، انظر القائمة بأرقام ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ .

ثم النصف الأول من ديوان الشريف الرضي رضي الله عنه ، ويتلوه النصف الثاني والحمد لله رب العالمين .... » .

كتبت النسخة بقلم نسخي معتاد ، أتلفتها الرطوبة والأرضة ، وتقع في ١٩٠ ورقة ، ومسطرتها ٢١ سطراً .

١٩ ـ نسخة في الخزانة الملكية بالرباط ، برقم ٧٢٧٨ ، وهي نسخة اضطربت أوراقها ، ووضع الكثير منه في غير موضعه مما أضاع معالم صنعتها . أولها مبتور ، وأول الموجود :

يهابُ سيفك مصقولاً ومختضبـــا وأهيب الشعر شعر غير مخضوب

وآخر الموجود منها :

وقد سلمته شفــوف الشمـــــال ورصع قطرية قطر الزمـــــام

كتبت النسخة بقلم مغربي ، وقد عاثت فيها الأرضة إلى حد الإفساد ، وتقع في ١١٣ ورقة ، ومسطرتها ٢١ سطراً ، ومقاسها ١٦ × ٢٠ سم .

في إيران[1] :

٢٠ ـ نسخة في مكتبة الإمام الرضا بخراسان برقم ٤٥٨٤ ، مرتبة على القوافي ، تمثل الجزء الأول من الديوان ، وتبدأ من قافية الهمزة إلى أثناء قافية الراء ، حيث تنتهي بقوله :

أكفايــتي ما قد حذرت وقوعــــه أم ما كفيت من الذي لم أحذر

كتبت النسخة في القرن الثالث عشر ، وهي في ١٣٤ ورقة ، ومسطرتها ٢٥ سطراً ، ومقاسها ٣١ × ٢٠ سم .

٢١ ـ نسخة في مكتبة الإمام الرضا بخراسان برقم ٤٥٨٥ ، مرتبة على القوافي تمثل الجزء الثاني من الديوان ، وتبدأ بقافيـة العين ، وتنتهي بقافية الياء ، عند قول الرضي :

أرتضي بالأذى ولــم يقــف الـــ ـعزم قصوراً ولم تعــز المطي

(١) أفادني وصف النسخ الأربع الأُوَل الاستاذ محمد بحر العلوم ، جزاه الله خيرا .

تمت كتابة النسخة في ٢٥ ربيع الأول من سنة ١٢٨٣هـ ، كتبها شرف الدين الخراساني ، وهي في ٢١٣ ورقة ، ومسطرتها ١٨ سطراً ، ومقاسها ٢٨,٥ × ١٨ سم .

٢٢ ـ نسخة في مكتبة الإمام الرضا بخراسان برقم ٧٦٥٨ ، تضم الديوان كله ، وهي مرتبة على القوافي ، وفي كل قافية تجيء المدائح والتهاني ثم الافتخار ... إلخ ، وآخرها في قافية الياء :

كالذي يخبط الظلام وقد أقـــــمر من خلفه النهار المضي

كتبت النسخة سنة ٥١٥ هـ ، عدا ١٧ ورقة في أولها كتبت في القرن العاشر ، وهي في ٢٢١ ورقة ، ومسطرتها ٢٠ سطراً ، ومقاسها ٢٤,٥ × ١٩ سم[1] .

٢٣ ـ نسخة في مكتبة سبهسلار بطهران ، برقم ٢٧٤٧ ، تشتمل على الجزء الأول ، وهي مرتبة على القوافي ، تنتهي في أثناء قافية العين بقوله :

يهابُ ويرجى لريب الزمـــــان كالنصل راق عيونا وراعـــا

كتبت النسخة في القرن الثالث عشر ، وهي في ٢٠٠ ورقة ، ومسطرتها ٢٠ سطراً ومقاسها ، ٣١ × ٢١ سم .

٢٤ ـ نسخة في مكتبة مشهد ، ذكرها بروكلمان في تاريخ الأدب العربي (الترجمة العربية) ٦٣/٢ ، وقال انها من المختصرات وانها في فهرس مشهد ١٥/٨/٢٣ـ٢٥ .

٢٥ ـ نسخة من الحجازيات في مكتبة ملي برقم ٣/١٠/٢٧ ، مع حجازيات الأَبِيوَرْدي[2] أولها : « الحمد لله رب العالمين ... قال الشريف الرضي أبو الحسن محمد بن الحسين الموسوي ... في الغزل والنسيب :

يا ظبية البان ترعى في خمائلهـــا ليهنك اليوم أن القلب مرعاك »

وآخرها : «

لو كان قلبك قلبه ما لمتـــــه حاشاك مما عنده حاشاكـــا

(١) أحاول الحصول على مصورة هذه النسخة ، ولم أوفق لهذا بعد .

(٢) منها مصورة في معهد المخطوطات . انظر قائمة ما صورته بعثة المعهد إلى إيران برقم ١١٢ .

كملت حجازيات السيد الرضي ... على يد ناسخها وكاتبها أضعف عباد الله وأحوجهم إلى رحمته ، على بن إبراهيم بن محمد ...[1] ، في يوم الأحد وقت العصر ، الثاني عشر من صفر ، سنة ٦٤٩ » .

كتبت النسخة بقلم نسخي معتاد مشكول ، وعلى هوامشها بعض التعليقات ، وهي في ١٠ ورقات ، ومسطرتها ١٧ سطراً .

في تركيا :

٢٦ ـ نسخة في مكتبة كوبريلي برقم ١٢٤٢ ، وهي مرتبة على القوافي ، وفي آخر كل قافية الزيادات ثم المفردات ، ولم ترد كل المفردات فيها ، وإنما أخلت النسخة ببعض المفردات التي أصابتها الرطوبة في نسخة دار الكتب المصرية (من صنعة أبي حكيم الخبري) وهذا يدفع إلى الاعتقاد بأن نسخة أبي حكيم التي بين أيدينا أصابها هذا السوء من قديم وكانت أصلاً لهذه النسخة وأمثالها ، مما دفع النساخ إلى إهمال الأبيات التي تعذرت عليهم قراءتها .

وأول النسخة : « قال محمد بن الطاهر ذي المنقبتين أبي أحمد الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم أجمعين ، ومولده ببغداد في سنة تسع وخمسين وثلاثمائة ، وابتدأ بقول الشعر بعد أن جاوز العشر السنين بقليل ، يرثي الأمير أبا الفتح ولد الطائع لله أمير المؤمنين ، ويعزيه عنه ، وذلك في سنة ست وسبعين وثلاثمائة .

قافية الألف :

أي العيون تجانب الأقذاء ... أم أي قلب يقطع البرحاء

ولم ترد مدحته الهمزية للطائع لله التي تبدأ بها أكثر النسخ إلا في الورقة ٤ أ .

وآخر النسخة في مفردات قافية الياء : «

إذا انتسب النجاح إلى سواهم ... غدا فيهم وإن كرموا دعيا

(١) كلمتان غير واضحتين ، لعل الأولى : « الضرري » أو « الغرري » ، ولعل الثانية « المتكلم » أو « المتعلم » .

ثم شعر السيد الرضي قدس الله روحه ، على يد أفقر عبيد الله تعالى وأحوجهم إلى شفاعة آبائه ، أبي منصور بن أبي البركات بن أبي الحسن البنا المدائني ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين » وعند قوله « على يد » إحالة إلى الهامش ، وفيه : « وافق الفراغ من نسخه سلخ شعبان من سنة ثمان وستين وستمائة الهجرية » . وتحت ختام النسخة إلى اليسار خاتم ثماني صغير جداً كتب فيه « وإنما لكل امرىء ما نوى » . وتحت ذلك بقلم نسخي مجود يختلف عن خط النسخة :

إن قول الجواد يتبعـــــه الـــــــفعل كما يتبع الوظيفَ الوظيفُ
ما يذل الزمان بالفقـــر حــــــــراً كيف ما كان فالشريف شريف

وتحته خاتم آخر بيضاوي أقرب إلى الاستدارة ، وفيه : « هذا مما وقفه الوزير أبو العباس أحمد بن الوزير أبي عبد الله محمد ، عرف بكوبريلي ، أقال الله عثارهما ،». وهذان الخاتمان أيضاً على الورقة الأولى من الديوان ، وتجدهما في مواضع أخرى من النسخة .

وخط النسخة نسخي جيد مشكول ، وفي أول كل قصيدة كلمة « صح » وعلى هوامشها تصحيحات ، وبجانب بعضها رمز « خ » مما يدل على مقابلتها بنسخة أخرى .

تقع النسخة في ٢٢٦ ورقة ، وصفحاتها ذات نهرين ، ومسطرتها ٢١ سطراً ، ومنها مصورة محفوظة بمعهد المخطوطات العربية برقم ٣١٧ أدب .

وقد اعتمدت هذه النسخة في تحقيق الديوان ، ورمزت لها بالحرف « ك » .

٢٧ ـ نسخة في المكتبة الحميدية ، برقم ١٠٩٧ ، وصفها الأستاذ ريشر (RESCHER) في مقال له عن بعض مخطوطات المكتبة الحميدية في مجلة (Z.A)[١] المجلد ٢٧ لسنة ١٩١٢ صفحة ١٥٣ ، ١٥٤ ، وذكر أن العنوان مكتوب بطريقة زخرفية ملونة على أرض مذهبة وقصائد الديوان مرتبة على القوافي ، والعناوين بالذهب ، والنسخة كتبت بقلم تعليق غير مشكول ، وهي غير مؤرخة ، وتقع

---

(١) تكرم الأستاذ الدكتور رمضان عبد التــواب والدكتور عرفة بترجمة ما جاء في المجلات الألمانية عن هذه النسخة والنسختين التاليتين . فلهما عميق الشكر وأوفاه .

في ٣٠٤ ورقة ، ومسطرتها ٢٧ سطراً .

٢٨ ـ نسخة في مكتبة عاطف أفندي ، برقم ٢٠٥٣ ، وصفها الأستاذ ريشر أيضاً في مقال له عنوانه « إخباريات من مكتبات إستانبول» في مجلة (M.F.O) المجلد الخامس لسنة ١٩١١م صفحة ٤٨٩ وذكر أنها في مجموعة تبدأ بالحماسة البصرية ، وأنها عبارة عن مجموعة قصائد للشريف الرضي تقع في حوالي ٣٥ ورقة .

٢٩ ـ نسخة في مكتبة عاشر أفندي ، برقم ٩٦٨ ، وصفها الأستاذ ريشر أيضاً في متابعته لمقاله السابق في المجلة المذكورة ، صفحة ٥١٦ ، وذكر أنها مرتبة على القوافي .

كتبت بخط نسخي نظيف واضح ، غير أنها تكاد تكون غير مشكولة ، وورقها من القطع الكبير مصقول مائل للبياض ، واسع الهوامش ، وهي بدون تاريخ ، وقدر أنها كتبت حوالي القرن التاسع أو العاشر ، والنسخة بحالة جيدة ، ومسطرتها ٢٧ سطراً ولم يذكر عدد أوراقها .

في إسبانيا :

٣٠ ـ نسخة في مكتبة دير الإسكوريال بإسبانيا برقم ٣٤٩ ، تتضمن الغزل من شعر الشريف الرضي ، وهي مرتبة على القوافي(١) .

أولها مبتور ، أول الموجود منه :

تعجب من عجبي به في الهـــوى ... وا عجباً منه ومـن عجـــبي

وآخرها :

فلم أر يوم القر أكثر ضاحكـــاً ... ولم أر يوم النفر أكثر باكيـا

كتبت النسخة بقلم نسخي مشكول ، لعله في القرن السادس أو السابع ، وتقع في ١١٠ ورقة ، ومسطرتها ١١ سطراً .

---

(١) منها مصورة في معهد المخطوطات ، مما صورته بعثة المعهد إلى إسبانيا سنة ١٩٧١ م . انظر قوائم مخطوطاتها . القائمة ٤ الكتاب ٣٠

في المانيا[1] :

٣١ ـ نسخة في مكتبة برلين برقم ٧٥٩٩ (AHLWARDT) مجلدة بجلد شرقي أحمر اللون ، ١٥٠ ورقة تحتوي كل منها على ٢٦ سطراً ، ٢٨ × ١٨ سم . ومساحة النص في كل صفحة ٢٠,٥ × ١٤ سم . صفحاتها الأولى غير نظيفة ، وفيما عدا ذلك فهي في حالة جيدة ، إلا أنها ليست كاملة ، فصفحاتها الأخيرة مفقودة ، وهذا النقص يكاد يبلغ ربع حجمها ، وورقها أبيض مصقول متين إلى حد ما ، وخطها نسخي متوسط الحجم واضح غير مشكول ، والمداد ذو لون أسود ، أما المقدمة والعناوين فمكتوبة بالمداد الأحمر حتى الورقة ٤١أ ، وابتداء من هنا ترك مكان العناوين خالياً . ولم يذكر الناسخ اسمه ، غير أنه كتب في الورقة ١أ أنه بدأ نسخ الديوان يوم الأربعاء التاسع من شهر ذي القعدة سنة ١٢١٧هـ.

وتبدأ المخطوطة في ورقة ١ ب أول ما تبدأ بكلمة عن المؤلف مقدمةً للديوان نصها : « هذا ما ألفه وصنفه سيدنا ومولانا الرضي رضي الله عنه من الشعر ، ويبدأ في كل قافية بالمدائح ... » إلخ .

ثم يتبع ذلك شعر في الورقة رقم ٦أ مطلعه :

جزاء أمير المؤمنين ثنائي ... على نعم ما تنقضي وعطاء

وفي الورقة ٢ب يبدأ الديوان مرتباً ترتيباً أبجدياً حسب القوافي ، وينطوي تحت كل حرف أولاً : المدائح والتهاني ، ثم الافتخار وشكوى الزمان ، ثم المراثي والزهد ، ثم النسيب وذكر المشيب ، ويختم ذلك بالأغراض المختلفة . ثم يلي ذلك زيادات وجدت بعد موت المؤلف بخطه خارجاً عن ديوان شعره .

وينقسم الديوان إلى شطرين : الأول يبدأ بالورقة ١ب حتى ١٠٠أ ويصل ذلك إلى حرف العين ، وفي ورقة ١٠٠أ نفسها ألحقت بعض الإضافات ، وبعد ثلاث

---

(١) أفادني هذا الوصف المسهب للنسخ الأستاذ الدكتور رودلف زلهايم ، الأستاذ بجامعة فرانكفورت (ألمانيا الغربية) ، فله الشكر على هذه المعونة الكريمة وأنا هنا أنقل وصفه بحروفه .

صفحات بيضاء لا كتابة فيها يبدأ الشطر الثاني من الديوان ، وذلك بالورقة ١٠٢ب بشعر على قافية العين ، ولكن هذا النصف غير تام ، إذ ينتهي بالورقة ١٥٠ب بشعر على قافية الميم ، وآخر بيت هو :

أشلى بهـا الضرغـام حتـــــــــى هب من طيب المنـام

وما بعد ذلك ساقط ، ويقدر بحوالي خمسين ورقة ، أي ربع الديوان تقريباً . وتجري كتابة الأبيات عادة في كل سطر في ثلاثة مصاريع ، وأحياناً في أربعة ، بل في ستة كما في الورقة ٦٦ب ، ويقرأ أفقياً .

٣٢ ـ نسخة في مكتبة برلين برقم ٧٦٠٠ ، كعبها مجلد بالجلد الأسود البرليني الحديث ، وهي ١٩٨ ورقة ، بكل صفحة ٢١ سطراً ، ٢٠ × ١٢,٥ سم ، أو ١٤,٥ × ٦,٥ سم ، والورق مصقول ومتين نوعاً ما ، وهو من القطع المتوسط ، والخط نسخي ، والكلمات متزاحمة غير مشكولة ، إلا أنها واضحة ، والمداد أسود ، إلا العناوين فمدادها أحمر حتى الورقة رقم ١٤١ب ، وليس على المخطوطة اسم الناسخ ، وإن كان قد سجل تاريخ الانتهاء من كتابتها ، وهو يوم الخميس الثالث من شوال سنة ١٠٣٤هـ.

وهذه النسخة ليست سوى النصف الثاني من الديوان ، أي الجزء الثالث والرابع (قارن ١٣٣أ ، ١٣٤أ) إذ أن النصف الأول يشمل الجزءين الأول والثاني . وبهـا حوالي ٧٠٠٠ بيت من الشعر ، وتبدأ بالورقة ٣ب هكذا :

قال السيد الأجل المرضي الرضي أبو الحسن محمد بن أبي أحمد الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي السجاد بن الحسين بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم أجمعين :

أمل من مثانيها فهذا مقيلهــــــا وهذي مغاني دارهـا وطلولها

حرام على عيني تجـاوز أرضهـــا ولم يرو أظماء الديار همولهـا

وتختتم بالبيت :

إن يكن في ندى الملوك سبــــوغ للمرجى ففي رجـائي قلــوص

وهكذا يلاحظ أنها غير مرتبة ترتيباً أبجدياً .

٣٣ ـ نسخة في مكتبة برلين برقم ٧٦٠١ ، مجلدة بجلد شرقي أسمر قاتم ، ولها غطاء وتتكون من ٦٧ ورقة بكل منها ١٢ سطراً ، ٢٠ × ١٣ سم أو ١٢ × ٧ سم ، ورقها مصقول أصفر اللون متين ، ومن القطع المتوسط إلا أنه لم يقص قصاً مستقيماً ، والخط نسخي واضح مشكول سهل القراءة ، والحبر أسود ، أما العناوين فبالحبر الأحمر ، كما أن النص محاط بإطار من المداد الأحمر كذلك . ولم يذكر الناسخ اسمه ، وكل ما هنالك أنه قال إنه أتم ما كلفه به رضي الإسلام جعفر بن المطهر ، في يوم الجمعة العاشر من جمادى الثانية سنة ١٠٨٩هـ ، ثم اختتم الديوان بالورقة ٧٦أ[1] بهذا النص :

انتهى ما اخترناه من شعر الشريف الرضي بالقاهرة سنة أربعين وثمان مائة[2] .

ولم يشر جامع الديوان هذا إلى اسمه في مكان من المخطوطة ، أما الشعر فرتب ترتيباً أبجدياً ، وساقط من المخطوطة أوائلها ، وما تبقى يبدأ بالبيت التالي في الورقة رقم ٧أ :

فلم أر يوم القر أكثر ضاحكـــاً ولم أر يوم النفر أكثر باكيـــا

٣٤ ـ نسخة في مكتبة برلين برقم ٧٦٠٢ . وهي مختارات جمعت في ١٨ ورقة .

٣٥ ـ نسخة في مكتبة برلين برقم ٧٦٠٣ . بها بعض القصائد المتفرقة من ديوان الشريف الرضي ، وتتكون من ١٦ ورقة ، ورد بها رثاء إبراهيم بن هلال الصابي .

٣٦ ـ نسخة في مكتبة توبنغن برقم ٥١ . مجلدة بجلد شرقي حديث ، ولها غطاء وتشمل ١٢٢ ورقة ، بكل منها ٢٥ سطراً ، ٢٣,٧ × ١٤ سم أو ١٦,٧ × ٧,٨سم . وورقها أبيض رقيق غير مصقول إلى حد ما ، والخط نسخي متوسط الحجم ، سميك بعض الشيء متساو وواضح ومشكول أحياناً ، والمداد أسود ، أما العناوين

---

(١) تقدم في أول وصف النسخة أنها تتكون من ٦٧ ورقة .

(٢) أي أن الناسخ ينقل من اختيار تم في هذا التاريخ .

فكتبت بالمداد الأحمر وكاتبها هو محمد رؤوف الباقي[1] ، كتبها لمحمد نسيب أفندي سنة ١٢٦١هـ في دمشق ، وهي مختارات جمعت دون نسق أو ترتيب .

وقد أرخت بعض الأشعار ، وذلك ما بين سنة ٣٧٥ وسنة ٤٠٥ ، فنقرأ مثلاً أن الشاعر لما قارب الثالثة والعشرين من عمره اشتعل رأسه شيباً ، وكان ذلك عام ٣٨٠ ، وتبدأ المخطوطة بهذا البيت في الورقة ١ب :

أمل من مثانيها فهـذا مقيلهـــا　　　وهذي مغاني دارهم وطلولها

ثم تختتم بالورقة ١٢٢ب هكذا :

ورأى أن لا نجــاة لـــه　　　فمضى يبغي النجـاة غــدا

في بريطانيا :

٣٧ ـ نسخة في المتحف البريطاني برقم (ADD.25/750) ، وفي صفحة العنوان « ديوان الشريف الرضي روح الله الرحمن روحه » يلي هذا كشط ، ثم : « انتظم في سلك ملك الفقير إلى عفو ربه السلام ، إبراهيم كاتب أسئلة الفتوى بدمشق الشام ، عفى عنه بنآء أسدي ٧ » ، وبجانبه « ملكه بالاستيهاب عن بعض الأحباب عبد الباقي عارف بن محمد الحقير ، عفى الله عنهما » .

وأول الديوان : « وقال هذه القصيدة جواباً عن قصيدة أرسلها إليه بعض أصدقائه :

رضينا الظبي عن عناق الظبـــا　　　وضرب الكلى من وصال الطلا

ثم قصيدة الرضي الهمزية :

---

(١) في معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ، مصورة عنها ، لم تدرج بعد في الفهارس المطبوعة . وجاء فيها أن الكاتب محمد رؤوف الباقي النقشبندي المولوي في حالة السياحة في دمشق الشام ، في شهر صفر في سنة ١٢٦١ من هجرة سيد المرسلين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين الى يوم الدين ، لأجل الأعز الأفخم رئيس الأمراء والأعيان بدمشق الشام السيد المحترم محمد نسيب أفندي حفظه الله من حادثات الزمان ، بحرمة رسول البيان ، آمين ، يا رب العالمين . وعلى النسخة : صار في نوبة فقير الله عز شأنه محمد أسعد الحمزاوي ، عفى عنه والديه والمسلمين أجمعين ، آمين ، في سنة ١٢٦٦ .

وآخر النسخة : «

والنجم وجه مقبل والبدر مرآة صديه

ثم الديوان المبارك المسمى بديوان الشريف الرضي ، ليلة الأحد بعد عشائها درج التي سيسفر صباحها عن خامس عشر رجب الأصم من شهور سنة ست وأربعين وألف هجرية ، وقد فرغ من تسطيره وترتيبه على حروف الهجاء ـ ولم تكن النسخة المنقولة منها مرتبة على هذا الترتيب ـ العبد الضعيف المحتاج إلى عفو ربه وغفرانه ، زين العابدين ابن أبي الجود بن زين العابدين الأنصاري الخزرجي الشهير بابن الكشك الحنفي ، عامله الله بلطفه الخفي ، وأجراه على عوائد بره الحفي ، بمنه ويمنه وكرمه آمين آمين » . وعلى جانب هذه الصفحة : « طالعه فقير لطف الله تعالى الخفي ، الحقير علاء الدين محمد الفتى الحنفي ، عفي عنه » .

كتبت النسخة بخط نسخي معتاد ، وهي في ٢٨٧ ورقة ،ومسطرتها ٢٧ سطراً .

٣٨ ـ نسخة في المتحف البريطاني برقم (OR. 7757) ، وهي مختارات من الديوان غير مرتبة على القوافي أو الأغراض ، ناقصة من أولها ، وأول الموجود منها : « ديوان الرضي ره .

يزعفر من عض الشكيم لعابها ويرعد من قرع العوالي خصيلها »

والقصيدة التالية : « في عبد العزيز بن مروان (كذا) ...

دير سمعان لا غدتك العوادي خير ميت من آل مروان بتيك

يا ابن عبد العزيز لو بكت العيـ ـن فتى من أمية لبكيتك »

وآخر الموجود في النسخة :

هم استخدموا الآمال عزا وأرهفوا بصائرهم بعد الردى والمعاطب

وواضح أن النسخة ناقصة أيضاً من آخرها ، وهي بخط نسخي محدث ، في ٩٠ ورقة ، ومسطرتها ٢٤ سطراً .

٣٩ ـ نسخة في المتحف البريطاني ، برقم (ADD. 19/410) ، وهو الجزء

الثالث من الديوان ، وفي صفحة العنوان بخط الثلث : « الجزء الثالث من شعر » ثم بقية العنوان بقلم نسخي مجود : « الرضي رضي الله عنه مرتباً على الأبواب والقوافي مفسراً ، صنعة أبي حكيم عبد الله بن إبراهيم الخبري » ، وعلى يمين العنوان بقلم نسخي مجود : « الحمد لله تعالى . هذا الجزء المبارك محرره ملك الكتاب على الإطلاق ، من غير ريب ولا شقاق ، على وجه العموم بالاتفاق ، والله سبحانه وتعالى أعلم . عليه رحمة الله تعالى » وعلى يسار العنوان محو وتحته محو آخر ، بجانبه : « يعتمد على الله تعالى علي بن عيسى » وتحته محو آخر ، على يمينه خاتم « محمد صادق » بقلم فارسي ، وتحته بقلم نسخي مجود : « هذا الجزء بخط الشيخ الإمام قبلة الكتاب ، المعروف بياقوت المستعصمي رحمة الله عليه . كتبه ....[1] بن السهروردي حامداً مصلياً مسلماً » . وتحت هذا سطور مائلة تأخذ من يسار الصفحة إلى يمينها بخط النسخ المجود ، هي : « صدقت على ذلك ، وصح عندي وثبت ، أن هذا الجزء بخط ملك الكتاب ، جمال الملة والدين ، أبو الدر ياقوت المستعصمي وكتبه العبد الفقير شرف ابن الأمير الخوارزمي ... مولداً ، والحمد لله وحده » . وعلى يمين كلام ابن السهروردي بخط نسخي : « وأقسم بأن هذا الجزء من غير شبهة ولا ريب محرره سند الكتاب الشيخ جمال الدين سيدي ياقوت المستعصمي ، عليه الرحمة والرضوان » . وبعده بقلم فارسي مغاير : « في شهور سنة خمْس وثمانمائة » ثم كلمتان لم أستطع قراءتهما .

وأول الجزء « وقال يفتخر بقريش ونزار على قحطان واليمن ، وذلك في شهر رمضان من سنة خمس وثمانين وثلاثمائة :

أراك ستحدث للقلب وجدا إذا ما الركائب ودعن نجدا

وآخر النسخة أثناء قافية الدال من باب المراثي ، مقطوعة في الزهد آخر بيت فيها :

ورأى أن لا نجاة له فمضى يبغي النجاة غدا

ثم : « انتهى الجزء الثالث من شعر الرضي ،، ويتوه في الرابع قافية الراء . وقال يرثي

(١) لم تتضح لي هذه الكلمة ، ولعلها أحمد أو أسعد .

الحسين بن علي عليهما السلام في يوم عاشوراء سنة سبع وسبعين وثلاثمائة ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد النبي وعلى آله وسلم » .

وعلى هوامش النسخة بخط نسخي دقيق تفسير لبعض الألفاظ اللغوية ، وفي نهاية أكثر القصائد عدد الأبيات في القصيدة ، والنسخة معارضة ، وعليها بلاغات ، وتصحيحات بقلم معتاد . وقد أصابت الرطوبة بعض أوراقها، ولكنها لم تؤثر في الكتابة .

وكاتب النسخة ـ كما تقدم ـ هو جمال الدين ياقوت بن عبد الله المستعصمي الرومي الأديب المعروف بحسن الخط ، من أهل بغداد ومن موالي المستعصم بالله الخليفة العباسي وكانت وفاته سنة ٦٨٩ هـ[١] . وقد كتبها بخط النسخ المجود المشكول .

تقع النسخة في ١٣٢ ورقة ، ومسطرتها ١٣ سطراً . وقد رمزت لها بالحرف « ق » .

٤٠ ـ نسخة ذكرت في (كتالوج براون ٢١٥) ، وجاء وصفها فيه . وعلى الورقة الأولى اسم أنصاري زاده حسن قادري الذي يعمل موظفاً في بيت المال في عهد محمد نامق باشا وتبدأ النسخة بـ « هذا ما ألفه وصنفه الرضي رضي الله عنه من الشعر ، ويبدأ في كل قافية بالمدائح والتهاني ، ثم بالافتخار وشكوى الزمان ، ثم بالمراثي والزهد إلخ » ثم يلي هذا كلام عن الشريف الرضي ومولده ووفاته ، ويبدأ الشعر بقصيدة :

جزاء أمير المؤمنين ثنائي   على نعم ما تنقضي وعطاء

كتبت النسخة بخط نسخي دقيق ، في بغداد ، كتبها حسين بن أمين القائمي البغدادي ، وأتم كتابتها في السادس من رمضان سنة ١٢٨٣ هـ ، وهي في ٢٩٧ ورقة ومسطرتها ٢٧ سطرا ، ومقاسها ١٤,٨ × ٢٠,٤ سم .

٤١ ـ نسخة ذكرت في الفهرس الملحق لكمبردج برقم ٥٤٩ ، كتبت سنة ١٠٩٠ هـ بخط واضح كبير ، وتقع في ٤٧٣ ورقة ، ومسطرتها ١٧ سطرا ، ومقاسها ٢٢,٦ × ١٣,٧ سم .

---

(١) الأعلام ١٥٧/٩ .

في فرنسا :

٤٢ ـ نسخة في المكتبة الأهلية بباريس ، برقم ٦٤٤٠ ، تضم الجزء الأول من الديوان وهو مرتب على القوافي ، وفيه من أول قافية الهمزة إلى آخر قافية الظاء . والورقة الأولى منه في أعلاها بخط رقعي محدث « الجزء الأول من ديوان السيد الرضي » وبعد ذلك عنوان الكتاب في إطار مربع يستطيل قليلا من أعلى إلى أسفل ، وهو يحمل رسوم زخرفية وردية وداخل الإطار بخط الثلث المجود المختلط بقلم نسخي : « الجزء الأول من ديوان شعر السيد ذي الحسبين أبي الحسن محمد بن السيد ذي المنقبتين أبي أحمد الحسين بن موسى بن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام » . ويلي ذلك رقم الكتاب في المكتبة الأهلية ، وعلى يساره خاتم المكتبة ، وبجانبه إلى اليسار تملُّك يُقْرأ منه « عبد الرزاق البهنسي[١] » . وتحت رقم الكتاب في المكتبة كشط لكلمات ، وبجانبه إلى اليسار : « طالع ف ... إلى ... لحاو ... الفقير سليمان المحاسني[٢] غفر الله له » وأول الديوان : « قافية الهمزة والألف . ويبدأ في كل قافية بالمدائح والتهاني ثم بالافتخار وشكوى الزمان ، ثم بالمراثي والزهد ، ثم بالنسب وذكر المشيب ، ثم بالأغراض المختلفة ، ثم بزيادات وجدت بعد موت الرضي رضي الله عنه بخطه خارجة عن ديوان شعره فأثبتت في آخر كل قافية منفردة لتتميز عنها » .

والزيادات المذكورة فيما سبق لا تتضمن الأبيات المفردة . وفي الأوراق الأولى من النسخة بعض الشروح اللغوية بقلم تعليق دقيق .

---

(١) عبد الرّزاق بن محمد ين عبد الرزاق البهنسي الحنفي الدمشقي . ولد بدمشق سنة ١١٢٥ هـ ، عالم محقق مطلع مؤثر للعزلة ، ذكر المرادي مختارات من شعره وذكر أنه توفي سنة ١١٨٩ هـ ، ودفن بمرج الدحداح . سلك الدرر ٢١/٣ ـ ٢٤ .

(٢) سليمان بن أحمد بن سليمان المحاسني الحنفي الدمشقي الخطيب . أديب حاذق ذكي مولده بدمشق سنة ١١٣٩ هـ ، وكان يشتري الكتب ويقابلها على غيرها ويضبطها ضبطا حسنا بخطه . ذكر المرادي بعض شعره ، وذكر أن وفاته كانت سنة ١١٨٧ هـ ، ودفن بباب الصغير . سلك الدرر ١٦٣/٢ ـ ١٦٧ .

وجاء في آخر النسخة : « تم الجزء الأول من ديوان الشريف الرضي رضي الله عنه ، وهو آخر قافية الظاء ، وكتبه لنفسه الفقير إلى رحمة الله ، في مدة آخرها سلخ شهر سنة أربع وثمانين وخمسمائة ، بمدينة حلب . ويتلوه في الجزء الثاني قافية العين : وقال يمدح الملك بهاء الدولة ، وأنفذها إليه وهو بالبضرة وقد افتتحها في آخر سنة أربع وتسعين وثلاثمائة

ألهاك عنَّا بـه البرقــع　　　مر الثـلاثـين الى الأربـع »

ولم يذكر الناسخ اسمه ، كما ترى . وجاء فوق النقل السابق بقلم تعليق بعد الشعر مباشرة « بلغت مقابلة وتصحيحا » .

وجاء في الورقة التالية تملكات يقرأ منها : « ... والتعدي ... آخر جمادى الأولى سنة ٦٨١ ... العبد الفقير إلى الله تعالى ... في ... ربيع الأول ... وتسعين وسبعمائة » ثم خاتم المكتبة الأهلية بباريس .

كتبت النسخة بقلم نسخي جيد مشكول ، وهي في ٢٧٦ ورقة ، ومسطرتها ١٥ سطرا وقد أصابت الرطوبة الأوراق الست الأخيرة منها ، وأثر اللصق في ورقة العنوان وورقة التملكات الأخيرة .

وتتفق هذه النسخة مع المطبوعة البيروتية ، التي سيأتي الحديث عنها ، في كثير من المواضع ، وقد اعتمدتها في تحقيق الديوان ورمزت إليها بالحرف « س » .

٤٣ ـ نسخة في المكتبة الأهلية بباريس ، برقم ٦٢٢٨ ، كتبها محمد حسن سنة ١٣٠٢ هـ بقلم نسخي ، وهي في ٣٢٨ ورقة ، ومسطرتها ٢٤ سطرا[1] .

في هولندا :

٤٤ ـ نسخة ذكرت في فهرس بريل (المدينة) صفحة ٩٦ ، برقم ٣١٥ ، وهي مختارات من ديوان الشريف الرضي ، مرتبة على القوافي ، وتقع في ٢٧٠ ورقة .

وجاء في تاريخ الأدب العربي لبروكلمان (الترجمة العربية ٦٣/٢) ، أن في فهرس ليدن أول ٦٣٧ مخطوطاً غير كامل بعنوان انشراح الصدر ، وانشراح الصدر

(١) أفـادني وصفَ هذه النسخة أمانةُ المخطوطاتِ بالقسم الشرقي في المكتبة الأهلية بباريس .

ليس للشريف الرضي ، وقد سبق بيان ذلك[1] .

في الهند :

٤٥ ـ نسخة في الجمعية الأسيوية بكلكتا برقم ٧٣٨ ، وهي تتضمن الحجازيات من شعر الشريف الرضي مرتبة على القوافي . على صفحة العنوان تملكات أظهرها وأقدمها : « في نوبة عبد الحميد بن محمد بن عبد الحميد الحسيني ، بخطه ، لا يباع ، في شهور سنة ثلاث وثلاثين وستمائة » . وأول النسخة : « قال السيد الشريف الرضي ذو الحسبين أبو الحسن ... في الغزل . قافية الهمزة :

حي بين النقا وبين المصلى   وقفات الركائب الأنضاء »

وآخره في قافية الياء : «

فلم أر يوم القر[2] أكثر ضاحكا   ولم أر يوم النفر أكثر باكيا »

كتبت النسخة بقلم نسخي كبير مشكول ، وهي في ٤٥ ورقة ، ومسطرتها ١٣ سطرا . ومن النسخة مصورة في معهد المخطوطات ، لم تدرج بعد في الفهارس المطبوعة .

---

(١) في صفحة ١٠٧ .

(٢) في النسخة : « يوم النفر » .

طبعات الديوان

طبع الديوان الرضي كاملا ثلاث مرات :

الأولى : في مطبعة نخبة الأخبار في الهند ، سنة ١٣٠٦ هـ ، في جزء واحد ، يضم ٥٤٩ صفحة ، كل صفحة ٣٠ سطرا ، وهو مرتب على القوافي ، وفي آخر هذه الطبعة نقل عن ابن أبي الحديد في شرح النهج ، لقصة الرضي مع القادر بالله في شأن أبياته « ما مقامي على الهـوان وعندي » ، ثم خاتمة الطبع ، وفيها ترجمة الرضي ، وأن الذي أمر بطبع الديوان هو السيد محمد رشيد بن السيد داود السعدي ، منشئ نخبة الأخبار ، وتم الطبع في اليوم التاسع عشر من شهر ذي القعدة من عام ثلاثمائة وستة بعد الألف .

وبمراجعة هذه الطبعة تبين ما يلي :

أولاً : أن هناك قصائد سقطت بأكملها منها ، وهي القصائد : ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ١٤٨ ، ٢٣٨ ، ٤٠١ ، ويبلغ مجموع أبياتها ٣٢٨ بيتاً .

ثانياً : أن هناك قصائد سقطت منها بعض الأبيات ، وهي قصيدة ٢٥ ، وسقط منها من البيت ١٩ــ٧٣ وهوآخر القصيدة ، وقصيدة ٢٦ وسقط منها من البيت ١ــ٢٢ ، وقصيدة ١٤٩ وسقط منها من البيت ١ ــ ٣٤ ، وقصيدة ٥٦٢ ، وسقط منها من البيت ١٠ ــ ٢٧ ، وبهذا يصل ما سقط من هذه القصائد إلى ١٣٨ بيتاً .

ثالثاً : أن هناك قصيدتين أدمجتا ، وهما ٣٥٢ ، ٤٧١ ، وقد سقط من الأولى البيتان ٧ ، ٨ ، وسقط من الثانية البيتان ١ ، ٢ ، وتغير صدر الأول من قوله :

وشعري تختص القلوب بحفظه

إلى قوله :

هو الشيء تختص القلوب بمدحــه

فيكون الساقط من القصيدتين ٤ أبيات ، ويبلغ مجموع الساقط من هذه الطبعة ٤٧٠ بيتاً .

رابعاً : تشتمل الطبعة على بعض الأخطاء في مقدمات بعض القصائد ، مثل تأريخ القصيدة ٦٨ بسنة ٤٠٨هـ ، وهو تاريخ لاحق لوفاة الرضي سنة ٤٠٦هـ . وكذلك مقدمة القصيدة ٢٥٤ ، فقد جاء فيها « قال يرثي بعض الناس في المحرم من سنة ٣٨٧ ، وقيل إنه رثى بها رجلاً هاشمياً ، وهو الذي فيه قصيدة نونية :

مــا أقــل اعتبارنــــا بالزمـــان

وكان عالماً بالعربية متبحراً في علوم اللغة ، وكان الرضي قد قرأ عليه كثيراً وهذا الذي ذكر بصيغة التضعيف خطأ ، فإن الذي رثاه الرضي بالنونية ، هو صديقه أبو عبد الله بن الإمام المنصوري ، وهو من بني العباس ، وكانت بينهما صداقة قديمة ، وتوفي في جمادى الآخرة سنة ٣٩١ هـ[1] ، فأين هذا من رثائه بعض الناس في المحرم من سنة ٣٨٧ هـ ، وهو مناسبة هذه القصيدة !

وتشتمل الطبعة أيضاً على تحريف وتصحيف كثير ، بينت ما يجب التنبيه إليه في حواشي القصائد ، وتركت الخطأ البيِّن الذي لا يحتاج إلى تنبيه .

الثانية : في المطبعة الأدبية ببيروت ، من سنة ١٣٠٧هـ ـ ١٣١٠هـ ، في جزءين يشتملان على ٩٨٦ صفحة ، وجاء في صفحة العنوان للجزء الأول أنه قد صحح على عدة نسخ معتمدة ، وشُرحت ألفاظه الغريبة بكمال الدقة والاعتناء ، بمعرفة ملتزم طبعه الفقير أحمد عباس الأزهري ، وفي الصفحات ٢ ـ ٤ ترجمة صاحب الديوان منقولة من عمدة الطالب ، ثم تأتي القصائد مرتبة على القوافي .

وفي أول الجزء الثاني أن الذي شرح الألفاظ اللغوية محمد بن سليم اللبابيدي مأمور الإجراء في بيروت ، وجاء هذا أيضاً في ختام الديوان ، وفيه أن تمام طبعه كان في ٩ ربيع الأنور سنة ١٣١٠هـ .

---

(١) انظر مقدمة القصيدة ٢٨١ .

وقد اشتملت الطبعة على تحريف وتصحيف كثير ، نبهت إلى ما يجب التنبيه إليه في حواشي الديوان ، وهي أفضل بكثير من الطبعة السابقة .

الثالثة : في بيروت أيضاً (دارصادر ، دار بيروت) سنة ١٩٦١م ، في جزءين يشتملان على ٦٨٥ ، ٦٠١ صفحة ، وهي مأخوذة عن الطبعة السابقة ، وقد حُلِّيت بضبط بعض الكلمات ، ووَضْع عناوين للقصائد ، ووضع فهرس للقصائد في آخر كل جزء يعتمد صدر البيت .

وفي أول الديوان ترجمة محدثة للرضي ، تعتمد على ما ذكره الثعالبي وابن خلكان ، وتشغل الصفحات ٥ ـ ٨ .

وقد ألف المرحوم الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد « شرح ديوان الشريف الرضي» ، وأخرج الجزء الأول منه ، نشرته دار احياء الكتب العربية بالقاهرة سنة ١٩٤٩م في ٤٧٩ صفحة ، وانتهى فيه إلى آخر قافية الباء . ووعد في آخرها بالجزء الثاني مفتتحاً بقافية التاء ، ولست أدري العائق الذي منع من إتمام الشرح .

وقد حداه إلى هذا ما رآه من إهمال الشراح ديوان الشريف الرضي مع علو قدمه وروعة شعره ، فأراد أن يقضي بعض حق الشاعر على أمته ، ولذا توسع في شرحه للأبيات ، وجره صنيعه هذا إلى أخطاء كثيرة ، أثبتها على حاشية نسختي ، ولم أثقل بها الديوان ، وسأنشرها في مقال مستقل ، إذا علمت أن متشككاً ظن أن هذا محض ادعاء .

وكان اعتماد المرحوم الشيخ محْيي الدين على طبعة بيروت الأولى ، ثم على طبعة الهند ، وإن لم يشر إلى هذا ، وإنما تيقنته بمراجعة الجزء الذي أخرجه ، وهو يشير إلى الأولى بالحرف « ب » وإلى الثانية بالحرف « هـ » ، وربما أوهم هذا أنه يرجع إلى مخطوطتين ، والحق أنه لم يرجع إلى المخطوطات في عمله هذا .

وقد قدم للديوان بمقدمة في صفحتين ، ثم عرّف بالشريف الرضي نقلاً عن أمهات كتب القدامى من الأدباء ـ كما يقول ـ في الصفحات ٥ ـ ١٩ .

هذا ، وأرمز إلى الطبعة الهندية بالحرف « هـ » ، وإلى البيروتية بالحرف « م » .

الزيادات

الزيادات من النسخ الخطية :

الزيادات التي أفردها أبو حكيم بباب خاص فيها قصيدتان ومقطوعات وأبيات مفردة في كل قافية ، وثمة ملاحظات تتعلق بصنعة هذه الزيادات :

أولاً : المقطوعة التي تتضمن الأبيات ٦٢٤ ـ ٦٣٢ في قافية اللام جاءت في المطبوعة البيروتية[1] في ثلاثة أبيات ، بينما وردت في نسخة أبي حكيم في تسعة أبيات ، الثلاثة الأول منها هو ما ورد في المطبوعة ، ومعنى هذا أن الأصل الذي اعتمد عليه في المطبوعة اختار ناسخه ما راق له مما أورده أبو حكيم .

ثانياً : أن هذه الزيادات تناولت كل الأغراض ، من مديح إلى فخر إلى رثاء إلى وصف إلى غزل إلى شكوى إلى هجاء ، ولم تقتصر على غرض واحد ، فما الذي صرف الرضي عنها فلم يذعها فيما أذاعه من شعره ؟ إن أبا حكيم الخبري قدم توجيهاً لهذا حين ذكر أن أكثر الأبيات المفردة معان كانت تقع له ثم يضمنها قصائده ، وبالطبع كان هذا يحدث حسب الصياغة والقافية اللتين تقتضيهما القصيدة ، فليس الرضي بحاجة إلى الإبقاء على هذا المعنى في صياغة أخرى وفي بيت مفرد .

وإذا صح هذا بالنسبة للأبيات المفردة فكيف نعلل إهمال الرضي الباقي ، وفيه القصائد والمقطوعات صغيرة وكبيرة ؟

إن النظرة الفاحصة إلى هذه الزيادات تكشف عن الأسباب ، وهي :

أ ـ القصيدة التي تتضمن الأبيات ١ ـ ٦٢ من الزيادات في رثاء الحسين بن

(١) في الطبعة القديمة صفحة ٧١٨ ، والطبعة الحديثة ٢/٢٦٧ .

علي رضي الله عنهما ، صدرت في النسخ الخطية بالتشكيك في صحة نسبتها إلى الرضي ، فقد جاء في الأصل ، ك : « يقال : إنها آخر ما قاله من الشعر ، وإنها ربما كانت منحولة » وجاء في س : « لم توجد في ديوانه ، بل هي منحولة لكونها لينة لا تشبه شعره ، وهو الصحيح » . وجاء في هامش ي : « إن هذه القصيدة لا يمكن أن تكون من شعره ، وإنما دسها عليه أغتام الإمامية ، لما فيها من العقائد والليونة التي لا توائم نفس الشريف». وواضح أن كاتب هذه الحاشية زيدي يجتوي الإمامية .

وهذا يدفع إلى الشك في نسبتها إليه ، وسأجلو هذا عند حديثي على المنحول من شعره .

ب ـ البيتان ٦٥٢ ، ٦٥٣ فيهما بيان لمعتقد الشاعر ، وأنه إمامي يقول بالتوحيد والعدل ، ولم يرد في شعر الرضي بيان لعقيدته وفرقته يصل في إفصاحه إلى هذا الحد ، وقد جاء في حاشية النسخة « ي » بعد ذكر البيتين : « هذان البيتان لم أجد فيهما روح نفسه ، ثم وجدت الحاكم أبا سعد المعتزلي الزيدي رواهما في جلاء الأبصار للحماني العلوي[1] » . فهي مقطوعة منازَعٌ فيها . وسأجلو هذا أيضاً عند حديثي على المنحول من شعره .

جـ ـ في بعض هذه المقطوعات اتجاهات سياسية حادة ، ربما أراد الرضي ألا يسجلها على نفسه بخطه حرصاً منه أمام تقلبات السلطة التي تميز بها عصره ، وإبعاداً للتهمةعنه ، على الرغم من تعبيرها تعبيراً صادقاً عن دخيلة نفسه ، ففي الأبيات ٢٥١ ـ ٢٥٥ هجوم على بني العباس ، وفي الأبيات ٢٦٥ ـ ٢٦٨ يرى نفسه أمير المؤمنين متصدراً دست الخلافة ، وفي الأبيات ٣٣٦ ـ ٣٤٢ يحدث نفسه بالخلافة ويسخر بالأمل الغرار ، وفي الأبيات ٤٦٥ ـ ٤٦٧ والأبيات ٤٨٣ ـ ٤٨٥ تهديدات سياسية ، وفي القصيدة التي تتضمن الأبيات ٥٧٧ ـ ٦٠٧ يحمل حملة منكرة على أعدائه ويخاطب سلطان الدولة بعد تولّيه الملك ، وقد كان للرضي في حياة بهاء

---

(١) الحماني هو محمد بن جعفر بن محمد بن زَيدَ بن العباس بن الحسين بن عبد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب . معجم الشعراء ٣٨١ .

الدولة والد سلطان الدولة ظل أي ظل ، لعله لم يجد طرفاً منه في عهد سلطان الدولة .

وعلى الرغم من أن هذا الحرص الذي أفترضه هو الذي نأى بالرضي عن إثبات هذا الشعر ، ففي صلب الديوان مقطوعة سياسية شديدة اللهجة ، وإن لم يخص بها أحداً بعينه ، يفتتحها بقوله :

أما تُحرِّك للأقدار نابضةٌ أما يُغَيِّر سلطان ولا ملك

مقطوعة تنبض بالسخط ، وتدل على سخيمة النفس[1] .

د ـ وإذا نظرت بعد هذا إلى بقية الزيادات وجدتها سائرة في ركاب شعره أو دون ما يريد الرضي أن يخرجه للناس ، فلعله لم يكن حريصاً عليها ولا ضنينا بها .

الزيادات من المصادر الأخرى :

كان لزاماً عليَّ وقد تصديت للبحث عن زيادات شعر الشريف الرضي ألا أقنع بما وجدته في النسخ المخطوطة التي اعتمدتها ، وأن أقوم بجولة أخرى في المراجع الأدبية التي عاصرت الرضي وأخذت عنه ، والتي تلت عصره إلى مشارف هذا القرن ، أي إلى حين صدور ديوانه مطبوعاً في أوائل القرن الرابع عشر الهجري ، حيث اعتمدت المؤلفات الادبية بعد هذا على الديوان مصدراً تستقي منه شعره . وقد عارضت ما وجدته في هذه المصادر ـ وهو كثير ـ بالديوان بيتاً بيتاً ، فما كان منه موجوداً في الديوان وثّقت الديوان به ، وما لم يكن موجوداً فيه قيَّدته ، ثم رجعت إلى ما قيدته فتفحصته ، وتبين لي أن بعضه منحول ، وأن بعضاً منه اختلطت فيه النسبة بينه وبين أخيه الشريف المرتضى ، فنفيت ذلك كله ، وأثبت ما خلصت نسبته إليه ، ورتبته على حروف الهجاء ترتيب قواف ، وكانت محصلة ذلك كله ١٠٨ أبيات.

وثمة ملاحظات على هذا القسم من الزيادات :

أولاً : البيت ١٩ هو صدر مقطوعة تتكون من أربعة أبيات ذكرها ابن الشجري ، وقد وجدت الثلاثة له في الديوان مع تغيُّر في صدر البيت الأول منها ليصلح بداية للمقطوعة ؛ فقد كانت رواية ابن الشجري له : « فإن شباب المرء » وغيِّرت في الديوان إلى : « رأيت

(١) الديوان المقطوعة ٤٩٧ .

شباب المرء » .

ثانياً : البيت ٥٠ ذكره الراغب الأصفهاني مفرداً ، ونسبه صراحةً إلى الشريف الرضي وقد وجدت البيت ثاني بيتين ذكرهما الثعالبي دون نسبة ، وجاء صدر البيت عنده: « فالفيل يصجر » مكان : « الفيل يضجر » ليتم ربطُه بسابقه . والثعالبي معاصر للرضي وقد ترجم له في اليتيمة ترجمة حافلة ، واستشهد بشعره في كثير من كتبه ، إلا أنه جرى في كتابه « التمثيل والمحاضرة » على ذكر كثير من الشعر دون عَزْوِه ، وقد تحرجت من إثبات نسبة البيت الأول إلى الرضي ، وإن كان ظني الغالب أنه صاحبه .

ثالثاً : ذكر الراغب الأصفهاني للرضي هذا العجز :

« في قَرْعِه سِنّه لا يطمع النَّدَمُ »

وقد وجدت هذا المعنى للرضيٍّ في شعره ، حيث قال :

يُعْجِبُني كـلُّ حازمِ الـــرأي لا يطمع في قرعِ سِنّه النَّدمُ [1]

ولست أدري إن كان الرضي قد صاغ هذا المعنى في هذين القالبين المتقاربين ، أم أن الراغب خانه حفظُه ، فذكر المعنى في هذا الثوب ونسبه للرضي .

---

(١) الديوان القصيدة ١٠٧ ، البيت الرابع .

توثيق بعض شعر الرضي
وبيان المنحول والمنسوب إليه

أولاً ، في الديوان الذي كان بين يدي الرضي :

لم يكن الشريف الرضي حَظِيّاً عند القادر بالله ، حُظْوته عند سلفه الطّائع لله ، بل إن صلاتهما ساءت إلى حد كبير ، وكان من بين ما أساء إلى هذه الصلات قصيدة الرضي التي يفتتحها بقوله :

ما مُقامي على الهَوَانِ وعندي ... مِقْوَلٌ صارِمٌ وأنْفٌ حَمِيٌّ

وهذه القصيدة مثبتة في الديوان المطبوع ، ومُصدَّرَة بقوله : « قال ... هذه الأبيات وقد ناله أمر ضاق به صدره ، فلما ظهرت جرى العتب من القادر بالله على والده لأجله فأنكرها ولم يثبتها في ديوانه ، إلا أنها مشهورة عنه » ، والقصيدة أوردها ناسخ النسخة « ي » عن ابن أبي الحديد والعمدة الكبرى لابن عنبة ، وذكر القصة التي ذكراها ، ثم قال : « لم يُثْبِتها صاحب الديوان ، أعني جامعَه وهو أبو حكيم الخبري ، وقد أثبتها له العدول المحققون المهرة المتأدبون ، ونفسه أعدل شاهد » .

والحقيقة أن أبا حكيم أثبتها في آخر الديوان قبل باب الزيادات ، وصدرها بقوله « وقال هذه الأبيات وقد ناله بعض ما ضاق به صدره ، ولما ظهرت وأنكرت عليه وجرى العتب على والده من القادر بالله لأجلها أنكرها ولم يثبتها في ديوانه ، وإنما وجدت بخطه في تعليق فكتبت في بعض النسخ بعد وفاته » .

والقصيدة أيضاً في النسخة « ك » في آخر حرف الياء قبل زياداته ، وهي مصدرة فيها بما تقدم عن أبي حكيم .

وقد سجل المؤرخون قصة هذه الأبيات ، وأقدم من فعل ذلك أبو الحسن الصابي في تاريخه ، الذي انتهى فيه إلى سنة ٤٤٧هـ ، وابنه غَرْس النعمة في ذيله على تاريخ والده ، وعنهما نقل ابن أبي الحديد[١] ، ثم تلاهما ابن الجوزي[٢] ، وابن كثير[٣] .

والأبيات صريحة في كراهية الرضي للخلافة العباسية ، وسخريته من نفسه للإقامة على الذل والهوان تحت لوائها ، بينما يقوم في مصر الخليفة العلوي ، من لَفَّ عرقه بعرقه سيِّدَا الناس جميعاً محمدٌ وعلي . وَطَبيعيٌّ أن تثور ثائرة القادر لهذه الأبيات وأن يعاتب عليها أبا أحمد والد الرضي ، وأن يطلب من الرضي حين أنكرها أن يشهد في محضر يتضمن القدح في أنساب ولاة مصر ، ولكن الرضي يأبى هذا ، ويتعلل لوالده بأنه يخاف غيلة دعاة المصريين ، ويسكت القادر على سوء أضمره له ، فقد صرفه عن النقابة . ويذكر ابن الجوزي أن الأمر آل إلى إنفاذ القاضي أبي بكر الباقلاني وأبي حامد الإسفرايني ، وأخذا اليمين على الرضي أنه لم يقل الشعر المنسوب إليه ولا يعرفه . واندرجت القصة على هذا[٤] .

فهل كان الرضي بارّاً في يمينه ؟ إن الرضي وقف من القادر بالله موقفاً سياسياً فيه من الإباء والعزة أكثر مما فيه من الصدق ، وهو قد قال هذا الشعر ، ووجد بخطه كما ذكر أبو حكيم ، ولكنه تبرأ منه بعد أن اطمأن كل الناس ـ ومنهم القادر ـ إلى أنه شعره ، وبعد أن أدى الوظيفة التي أرادها ، وهي إشعار القادر بأن له ناصراً من دولة قوية في غرب البلاد الإسلامية ، وحين اقتضت السياسة بعد هذا ـ إما بسلطان قاهرٍ من القادر بالله ، أو لإشعار العلويين في مصر بتقصيرهم نحوه ـ حين اقتضت السياسة أن يقدح في نسب هؤلاء المصريين فعل ، فقد ذكر ابن الجوزي أنه في شهر ربيع الآخر من سنة ٤٠٢ هـ كتب في ديوان الخلافة محضر في معنى الذين بمصر والقدح في أنسابهم ومذاهبهم . وقد سجل ابن الجوزي نسخة هذا المحضر ، وذكر

(١) شرح نهج البلاغة ٣٧/١ ـ ٣٩ .

(٢) المنتظم ٢٨١/٧ ، ٢٨٢ .

(٣) البداية والنهاية ٤/١٢ .

(٤) المنتظم ٢٨٢/٧ .

بعدها أنه قد كتب خطه في المحضر خلق كثير من العلويين : المرتضى والرضي وابن الأزرق الموسوي ....[1] كما ذكر هذا ابن الأثير[2] ، وابن كثير[3] .

وإذاً فهي أبيات الرضي أقسم أو لم يقسم ، وخطه شاهد عليه ينفي أنها منحولة ، أو منسوبة إليه زوراً .

ثانياً ، في النسخ الخطية :

١ ـ أورد أبو حكيم في زيادات قافية العين قوله :

لكل امريء نفسان نفس كريمـــة وأخرى يُعاصِيها الفتى ويطيعها
ونفسُك من نَفسَيْـك تشفع للندى إذا قل من أحرارهن شفيعُها

وقد ورد البيتان في المطبوعة[4] ، كما وردا في النسخة « ي » ، وجاء في حاشيتها : « قال في هامش الأم ما لعله الشك في هذين البيتين هل هما له أو لا ؟ وأقول : إني وجدت في الكتاب المسمى « تحرير التحبير » للعلامة في علم البديع المعروف بابن أبي الإصبع ما لفظه : من هذا الباب ـ يعني المذهب الكلامي ـ قول الفرزدق : لكل امرىء نفسان ... ولكن قد نسَب في كتابه هذا ما هو للسيد الرضي .... بلا ريب إلى غيره ... فلا يوثَق به ... » . وضرب مثالاً لهذا ما أورده ابن أبي الإصبع من قصيدة الرضي التائية :

قد قلـــت للنفس الشّعاعِ أضمُّهـــا كم ذا القِراعُ لكل بابٍ مُصْمَتِ

ونسبه ـ أي ابن أبي الإصبع ـ إلى ابن سنان الخفاجي الحلبي ، فقد نسب الأبيات ٥ ، ٦ ، ١٦ من هذه القصيدة إلى ابن سنان ، وهو خطأ .

وصاحب هذه الحاشية مُحِقٌّ في عدم ثقته بابن أبي الإصبع لخَلْطه هذا ، ولكن البيتين رغم ذلك ليسَا للرضي ، بل هما للفرزدق ، فقد وردا في ديوانه[5] ، كما

---

(١) المنتظم ٢٥٥/٧ .
(٢) الكامل ٩٨/٩ .
(٣) البداية والنهاية ٣٤٥/١١ ، ٣٤٦ .
(٤) الطبعة البيروتية القديمة صفحة ٥٠٧ والحديثة ٦٦٩/١ والطبعة الهندية صفحة ٢٨٦ .
(٥) ديوان الفرزدق ٥١٤ .

أصبحا شاهدين تقليديين في كتب البلاغة على المذهب الكلامي منسوبين إلى الفرزدق ، وقد بدأت هذه النسبة منذ ابن المعتز ـ وهو سابق للرضي ـ ومضت مع أبي هلال العسكري وابن رشيق وابن أبي الإصبع والنويري والعباسي[1] .

٢ ـ سبق أن ذكرت أن القصيدة التي تتضمن الأبيات ١ ـ ٦٢ من زيادات أبي حكيم الخبري ، صُدِّرت في النسخ المخطوطة بما يشكك في نسبتها إلى الرضي ، وذكرت هذا التصدير هناك ، والتشكيك في نسبتها يأتي ـ على ما ذكر في النسخ الخطية ـ من أنها لَيِّنَة لا تشبه شعره ولِمَا فيها من العقائد ، ولعل أفضل وسيلة للحكم عليها هي الرجوع إلى قصائد الرضي الأخرى في رثاء الحسين بن علي رضي الله عنهما ـ على قلة شعره في هذا الباب بالقياس إلى شعراء الشيعة فيه[2] ـ وهي أربع قصائد ، قال الأولى في عاشوراء سنة ٣٧٧هـ ، والثانية في عاشوراء سنة ٣٨٧هـ ، والثالثة في عاشوراء سنة ٣٩١هـ ، والرابعة في عاشوراء سنة ٣٩٥[3] ، وينهج الرضي في هذه القصائد نهجاً يكاد يكون واحداً ، فمطلع القصائد الأربع يعبر عن هم يساوره من عشق أو حزن أو غيرهما ، ثم يتخلص من هذا المطلع بذكر الفاجعة لأنها فوق كل هم وحزن ، وتتتابع المعاني في القصيدة الأولى بعد ذلك ، فيصف مقتل الحسين ، ومشهد سبي النساء ، ثم يهدد بني أمية ويتوعدهم ، ويَعِد جده بالثأر له . وفي القصيدة الثانية يصف خذلان أنصار الحسين له ، وقتله ، وسبي النساء ، ويستنهض الهمم للأخذ بثأره ، ثم يفرغ إلى حديث عن نفسه . وفي القصيدة الثالثة يذكر أن بني أمية يثأرون لِذُحُولهم وخصومتهم لرسول الله ﷺ بقتل الحسين ، ويستحث على الأخذ بالثأر في غضب ، ثم يبكي بكاء مراً على قتلى الطّفّ . وفي القصيدة الرابعة يصف مقتل الحسين ، ويسب بني أمية ويبين أنهم بهذا الفعل صاروا خصماء للرسول ﷺ ،

(١) انظر بديع ابن المعتز ١٠١ ، والصناعتين ٤١٠ ، والعمدة ٦٤/٢ ، وتحرير التحبير ١٢١ . ونهاية الأرب ١١٤/٧ ، ومعاهد التنصيص ٨/٢ .

(٢) انظر مثلا لهذه المواضع من ديوان أخيه الشريف المرتضى ١٣/١ ، ٦٨ ، ١٤٥ ، ٢٩٠ ، ٢٨/٢ ، ٤١ ، ٥٣ ، ١٧٦ ، ٧٧/٣ ، ٢٦٤ ، ٣٤٢ .

(٣) الديوان القصائد ٢٣٢ ، ٢٦٤ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ .

ثم يذكر ان هناك من هم أقرب اليه من بني أمية ، وهم يفعلون بقومه ما هو أنكى من فعلهم ، وهو يعني بني العباس خلفاء ذلك الزمان . وتاريخ القصيدة في خلافة القادر بالله .

وتتميز هذه القصائد بنبرة حزينة ، ولكنه حزن الفارس الشجاع الثائر ، الذي يعد اثأره ويستنهض الهمم .

أما القصيدة التي بين أيدينا :

كربلا لا زلت كرباً وبَلا ما لَقِي عندك آلُ المصطفى

فإنها تبدأ بذكر كربلاء ، ووصف السبايا والقتلى ، ثم الاستغاثة برسول الله ﷺ ، وتأنيب بني أمية وتهديدهم بالعقاب يوم الحساب ، ثم وصف لمقتل الحسين واستغاثة برسول الله ﷺ والسيدة فاطمة والإمام علي رضي الله عنهما ، وتعجُّب من أن الله لم يقلب الأرض بجيش بني أمية ، ويرى الشاعر أن الرسول ﷺ لو كان حيّاً بعد مقتل الحسين لجلس للعزاء ، ويفتخر بمعشر يضم الرسول وعلياً والحسن والحسين وعلي بن الحسين والباقر والصادق وموسى والرضا وعليا وأباه وابنه والمهدي المنتظر ، وهو يصف هؤلاء بأنهم الشافون من داء العمى ، وأن بهم الشفاعة مع الرسول ﷺ ، ويختم القصيدة بشكوى رسول الله ﷺ إلى ربه اضطهاد أهله وقتلهم ، وأنه خصمهم جاء مظلوماً وذا يوم القضا .

وقد استبان من هذا العرض للمعاني التي وردت في القصائد الأربع الأولى والقصيدة الأخيرة ، أنه لا نسَب بين هذه الأربع وبينها ، فهذه الشَّكاة التي تنضح بها القصيدة الأخيرة ، والاستغاثة بالرسول ﷺ ، وخصومته لبني أمية في الدار الآخرة ، ووقوفه موقف المظلوم ، وتعداد الأئمة ، واعتبارهم الشافين من العمى والشفعاء مع الرسول يوم القيامة ، كل هذا لم نعهده من الرضي في رثائه لأبي عبد الله الحسين ، وإنما عهدناه ثائراً تلمع نصول السيوف في شعره ، وتتطاول لهاذم الأسِنَّة ، مهدداً بيوم يُجرِّد فيه الخيل للوغَى ، لا بالعقاب والحساب في يوم القيامة .

أما بناء القصيدة فإن وصف جميعه بالليونة أمر مُبالَغ فيه ، ولكن بعض أبياتها

لَيِّن لا يُشْبِه شعر الرضيّ ، مثل قوله :

يا رسولَ الله يــــا فــاطمــــــة ... يا أمـير المـؤمنـين المرتـضى
كيــف لم يستعجل الله لهـــــــم ... بانقلاب الأرض أو رجم السما
لو بسبْطَيْ قيصـرٍ أو هرقـــــل ... فعلـوا فعـلَ يزيد ما عــــدا

وقوله :

ميت تبكـــي لـــه فاطمـــــة ... وأبوهــا وعلي ذو العـــلا
لو رســول الله يحيـــا بعـــده ... قعـد اليوم عليـــه للعـــزا

وظنِّي الغالب أن هذه القصيدة مصنوعة ومنسوبة إلى الشريف الرضي ، أراد صاحبُها لها الذيوع والانتشار في محافل عاشوراء ، فاجتهد ما وسعه الاجتهاد في أن يضع عليها مِيسَم الرضي ، وخانه التوفيق في بناء بعض أبياتها ، كما فضحه حشو القصيدة بعقائد لم يَمْرَن عليها الرضي في شعره ، ولم ينضح بها قريضُه .

٣ ـ كما سبق أن ذكرت أن البيتين ٦٥٢ ، ٦٥٣ وردا في الديوان المطبوع وهما من زيادات أبي حكيم وفي النسخة «ك» أيضاً ـ ووردا في النسخة «ي» وجاء في هامشها : « هذان البيتان لم أجد فيهما روح نفسه ، ثم وجدت الحاكم أبا سعد المعتزلي الزيدي رواهما في « جلاء الأبصار »[1] للحماني العلوي ـ وقيل له الحماني لسكونه في بني حمان والحمد لله ، والله أعلم بحقيقة الحال . قال رحمه الله ما لفظه : ولأبي الحسن العلوي الحماني :

أصبحت لا أخشَى ولا أتقـــــى ... خلقاً ولي فضــل هو الفضـــل
جدي نـبي وإمـــامي أبــــــي ... وديـــني التـوحيـد والعـــدل

وعلى كل تقدير فلم يعد الفضل أهله ، ولكل من فضل الآخر نصيب » .

---

(١) أبو سعد هذا هو الحسن بن محمد بن كرامة الجشمي البيهقي ، مفسر عالم بالأصول والكلام ، كان حنفي المذهب ثم صار معتزليا فزيديا ، توفي سنة ٤٩٤ هـ ، وكتابه « جلاء الأبصار » مفقود . ذكر صاحب الأعلام أنه في علم الحديث مسندا .
الأعلام ١٧٦/٦ ، ١٧٧ . وانظر حاشيته .

وليس كتاب « جلاء الأبصار » بين أيدينا حتى نتحقق من صدق هذا النقل ، وأغلب الظن أن البيتين للحماني ، وأنهما راقا للرضي فكتبهما ، ثم وجدهما ابنه أو أبو حكيم في أوراقه ، فظنهما للرضي وأثبتهما في زيادات شعره .

٤ ـ وجاء في النسخة «ي» في آخر قافية اللام من الزيادات والأغراض في الهامش « ووجدت ما لفظه مما أنشده الشريف الرضي الموسوي :

عتبت على الدنيا وقلت إلى متى	أكابد فقراً همه غير منجل
أكل شريف من عليٍّ نِجارُه	حرام عليه اليسر غير محلل
فقالت نعم يا ابن الحسين رميتكم	بسهم عنادٍ منذ فارقني علي [1] »

وقد أعاد من كتب هذه الحاشية تقييد المقطوعة في قافية الياء خشية أن يكون مبنى القافية عليها ، وجاء في الهامش أيضاً ـ في الموضع الأول ـ : « أقول : نفس أخيه المرتضى عليها أظهر ، والله أعلم » .

وقد رجعت إلى ديوان الشريف المرتضى فلم أعثر على الأبيات . والحق أن هذه الأبيات نائية عن الشريف الرضي ، ليس لها رواء شعره ولا عزة معانيه ، فهو على الرغم من شكوى الزمن التي تنبعث من خلال ديوانه لم يشك الفقر قط ، وكان عزيز النفس لا يقبل أعطيات أحد ، رفض هبات غير أبيه ، كما تقدم .

٥ ـ وجاء في النسخة « ي » أيضاً في آخر قافية النون من الزيادات في الهامش : « وروى له الصفدي في شرحه اللامية الطغرائية هذين البيتين ، وهما مما قاله بعد أن عزل وقد أقام في الحكم خمس سنين :

وَلِيتُ الحكم خمساً وهي خمس	لَعَمْري في الصبا والعنفوانِ
فما وضَع الأعادي قدرَ شأني	ولا قالوا فلان قد رشاني

هذا وأنا أشك في كونهما له لما فيهما من التصنع ... » . ثم عاد مقيد هذه الحاشية ، وذكر في حاشية أخرى أنهما يمكن أن يكونا له ، ثم ذكر في حاشية ثالثة أنه وجد البيتين في بديعية ابن حجة منسوبين إلى القاضي أبي علي عبد الباقي بن أبي حُصَين .

(١) فوق « فارقني » في النسخة « طلقني » .

ودعوى صاحب الحواشي أن الصفدي في شرحه للامية العجم نسب البيتين إلى الشريف الرضي دعوى كاذبة وساقطة من أساسها ، فقد ذكرهما الصفدي[1] منسوبين إلى ابن أبي حُصَين ، كما نسبهما إليه ابن حجة الحموي[2] ، فليسا للرضي على الإطلاق .

ثالثاً ، في المصادر الأخرى :

١ ـ جاء في الوافي بالوفيات (للصفدي المتوفي سنة ٧٦٤هـ) ٣٧٨/٣ :

يا خليليَّ من ذؤابة قيس ... في التَّصابِي مكارم الأخلاقِ

علِّلاني بذكرهم واسقياني ... وامزجا لي بمدمع دهاقِ

وخُذَا النوم من جفوني فإني ... قد خلعتُ الكرى على العشاقِ

قيل : إن ابن المُطرِّز لما وقف عليها قال : رحم الله الشريف الرضي ، وهَب ما لا يملك على من لا يقبل . فبلغني أن الشيخ صدر الدين ابن الوكيل رحمه الله لما سمع ذلك قال : والله قول المطرِّز عندي أحسن من قول الشريف الرضي » . وقد ذكر الأبشيهي[3] البيتين الثاني والثالث منسوبين إلى الشريف الرضي ، وذكر النواجي[4] ، والعاملي[5] البيت الثالث منسوباً إلى الشريف الرضي أيضاً .

والحق أن الأبيات لأخيه الشريف المرتضى ، وأن القصة وقعت له[6] ولم يعرف عن الرضي أنه خلع الكرى على العشاق ، وإنما كان يُعير الدمع لهم حيث يقول[7] :

وابك عني فطالما كنت من قبـ ... ـل أُعير الدموع للعشاقِ

٢ ـ وجاء في النور السافر للعيدروس المتوفي سنة ١٠٣٨هـ ، صفحة ٤١٠ :

---

(١) الغيث المنسجم ٥٠/١ .

(٢) خزانة الأدب ٣٤ .

(٣) المستطرف ٤٠/٢ .

(٤) حلبة الكميت ١٦٣ .

(٥) الكشكول ٣٧٦/١ .

(٦) ديوان المرتضى ٣٤٢/٢ ، أنوار الربيع ١٤٧/٤ ، ١٤٨ ، روضات الجنات ٤٦١ ، الغدير ٢٧٤/٤ ، أدب المرتضى ٩٨ . معجم الأدباء ١٤٩/١٣ ، ديوان الصبابة ١١٢/١ ، ١١٣ .

(٧) الديوان ٣٥٨/٦ .

« قلت : وللمعري أيضاً :

يد بخمس مئين عسجد وُدِيَت ... ما بالها قطعت في ربع دينارِ

فقال الشريف الرضي راداً عليه :

صيانة النفس أغلَتْهَا وأرخَصها ... خيانةُ المال فانظر حكمة الباري»

وقد تبع العيدروسُ القزوينيَّ المتوفي سنة ٦٨٢ هـ[1] ، فقد نسب هو أيضاً البيت للشريف الرضي .

والبيت لأبي الحسن علم الدين بن محمد السَّخاوِيّ المتوفي سنة ٦٤٣هـ ، كما ذكر الصفدي في ترجمة أبي العلاء المعري[2] ، وروايته لعجز البيت :

× صيانة المال فافهم حكمة الباري ×

وهذا الرد على أبي العلاء ألصق بفقيه عالمٍ مثل علم الدين السخاوي منه بشاعر فحلٍ مثل الشريف الرضي . هذا ولم يحفظ لنا التاريخ صراعاً بين الرضي وأبي العلاء ، فلم يكن بين الرجلين إلا لقاء واحد ، حين كان أبو العلاء في بغداد سنة أربعمائة ، ولقي الشريفين الرضي والمرتضى معزياً في وفاة والدهما أبي أحمد بقصيدة مطلعها :

أودَى فليت الحادِثـاتِ كفـافِ ... مال المُسيفِ وعنْـبر المُسْتـافِ

وفيها يمدح ولديه بقوله :

أبقيْتَ فينـا كوكبين سَناهمـا ... في الصبح والظلماء ليس بِخَافِ[3]

ويستطرد في مدحهما إلى أن يقول :

ساوَى الرضيُّ المرتَضى وتقاسما ... خططَ العُلا بتناصُفٍ وتصافِ[4]

ولم يعمَّر الرضي بعد هذا إلا إلى سنة ست وأربعمائة حتى يدرك الحلبة التي دار فيها الصراع بين أبي العلاء ومعاصريه .

---

(١) آثار البلاد وأخبار العباد ١٨١ .

(٢) الوافي بالوفيات ١١٠/٧ ، أوج التحري ٤١ .

(٣) شروح سقط الزند ١٢٩٧ .

(٤) شروح سقط الزند ١٣٠١ .

٣ ـ جاء في مواسم الأدب (للعلوي المتوفي سنة ١١٨٢هـ) ، ٢/٦٤ ـ ٦٧ نجديات عُزِيتْ إلى الشريف الرضي ، ثم قصيدة من محبوكات الطرفين ، وهي التي تبدأ بحرف وتنتهي به ، وليس للرضيّ إلاّ الحجازيات ، وأما ذكره نجداً فيجيئ عَرَضاً في خلال قصائده .

وقد فتشت عمن عرف بنجدياته ، وأشهرهم الأبيَوْرْديّ ، وقد وجدت النجديات التي جاءت في مواسم الأدب معزوّة إلى الشريف الرضي ، في نجديات الأبيوردي ، في الأوراق ٢٣٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦[1] ، ولم أجد القصيد التي دعاها محبوكة الطرفين ، وهي لا شك للأبيوردي في مختارات أخرى ، والذي يدعوني إلى هذا اليقين أن هذه النجديات ووراءها محبوكة الطرفين ، جاءت في مواسم الأدب عقب اختيارات كثيرة متتابعة للشريف الرضي في الكتاب ، وقد بنى العلوي هذا الفصل على الاختيار للشعراء ، كلما فرغ من شاعر اختار لآخر ، ولم يرد في الكتاب فصلٌ بين اختياره للرضي واختياره للأبيوردي إلا قوله : « قال ، وهي النجديات » مما يشعر أن هناك سقطاً في النسخة .

٤ ـ جاء في محاضرات الأدباء (للراغب الأصفهاني المتوفي سنة ٥٠٢هـ) ٢/٢٥٠ : « الشريف » :

أما ترى زرنرود طالعه غيم فأدى مثاله فيه

في أبيات خمسة ذكرت فيه .

وزرنروذ : اسم لنهر أصبهان[2] . ولم يخرج الشريف إليها ، وإنما الأبيات للشريف أبي الحسن علي بن الحسين الحسني ، وتجد ثلاثة منها منسوبة إليه في « محاسن أصفهان » صفحة ٥٨ ، ولعله ابن دفترخوان الذي سبق الحديث عنه في ثقافة الرضي عند ذكر كتاب « أوصاف ألف غلام وغلام » .

---

(١) النسخة المصورة بمعهد المخطوطات برقم ٨٥٧ أدب . ثم طبع الديوان ، وتجدها فيه ٢/٢٤٧ ، ٢٧٢ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٨٢ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ .

(٢) معجم البلدان ٢/٩٢٧ .

٥ ـ الزيادات التي قيدتها عن ابن منظور في كتابه « نثار الأزهار »[1] كلها متصلة بعلم الفلك ، ولم يكن للرضي وَلَعٌ بهذا العلم ، وأخشى أن أقول : إنه لم تكن له معرفة به . وكذلك الزيادات التي قيدتها عن البَدْرِيّ في « نزهة الأنام » كلها في الورود والرياحين والثمار ، ولم ترد في الديوان مقطوعات برأسها في هذا الباب تعضُد نسبة هذه المختارات إليه .

وإذا نظرت إلى ما أورده ابن منظور والبدري ، فستلحظ أن الصنعة تغلب عليه ، وأن ديباجته تختلف عن ديباجة الرضي ، التي يدركها من يتصفح ديوانه ، ولذلك فإني لا أثق في صحة نسبة هذه المقطوعات إلى الرضي .

تحقيق الديوان :

أشرت من قبل إلى أن ديوان الرضي صنع مرات : صنعة مرتبة على الأغراض ، (صنعة أبي حكيم الخبري) ، وصنعة مرتبة القوافي على حروف الهجاء ، وصنعة تقوم على اختيار من الديوان لا يترسم منهجاً ، وصنعة تقوم على اختيار شعر النسيب من الديوان وهو ما عرف بالحجازيات .

وقد اصطفيت من الصنعة الأولى ثلاث نسخ :

١ ـ نسخة دار الكتب المصرية التي سبق وصفها برقم ١ وقد اعتبرتها الأصل .

٢ ـ نسخة دارالكتب المصرية التي سبق وصفها برقم ٢ ورمزت إليها بالحرف « ي » .

٣ ـ نسخة بريطانيا التي سبق وصفها برقم ٣٩ ورمزت إليها بالحرف « ق » .

ومن الصنعة الثانية نسختين :

١ ـ نسخة من تركيا التي سبق وصفها برقم ٢٦ رمزت إليها بالحرف « لـ » .

---

(١) تركت ما جاء فيه غير صريح النسبة الى الشريف الرضي أو الشريف الموسوي . وهو صفحة ٦٠ . وصفحة ١١٩ جاء فيهما : (الشريف) . صفحة ١٢٨ ، وصفحة ١٢٩ جاء فيهما : (الشريف الموسوي ابن دورخوان) . صفحات ١٣٢ . ١٣٩ جاء فيها : (ومما جاء في البروج ما أنشده أبو الحسن الشريف الموسوي الطوسي في البروج) . ثم ذكر كل برج وقال : « قال الشريف ... » . و « له » .

٢ ـ نسخة من فرنسا التي سبق وصفها برقم ٤٢ ورمزت إليها بالحرف « س » .
ولم أصطف من الصنعة الثالثة شيئاً ، واصطفيت من الصنعة الرابعة :
١ ـ نسخة سوريا ، التي سبق وصفها برقم ١٠ ورمزت إليها بالحرف « ز » .
ورمزت إلى الطبعة الهندية بالحرف « هـ » وإلى الطبعة البيروتية بالحرف « م » .

وقد مضيت في تحقيق هذا الديوان على النهج الذي أخذت به نفسي ، من الصبر على لأواء الطريق ، والأناة في استكناه النسخ المخطوطة تهدياً إلى الصواب ، والعناية بشكل ما يُشْكِل ، وما يقتضيه رونق الشعر وبهاؤه ، والدلالة على الأعلام والحوادث ، وشرح ما تقع الحاجة إليه ، وعرض الديوان على كتب الأدب والتاريخ والمجاميع الشعرية لتوثيقه وتحريره ، وأفردت التخريج بباب خاص يقع بعد استيفاء أقسام الديوان ، وقد ألحقت بالديوان ما وجدته من شعر للشريف الرضي في المصادر الأخرى ، ودللت على هذه المصادر مع كل مقطوعة أو بيت . كما ألحقت به فهارس كاشفة ، تذلل أكنافه وتدني قطوفه .

وعلى الله قصد السبيل .

ديوان الشريف الرضي

٣٥٩ - ٤٠٦ هـ.

صنعة

أبي حكيم الخبري

... - ٤٧٦ هـ.

الجـزء الاولـ

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه ثقتي

هذا ديوان السيد الأجل ذي الحَسبين أبي الحسن محمد الشريف الرَّضيِّ بن النقيب الطاهر ذي المناقب أبي أحمد الحسين بن موسى الأبْرَش بن محمد الأَعْرَج بن موسى أبي سُبْحَة بن إبراهيم المرتضَى بن الإمام موسى الكاظِم ابن الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقِر بن الإمام عليّ زين العابدين ابن الإمام السِّبْط الحسين بن الإمام أميرِ المؤمنين عليّ بن أبي طالب . صلواتُ الله وسلامُه عليهم أجمعين .

باب المديح

قافية الهمزة

(١) *

قال يمدح الخليفة الطائع لله[1] ، ويهنئه بعيد الأضحى من سنةسبع وسبعين وثلاثمائة : [طويل]

جزاءُ أميرِ المؤمنين ثَنائي على نِعَمٍ ما تنْقَضي وعطاءِ
أقام الليالي عن بَقَايا فريستي ولم يَبْقَ منها اليومَ غيرُ ذَماءِ[2]
وأدْنَى أقاصي جاهه لوسائلي وشدَّ أواخي جُودِهِ برجائي[3]

(*) القصيدة في : الأصل . س . ك . م . هـ .

(١) عبد الكريم بن الفضل بن جعفر . أبو الفضل الطائع لله ، الخليفة العباسي .
ولد ببغداد ، سنة سبع عشرة وثلاثمائة . ونزل له أبوه المطيع عن الخلافة سنة ثلاث وستين وثلاثمائة ، وكان سديد الحيل . في خلقه حدة ، خلعه بهاء الدولة بن عضد الدولة البويهي . وسمل عينيه ، سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة ، واستمر مخلوعا إلى أن توفي سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة .
تاريخ بغداد ٧٩/١١ . تاريخ الخلفاء للسيوطي ١٦٣ ، شذرات الذهب ١٤٣/٣ . فوات الوفيات ٦/٢ ، نكت الهميان ١٩٦ .

(٢) رواية ك للبيت :
أراغَ الليالي عن تَهضُّمِ جانبي وذاد حمامي عن وُرودِ بقائي
والذماء : البقية من الروح . واستعملت للبقية من كل شيء .

(٣) الأواخي : جمع الأخية . وهي عود في حائط أو في حبل يدفن طرفاه في الأرض ويبرز طرفه كالحلقة تشد فيها الدابة .
وفي هـ : « وشرد داني جوده » .

وعلَّمـني كيف الطلوعُ إلى العُـلَا ... وكيـف نعـيمُ المـرءِ بعد شقاءِ

وكيـف أرُدُّ الدهـرَ عن حَدَثَانِـهِ ... وألْقَـى صـدورَ الخيلِ أيَّ لقاءِ [1]

فما ليَ أُغضِـي عن مطالبَ جَمَّـةٍ ... وأعْلَـمُ أنِّـي عُرْضَـةٌ لِفَنَـاءِ

وأترُكُ سُمْرَ الخَطِّ تظْمَـى خَلِيَّةً ... وشَرُّ قَنـاً ما كُـنَّ غيرَ رِواءِ [2]

إذا مـا جرَرْتُ الرمْحَ لم يَثْنِنِي أبٌ ... يُليـحُ ولا أمٌّ تصيـحُ ورائي [3]

وشيَّعـني قلـبٌ إذا مـا أمرتُـه ... أطـاعَ بعزمٍ لا يَرُوغُ ورائي [4]

أرى الناسَ يهوَون الخلاصَ من الرَّدَى ... وتكملـةُ المخلـوقِ طولُ عَناءِ [5]

ويسْتَقبحون القتـلَ والقتـلُ راحـةٌ ... وأتْعـبُ مَيْـتٍ مَن يموت بداءِ [6]

فلستُ ابنَ أمِّ الخيلِ إن لم أَعُدْ بها ... عوابسَ تأبـى الضيمَ مثـلَ إبائي [7]

وأُرْجِعُهـا مَفجـوعةً بحُجُولِهـا ... إذا انْتَعَلـتْ من مَـأْزِقٍ بدمـاءِ [8]

إلى حَـيٍّ مَن كـان الإمـامُ عـدوَّه ... وصبَّحَـه مـن أمـرِه بقضـاءِ

هـو الليثُ لا مُسْتنهَضٌ عن فريسةٍ ... ولا راجـعٌ عن فرصـةٍ لحياءِ

---

(١) في الأصل : « عن خد نابه » . وفي س : « صدور الخطب » .
وحدثان الدهر : نوائبه وصروفه .

(٢) في س : « ظمأى خلية » . وفي ك : « ظمأى حلية » . وفي ه : ظمى خليـة » . وفي الأصل : « ماكر غير رواء » .

(٣) في ك : « لم يثني أخ » .
وآلاح من الشيء : حاذر وأشفق . اللسان (ل و ح) ٢/٥٨٧ .

(٤) في ك : « لا يروع » .
وراغ يروغ : حاد عن الطريق ، أو ذهب ها هنا وها هنا مراوغة .

(٥) في ك : « من الأذى » .

(٦) صدر البيت في محاضرات الأدباء : * ويستحسنون الموت والموت راحة *

(٧) عجز البيت في س ، ك :
* سوابقَ لا عهدٌ لها ببطاءِ *

(٨) التحجيل : بياض في قوائم الفرس . والمأزق : الموضع الضيق يقتتل فيه المتحاربون .
وفي ه : « منجوعة بحجولها .. من مارق بدماء » .

ولا عَزْمُه من فعلِه بمُذلَّلٍ ... ولا مشيُه في فتكِه بضَراءِ [1]

هو النَّابهُ النِّيرانِ فيْ كلِّ ظُلمةٍ ... ومُجرِي دماءِ الكُومِ كل مساءِ [2]

ومُعلي حَنينَ القوسِ في كلِّ ساعةٍ ... بسهمِ نضالٍ أو بسهمِ غِلاءِ [3]

فَخارٌ لَوَ انَّ النجمَ يُعطَى مِثالَه ... ترفَّع أن يأْوِيْ أدِيمَ سماءِ [4]

ووجهٌ لَوَ اَن البدرَ يحمل شِبْهَه ... أضاء الليالي من سَناً وسَناءِ [5]

مغارسُ طالتْ في رُبا المجد فالْتقتْ ... على أنبياءِ الله والخلفاءِ [6]

وكم صارخٍ ناداك لما تلبَّبتْ ... به السُّمْرُ في يومٍ بغير ذُكاءِ [7]

رددتَ عليه النفسَ والشمسَ فانْثَنَى ... بأَنْعمِ رُوحٍ في أعمِّ ضياءِ

وكم صدرِ مَوتورٍ تَطلَّع غيظُهُ ... وقلَّب قولاً عن لسان مُراءِ

يُغطِّي على أضْغانه بنِفاقه ... كذي العَقْرِ غَطَّى ظهرَه بكفاءِ [8]

---

(١) الضراء : الاستخفاء .

(٢) الكوم : القطعة من الإبل . والكوماء : الناقة العظيمة السنام .

(٣) في س : « ومغلى حنين القوس » ، وفي الأصل : « أو بسهم علاء » .
وغلا بالسهم وغالى به غلاء : رفع يديه لأقصى الغاية .

(٤) في س ، ك ، م : « فخار لو ان النجم أعطى مثله » ، وسقط البيت من : هـ ،

(٥) في هـ : « يحمل مثله » .

(٦) لم يرد هذا البيت في : ك .

(٧) في هـ : « لما تلبثت .. لغير ذكاء » .
تلببت به السمر : أحاطت بلببه أو بلبته ، وهو المنحر ، ويقال : لببه تلبيبا ، إذا جمع ثيابه عند نحره في الخصومة ثم جره .
وذكاء : الشمس .

(٨) في الأصل : « كذا العقر » بضم الراء ، وفي س : « كذي الغفر » بفتح الغين وسكون الفاء ، وفي هامشها جاء هذا الشرح : « الغفر : التغطية ، والغفرة بالضم : ما يغطى به الشيء ، يقال : اغفروا هذا . أصلحوه بما ينبغي أن يصلح به ، والمغفر ، وزرد ينسج في الدروع على قدر الرأس ، والكفاء بالكسر والمد : شقة أو شقتان تنصح إحداهما بالأخرى ثم يحل به مؤخر الخباء ، يقول منه : أكفأت البيت إكفاء » . ورواية بضم العين في « العقر » وبناء « غطى » للمجهول .
والعقر : الجرح . والكفاء : سترة من أعلى البيت إلى أسفله من مؤخره .

كَرَرْتَ عليـــه الحِلم حتى قتلتَـه بغيرِ طِعـــانٍ في الوغَـى ورمـــاءِ
إذا حمل الناسُ اللـــواءَ علامـــةً كفـــاك مُثارُ النَّقْـــع كـلَّ لـــواءِ
وجيشٍ مُضِـرٍّ بالفـــلاةِ كأنـــــه رقابُ سُيولٍ أو مُتــونِ نِهاءِ [1]
كأن الرُّبـــا زَرَّتْ عليـه جُيـوبَهـا وردَّتْـــه مِن بَوغائِهـــا بـــرِداءِ [2]
وخيـــلٍ تغالَـى في السُّروجِ كأنها صـــدورُ عَوالٍ أو قِـداحُ سَراءِ [3]
لهـــا السَّبْقُ في الضَّمَّاتُ والسبقُ وحدَها إذا غُطِّيـتْ من نَقْعِها بغطـــاءِ [4]
وليس فتًى مَن يـــدَّعي البأسَ وحدَه إذا لـم يُعَـــوِّذ بأسَـــه بسخـــاءِ [5]
وما أنتَ بالمبْخـــوسِ حظًّا من العُلا ولا قانعـــاً من عَيشه بلَفَـــاءِ [6]
نصيبُـــك من ذا العيدِ مثلُـك وافرٌ وسَعـدُك فيه مُـؤذِنٌ ببقـــــاءِ
ولـــو كان كلٌّ آخذاً قـدرَ نفسِه لكانتْ لك الدنيا بغــير مِـــراءِ
وما هـــذه الأعيـــادُ إلا كـــواكبٌ تغُـــور وتُولينـــا قليـلَ ثَـــواءِ
فخُـــذ من سرورٍ ما استطعت وفُزْ بهِ فللنـاس قِسما شدةٍ ورخـــاءِ [7]

(١) المضر : الداني ، يقال : أضر بالطريق ، دنا منه ولم يخالطه . أو هو من الضرر ، والنهاء : جمع النهي ، بالكسر والفتح ، وهو الغدير أو شبهه .

(٢) البوغاء : التربة الرخوة كأنها ذريرة .

(٣) تغالى : ترتفع وتتجاوز المدى ، والقداح : جمع القدح ، بالكسر ، وهو السهم قبل أن يراش وينصل . والسراء : من عتق العيدان وشجر الجبال وتتخذ منه القسي . اللسان (س ر ا) ١٤/٣٨٠ .

٤) في س ، م : « والسبق وخدها » ، وفي هـ : « والسبق قصدها » ، وما في الأصل ـ ك بفتح الدال على معنى : ولها السبق وحدها ، والضمة : الحلبة في السباق .

٥) في ك : « من يدعي السبق وحده » ، وفي الأصل : « إذا لم يعود » .

٦) في الأصل : « من عيشه بتماء » ، وفي س : « بلقاء » ، وفي م : « بكفاء » ، وأثبت رواية ك . وفي هـ : « بالمنحوس حظا » .

واللفاء : الشيئ القليل ودون الحق .

٧) في الأصل : « ما استطعت وقربة » وهو تحريف .

وبـادرْ إلى اللـذاتِ فالدهر مُولَـع ... بتَقْويض عزٍّ واصْطِلام عَـــلاءِ[1]

أبثُّـك من وُدِّي بغـير تكلُّـفٍ ... وأُرْضِيــك من نُصحي بغير رياءِ[2]

وأذكـرُ ما أوليتــني مِن صَنيعــةٍ ... وأُعطيـك رَهْني طاعـةٍ ووفـاءِ[3]

أعنِّـي على دهـرٍ رمـاني بصِرْفـه ... وردَّ عِنــاني وهْو في الغُلَــواءِ[4]

وخَـلَّأني عمَّــن أَعُـدّ بِعــادَه ... سَقامي ومَن قُربي إليـه شفائي[5]

فَقَدتُ وفي فَقْـد الأَحِبَّــة غُربــةٌ ... وهِجران من أحببــتُ أعظمُ ناءِ[6]

فلا تطمعَـنْ يا دهـرُ فيَّ فإنــه ... مَـلاذِيَ ممـا راعني ووَقـائِــي

أردُّ بــه أيـــدي الأعـادي وأتَّقي ... نـوافـذَ شتَّـى مـن أذًى وبـلاءِ

أَلَـذُّ بقلبي مـن مُنـاتي تَقَنُّعِـــي ... وأحسن عندي من غِنايَ غَنائي[7]

ومَن كان ذا نفسٍ تُطيعُ قَنــوعةٍ ... رَضِي بقليـلٍ من كثير عَطــاءِ[8]

حدَونـا المطايـا يوم جالتْ غُروضُها ... ويومَ اتَّقـتْ رُكبانها برُغـاءِ[9]

---

(١) في س : « بتنغيص عيش واصطلام علاء » ، وفي ك : « بتنغيص لهو » .
والاصطلام : الاستئصال .

(٢) في س ، ك : « وأعطيك من نصحي » .

(٣) جاء عجز البيت في س :

* فأصفيك رهني طاعتي ووفائي *

وفي ك :

* فأجعل عذري مضغة لوفائي *

(٤) جاء عجز البيت في ك :

* وأغرى حبيبي عامدا بسوائي *

(٥) في الأصل : « وخلا أتى عمرا أعد بعاده » ، وهو تحريف ، وفي س ، م : « خلأني عمن » . وحلأه عن الشيْ : طرده ومنعه .

(٦) في م : « أعظم داء » .

(٧) في الأصل : « من غناي هنائي » . وفي ه : « من منامي تقنعي » .

(٨) في س ، ك : « تطيع قنوعه » ، وفي س ، ك ، م ، ه : « من كثير ثراء » » .

(٩) في س ، م : « حدوا بالمطايا » . وفي هامش ك : « في الأصل : فدتك المطايا » » .
والغروض : جمع الغرض بفتح فسكون ، وهو للرحل كالحزام للسرج .

تؤمُّك لا تلْوِي على كل روضةٍ ... يصيح بها حَوذانُها وإِضاءِ [1]

ولا تشربُ الأَمْواه إلا تَعِلَّةً ... إذا عَثِرت أَخْفافُهن بماءِ

لها سائق يَطغى عليها بسَوطه ... ويمضي على آثارها بحُداءِ [2]

غلام كأشْلاءِ اللِّجام تُجيزُه ... صدورُ القنا والبيضُ كلَّ فَضاءِ [3]

إذا بلغت ناديك نال رفاقُها ... عريض عطاءٍ من طويل ثناءِ [4]

ومثلك من يُعشَى إلى ضوءِ نارِه ... ويُلفَى قِراه عند كل خباءِ [5]

وما كل فُعّال النَّدَى بشَبائِهِ ... ولا كل طُلَّاب العُلَا بسواءِ [6]

* * *

---

(١) في س : « إلى كل روضة » .

والحوذان : نبت يرتفع قدر الذراع ، له زهرة حمراء في أصلها صفرة ، وورقته مدورة ، والحافر يسمن عليه . اللسان (ح و ذ) ٤٨٨/٣ .

والإضاء : الأجمة من الخلاف الهندي ، وهي أيضا جمع الأضاة ، وهو المستنقع من سيل وغيره . والمعنى : « لا تلوي على كل روضة وإضاء يصيح بها حوذانها .

(٢) في س ، وهامش ك : « ويشدو على آثارها » .

(٣) في الأصل : « كأسلاء اللجام تجيره ... كل قضاء » ، وفي هـ : « تجيره .. كل قضاء » .

وأشلاء اللجام : سيوره ، أو التي تقادمت فوق حديدها .

(٤) في هـ : « نال رقاقها » .

(٥) في هـ : « ويلفى خباه » .

(٦) في الأصل : « وما كل فعال الندى بمثابة » ، وكذلك في : هـ .

(٢)*

وقال يمدح الملك بهاءَ الدولة[1] ، ويذكره بالخدمة التي قدَّمها ، والنصيحة التي أسْلَفها ، في أيام الفتنة ببغداد[2] ، من ضَبْط من يتسرَّع إلى العَنَت من أحْداث

(*) القصيدة في: الأصل . س . ك . م . هـ .
ومقدمتها المثبتة هي مقدمة الأصل ، وفي س بيان أن هذه الفتنة التي يشير إليها كانت بين الشيعة والسنة ببغداد ، وفيها أيضا وصف الكافي أبي الحسن بأنه وزير بهاء الدولة ، وفي ك وصفه بالأستاذ . وفيها : « من يتسرع إلى العيث » مكان : « من يتسرع إلى العنت » .
وفي س مكانها : « ويذكر ما كان من ضبطه أحداث العلويين عن التشرع » .

(١) فيروز بن الحسين بن بويه الديلمي ، بهاء الدولة أبو نصر بن عضد الدولة أبي شجاع الملك ، قوام الدين ، صاحب بغداد وغيرها .
تولى السلطنة بعد أخيه شَرف الدولة أبي الفوارس شيرزيل ، سنة تسع وسبعين وثلاثمائة ، وهو الذي قبض على الطائع ، وولّى القادر .
وكان يحب المصادرات . فجمع من الأموال ما لم يجمعه أحد قبله من بني بويه ، وكان بخيلا جدا .
توفي بارَّجان ، في جمادى الآخرة ، سنة ثلاث وأربعمائة ، عن ثنتين وأربعين سنة وثلاثة أشهر ، وكان مرضه بالصرع ، ودفن بالمشهد إلى جانب أبيه .
البداية والنهاية ٣٠٧/١١ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، الكامل في التاريخ ٢٥/٩ ، ١٠٠ .

(٢) في حوادث سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة للهجرة يذكر ابن كثير أنه في اليوم الثالث عشر من ذي الحجة ـ وهو يوم غدير خم ـ جرت فتنة بين الروافض والسنة واقتتلوا ، فقتل منهم خلق كثير ، واستظهر أهل باب البصرة وحرقوا أعلام السلطان ، فقتل جماعة اتهموا بفعل ذلك ، وصلبوا على القناطر ؛ ليرتدع أمثالهم. البداية والنهاية ٣٠٩/١١ .
هكذا يذكر ابن كثير ، ولعل هذا حدث في ذي الحجة من سنة ثمانين وثلاثمائة ، وإلا =

العلويّين وغيرهم ، ويهنئه بصوم شهر رمضان ، من سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة ، ويذكر فيها الكافي أبا الحسن علي بن محمد * ، رحمه الله :

[وافر]

بهـــاءُ المُلــك من هــذا البهـــاءِ ... وضــوءُ المجدِ من هذا الضيـــاءِ (١)

وما يعلُــو على قُلَــل المعـــالي ... أحــقُّ من المعـــرِّق في العَــلاءِ (٢)

ولا تعْنُــو الرُّعاة لـذي حُسـامٍ ... إذا ما لم يكـن رَاعِي رُعـــاءِ (٣)

وما انْتظَم المالـكَ مثلُ مــاضٍ ... يـتمُّ لـه القضـــاءُ على القضـاءِ

إذا ابْتَـدَر الرِّهـــانَ مُبَـــادِرُوه ... تمطَّــر دونهــم يوم الجِـــرَاءِ (٤)

وإن طُلِـــب النَّـدَى خرجتْ يــداهُ ... خُروجَ الوَدْقِ من خَلَــلِ العَماءِ (٥)

= فكيف يذكره الرضي في رمضان من سنة إحدى وثمانين . وسيأتي في القصيدة ١٣ بيان الفتن التي قامت ببغداد سنة ثمانين وثلاثمائة وتوسط أبي الرضي .

أما ابن الأثير فلم يذكر في حوادث هذه السنة إلا قوله : « وفيها كثرت الفتن بين العامة ببغداد ، وزالت هيبة السلطنة ، وتكرر الحريق في المحال ، واستمر الفساد». الكامل ٣٨/٩ .

* لم أعثر له على ذكر فيما بين يدي من مصادر . ولعله علي بن محمد الكوكبي المعلم . انظر ما يأتي في القصيدة ٢٨ .

(١) في ه : « بهاء المجد » .

(٢) في ك : « قلل » بالتحريك .
والقلة : أعلى الجبل .

(٣) في ك : « راعي الرعاء » .
ويجمع الراعي على رعاء ، بضم الراء وتكسر .

(٤) في الأصل ، ك ، م : « يوم الجزاء » .
وتمطرت الخيل : جاءت مسرعة يسبق بعضها بعضا ، وجرى الفرس جراء وجريا ، وأجراه وجاراه مجاراة وجراء : جرى معه .

(٥) في س ، ك : « وإن طلب المدى » ، وفي الأصل ، م ، ه : « من خلل الغماء » .
والودق : المطر ، والعماء : السحاب المرتفع أو الكثيف أو الممطر . وفي هامش ك : « العماء : الغيم الرقيق » .

حَذارِ إذا تَـدرَّع ثوبَ نَقْـــع حَـذارِ إذا تَعَمَّـم باللِّــــواءِ [1]
حَـذارِ من ابن غَيْطَلَـــةٍ مُـدِلٍ يسُدُّ مَطالــعَ البِيــدِ القِـواءِ [2]
إذا أَلْقَــى على لَـــهَوَاتِ ثَغْـرٍ بدا غضبـانَ مرهــوبَ الـرُّواءِ [3]
تُمــرُّ قعــاقعُ الزِّرَّيــن منــه كَمَعْمَعَــةِ اللَّهـيبِ من الأَبــاءِ [4]
ومِطْـراقٍ على اللَّحَظـاتِ صِـلٍّ مريضِ النَّاظِـرَيْن من الحيــاءِ [5]
تنكَّـس كــالأمـيم فـإن تسامَى مضَى كالسَّهـمِ شَذَّ عن الرِّماءِ [6]
ومـا يُنْجـي اللَّـدِيـغَ بـه تَـداوِ وقــد أمسى بــداءٍ أيِّ داءِ
ولا قُضُـبُ الرجالِ الصِّيـدِ فَضْلاً عن الأصْـواتِ من حَلْيِ النساءِ [7]
ويومِ وَغًـى على الأعـداءِ هَـوْلٍ تُمازُ بــه السِّـراعُ مـن البِطـاءِ
رميـتَ فُـروجَه حتى تَهـرَّى بأيْـدي الجُـرْدِ والأَسَلِ الظِّماءِ [8]

(١) في م : « تلفع ثوب نقع » . وفي الأصل : « إذا تقمع باللواء » .

(٢) الغيطلة : الظلمة المتراكمة ، واختلاط الأصوات والظلمة . والقواء : المقفرة .

(٣) في ك ، م : « يرى عضبان » .

(٤) في س : « تمر قعاقع الزرّان » ، وفي م : « قعاقع الرزين » ، وفي الأصل : « قواقع الزرّان » ، وفي ك : « قعاقع الزأران منه » ، ولعل الصواب ما أثبته ، وزر السيف حده . انظر اللسان (زرر) وديوان قيس بن الخطيم ٦ . أو لعل ما في ك هو المتجه ، على أنه فَعْلان من زأر » . والأباء : القصب أو البردية أو الحلفاء أو الأجمة .

(٥) في هـ : « على اللهوات صل » .

(٦) في س ، ك : « ينكس » بالبناء للمجهول .
وشجه آمَّة فهو أميم : إذا بلغت أُمَّ رأسه . والرماء : المراماة .

(٧) في الأصل : « ولا قضت الرجالُ » وقضب الرجال : سيوفهم القاطعة . وفي س ، م : « في حلي النساء » .
وبعد هذا البيت في ك : « أراد بهذا المعنى قول النابغة في الملسوع :
يُسَهَّدُ من نَوْمِ العِشاءِ سَليمُهــا بحَلْيِ النساءِ في يديْه قَعاقِعُ »
ورواية الديوان (صنعة ابن السكيت) ٤٦ : « لحلي النساء » ، وفيه : « وقوله : لحلي النساء ، الحلي : الخلاخل . ويعلق عليه لئلا ينام ، وكانوا يقولون إنه إذا نام دب السم فيه » .

(٨) في س ، م : « حتى تفرى » ، وفي هـ : « حتى تقوى » .
والأجرد من الخيل : السباق ، والأسل : الرماح .

فمِن غُلْبٍ كأنهمُ أسودٌ   على قُبٍّ ضوامِرَ كالظِّباءِ [1]

ومن بيضٍ كأن مُجَرِّدِيها   يُمرُّون الأكُفَّ على الإضاءِ [2]

نَواحِلَ لم يَدَعْ ضَرْبُ الهَوادِي   بها أبداً مكاناً للجِلاءِ [3]

ومن هاوٍ ترنَّح في العوالي   وعَارٍ قد أقام على العَراءِ [4]

وآخَرَ مال كالنَّشْوانِ سالتْ   بهامتِه شآبيبُ الطِّلاءِ [5]

وعُدْتَ وقد خَبَيْتَ الحربَ عنه   إلى سِلْمِ الرَّغائبِ والعَطاءِ [6]

فَيومٌ للمكارمِ والعطايَا   ويومٌ للحَمِيَّةِ والإباءِ [7]

تقودُ الخيلَ أرْشَقَ مِن قَنَاهَا   شَوازِبَ كالقِداحِ من السَّراءِ [8]

بغاراتٍ كوَلْغِ الذِّيبِ تَتْرَى   على الأعْداءِ بَيِّنةِ العِداءِ [9]

عزائمُ كالرِّياحِ مَرَرْنَ رَهْواً   على الأَقْطارِ من دانٍ وناءِ [10]

---

(١) الأغلب : غليظ العنق ، والأسد ، والقبب : دقة الخصر وضمور البطن .

(٢) الإضاء : جمع الأضاة ، وهي المستنقع من سيل وغيره . يصف صفاءها وجلاءها .

(٣) الهوادي : الأعناق . وفي هـ : « مكانا للخلاء » .

(٤) في هـ : « وعاز ... على العزاء » .

(٥) في س ، م : « كالنشوان مالت » .
وشآبيب الطلاء : الدفعة من الخمر بعد الدفعة .

(٦) في س ، ك : « وقد جنيت الحرب عنه » ، وفي هـ : « وقد حنيت » .
والرغائب : العطايا التي يرغب فيها .

(٧) في هـ : « للمكارم والعوالي » .

(٨) شوازب : ضوامر ، والقداح : السهام قبل أن تراش وتنصل . والسراء : شجر ، قال أبو عبيدة : هو من كبار الشجر ينبت في الجبال . وربما اتخذ منها القسي العربية ، وقال أبو حنيفة : وتتخذ القسي من السراء ، وهو من عتق العيدان وشجر الجبال . اللسان (س ر ي) ١٤/٣٨٠ .

(٩) ضبطت عين « العداء » بالفتح في س ، وهو الطلق الواحد من جري الفرس .

(١٠) الرهو : السير السهل .
وفي الأصل : « على الأنظار » .

وقلبٌ كالشُّجاع يسُور عَزْمــاً ... ويجْـذبُ بالعُلَى جَذْبَ الرِّشاءِ [1]

وكـفٌّ كالغَمـامِ يُفيـض حتـى ... يَعُـمَّ الأرضَ من كَـلأٍ ومـاءِ

ووجـهٌ مـاج مـاءُ الحسن فيـه ... ولاح عليـه عُنـوانُ الوَضـاءِ

يُشارك في السَّنـا قمرَ الدَّياجـي ... ويفْضُلـه بـزائـدةِ السَّنَـاءِ [2]

ومُعْتَلِـجِ الجَلالِ نزعْـتَ عنـه ... على عَجَـلٍ رداءَ الكـبريـاءِ [3]

فأصبـح خارجـاً من كل عِـزٍّ ... خروجَ العُـود بُـزَّ من اللِّحـاءِ [4]

وحُـزْتَ جمـام نِعْمَتِـه وكانـتْ ... غِماراً لا تُكـدَّر بالـدِّلاءِ [5]

برأْيٍ ثَقَّـفَ الإقبـالَ منـه ... فـأقْـدَم كالسِّنـان إلى اللقـاءِ

إذا شَرِهَ القـريـبُ عليـك فاقطعْ ... بحـدِّ السيف قُـربَـى الأقْربـاءِ [6]

وكُـنْ إن تمقُـتِ القُرَبـاءَ ممَّـن ... يميـلُ على الأُخُـوَّةِ بالإخـاءِ [7]

فرب أخٍ خَلِيـقٍ بالتَّقَـالـي ... ومُغْـتَرِبٍ جديـرٍ بالصفـاءِ

ولا تُـدْنِ الحسودَ فـذاك عُـرٌّ ... أبـيٌّ لا يُعَـالَج بالهِنـاءِ [8]

---

(١) الشجاع هنا : ضرب من الحيات . والرشاء : حبل الدلو .

(٢) في ك : « ويعضله بزائدة السناء » .

(٣) معتلج الجلال : شديده وقويه ، ومنه الأرض المعتلجة ، وهي التي استأسد نباتها والتف وكثر . انظر اللسان (ع ل ج) ٢/٣٢٧ .

(٤) بز من اللحاء : استلب منه بجفاء وقهر . وفي ه : « فأصبح خاليا » .

(٥) جمام النعمة : ما اجتمع منها . والغمار : جمع الغمر ، وهو الماء الكثير .

(٦) في س ، م ، ه : « إذ أشر القريب » . وفي س : « قرب الأقرباء » .
وشره القريبُ : غلب عليه حرصه . وأشر : بطر .

(٧) في س ، ك ، م ، ه : « وكن إن عقك القرباء » . وفي م ، ه : « على الأخوة للإخاء » .
وبين هذا البيت والذي بعده تقديم وتأخير في : س ، م .
وهو يعني بالأخوة : القرابة من جهة النسب ، وبالإخاء : الخلة والصداقة .

(٨) العر بالفتح والضم : الجرب ، أو بالفتح : الجرب ، وبالضم : قروح في أعناق الفصلان .
والهناء : القطران .
وفي الأصل ، ك : « أبى ألا يعالج » ، وفي س ، م : « مضيض لا يعالج » ، ولعل الصواب ما أثبته . وفي ه : « مضيض لا يعالج » .

كَفَاكَ نَوائبَ الأيامِ كافٍ طَريرُ العَزْمِ مَشْحوذُ المَضاءِ[1]
أمينُ الغَيْبِ لا يُوكِي حَشَاهُ لآمِنِه على الداءِ العَياءِ[2]
إذا علِقتْ يداك به حِفاظاً مَلأْتَ يديْك من كنزِ الغَناءِ[3]
يُعاطيكَ الصَّوابَ بلا نِفاقٍ ويمحَضُك السَّدادَ بلا رِياءِ
جَرِيٌّ يومَ تبعثُه لعزمٍ وَفُورٌ يوم تبحثُه لِرَاءِ[4]
إذا كان الكُفاةُ لذا عَبيداً فذا كافي الكُفاةِ بلا مِراءِ[5]
بهاءَ الدولةِ المنصورَ إني دعوتُك بعد لأْيٍ من دُعائي
وكنتُ أظنُّ أنَّ غِنايَ يَسرِي إليّ بما تُبيِّن من غَنائي[6]
فلِمْ أنا كالغريبِ وراءَ قومٍ لو اختُبِروا لقد كانوا ورائي[7]
بعيدٌ عن حِماك ولي حقوقٌ قَواصٍ أن يطولَ به ثَوائي[8]
أأُبلَى ثم يُبدَأ باصْطِناعي كفاني ما تقدَّم من بَلائي[9]
وذَبِّي عن حِمَى بغدادَ قِدْماً بفَضْلِ العزمِ والنَّفْسِ العَصاءِ[10]

(١) طرير العزم ، ماضيه محدده .
(٢) وكاه : شده بالوكاء . يعني أنه لا يضمر لآمنه شرا . والعياء : المعي الذي لا يعرف دواؤه .
وجاء بعد هذا البيت في م الأبيات ٦٢ ـ ٦٦ التي ترد في آخر القصيدة زيادة من س على ما في سائر النسخ .
(٣) في ه : « من كنز العطاء » .
(٤) في م : « يوم تبعثه لحرب .. وقور » ، وفي ه : « وقورحين تبحثه لداء » .
والراء : الرأي .
(٥) في الأصل : « إذا كان العفاة » .
(٦) في م : « أن غناك يسري » . وفي الأصل : « بما يبين من غنائي » .
والغناء ، بالفتح : الكفاية .
(٧) في ك : « لو اختبروا لكانوا من ورائي » .
(٨) الثواء : الإقامة .
(٩) في م : « ثم يبدو باصطناعي » .
(١٠) في س ، ك : « والنفس الفضاء » .
والذب : الدفاع . والعصاء : العصية الممتنعة .

غَـداةَ أظلَّــت الأقطـــارَ منهـــا ... مُضرَّمـــةٌ تَبَــزَّلُ بالدِّمـــاءِ [1]

دُخـــانٌ تُلهِــبُ الهَبَــواتُ منــه ... مَــدًى بـين بَسيطَـةِ والسمـــاءِ [2]

صَبَرْتُ النفسَ ثَـمَّ على المَنــايا ... إلى أَقْصَى الثَميلــة والذِّمـــاءِ [3]

رجـــاءً أن تفــوزَ قِــداحُ ظَنِّــي ... وتُلــوَى بالنجـــاح قُــوى رجائي [4]

ولي حــقٌّ عليك فــذاك جِــدّي ... قديمـــاً من رِضـاك وذا ثنــائي [5]

ومن شِيَمِ الملــوكِ على الليـــالي ... مُجــازاةُ الــوَلِيِّ على الـــولاءِ

سَيَبْلُـــو منـك هذا الصَّــومُ خِرْقاً ... رَحِيــبَ البـاعِ فَضْفاضَ الرِّداءِ [6]

تصــوم فلا تصــومُ من العطــايا ... ومن بَذْلِ الرَّغائـــبِ والحِبـــاءِ [7]

ألا فاسْعَـــدْ بـــه وبكـــلِّ يـــومٍ ... يُفَــوِّفُــه الصبــاحُ إلى المســاءِ [8]

ودُمْ أبـــدَ الزمانِ وأنــت أوْلَـى ... بَني الدنيـــا بعاريـــةِ البقــــاءِ

---

(١) في م : « مضرجة » مكان « مضرمة » ، وفي الأصل : « تنزل بالدماء » .
وتبزل الجسد : تقطر بالدم .
وفي هـ : « غداة أطلت الأعناق .. تنزل بالدماء » .

(٢) في س ، ك : « دخانا تلهب الهبوات منه » .

(٣) الثميلة : الماء القليل يبقى في أسفل الحوض والسقاء . والذماء : بقية الروح .

(٤) القداح : جمع القدح بالكسر ، وهو السهم قبل أن يراش وينصل . والمراد هنا سهم الميسر .
وتلوى : أي تعقد وتُلفّ .

(٥) الجد هنا : المضاء في الأمر والجهد فيه .

(٦) الخرق : السخي ، او الظريف في سخاوة والفتى الحسن الكريم الخليقة .

(٧) في س ، ك : « تصوم فلا يصوم » على الالتفات .

(٨) في س ، ك : « يفوقه الصباح » .
وبرد مفوف : رقيق ، أو فيه خطوط بيض ، وفوّف البرد جعل فيه هذه الخطوط .
أي زينه بها ، فكأنه أراد يزينه الصباح إلى المساء .
وتفويق السهم : وضع الفُوق له ، وهو مشق رأس السهم حيث يقع الوتر ، وإنما يفعل هذا إذا أراد إرساله ، فكأنه أراد يدفعه الصباح إلى المساء .

عَلِيَّ الجَدِّ مُقْتَرِبَ الأماني عزيزَ الجارِ مَطْروقَ الفناءِ

[تمت ، ثم زاد فيها هذه الأبيات بعد مدة طويلة ، عند خروجه إلى وَاسِطٍ * :

أقام يُنازِلُ الأبطالَ حتى تَفَلَّلَ كلُّ مَشْهُورِ المَضاءِ (١)

إزاءَ الحربِ يَعْتَنِقُ العوالي ويَغْتَبِقُ النَّجيعَ مِنَ الدِّماءِ (٢)

إذا ما قيلَ قلَّ رأيتَ منه نَوازِعَ تشْرَئِبُّ إلى اللقاءِ

ومنها :

فَجرِّبْني تجِدْني سيفَ عَزْمٍ يُصمِّم غَرْبُه وزِنادَ رَاءِ (٣)

وأسْمَرَ شَارِعاً في كلِّ نَحْرٍ شُروعَ الصِّلِّ في يَنْبُوعِ ماءِ]

[ ] زيادة من : س على ما في سائر النسخ عدام . وقد أوضحت موضع ورودها فيها فيما سبق .

* يعني واسط الحَجّاج ، وهي بين البصرة والكوفة ، ومنها الى كل واحدة منهما خمسون فرسخا . معجم البلدان ٨٨١/٤ .

(١) تفلل السيف : تثلم حده .

(٢) في س : « يعتنق الموالي » .

والاغتباق : الشرب في العشى ، ويقابله الاصطباح . والنجيع من الدم : ما كان مائلا إلى السواد .

(٣) غرب السيف حده . والراء : الرأي ، وتقدم .

قافية الباء

(٣) *

وقال أيضاً ، يمدح الطائع لله ، ويهنيه بمِهْرَجان ، ويقتضيه وعدا كان له عليه ، وذلك في سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة : [خفيف]

لـــو عـلى قَـــدْرِ ما يُحـــاولُ قلبي ... طَلَبِـــي لم يقَـــرَّ في الغِمْـــدِ عَضْبِي
همَّـــةٌ كالسمــــاءِ بُعْـــداً وكالرِّيــ ... ــحِ هُبـــوباً في كـلِّ شرقٍ وغربِ
ونِزاعٌ إلى العُـــلَا يَفْطِـــمُ العيــــ ... ـسَ عـن الـوِرد بـين مـاءٍ وعُشْبِ
رُبَّ بُــؤْسٍ غـدا عليَّ بنَعْمــــا ... ءَ وبُعْـــدٍ أفْضَى إليَّ بقُـــرْبِ
أتقَـــرَّى هذا الأنـــامَ فيغْـــدُو ... عَجَبِـــي منهـــمُ طريقـــاً لعُجْبِـــي [1]
وإذا قلَّـــب الزمـــانَ لَبِيـــبٌ ... أبْصرَ الجَـــدَّ حَرْبَ عقـلٍ ولُبِّ
أمُقـــاماً ألَـــذُّ في غيرِ عَليــــا ... ءَ وزادي في عيشَـتِي زادُ ضَــبِّ [2]
دون أن أتْــرك السيـوفَ لَقتْـــلا ... ها رَذَايَـــا من حَرِّ قرعٍ وضَرْبِ [3]
ومن العَجْـزِ أن دعـا بك عَـزْمٌ ... فــرآك الحُســامُ غـيرَ مُلَـبِّ

(*) القصيدة في : الأصل ، س ، ك ، م ، هـ .

(١) في الأصل : « يتفرى هذا الأنام » ، وفي هـ : « يتفرى .. ويغدو .. طريقا بعجبي » . والعجب بالضم : الخيلاء .

(٢) في س ، م : « وزادي من عيشتي » ، وفي هـ : « في عين علياء ... زاد صب » .

(٣) الرذي : الضعيف المهزول .

وإذا مـــا الإمـــامُ هــذَّب دُنْيــا ... يَ كَفــاني وصالَــحَ الغِمْــدَ غَرْبِي

يا جميـــلاً جَمالُـــه مِلْءُ عيــني ... وعظيمـا إعْظامُـه مِلْءُ قَلبـــي

بك أبصرتُ كيـف يصْفُـــو غَديري ... مِن صُروفِ الرَّدَى ويأمَن سِرْبِي [1]

أنتَ أفْسَدْتَني على كـلِّ مَأْمُـــو ... لٍ وأعْـــديْتَـني على كـلِّ خَطْبِ

[فإذا ما أراد قُـــرْبِـي مَلِيـــكٌ ... قلتُ قُــرْبـي من الخليفـةِ حَسْبِي

عَزَّ شِعْــرِي إلاَّ عليك ومــازَا ... ل عزيزاً يأْبَـى على كلِّ خِطْبِ[2]]

أيُّ نَدْبٍ ما بين بُرْدَيْـك والدهْـ ... ـرُ أجذُّ اليدَيْن من كـلِّ نَـدْبِ [3]

بـين كـفٍّ يُغـني. المطامـعَ والآ ... مـالَ أو ذابـلٍ يُغيرُ ويَسْبِـي [4]

ما تُبـالي بأيِّ يوميْــك تغْـدُو ... يومَ جُــودٍ بالمالِ أو يومَ حربِ [5]

كــم غَـداةٍ صَباحُهـــا في حِـدادٍ ... نَسَجتْـه أيْـدي نـزائـعَ قُـبِّ [6]

تـتراءى فيها السيوفُ وتَخفَــى ... ويُنـيرُ الطَّعَّـــانُ فيهـا ويُخبِــي

فرَّجَتْهـــا يداك والنَّقْـــعُ قد سَدَّ ... م على العاصفـــاتِ كـلَّ مَهَـــبِّ

ومُـــربِّـي العُــلا إذا بلــغَ الْغا ... يـةَ رَبَّــاهُ في العُــلَا ما يُـرَبِّـي

---

(١) في م : « من صروف القذى » .

[ ] زيادة من : س ، ك ، م ، على الأصل . ولعله اختلاف نظر من كاتب الأصل حيث وردت كلمة « خطب » في آخر البيت ١٣ ، وآخر البيت ١٥ .

(٢) في القاموس (خ ط ب) : « ويقول الخاطب : خِطْبٌ ، بالكسر ، ويضم ؛ فيقول المخطوب : نِكْحٌ ، ويضم » .

(٣) الندب : الخفيف السريع في الحوائج ، وأجذ اليدين : مقطوعهما .

وفي ه : « أجذ اليدين من كل كرب » .

(٤) في م : « بين كف تقي المطامع » .

(٥) في ه : « بأي يوميك تفدى » .

(٦) النزيعة من النجائب : التي تجلب إلى غير بلادها ومَنْتجها . والقب : الدقيقة الخصر الضامرة البطن .

وفي ه : « في خداد ... نزائع قلبي » .

يا أمـــينَ الإلــهِ والنَّبـــأُ الأعْـ ظمُ والعَقْـــبُ من مَقاولَ غُلْبِ[1]
عَـــادةُ المِهْـــرَجانِ عنـــدي أن أُرْ وِي بذكْـــراك فيـــه قلبـي ولُبِّي[2]
هـو عيـــدٌ ولا يمـرُّ على وَجْـ ـهـك يومٌ ألاَّ يـــروقُ ويُصْبِـي
راحــلٌ عنـك وهو يرْقُـــبُ لُقْيــا كَ إلى الحَــولِ عن عَلاقـةِ صَبٍّ
كيــف أنْسَى وقد مَحَضْتُـك أهْوا يَ وحصَّنْـــتُ عن عـدوِّك حُبِّي[3]
أنتَ ألبَسْتني العُــلاَ فأطِلْهـــــا أحســنُ اللُّبْسِ ما يُجَلِّـل عَقْبِـي
إنـني عائـــذٌ بنُعْمـــاك أن أكْـ ثِــرَ قـوْلي وأن أُطــولَ عَتْبِي
بِـيَ داءٌ شِفــاؤه أنتَ لو تَـــدْ نُـو وأين الطبيـــبُ للمُسْتَطِـــبِّ
كيـف أرْضَى ظَماً بقلبِي وطَــرْفِي يتجلَّـى بَرْقَ الرَّبـابِ المُـــرِبِّ[4]
نَظْــرةٌ منـك تُرسلُ الماءَ في عُـو دِي وتَمْطُـو ظِلِّـي وتُنْبِتُ تُرْبِي[5]
ما تَرجَّيـــتُ غـيرَ جُـودِك جُـــوداً أيُرَجَّـــى القِطارُ من غـيرِ سُحْبِ[6]
لا تَدَعْني بـــين المطامــعِ واليـأْ سِ وورْدِي ما بين مُـــرٍّ وعَـذْبِ
وارْمِ بي عن يديْـك إحدى الطَّرِيقيْـ ـن فما الشِّعرُ جُلُّ مـالي وكَسْبِي
وإذا حاجـةٌ نَـأَتْ عن سؤالـــي منـك لم تَنْـأَ عن غِـلابِي وغَضْبِي

* * *

(١) في الأصل ، ك : « من مغاول غلب » .

والمقول : الملك ، أو هو الملك من ملوك حمير يقول ما يشاء فينفذ .

(٢) في الأصل : « غادة المهرجان » .

(٣) في م : « ولحصيت عن عدوك حبي » .

(٤) في س ، ك : « يتحلى برق الرباب » .

والرباب : السحاب الأبيض . والمرب : الذي يدوم مطره .

(٥) تمطو ظلي : تمدُّه وتطيله .

وفي م خطأ : « وتمطي ظلي » ، فإن أمطاه الدابة : أركبه إياها .

وفي هـ : « وتمطر ظلي » .

(٦) القطار : جمع القطرة .

(٤) *

وقال يمدح بهاء الدولة ، ويشكره على تلْقيبه بالرَّضِيّ ذي الحَسَبَيْن[1] ، ويذكر أبا العَبَّاسك الخارِجيّ[2] ، وكتب بها إليه وهو بالبصرة ، في المحرَّم ، سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة[3] : [هزج]

(*) القصيدة في : الأصل ، س ، ك ، م ، ه .

(١) كان تلقيبه بالرضي ذي الحسبين ، سنة ست وتسعين وثلاثمائة . البداية والنهاية ٣٣٥/١١ ، الكامل لابن الأثير ٧٩/٧ .

(٢) سقط من ك : « ويذكر أبا العباسك الخارجي » ، وجاء في م : « أبا العباس » ، وإضافة الكاف إلى أبي العباس كانت شائعة في هذا العصر ، كما قالوا في « علي » : « عليك » ، في « حسين » : « حسينك » . وهذه الكاف للتصغير . انظر معجم الأدباء ٤٩/٤ .

وهو أبو العباس بن واصل ، كان في خدمة مهذب الدولة بالبطيحة ، ثم خلع طاعته واستولى على البطيحة في شوال سنة أربع وتسعين وثلاثمائة ؛ و لما سمع بهاء الدولة بحاله خافه على البلاد ، فسيّر إليه جيشه ، واستطاع أبو العباس أن يهزم جيش بهاء الدولة في معارك كثيرة ، ولكنه هُزم في النهاية ، وفر هاربا إلى بدر بن حسنويه ، فأُخذ في الطريق وقتل سنة سبع وتسعين وثلاثمائة .

الكامل لابن الأثير ٧٥/٩ ، ٧٦ ، ٨١ ، وانظر البداية والنهاية ٣٣٧/١١ .

(٣) في الأصل ، س ، ك : « سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة » ، وهو خطأ ، فلعل الناسخ قدم السين في « تسعين » ، فصارت « سبعين » ؛ ذلك أن تلقيب الشريف بالرضي ذي الحسبين كان سنة ست وتسعين ، كما أن أمر أبي العباس الخارجي لم يتم القضاء عليه إلا سنة سبع وتسعين ، هذا فضلا عن أن بهاء الدولة لم يتول الملك إلا سنة تسع وسبعين ، فما جاء في م أقرب إلى الصحة إن لم يكن الصحيح .

يَــدٌ في قائــمِ العَضْــبِ   فما الإنظــارُ بالضَّــرْبِ [1]
وقــد أمْكَنَــتِ الْهَــامُ   ظُبَــى المَطْــرورةِ القُضْبِ [2]
ولِــلأرْمَــاح بالقــومِ   ـحِكــاكُ الإبــلِ الجُــرْبِ
يُنــازِعْــنَ نِــزاعَ الــذَّوْ   دَ يُــرْمَيْــنَ عن الشِّــربِ [3]
قِوامَ الــدِّيــنِ والدنيــا   غيــاثَ الأزْلِ واللَّــزْبِ [4]
لــزِدْتَ المُلْــكَ أوْضاحــاً   إلى أوْضاحِــه الشُّهْــبِ [5]
وقَــرَّرْتَ مَبانِيــهِ   على الــذّابِلِ والعَضْــبِ [6]
وأوْضَحْــتَ إلى المجــدِ   مَنــارَ اللَّقــمِ اللَّجْــبِ [7]
رأيْنــا المُلْــكَ من بأسِـ   ـك قــد دار علــى القُطْــبِ
فقُــل للخائــنِ المغْــرو   رِ مَــن أغْــراك بالشَّغْبِ [8]
ومَــن طَــوَّحــك اليــومَ   بــدار الأُسُــدِ الغُلْــبِ
فأقْبَلْــتَ بمِحْفــارِ   ك كــي تصْدَعَ بالهَضْبِ [9]
وهيْهــات لقــد طَالَــ   عَــك الحَيْــنُ من النَّقْــبِ [10]

---

(١) في الاصل : « في القائم العضب » ، وهي رواية حسنة أيضا .
والعضب : السيف القاطع . والإنظار : الريث والإمهال .
(٢) الهام : الرأس . والمطرورة القضب : السيوف المحدَّدة .
(٣) الذود : ثلاثة أبعرة إلى عشرة أو خمس عشرة أو عشرين أو ثلاثين أو ما بين الثنتين والتسع . والشرب ، بالكسر : الماء المشروب .
(٤) الأزل : الضيق والشدة . واللزب : الضيق ، وسنة لزبة : فيها قحط وشدة .
(٥) الأوضاح : جمع الوضح ، وهو الضوء وبياض الصبح ، وكذا الغرة والتحجيل في القوائم .
(٦) الذابل : الرمح ؛ يقال له ذلك لدقته .
(٧) اللقم : معظم الطريق أو وسطه ، واللجب : المختلط الأصوات .
وفي الأصل : « اللقب » مكان « اللقم » ، ولعلها محرفة عن « اللغب » .
(٨) في ه : « فقل للجائز ... بالشعب » .
(٩) في س ، ك : « كي تصدع في الهضب » .
(١٠) الحين : الهلاك . والنقب : الطريق في الجبل .

ضَلالاً لك من غاوٍ سَلِيبِ الرأي واللُّبِّ

أبَى العِزُّ لبَيتِ الصِّلِّ م أن يُطْرَق بالضَّبِّ [1]

وماذا آنسَ الكُرْدَ بمَن زَلْزلَ بالعُرْبِ

شِيمِ السَّيْف فقد قُوتِـ ـلَ أعداؤُك بالرُّعْبِ [2]

ومُذْ أشْخَصك المَغْرُو رُ ما قَرَّ على الجَنْبِ [3]

وقد ماطَلَه الخوفُ مِطال المَخْضِ للوَطْبِ [4]

بَغَى السِّلْمَ وقد أشْفَى على مَزْلَقةِ الخَطْبِ [5]

وكم سِلْمٍ وإن غَرَّ الْـ ـعِدَى أدْمَى من الحربِ

نقلتَ الطَّعْنَ في الجِلْدِ إلى طَعْنِك في القلبِ

تَقُوا من رَبْضَةِ اللَّيْثِ فقد يربِضُ للوَثْبِ [6]

وخافُوا نَومةَ الأسْيا فِ في الأغْمادِ والقُرْبِ [7]

ستُرْمَوْنَ بها يَقْظَى إذا قال لها هُبِّي [8]

قضَى اللهُ لِراياتِـ ـك بالإظْهارِ والغَلْبِ

---

(١) والحية تغتصب بيت الضب انظر الحيوان ٦/٤٥٩ .

(٢) شام السيف : أغمده ، واستله . ضد .

وفي هـ : « أعداؤك بالرهب » .

(٣) في س ، ك : « ومذ أسحطك » ، وفي م ، هـ : « ومذ أسخطك » . وفي س : « المغزور » مكان « المغرور » ، وفي ك : « المعزوز » .

وأشخصه : أزعجه .

(٤) بين هذا البيت والذي يليه تقديم وتأخير في : س ، ك .

والوطب : سقاء اللبن .

(٥) في هـ : « نفى السلم » .

(٦) تقوا : أي اتقوا . وربض الليث : برك .

وفي ك : « تقوا من وثبة الليث » .

(٧) القرب ، بضمتين : جمع قراب ، وسكن للشعر .

(٨) في هـ : « إذا قيل » .

وأصْفـاكَ بمُلْـكِ الأرْ ... ضِ مِن شرقٍ إلى غـربِ[1]
وأغْنَـى بـك مـن عُـدْمٍ ... وأسْقَـى بـك من جَـدْبِ
ووَلَّـى بـأعـاديـك ... مع الـزَّعـازِعِ النُّكْـبِ[2]
على آثـارِهـم حَـدْوُ الْـ ... ـقَنـا بالضُّمَّـرِ القُـبِّ[3]
رفعْـتَ اليـومَ من قَـدْري ... وأوْطـأْتَ العِـدَى عَقِبِـي
ووَطَّـأْت لي الرَّحْـلَ ... علـى عُـرْعُـرَةِ الصَّعْبِ[4]
وحَلَّيْـت لِيَ العـا ... طِـلَ بالطَّوْقِ وبالقُلْبِ[5]
ووسَّعْـتَ لِيَ الضِّيـقَ ... إلى المُضْطَـرَبِ الرَّحْـبِ
وزَاوَجْـتَ لِيَ الطَّـولَ ... زواجَ المـاءِ للعُشْـبِ[6]
فكـم مِن نِعْمـةٍ منـكَ ... كعَـرْفِ المَنْـدَلِ الرَّطْبِ[7]
أتتْنـي سَمْحَـةَ لقَـودِ ... ذَلـولاً سَهْلَـةَ الرَّكْـبِ[8]
مُهنَّـاةً كمـا سـاغَ ... زُلالُ البـاردِ العَـذْبِ
ولم أظْفَـرْ بهـا منـكَ ... جِـذابَ العِلْـقِ بالغَصْـبِ[9]
ومـا إنْعامُـك الغَمْـرُ ... بزَوَّارٍ عـلى الغِـبِّ[10]

---

(١) في هـ : « ومن غرب » .
(٢) الزعازع النكب : الرياح الشديدة التي انحرفت عن مهاب الرياح القُوَّم .
(٣) في الأصل : « حدّوا القنا » .
(٤) عرعرة الصعب : أعلاه ، والصعب : غير الذلول .
(٥) القلب : سوار للمرأة .
(٦) الطول : العطاء والفضل .
(٧) المندل : العود ، أو أجوده .
(٨) في ك : « سهلة الحطب » .
والركب ، بالضم : جمع الركاب ، ولم أرها بالكسر ، فلعلها من الركبة ، وهي هيئة الركوب .
(٩) في س ، م : « جذاب العلق بانعصب » ، وفي ك : « جذاب العلق بالقصب » .
(١٠) زارهم غبا : يوما بعد يوم .

سَقَانِي كَرَعَ الْجَمِّ بلا واسطةِ القَعْبِ[1]
وأرْضاني على الأيَّا مِ بعدَ اللَّومِ والعَتْبِ[2]
وأعْلى المدحِ ما يُثْني به المَوْلَى على الرَّبِّ[3]

* * *

(١) القعب : القدح الضخم الغليظ .

(٢) في س : « عن الأيام » .

(٣) في م : « به العبد » ، وفي هـ : « ما أثنى به العبد » .

(٥)*

وقال يمدح أيضاً، ويهنيه بمِهْرجانسنة أربعمائة: [مجزوء الرمل]

حَيِّيـا دون الكَثِيـبِ مَـرْتَـعَ الظَّبْيِ الرَّبِيـبِ
واسْـألاني عـن قريـبٍ في الهـوى غيرِ قريبِ(١)
واردٍ مـاءَ عيـونٍ مُصْطَـلٍ نارَ قلـوبِ(٢)
وَقْفـةً بالرَّبْـعِ أَقْـوَى بيْنَ أَعْقَـادِ الكثيـبِ(٣)
وعَفَـا اليومَ على كَـرَّيْ قُطـارٍ وجَنـوبِ(٤)
بسَـوافي التُّـربِ البـارحِ والتُّـرْبِ الغَريبِ(٥)
والـذي بالرَّبْـعِ من بُعْـدِهمُ بعضُ الـذي بي
واحْبِسـا الرَّكْـبَ على حاجـةِ ذا القلبِ الطروبِ(٦)
مُسْتَهـامٌ دَلَّـهُ الشَّـوْقُ على دارِ الحبيـبِ

(*) القصيدة في: الأصل، س، ك، م، هـ.

(١) في س: «واسألالي».

(٢) في الأصل، و هـ: «وارداً».

(٣) في ك: «وقفة في الربع».

(٤) القطار: السحاب الكثير القطر. والجنوب: الريح التي تهب من الجنوب.

(٥) السوافي: جمع سافية، وهي الريح تذرو التراب وتحمله. وريح تربة: تحمل التراب. والبارح: الريح الحارة. يصف ريحا حارة محملة بالتراب.

(٦) في س، م، ك، هـ: «ذي القلب».

موقفٌ ميَّز للرَّكْب بريئاً من مُريبِ
يا غزالَ الرملِ قلبي لك مُنْقادُ الجَنِيبِ [1]
هل سبيلٌ لي إلى را حةِ قلبٍ من وَجيبِ
نَظْرةٌ يملِكها الطَّرْ فُ على عينِ الرقيبِ
ما لقائي من عدوٍّ كلقائي من مَشِيبي [2]
مُوقدٌ ناراً أضاءَتْ فوق فَوْدَيَّ عيوبي [3]
وبياضٌ هو عند الـ بيضِ من شَرِّ ذُنوبي [4]
يا قِوامَ الدِّين والقا ئمَ من دون الخُطوبِ
والذي يدعو النَّدَى منـ ـه بداعٍ مُستجيبِ [5]
ومُغَطِّي الذَّنْبِ بالعَفْـ ـو وكَشَّافِ الكروبِ [6]
بيديْه رَكْدَةُ السِّلْـ ـمِ وزَلْزالُ الحروبِ
قُرِعتْ من عُودِه الأعْـ ـداءُ بالنَّبْعِ الصَّلِيبِ [7]

---

(١) الجنيب : الطائع المنقاد ، وهو أيضا الفرس المجنوب ، شبه قلبه به في انقياده .

(٢) في الأصل ، ه : « كلقائي من حبيب » .

(٣) في ه : « موقدا نارا .. فودي غبوب » .

قال المرتضى في الشهاب : « يمكن أن يكون معنى قوله رضي الله عنه :

.... أضاءت فوق فودي عيوبي

أنها كانت مستورة بالشباب ، معرض عن ذكرها والتقريع بها لوسيلة الشباب وفضيلته ، فلما مضى ظهر منها ما كان مستورا خافيا . ويمكن غير هذا الوجه ، وهو أنه لم يرد أن عيبا له كان كامنا مستورا فظهر ، بل يريد أنه بالمشيب تمحلت له عيوب ، وتكذبت عليه ، وأشيعت عنه ، وأن ضوء المشيب هو الذي كان السبب فيها . ويمكن وجه ثالث . وهو أن يريد بالعيوب نفس الشيب لا شيئا سواه ، وأنه لما أضاء برأسه وعيب به ، كان مظهره وناشره في رأسه كأنه مظهر لعيوبه ومعلن لها » .

(٤) في الأصل : « من شر ذنوب » ، وفي ه : « من شر الذنوب » .

(٥) في م : « بداع مستجيب » .

(٦) في ك : « وكشاف الغيوب » .

(٧) النبع : شجر تتخذ منه السهام والقسي .

بمَهيـــبِ البِشْـرِ في المَحْــفَـــلِ مَرْجُـــوٍّ القُطُـــوبِ
قائـــدُ الخيـــلِ تَساقَـــى بـــدم الطَّعْـــنِ الصَّبيبِ[1]
كلّ أَحْوَى عاقِصٍ بالدَّم أَطْـرافَ السَّبيـــبِ[2]
مِـن رِجـــالٍ أسْفروا بالطَّــوْلِ أيـــام الشُّحوبِ[3]
كثُـــروا مجـداً وطابُـــوا من نجيـــبٍ فنجيـــبِ[4]
وتـــرى الحـــيَّ سواهـــم مُكْثِـــراً غـــيرَ مُطيـــبِ
رُبَّ غَـــاوٍ طـرَقَ المجْــدَ طُـــروقَ المُسْتَرِيـــبِ
ساوَرَ الأمــــرَ ولم يعْـــلمْ بأسرارِ الغيـــوبِ[5]
ضَلَّـــةً يسلُـــك منهـــا لَقَمـــاً غـــيرَ رَكُـــوبِ[6]
أبـــداً يدْحـــو بـــه الغَيُّ م إلى الأمـــرِ المُـــريـــبِ[7]
سار والأُمَّـــاتُ يُعْـــدِدْ نَ لـــه شَقَّ الجُيوبِ[8]
تُسْلِـــفُ الـــدمـــعَ يقينـــاً بـــرَدَى اليوم العَصِيـــبِ[9]

---

(١) في س : « قائد الخيل تسامى » .

(٢) الأحوى : الأسمر ، وعقص بالدم أطراف السبيب : ضفر خصلة الشعر بالدم .

(٣) بين هذا البيت والذي بعده تقديم وتأخير في : ك .
أسفر وجهه بالطول : أشرق بالعطاء وقت الجدب والقحط .

(٤) في س ، ك ، م ، ه : « من نجيب ونجيب » .

(٥) في ه : « ثاور الأمر » .

(٦) في الأصل ، م ، ه : « ظلة يسلك منها » .
واللقم : معظم الطريق أو وسطه ، وهذا غير دقيق في المعنى المراد ، فلعله من : لقم الطريق ، إذا سد فمه ، وركوب تقال للطريق ، كما تقال للرجل الذي يركب . انظر الأضداد لابن الأنباري ٣٥٦ .

(٧) في الأصل ، ه : « يدحو به الأمر » .
ويدحو به الغي : يدفع به .

(٨) الأمات : جمع الأم .

(٩) تسلف الدمع : بمعنى تسبق به عيونهن .

شامَهــا وانْصَــاعَ مَحْلــو ل عُــرَى القلبِ النَّجيبِ[1]
مُرْهَــقَ الوَقْفَــةِ لا يغـ ـمِــزُ سَاقــاً من لُغوبِ[2]
طارحــاً مُنْخَــرِط السَّجْــ ـلِ إلى جُـولِ القَليبِ[3]
مَـزِقَ الجِلْـدِ يرى القلـ ـبِ من الجُـرْحِ الرَّغيبِ[4]
ناجيــاً مُنْقَلَــبَ الأبــ ـغَــثِ من باز طَلُوبِ[5]
يــومَ لا يثْبُــت وَجْهٌ من كُلــومٍ ونُــدوبِ
نَغَــرتْ قِــدْرُ المنايــا من أُوارٍ ولهيــبِ[6]
تقــذِفُ المــوتَ إذا حَـ ـشَّ لظَــاهــا بالكُعوبِ[7]
اخْسَئِــي يــا نُــوَبَ الأيَّـ ـامِ ما عشتُ وخيبِــي
وارْجِعِــي ناصِلــةَ الأَظْـ ـفار بيضــاء النُّيــوبِ[8]

---

(١) في س ،.ك : « سامها وانصاع » . وفيهما أيضا : « عرى القلب النحيب » ، ورواية الأصل ، ه على معنى الخفة والسرعة ، وهما في القلب علامة الجبن ، وقد صححه الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد في الشرح ٩٨/١ بـ« النخيب » ، بمعنى الفارغ الذي لا قوة فيه . وانصاع : رجع مسرعا .

(٢) في الأصل ، س : « لا يغمر ساقا » .
وغمز الساق : كناية عن السوق . واللغوب : التعب والإعياء .

(٣) في م : « طائحا منخرق السجل » ، وفي ك : « طارحا منخرط السجل » .
والسجل : الدلو العظيمة ، وجول القليب : جدار البئر ، أو كل ناحية منها من أسفلها إلى أعلاها .

(٤) الرغيب : الواسع .

(٥) في ك : « منفلت الأبغث » ، وهي رواية حسنة .
والأبغث : طائر من طير الماء .

(٦) في الأصل ، ه : « فغرت قدر المنايا » .
ونغرت القدر : غلت .

(٧) حش النار : أوقدها وحركها بالمحش .

(٨) سقط هذا البيت من : س .
ونصلت أظفاره : خرج ما عليها من خضاب ، وهو يعني ما على أظفارها من الدماء .

عَجَباً كيف تطاوَلْـ ـتِ إلى الليثِ المَهيبِ
وإلى طَوْدٍ من العِزِّ مِ ةِ مِزْلاقِ الجُنوبِ[1]
ظَهْرُ صَعْبٍ يَقِصُ الرا كبَ من قبل الركوبِ[2]
كم لبِسْتُ الطَّوْلَ منكم بَدَلَ البُرْدِ القَشِيبِ
نِعَمٌ كالمُزْنِ أَيْقَظْـ ـنَ ثرَى الرَّوْضِ الغريبِ[3]
نافحاتٌ بنسيمٍ ساقياتٌ بذَنوبِ[4]
كل يومٍ أنا منها بين دَاعٍ ومجيبِ
انْجُ من رَوْعاتِ أيا مٍ وغارات خُطوبِ[5]
باقياً ما اختلف النَّوْ رُ على الغُصْنِ الرَّطيبِ
هَزَّهُ الرِّيحُ سليماً من وُصومٍ وعيوبِ[6]
لا لَقِيك الخَطْبُ إلاَّ رامياً غيرَ مصيبِ[7]
كلَّما أفنيتَ عَقْباً جاء دهرٌ بعقيبِ[8]
مِهْرَجانٌ عاد إلْما مَ محبٌّ بحبيبِ
وافداً جاء من الإقْـ ـبالِ في زَوْرٍ غريبِ[9]
إنَّ رَيْبَ الدهرِ أمسَى لك مأمونَ المَغيبِ

---

(١) في ه : « مزلاق الجيوب » .
(٢) في الأصل : « يقظ الراكب » ، وفي ك : « نفض الراكب » .
ووقصت به الدابة : رمت به فدقت عنقه
(٣) في س ، م : « كالمزن أنقطن » ، وفي ه : « أيقضن » .
(٤) في الأصل : « عافيات بذنوب » .
والذنوب : الدلو لها ذنب .
(٥) في ه : « وغارات ذنوب » .
(٦) في الأصل ، م ، ه : « هزة الريح » ، وفي س : « هزة الرمح » .
(٧) في م ، ه : « لا لقاك الخطب » .
(٨) العقب : الشيءُ يجيءُ عقيب الشيءِ . والعقيب : المعاقب ، أي التالي .
(٩) في الأصل : « وافد جاء » .

هل لداءٍ بين جسمٍ وفؤادٍ من طبيبِ
هو في الأجسامِ منكم وهْو منا في القلوبِ
يا طلوعَ البدرِ لا نا لك محذورُ الغروبِ [1]

* * *

(١) في ك : « محذور المغيب » .

(٦)*

وقال يمدح الوزيرَ أبا نصر سابورَ بن أرْدَشِير ، وقد قدم مع شرف الدولة [إلى بغداذ] ، في سنة ست وسبعين وثلاثمائة [1] : [بسيط]

ما يصنع السَّيْرُ بالجُـــرْدِ السَّراحيبِ ... إن كان وعدُ الأماني غيرَ مكذوبِ [2]

لله أمرٌ من الأيــــامِ أطلبُـــــه ... هيهات أطلبُ أمراً غيرَ مطلــوبِ

لا تصحبِ الدهـرَ إلاَّ غيرَ مُنتظِرٍ ... فالهـمُّ يطرُده قَرْعُ الظَّنـــابيـبِ [3]

(*) القصيدة في : الأصل ، س ، ك ، م ، هـ .

(١) سقط من ك : « أبا نصر » ، « وقد قدم مع شرف الدولة » ، وما بين المعقوفين زيادة من : س ، م ، هـ .

وقد ذكر ابن الأثير في الكامل ١٩/٩ ، وابن الجوزي في المنتظم ١٣٢/٧ ، وابن كثير في البداية والنهاية ٣٠٥/١١ قدوم شرف الدولة إلى بغداد في هذه السنة ـ سنة ست وسبعين وثلاثمائة ـ حين تغلب على العراق ، وتملكه من صمصام الدولة .

هذا ، وقد وزر سابور بن أردشير لشرف الدولة ، ثم وزر بعده لبهاء الدولة ثلاث مرات ، وكان عفيفاً عن الأموال ، كثير الخير ، ابتاع داراً ببغداد وحمل إليها كتب العلم من كل فن ، وسماها « دار العلم » ، وكانت وفاته سنة ست عشرة وأربعمائة وقد قارب السبعين . البداية والنهاية ١٢/ ، الكامل ١٤٥/٩ ، المنتظم ٢٢/٨ .

وللرضي فيه مدحة أخرى تأتي برقم ٢٧ .

(٢) الجرد : القصار الشعر من الخيل ، والسراحيب : الطوال .

وفي هـ : « في الجرد » .

(٣) يقال : قرع للأمر ظنبوبه ، إذا جد فيه ولم يفتر . مجمع الأمثال ٢٧/٢ . وفي القاموس : وقرع ظنابيب الأمر : ذلله .

والظنبوب : حرف الساق من قُدُم أو عظمه أو حرف عظمه .

واقـذِف بنفسِك في شَعْواء خابطةٍ ... كالسيلِ يعصِف بالصُّوَّارِ واللُّوبِ[(١)]

إن حنَّتِ النِّيبُ شوقاً وهْي واقفةٌ ... فإنَّ عزمي مشتاقٌ إلى النِّيبِ

أو صارت البِيضُ في الأغْمادِ آجنةً ... فإنما الضربُ ماءٌ غيرُ مشروبِ

متى أراني ودِرْعِي غيرُ مُحقَبةٍ ... أجُرُّ رمحي وسيفي غيرُ مَقْروبِ[(٢)]

أيْدٍ تُجاذِبُ دنيا لا بَقاءَ لها ... خِباؤُها بين تَقْوِيضٍ وتَطْنِيبِ

قد كنت غِرًّا وكان الدهر يسمحُ لي ... إنَّ الرقيبَ على دنيايَ تَجْرِبِي

وَعَدْتَ يا دهرُ شيئاً بتُّ أرقُبه ... وما أرى منك إلاَّ وعدَ عُرْقُوبِ[(٣)]

وحاجةٌ أتقاضاها وتمْطُلني ... كأنها حاجةٌ في نفسِ يعقوبِ

لأَبْعَثَنَّ على البَيْداءِ راحلةً ... والليلُ بالريح خَفَّاقُ الجَلابيبِ

ما كنتُ أرْغبُ عن هَوجاءَ تقذِف بي ... هامَ المَرَوْرَى وأَعْناق الشَّناخيبِ[(٤)]

في فِتْيَةٍ هجروا الأوطان واصْطَنعوا ... أيْدِي المَطايا بإدْلاجٍ وتأْويبِ[(٥)]

من كلِّ أشْعثَ مُلْتاثِ اللِّثامِ له ... لَحْظٌ تُكرِّره أجفانُ مَدْؤوبِ[(٦)]

يُوَسِّد الرَّحْلَ خَدًّا ما تَوسَّده ... قبلَ المطالبِ غيرُ الحسْنِ والطيِّبِ

إليك طارت بنا نُجْبٌ مُدَفَّعةٌ ... تحت السِّياطِ رَمِيضاتُ العَرَاقيبِ[(٧)]

---

(١) شعواء خابطة : يعني غارة متفرقة ممتدة لا يعرف المقاتل أين يقع فيها .
وفي الأصل ، م ، هـ : « بالصوان واللوب » . والصوار : قطيع البقر ، واللوب : الإبل العطاش ، البعيدة عن الماء .

(٢) حقب الدرع : حبسها ، مقروب : موضوع في قرابه .

(٣) كان عرقوب رجلا من العماليق ، عرف بخلف الوعد وضرب به المثل في ذلك . انظر خبره في المعارف لابن قتيبة ٦١٢ .

(٤) في ك : « هام المروزى » .
والمرورى : جمع المروراة ، وهي الأرض التي لا شئ فيها ، والشناخيب : أعالي الجبل .

(٥) الإدلاج : سير أول الليل أو آخره ، والتأويب : سير جميع النهار .
وفي هـ : « بإدلاج وتأبيب » .

(٦) ملتاث اللثام : ملتفه . ومدؤوب : معتاد على هذا الأمر .

(٧) رمض عرقوبه : أحرقته الرمضاء .

وَرَدْنَ منك سحاباً غيرَ مُنْتَقِلٍ عن البلادِ وبَدْراً غيرَ محجوبِ
ما زلتَ ترغب في مجدٍ تُشيِّده عَفْواً وغيرُك في كَدٍّ وتعذيبِ
حتى بلغتَ من العلياءِ منزلةً تُفْدَى الأعاجمُ فيها بالأعاريبِ [1]
إنِّي رأيتُك ممن لا يُخادِعُه حَثُّ الزُّجاجةِ بالغِيدِ الرَّعابيبِ [2]
ولا تحُلُّ يَدُ الأقْداحِ حَبْوَتَهُ إذ احْتَبَى بين مطعونٍ ومضروبِ [3]
يُهاب سيفُك مصقولاً ومُخْتَضِباً وأهْيَبُ الشَّعر شيبٌ غيرُ مخضوب
يأْوي حُسامُك اِنْ صاحَ الضِّرابُ به إلى لواءٍ من العلياء مَنْصوبِ [4]
ويرْتَمِي بك والأرْماحُ وَالِغةٌ طماحُ كلِّ أسِيلِ الخَدِّ يَعْبُوبِ [5]
لم يسْلُ هَمَّك من مالٍ تُفرِّقُه إلاَّ تعشُّق أطْرافِ الأنابيبِ
إذا مَنحْتَ العَوالِي كفَّ مُسْتَلَبٍ أقْطعتَ بَذْلَ العَطايا كفَّ مَسْلوبِ [6]
لا يركبُ النَّدْبُ إلاَّ كلَّ مُعْضِلة كأَنَّ ظهرَ الهُوَيْنا غيرُ مركوبِ [7]
ولا يرى الغَدْرَ أهلاً أن يُلِمَّ به وإنما الغَدْرُ مأخوذٌ من الذِّيبِ [8]
ما نال مَدْحِي أبو نصرٍ بنائِلِه ولا بسلطانِ تَرْغيبٍ وتَرْهيبِ [9]
إلاَّ بشِيمةِ بَسّامٍ وتَكْرِمةٍ غَرَّاءَ تعْدِل عندي كلَّ مَوهوبِ [10]
أنتَ المعينُ على أمرٍ نُصاوِلُه وحاجةٍ شافَهَتْنَا بالأعاجِيبِ

---

(١) في ك : « تقذى الأعاجم » ، وفي هـ : « نقد الأعاجم » .
(٢) الرعبوبة من الجواري : الناعمة ، أو البيضاء الحسنة الرطبة .
(٣) في هـ : « إلا احتبى » .
(٤) في س : « من العلياء مضروب » .
(٥) طماح الفرس : جماحه ، وأسيل الخد : طويله ، واليعبوب : الفرس السريع الطويل ، أو الجواد السهل في عدوه أو البعيد القدر في الجري .
(٦) في هـ : « أقطعن بذل العطايا » .
(٧) الندب : الخفيف السريع في قضاء الحوائج .
(٨) في هـ : « ولا يرى الغدر إلا أن يلم به » ، وفي س ، م ، ك : « عن الذيب » .
(٩) في س ، م : « بنائلة » ، وفي ك : « ترهيب وترغيب » .
(١٠) في هـ : « تعدل عنه كل مرهوب » .

ومثلُ سمعِك يدْعوه إلى كَرَمٍ قولٌ تُشيِّعُه أنْفاسُ مكروبِ
سَبَى فِناؤُك آمالاً لنطلبُها سَبْيَ الأزمَّةِ أعْناقَ الأصاعِيبِ[1]
يا خيرَ من قال بَلِّغْ خيرَ مستمعٍ عني وحَسْبُك من وصفٍ وتَلْقِيبِ
لولاك يا ملِك الأملاك سال بنا من النَّوائِب عَرَّاصُ الشَّآبيبِ[2]
زَجَرْتَ عنَّا الليالي وهْي رابِضةٌ تَقْرُو بأنْيابِها عقْر المَخالِيبِ[3]
أرْعَيْتنا الكلأَ المَطْورَ تُنْشِطُه نَشْطَ الخَمائِلِ بعد المَرْبَعِ المُوبِي[4]
فكنتَ كالغَيْثِ مَسَّ المَحْلَ رَيِّقُهُ فهذَّب الأرضَ منه أيَّ تَهْذيبِ[5]
هذا أبِي قائلاً والصدقُ ينصُره أقالَ عُنْقِي وكان السيفُ يُغْرِي بِي[6]
صَدَّقْتَ ظَنَّ العُلَا فيه وحاسدُه يُعْطِي الحقائق أطْرَافَ الأكاذيبِ
تركْته زاهداً في العَيْشِ مُنْقَطِعاً عن القَرَائِنِ منَّا والأَصاحِيبِ
وكان بالحرب يَلْقَى مَن يُنافِرُه فصار يَلْقَى الأَعادِي بالمَحاريبِ
ما قلتُ ما كان صَرْفُ الدهرِ أَدَّبَه بلى قديماً وهذا فضلُ تأْديبِ
الحمد لله لا أشْكُو إلى أحَدٍ قَلَّ الوفاءُ من الشُّبَّانِ والشِّيبِ[7]
هُنِّيت مجدَك يسْتوفي الزمانُ به عَزْماً حُساماً ورَأْياً غيرَ مغلوبِ[8]

(١) في س ، ك : « آمالا لطيتها » ، وفي م ، هـ : « آمالاً لطينتها » ، وفي س ، م ، ك : « أعناق المصاعيب » .

(٢) في م ، ك : « عراص الشآبيب » .
والعراص : السحاب ذو الرعدة والبرق ، والشؤبوب : الدفعة من المطر .

(٣) القرو : القصد والتتبع .

(٤) في م : « ننشطه » ، وفي هـ : « نشط الحمائل ... الموب » .
والموبي : المهلك .

(٥) في هـ : « مس المحل ريقته » .
والريق : أول المطر .

(٦) في هـ : « هذا أبي قائل .. وكان الصبر يغري بي » . وفي الأصل ، س ، ك : « هذا أتى قائلا » ، ولعل الصواب ما أثبته ، على أن « قائلا » حال .

(٧) في ك : « ما أشكو » .

(٨) في ك : « تستوفي الزمان » ، وفي م : « هيأت مجدك تستوفي » .

ولا صبَرتَ على ذلٍّ ومَنْقَصـــةٍ   ولا حَذِرْتَ على عَذْلٍ وتأْنيـــبِ
خَطبْت شِعْري إلى قلبٍ يَضِنُّ به   إلاَّ عليك فباشِرْ خيرَ مَخْطُـوبِ [1]
شَبَّبْـتُ بالعِزِّ إذْ كان المديحُ لـــه   فما أَصُولُ بمدحي دون تشْبيبِ [2]
لا عُلِّقَ الموتُ نفساً أنتَ صاحبُها   إنَّ الحِمامَ محبٌّ غيرُ محبوبِ [3]

* * *

(١) في هـ : « غير مخطوب » .

(٢) في س ، ك ، م : « دون تشبيبي » .

(٣) في ك : « لاغلق الموت » .

(٧)*

وقال يمدح الوزير أبا منصور بن صالح ويذكر هزيمة بَادٍ الكُرْدِيّ الخارجِ بالجزيرة [والموصل][1] : [طويل]

أشَوْقاً وما زالتْ لهنَّ قِبابُ ... وذِكْرَ تَصابٍ والمشيبُ نِقابُ

وغيرُ التَّصابي للكبيرِ تَعِلَّةٌ ... وغيرُ الغواني للْبياضِ صِحابُ

وما كلُّ أيامِ المشيبِ مَرِيرةٌ ... ولا كلُّ أيامِ الشبابِ عِذابُ

---

* القصيدة في الأصل ، س ، ك ، م ، هـ.

(١) ما بين المعقوفين ساقط من : الأصل ، ك .

وهكذا جاء في النسخ « أبو منصور بن صالح » ، وقد ذكره ابن الاثير باسم : أبو منصور محمد بن الحسن بن صالحان ، وقد وزر لبهاء الدولة ولشرف الدولة ، وتوفي سنة ست عشرة وأربعمائة ، وعمره ست وسبعون سنة .

الكامل ٢١/٩ ، ٣٢ ، ٤١ ، ١٤٥ .

أما باد الكردي ـ أوباذ بالذال المعجمة ـ فهو أبو عبد الله الحسين بن دوستك ، وهو من الأكراد الحميدية ، وكان ابتداء أمره أنه كان يغزو بثغور ديار بكر كثيرا ، وكان عظيم الخلق ، له بأس وشدة ، فلما ملك عضد الدولة هرب منه ، وملك ديار بكر وميافارقين ، ووصل بعض أصحابه إلى نصيبين ، واستولى على الموصل ، وقد ظل في صراع مع الدولة البويهية حتى قتل سنة ثمانين وثلاثمائة .

الكامل ١٤/٩ ، ١٦ ، ٢٢ ، ٢٩ . هذا ويذكر ابن الأثير في الكامل ١٥/٩ أن بعض أصدقائه من الأكراد الحميدية ممن يعتني بأخبار باذ ، ذكر أن اسمه باذ وأن كنيته أبو شجاع ، وأن أبا عبد الله الحسين بن دوستك أخو باذ .

أؤمّلُ ما لا يبلُغ العُمْرُ بعضَهُ كأن الذي بعد المَشِيبِ شبابُ[1]
وطُعْمٌ لبَازِي الشيبِ لا بُدَّ مُهْجَتِي أسَفَّ على رَأْسِي وطار غُرابُ[2]
لِداتُك إمَّا شِبْتَ واتَّبعُوا الرَّدَى جميعاً وإمَّا أن رَدِيتَ وشابُوا[3]
بكاءٌ على الدنيا وليس غَضارةٌ وماضٍ من الدنيا وليس مَآبُ
إذا شئتُ قَلَّبتُ الزمانَ وصافَحتْ لِحاظِي أُموراً كلُّهنَّ عِجابُ
ضَلالاً لقلبي ما يَجُنُّ من الهوى ومن عَجَبِ الأيامِ كيف يُصابُ
يُعذَّل أحياناً ويُعْذَر مثلَها ويُسْتَحْسَن البادِي به ويُعابُ
وإنَّ أَفَظَّ المالكِين خريدةٌ وإن أضَنَّ الباذِلين كَعابُ
ولَمَّا أبَى الأظْعانُ إلاَّ فِراقَنا ولِلْبَيْنِ وعدٌ ليس فيه كِذابُ
رجعتُ ودمعي جازعٌ من تجلُّدِي يرُومُ نُزولاً للجوى فيَهابُ[4]
وأثْقَلُ محمولٍ على العين دمعُها إذا بان أحبابٌ وعَزَّ إيابُ[5]
فمن كان هذا الوجدُ يعمُر قلبَه فقلبِيَ من داءِ الغرام خَرابُ
ومن لِعبتْ بيضُ الثُّغورِ بعقلِه فعندي أحَرُّ البارِدَيْن رُضابُ
يَعِفُّ عن الفَحْشَاءِ ذَيْلِي كأنَّما عليه نِطاقٌ دونها وحِجَابُ[6]
إذا لم أنَلْ من بلدةٍ ما أُريدُه فما سَرَّنِي أنَّ البلادَ رِحابُ
وهل نافعي أن يكثُر الماءُ في الدنا ولمَّا يُجِرْنِي إن ظمئتُ شرابُ
ولي ساعةٌ في كل أرضٍ كأنما على الجَوِّ منها والعيونِ ضَبابُ
بعيدةُ أُولَى النَّقْعِ من أُخْرَياتِه وللطَّعْنِ فيها جِيئةٌ وذهابُ

---

(١) في مواسم الأدب: «أأمنع ما لا يبلغ العمر بعضه».
(٢) أسف الطائر: دنا من الأرض، وهو يعني بالغراب سواد الشعر.
(٣) ردي: هلك.
ولأخيه المرتضى على القسمة الواردة في هذا البيت بعض الطعن. انظر الشهاب.
(٤) في تشنيف السمع: «للجوى ويهاب».
(٥) في محاضرة الأبرار: «على العين ماؤها».
(٦) في الأصل، ك: «دونها وحقاب».

وما بين خَيْلي والمطـــالِب حائلٌ ... ولا دون عَزْمي للظــلام حجابُ [1]

جيادٌ إلى غَـزْوِ القبائل تُمْتطَـى ... وأرضٌ إلى نَيْلِ العَـلاء تُجـابُ

وأَبْلَجَ وَطَّـاءٍ على خد لَيْلَـــه ... كما فارَق النَّصْـلَ المضيءَ قِـرابُ

يَعـافُ طعامـــا ما جَناهُ حُسامُــهُ ... وخيرٌ من الطُّعْـمِ الذليلِ ترابُ

وكيف يخاف الذُّلَّ من كان دارُه ... ظـلامُ الليــالي والرمــاحُ جَنابُ

وما يبلُـغ الأعداءُ مني بفَتْكــةٍ ... ودوني فِنَاءٌ للأمير وبـــابُ [2]

تَساقَطُ أطْـرافُ الأسِنَّةِ دونــه ... وتنْبُـــو ولو أنَّ النجومَ حِـرابُ

لبســتُ به ثـوباً من العـزِّ يُتَّقَى ... طِعـانٌ من البَلْـوَى به وضِـرابُ

دعــوتُ فلبَّاني ولو كنت داعيـاً ... سِواه مضى قولٌ وعَـيٌّ جـوابُ

وإن العَطايـــا من يَمينِ محمــدٍ ... لَأَمْطَـرُ من قَطْرٍ مَراهُ سحـابُ [3]

لِحاظٌ كما شَقَّ العَجاجَ مُهنَّـــدٌ ... ووَجْـهٌ كما جَلَّى الظلامَ شِهـابُ

بلا شافعٍ يُعْطِي الذي أنتَ طالبٌ ... وبعضُ مواعِيـدِ الرجالِ سَـــرابُ

فَتًى تقْلَق الأعـداءُ منه كـأنــه ... لَظَى ناجرٍ والخالعون ضِبـــابُ [4]

إذا شاء نابَ القـولُ عن فَعَلاتِــه ... وقام مَقَامَ العَضْـبِ منه كتـــابُ

يعظِّم أحيـــانـاً وليس تجبُّـــرٌ ... وينظرُ غَضْبانـاً وليس سِبــــابُ

بَغِيضٌ إلى قلبي سواه وإن غَــدَتْ ... له نِعَمٌ تَتْرَى إليَّ رِغــــابُ [5]

وعِــبْءٌ على عيـنيَّ رؤيــةُ غيره ... ولو كان لي فيه مُنًى وطِـــلابُ

---

(1) في س ، م ، ه : « والمطالب حاجز » .

(2) في ك ، ه : « مني فتكة » ، وفي ه : « للوزير وباب » .

(3) مراه السحاب : استدره .

(4) ذكر الفراء في الأيام والليالي والشهور ١٧ أن من العرب من يسمي صفر ناجرا ، وذكر ابن منظور في اللسان (ن ج ر) ٥/١٩٤ أن كل شهر في صميم الحر اسمه ناجر ؛ لأن الإبل تنجر فيه ، أي يشتد عطشها حتى تيبس جلودها .
والخالعون : من يخلعون الطاعة ، وشبههم بالضباب لأن الحر يؤذيهم ، ومنه قولهم في وصف شدة الحر : حر يذيب دماغ الضب .

(5) في ه : « يفيض إلى قلبي .. تترى على رغاب » .

فِداؤُك قومٌ أنتَ عالٍ عليهمُ شِدادٌ على بَذْلِ النَّوالِ صعابُ[1]

فلا جودَ إلاَّ أن تَملَّ مَطامِعٌ ولا عَفْوَ إلاَّ أن يطولَ عِقابُ

إذا بادَرُوا مجداً بَرزْتَ وبَلَّدُوا وإن طالَعوا عِزّاً شَهِدْتَ وغابُوا[2]

وقاؤُك من ذَمِّ الرَّدَى خلْفُ نائلٍ يَدِرُّ ولم تُرْبَطْ عليه عِصابُ[3]

وما كلُّ من يَعْلُو كقَدْرِك قَدْرُه ولا كلُّ سامٍ في السماءِ عُقَابُ

وما الملِكُ المنصُورُ إلا ضُبارِمٌ له منك ظُفْرٌ في الزمانِ ونابُ[4]

بعَزْمِك يمضي عزمُه في عدوِّه مَضاءَ طَريرٍ أيَّدَتْه كِعابُ[5]

تَلافَيْتَ أسْرَابَ الرَّعيَّةِ بعدَما توقَّدَ أضعانٌ لها وضِبابُ[6]

ولَمَّا طغى بادٌ وأضْرَمَ نارَه على الغدرِ إنَّ الغادرينَ ذئابْ

بعثْتَ له حَتْفاً بغيرِ طَلِيعةٍ تَخُبُّ به قُبُّ البُطونِ عِرابُ[7]

نَزائعُ يَعْجُمْنَ الشَّكِيمَ وقد جرى على كلِّ فيفاةٍ دَمٌ ولُعابُ[8]

خَواطِرُ بالأيْدِي لَواعبُ بالخُطَا وللطَّعْنِ في لَبَّاتِهِنَّ لِعابُ[9]

---

(١) بين هذا البيت والذي بعده تقديم وتأخير في : م .
وفي س : « على بذل الندى وصعاب » .

(٢) بلد عن الأمر : عجز عنه وكان ضعيف الهمة .

(٣) في س ، م ، ه : « من ذم العدى » .
والعصاب : ما يشد على فخذي الناقة لتدر أخلافها .

(٤) الضبارم : الأسد .

(٥) في ه : « ويمضي طريراً أيدته كعاب » .
والطرير : المحدد ، والكعب : العقدة من عقد الرمح .

(٦) في الأصل ، ك : « توقد أظعان » .
والضباب : جمع الضب ، وهو الحقد والغيظ .

(٧) الخبب : ضرب من السير ، وقب البطون : ضوامرها ، والعراب : التي لم تصبها هجنة .

(٨) في م ، ه : « على كل فيفاء » . والنزيعة من النجائب : التي تجلب إلى غير بلادها ومنتجها .
وعجم الشكيم : عض الحديدة التي تكون في فم الفرس ، والفيفاة : المفازة لا ماء فيها .

(٩) اللبة : المنحر ، واللعاب : الملاعبة .

فوَلَّى ووَلَّيْتَ الجيادَ طِلابَـــه وسالـتْ مُـروجٌ بالْقَنَا وشِعابُ [1]
ولا أرْضَ إلاَّ وهْيَ تَحثُـو ترابَها عليه وترْميـه رُبـاً وعِقَـابُ
تَغامَس في بحرِ الحديدِ وخلفَـه لماءِ المنايـا زَخْـرةٌ وعُبـابُ [2]
وقـد كان أبْدَى تَوْبـةً لو قبلْتها ولو نفعَ الجـاني عليك مَتـابُ
كأني برَكْـبٍ حابسٍ هو منهـمُ أقامـوا بأرضٍ والجذوعُ رِكابُ [3]
عَوَارِيَ إلاَّ من دم قَنَأتْ بـه مَعاصِمُ في أسْرِ الرَّدَى ورقـابُ [4]
يُعَـرِّدُ عنهـم كلُّ حَيٍّ كأنهـم جِمَالٌ مُطَلاَّتُ الجلودِ جِرابُ [5]
ولله عَـارٍ في بَنـانِـك مَتْنُـه يُشِيبُ ومن لَـوْنِ المِدادِ خِضابُ [6]
أمينٌ على سِرٍّ وليس حَفِيظـةً وماضٍ على قِرْنٍ وليس ذُبـابُ [7]
وما مَسَّـه مَجْـدٌ بَلَى إن راحـةً لهـا نَسَبٌ في الماجديـن قِـرابُ
وإنِّي لأرْجـو منك حالاً عظيمـةً وأمـراً أُرَجَّى عنده وأُهـابُ
لعل زمـاني ينْثِني لي بعَطْفـةٍ وتَرْضَـى مُلِمَّاتٌ عليَّ غِضـابُ [8]
وما أنا ممَّـن يجعلُ الشِّعْرَ سُلَّمـاً إلى الأمرِ إن أغْنَى غَناهُ خِطابُ [9]

(١) بين هذا البيت والذي بعده تقديم وتأخير في : م .
(٢) في س : « ترامس في بحر الحديد » ، وهي بمعنى « تغامس » أي انغمس .
(٣) يصف صلب باذ وأعوانه ، ويعني بالجذوع جذوع النخل .
وقد ذكر ابن الأثير في الكامل ٢٩/٩ أن بني حمدان صلبوا باذا على دار الإمارة بعد قتله ، فثار العامة وقالوا : رجل غاز ولا يحل فعل هذا به . وظهر منهم محبة كثيرة له . وأنزلوه وكفنوه وصلوا عليه ودفنوه .
(٤) في س ، ك ، م ، ه : « فتأت به » ، وصوب الشيخ محيي الدين في شرحه : « فثأت به » .
وقنأت : احمرت أو اشتدت حمرتها .
وفي م : « من أسر الردى » .
(٥) يعرد : يهرب ويفر ، ومطلات : مطلية بالقار . وفي ه : « كأنه جمال » .
(٦) في الأصل ، ه : « في ثيابك مسه » ، وفي ه : « ولله عاد » . وفي م : « يشب ومن لون » .
(٧) ذباب السيف : طرفه .
(٨) في ك : « لعل زمانا » ، وفي ه : « فعل زمانا » .
(٩) أغنى غناه : قام مقامه وسد مسده .

وليس مديحٌ ما قَدَرْتُ فإن يكنْ   مديحٌ على رَغْمِي فليس ثَــوابُ[1]
أَبَـى لي عليٌّ والنـبيُّ وفاطِـــمٌ   جُـدودِيَ أن يُلْــوَى بِعِرْضِيَ عَابُ
فلا تُغْضِ عن يوم العَـدُوِّ ولَيْلِـه   وثَمَّ طُلــوعٌ بالأذى وغِيـــابُ
فقد يحمـــل الباغـي على الموتِ نَفْسَه   إذا صَفِرتْ ممَّـا أراد وِطــابُ[2]
وخُــذْ ما صَفا من كلِّ دهرٍ فإنمــا   غَضارتُهُ غُنْــمٌ لنــا ونِهـــابُ
وعِشْ طالعاً في العــزِّ كــلَّ ثَنِيَّــةٍ   عليك خِيامٌ للعُــلَا وقِبَـــــابُ

* * *

---

(١) في ه: «إن قدرت... مديح على رغم...».

(٢) في ه : « فلا يحل الباغي » .
والوطاب : سقاء اللبن ، وصفرت : خلت ، ويقال : صفرت وطابه ، أي مات أو قتل ، وهو هنا يعني خيبة مسعاه وذهاب أمله .

(٨)*

وقال يمدح المُوفَّق أبا عليٍّ وزيرَ بهاء الدولة ويعاتبه وهو بفارس ، وكان قد عَقَدَ الْمصاهرة على بنت الوزير : [طويل]

أَمانِيُّ نفسٍ ما تُناخ رِكابُها وغَيْبةُ حَظٍّ لا يُرَجَّى إيابُهَا

ووَفْدُ همومٍ ما أقمتُ ببلدةٍ وهُنَّ معي إلاَّ وضاقتْ رِحابُهَا

(*) القصيدة في : الأصل ، س ، ك ، م ، هـ .

وجاءت المقدمة في س هكذا : « وقال يمدح الموفق أبا علي بن إسماعيل وزير بهاء الدولة ، ويعاتبه ، وقد كان بينهما عقد المصاهرة على بنت الوزير ، ثم انفسخ لأسباب تجددت ، وكتبها إليه وهو بفارس » .

وكان الموفق أبو علي بن إسماعيل نائبا لبهاء الدولة على بغداد سنة ست وثمانين وثلاثمائة ، فلما هاجم المقلد بن المسيب بغداد قاتله ، وبلغ الخبر بهاء الدولة فصالح المقلد ، وقبض على الموفق ، ثم عاد الموفق إلى طاعة بهاء الدولة سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة وهو بواسط ، ووزر له ودبر أمره ، وحارب أبا نصر وأبا القاسم بْنَيْ بختيار سنة تسع وثمانين وثلاثمائة ، فهرب أبو نصر إلى بلادِ الديلم ولحق أبو القاسم ببدر بن حسنويه ، ولكن الموفق استطاع التغلب على أبي نصر بن بختيار الذي كان قد استولى على بلاد فارس ، فهزمه وقتله سنة تسعين وثلاثمائة ، وعاد إلى بهاء الدولة فخرج بنفسه ولقيه وكرمه وعظمه ، ثم قبض عليه بعد أيام حين استعفى من الخدمة ، ولما لم يعفه بهاء الدولة ألح في طلبه ، فقبض عليه وأخذ أمواله ، وقتله سنة أربع وتسعين وثلاثمائة .

الكامل ٥٢/٩ ، ٥٩ ، ٦٣ ، ٦٧ ، ٦٨ .

وتاريخ هذه القصيدة هو سنة تسعين وثلاثمائة ، وهي السنة التي كان فيها الموفق بفارس لقتال أبي نصر بن بختيار .

وآمالُ دهـرٍ إن حَسِبْتُ نجـاحَها تراجع مَنْقوضـاً عليَّ حِسابُهَـا
أهُـمُّ وتُثْنَـى بالمقاديـر هِمَّـتي ولا ينْتَهِي دَابُ الليالي ودَابُهَـا
فيا مُهْجـةً يفْنَى غليلاً ذَمـاؤُهـا ويا لِمَّةً يمْضِي ضَياعاً شَبابُهـا [1]
وعندي إلى العلياء طُـرْقٌ كثـيرةٌ لو انْجابَ من هذِي الخطوب ضَبابُهَا
عِنادٌ من الأيـام عَكْسُ مَطالبي إذا كان يُوطِيني النجاحَ اقْترابُهَا
وحَظِّيَ منهـا صَابُها دون شُهْـدِها فلو كان عندي شُهْدُها ثم صَابُهَا
يَمِيلُ بأطْمَاعِ الرجالِ بُروقُهـا وتُوكَى على غِشٍّ الأنام عِيابُهَا [2]
ولكنها الدنيـا التي لا مَجيئُهـا على المرءِ مأمونٌ فيُخْشَى ذَهابُهَا
تَفُوهُ إلينـا بالخُطوبِ فِجاجُهـا وتجري إلينا بالرَّزايا شِعابُهَـا [3]
ألا أبْلِغا عنِّـي المُوفَّـق قَوْلَـةً وظنِّي أن الطَّـوْلَ منه جَـوابُهَا
أترضَى بأن أرْمِي إليك بهمَّتـي فأُحْجَبَ عن لُقْيَا عُلاً أنتَ بابُهَا
وأظْما إلى دَرِّ الأماني فتنْثَنِـي بأخْلافِها عنِّي ومنك مَصابُهَـا [4]
وليس من الإنْصافِ أن حَلَّقـتْ بكم قَـوادِمُ عِزٍّ طاح في الجَـوِّ قَابُهَا [5]
وأصبحتُ مَحْصوصَ الجناحِ مُهَضَّماً عليَّ غَوَاشِي ذلَّةٍ وثيابُهَـا [6]
تُعِدُّ الأعـادي لي مَرامِي قِذافِهـا وتنْبَحُني أنَّى مَرَرْتُ كلابُهَـا
مُقامِيَ في أَسْرِ الخُطوبِ تُهَـزُّ لي قَوَاضِبُها مَطْرُورةً وحِرابُهَـا [7]
لقد كنتُ أرجو أن تكونوا ذَرائعي إلى غيرِكمْ حيث العُلا واكْتسابُهَا [8]

---

(١) الذماء : بقية الروح ، وتستعمل للبقية من كل شيْ .
(٢) توكي : تشد بالوكاء ، والعيبة : ما يجعل فيه الثياب .
(٣) في ك : « وتجري علينا » .
(٤) في ه : « إلى دار الأماني » .
(٥) ألقاب : المقدار ، وطاح بمعنى علا وارتفع ، وقد شرحهما الشيخ محيي الدين بالفرخ ، وإنما الفرخ القوب ــ بالضم ــ كالقائبة والقابة .
(٦) محصوص الجناح : مقصوص ريشه .
(٧) مطرورة : محددة السنان .
(٨) في ه : « أن تكون درائعي » .

فهذي المعالي الآنَ طَوْعِي لأمرِكم وفي يدِكم أرْسانُها ورقابُهـــا [(١)]
إذا لم أُرِدْ في عِزِّكــم طلبت العُلا في عِــزٍّ من يُجْدِي عليَّ طِلابُهَا
ولولاكمُ ما كنتُ إلَّا بباحـــةٍ من العـــزِّ مَضْروباً عليَّ قِبابُهَـــا
أَجُوبُ بــلادَ الله أو أَبْلُـغَ الــتي يسوءُ الأعادي أن يَعُبَّ عُبابُهَـــا
وكان مُقامِي إن أقمـــتُ ببلـــدةٍ مُقامَ الضَّوَارِي الغُلْـــبِ يُحْذَرُ غَابُهَا [(٢)]
وإني لَتَــرَّاكُ المَطالبِ إن نـــأى بهـــا قَدَرٌ أو لُـطَّ دوني حِجابُهَا [(٣)]
وأعْزِلُ من دون التي لا أنالُهـــا نَــوَازِعَ نفسي أو تذِلَّ صِعابُهَـــا
وأقْــرَبُ ما بيني وبينك حُرْمـــةٌ تَداني نُفوسٍ وُدُّها وحُبابُهَـــا [(٤)]
وما بعد ذا مــن آصِراتٍ إذا انْتهتْ يكوْن إلى آلِ النـــبيِّ انْتسابُهَـــا [(٥)]
شواجــرُ أرْحامٍ إذا ما وَصَلْتُهـــا فعند أميرِ المؤمنين ثَـــوابُهَـــا [(٦)]
وهــل تُطْلَبُ العَلْياء إلاَّ لأن يُــرَى وَلِيٌّ يُرجِّيها وضِدٌّ يَهابُهَـــــا
فَجرِّدْ لأمْرِي عَزْمــةً منك صَدْقــةً كمَطْــرورةِ الغَرْبَيْن يمضي ذُبابُهَا [(٧)]
ولا تَتْرُكَنِّـــي قاعـــداً أرقُب المنى وأرْعَى بُروقـــاً لا يجود سَحابُهَا
بكَفَّيْـــك عَقْدُ المَكْـــرُمات وحَلُّهـــا وعندك إشراقُ العُـــلا وغِيابُهَا [(٨)]
وغيرُك يَقْرِي النَّـــازلين ببابِـــه عِداتٍ كأرضِ القَاعِ يجري سَرابُهَا

---

(١) الرسن : الحبل يجعل في رأس الدابة .

(٢) في س ، هـ : « إن أقمت بمنزل » .
والغلب : جمع الأغلب ، وهو الغليظ العنق .

(٣) لط الستر : أرخاه .

(٤) الحباب ، بالكسر والضم : الحب والود .

(٥) بين هذا البيت والذي بعده تقديم وتأخير في : م . وفي هـ : « وما بعد ذا من آمرات »،.
والآصرة : ما عطفك على المرء من رحم أو قرابة أو غيرهما .

(٦) شواجر أرحام ، أي أرحام مشتجرة اجتمعت في أصلها ثم تفرعت .

(٧) في هـ : « صدقها كمطرورة العرنين ...».

(٨) بين هذا البيت والذي يليه تقديم وتأخير في : م .

وعنـــدي لك الغُـــرُّ التي لا نِظامُها يَهِي أبداً أو لا يبُوخُ شِهَابُهَـا [1]
وعنديَ للأعْداءِ فيـك أَوابـــــدٌ لُعابُ الأفاعِـي القَاتلاتِ لُعَابُهَـا

* * *

(١) باخ الجمر والشهاب والحر : سكن وفتر وخمد .
والبيت مضطرب في هـ ، ورد هكذا :
وعندي لك العز الذي لا يظامها زمان العدى أو لا يبوح شهابها

(٩) *

وقال يذكر المودّةَ التي كانت بينه وبين الوزير أبي عليٍّ الحسن بن حمد ابن أبي الرَّيَّان ، واصْطحابهما في طريق مكة ، ويصف ما لَقِياه في ذهابهما وعَودِهما ، وعدولهما إلى البحر ، وقال هذه القصيدة وهو بطريق نَجْد ، ولما يُعْرِقْ بعدُ ، وكان دليلُهم يُسَمَّى كعباً ، من بني عامر ، وذلك في صفر ، من سنة أربع وتسعين وثلاثمائة[1] :

[طويل]

تُرَى نُوَبُ الأيامِ تُرْجَى صِعابُها ... وتُسْأَلُ عن ذي لِمَّةٍ ما أشابَهَا [2]

وهل سَبَبٌ للشيبِ من بعد هذه ... فَدَأْبَك يا لَوْنَ الشبابِ ودَابَهَا [3]

(*) القصيدة في : الأصل ، س ، ك ، م ، ه .

(١) جاء في س مكان « ابن أبي الريان » : « ابن أبي الرمان » ، وفي م : « ابن أبي الزمان » وسقط من س قوله : « واصطحابهما » ، وجاء في ك : « وعدلهما » مكان « وعدولهما » . وجاء في س : « وهو بطرف نجد » مكان : « وهو بطريق نجد » ، وزادت س ، م بعد هذه المقدمة : « وألحقنا هذه المقدمة بالمديح ، وإن لم تكن فيه بالصريح ؛ لحسنها وفصاحتها وكونها في ذكر وزير ، وفيها أبيات تمتزج بالمدح » . وفي ه : « وقال هذه القصيدة بنواجر نجد ، وألحقت بالمدح لحسنها وفصاحتها » .

هذا ولم أعثر على ترجمة للوزير أبي علي الحسن بن حمد بن أبي الريان ، في المراجع التي بين يدي ، وللرضي فيه قصيدة أخرى تأتي برقم ٧١ ، وانظر القصيدتين ٢٢٧ ، ٢٨٢ .

(٢) في ك : « ترخي صعابها » .

(٣) في الشهاب : « وهل سبب للمرء » .

شربنا من الأيام كأساً مَريرةً ... تُدارُ بأيْدٍ لا نَرُدُّ شَرابَهَا [1]
نُعاتِبُهَا والذنبُ منها سَجيَّةٌ ... ومَن عاتب الخَرْقاءَ مَلَّ عِتَابَهَا
وقالوا سهامُ الدهرِ خاطٍ وصائبٌ ... فكيف لَقِينا يا لَقَوْمٍ صِيابَهَا
أبتْ لِقْحَةُ الدنيا دُروراً لعاصبٍ ... ويحْلِبُها من لا يُعاني عِصابَهَا [2]
وقد يُلْقِحُ النَّعْمَاءَ قومٌ أعِزَّةٌ ... ويَنْتِجُ قومٌ عاجزون شِعَابَهَا [3]
وكنتُ إذا ضاقتْ مَنادِيحُ خُطَّةٍ ... دعوتُ ابن حَمْدٍ دعوةً فأجابَهَا [4]
أخٌ لِيَ إن أعْيَتْ عليَّ مَطالِبي ... رمى لِيَ أغراضَ المنى فأصابَهَا
إذا اسْتَبْهمتْ عَمْياءُ لا يُهْتَدَى لها ... قَرَعْتُ به دون الأخِلاَّءِ بابَهَا [5]
به خَفَّ عني ثِقْلُ فادحةِ النَّوَى ... وحَبَّب عندي نَأْيَها واغْترابَهَا
ثمانون من ليلِ التَّمامِ نَجُوبُها ... رَفِيقَيْن تكْسونا الدَّياجي ثِيابَهَا
نَؤُمُّ بكَعْبِ العامِريِّ نُجومَهَا ... إذا ما نَظَرْناها انْتَظَرْنا غِيابَها
نُقَوِّم أيْدِي اليَعْمَلاتِ وراءَه ... ونَعْدِل منها أين أَوْمَا رِقابَهَا [6]
كأنَّا أنابيبُ القناةِ يَؤُمُّها ... سِنانٌ مضى قُدْماً فأَمْضَى كِعابَهَا
كذئبِ الْغَضا أبْصرتَه عند مَطْمَعٍ ... إذا هَبَط البَيْدَاءَ شَمَّ تُرابَهَا
بعَيْنِ ابن ليلٍ لا تُداوَى من الْقَذَى ... يُرِيب أقاصِي رَكْبِه ما أرابَهَا [7]

---

(١) في ه ، والشهاب : « لا يرد » .
(٢) اللقحة : الناقة الغزيرة اللبن الحلوب ، ومن عادتهم أن يعصبوا فخذي الناقة لتدر أخلافها .
(٣) في الأصل ، م : « ويخسر قوم » .
وألقح الناقة : أحبلها ، ونَتَج الناقة : ولَّدها ، والشعاب : جمع الشعب ، وهو ولد الناقة ساعة يولد ، يريد أن بعض من يجهد في الشيء يحرم من ثمرته .
(٤) في الأصل ، ه : « منافع خطة » .
والمناديح : الأراضي الواسعة البعيدة .
(٥) في الأصل ، م : « إذا استبهمت علياء » .
(٦) في س : « أين اوى رقابها » .
واليعملة : الناقة النجيبة المعتملة المطبوعة .
(٧) في م ، ه : « بعين ابن ليلى » .

تراهُ قَبُوعاً بين شَرْخَي رِحالِهِ ... كَمذْرُوبةٍ ضَمُّوا عليها نِصابَهَا [1]
فمِن حِلَّةٍ نَجْتَالُهَا وقبيلةٍ ... نَمُرُّ بها مُسْتَنْجِين كلابَهَا [2]
ومن بارِقٍ نَهْفُو إليه ونَفْحةٍ ... تُذكِّرنا أيَّامَها وشبابَهَا [3]
ولَهْفِي على عهدِ الشبابِ ولِمَّةٍ ... أطَرْتُ غَدَاةَ الخَيْفِ عنِّي غُرَابَهَا [4]
ومن دارِ أحْبَابٍ نَبُلُّ طُلولَهَا ... بماء الأَماقِي أو نُحيِّي جَنابَهَا [5]
ومن رُفْقةٍ نَجْدِيَّةٍ بَدَوِيَّةٍ ... تفاوِضُنا أشْجانَها واكْتئابَهَا [6]
ونُذْكِرُها الأشْواقَ حتى نُحِنَّها ... وتُعْدِي بأطْرافِ الحَنينِ ركابَهَا [7]
إذا ما تحدَّى الشوقُ يوماً قلوبَنا ... عَرَضْنا له أنْفاسَنا والْتهابَهَا
ومِلْنا على الأكْوارِ طَرْبى كأنما ... رأينا العراق أو نزلْنا قِبابَهَا [8]
نُشاقُ إلى أوْطاننا وتَعُوقُنا ... زياداتُ سَيْرٍ ما حسِبنا حِسابَهَا
وكم ليلةٍ بِتْنا نكابدُ هَوْلَهَا ... ونَمْرِقُ حِضْنَيْها إذا الغِمْرُ هَابَهَا [9]

---

(١) شرخا الرحل : جانباه ، والمذروبة : الحديدة المحددة ، والسنان المحدد ، والنصاب : المقبض ، ولا أراه يتجه هنا .

(٢) في ك ، م ، ه : « فمن حلة نجتابها » .
واجتال المكان : طاف به .

(٣) في س ، ك : « تذكرنا أيامنا » .

(٤) الخيف : هو المحصب وهو بطحاء مكة . معجم البلدان ٥٠٨/٢ .

(٥) في س ، ك : « بماء المآقي » ، والأماقي : جمع الموق ، وهو طرف العين مما يلي الأنف وهو مجرى الدمع .

(٦) في ك : « نفاوضها أشجانها » ، وفي ه : « تقارضنا أشجانها واكتنابها » .

(٧) في ه : « وتذكرها » ، وفي س ، م ، ه : « حتى تحنها » ، وفي ك : « ونعدي بأطراف الحنين » ، وفي س : « وتعدي بإطراب الحنين » .

(٨) في ك : « على الأكوار ظربى » .
و « طربى » هكذا ، ولعله مؤنث « طرب » ، أو لعله « طربا » بالتحريك .

(٩) في ه : « نكابد هولها » ، وفي الأصل : « وتمرق حصيتها » ، وفي م ، ه : « ونمزق حصباها » .
ومرق حضنيها : طعنهما ، يصف قوة جنانه في الهجوم على الشدائد ، والغمر : الذي لا تجربة له .

وقد نَصِلتْ أنْضاؤُنـا من ظلامها نُصولَ بَنانِ الخَوْدِ تَنْضُو خِضَابَهَا [1]

وهاجِرةٍ تُلْقِي شَرارَ وَقُودِهـا على الرَّكْبِ أنْعَلْنـا المَطِيَّ ظِرابَهَا [2]

إذا ماطَلَتْنـا بعد ظِـمْءٍ بمائِهـا وعَجَّ الظَّوامي أَوْرَدَتْنا سَرابَهَـا [3]

تمنّـى الرفاقُ الوِرْدَ والرِّيقُ نَاضِبٌ فلا رِيقَ إلاَّ الشمسُ تُلْقِي لُعَابَهَا [4]

إلى أن وَقَفْنا المَوْقِفَيْنِ وشافَهـتْ بنا مكةٌ أعْلامَها وهِضابَهَـا [5]

وبِتْنَـا بِجَمْعٍ والمَطِيُّ مُوَقَّـفٌ نُؤمِّل أن نلْقَى مِنًى وحِصَابَهَا [6]

وطُفْنـا بعَـادِيٍّ البناءِ مُحَجَّـبٍ نرى عندَه أعْمَالَنا وثَوَابَهَـا [7]

وزُرْنا رسولَ الله ثُمَّـةَ بعـدَه قبورَ رجالٍ ما سَلَوْنا مُصابَهَا [8]

وجُـزْنا بسِيفِ البحرِ والبحرُ زاخرٌ بلُجَّيَة حتى وَطِئْنا عُبابَهَـا [9]

خُطُوبٌ يُعِنَّ الشَّيبَ في كلِّ لِمَّـةٍ ويُنْسِينَ أيامَ الصِّبا ولِعابَهَـا [10]

---

(١) نصلت : خرجت ، الأنضاء : النوق المهزولة من السير ، والخود : المرأة الشابة .

(٢) الظراب : الحجارة الناتئة المحددة الطرف .

(٣) في ك : « إذا ما ظننا » .

(٤) لعاب الشمس : شيئ كأنه ينحدر من السماء إذا قام قائم الظهيرة .

(٥) في ه : « إلى أن وقفنا المأزمين » .
والمأزمان : موضع بمكة بين المشعر الحرام وعرفة . معجم البلدان ٣٩١/٤ . ويعني بالموقفين موقف عرفة وموقف منى .

(٦) جمع : هي المزدلفة ، وهي مبيت للحاج ومجمع الصلاة إذا صدروا من عرفات ، وهو مكان بين بطن محسر والمأزمين . معجم البلدان ١١٨/٢ ، ٥١٩/٤ .
ومنى : في درج الوادي الذي ينزله الحاج ويرمي فيه الجمار من الحرم . معجم البلدان ٦٤٢/٤ .
والحصاب : موضع الجمار . اللسان (ح ص ب) ٣١٩/١ .

(٧) عادي البناء : يعني به قدم البيت ، والعرب إذا أرادت قدم الشيئ ذكرت أنه من عهد عاد .

(٨) من س ، م : « ثم بعيده » .

(٩) سيف البحر : ساحله .

(١٠) في ه : « تحل الشيب » .

عسى الله أن يأوي لشُعْث تناهَبُوا هِبابَ المَطايا نَصَّها وانْجذابَهَا [1]

وجاسُوا بأيْديها على عِلَلِ السُّرَى حِرارَ أَماعِيزِ الطريقِ ولابَهَا [2]

فيرْمِي بها بغدادَ كلُّ مُكَبِّرٍ إذا ما رأى جُدْرانَها وقِبابَهَا

فكم دعوةٍ لُوْسلتُها عند كُرْبَةٍ إليه فكان الصُّنْعُ منه جَوابَها [3]

* * *

(١) هباب المطايا : إسراعها ونشاطها ، ونص الرجل الناقة : استحثها شديدا .

(٢) الحرار : جمع الحرة ، وهي الأرض ذات حجارة نخرة سود ، وأماعيز الطريق : الصلب الكثير الحصى منها ، واللابة : الحرة ، وهو تكرار للفظ الأول .

وفي س : « أماعيز الطريق قلابها » .

(٣) في م : « فكان الطول » .

(١٠)*

وقال يمدح أباه ، ويهنّيه بقدومه من فارس بعد خروجه من القلعة ، وذلك في سنة ست وسبعين وثلاثمائة : [متقارب]

(*) القصيدة في : الأصل ، س ، ك ، م ، هـ .
وأبو الرضي هو الطاهر الأوحد ذو المناقب الشريف أبو أحمد الحسين بن موسى بن محمد الموسوي ، نقيب الطالبيين .
ولد سنة أربع وثلاثمائة ، وولي النقابة خمس مرات ، يعزل ثم يعاد إليها ، وليها أول مرة سنة أربع وخمسين ، وقد قبض عليه عضد الدولة سنة تسع وستين وثلاثمائة ، وسجنه بالقلعة بفارس ، ثم أطلقه شرف الدولة بعد وفاة عضد الدولة .
وكان رجلا عظيما له خطره في العراق ، في تسكين الفتن ، والوساطة بين الحكام .
توفي سنة أربعمائة بعد أن أضر وأثقلته الأمراض .
البداية والنهاية ٣٤٢/١١ ، شرح نهج البلاغة ٣١/١ ، ٣٢ ، الكامل ٩١/٩ ، المنتظم ٢٤٧/٧ ، النجوم الزاهرة ٢٢٣/٤ .
وقد ذكر ابن الأثير في الكامل ٢٨٣/٨ خبر قبض عضد الدولة على أبي أحمد ، ولم يذكر له سببا ، أما ابن تغري بردى فعزا هذا في النجوم الزاهرة ٢٢٣/٤ إلى خوفه منه ، وذكر ابن الجوزي سبب ذلك مفصلا في المنتظم ٩٨/٧ ، فقال : « وكان ـ أي عضد الدولة ـ قد استذنب أبا أحمد بما ليس بذنب ، فاري خطا مزورا على خطه بإفشاء الأسرار ، وقيل له : إن عز الدولة أعطاك عقدا في فداء غلامه فكتمتناه . فقال : أما الخط فليس بخطي . وأما العقد فإنه قال إن لم يقبل ما دفعت فادفع هذا . فلم يجز لي أن أخونه » .
وكذلك ذكر ابن كثير في البداية والنهاية ٢٩٥/١١ سبب القبض عليه ، فقال : « اتهم بأنه يفشي الأسرار ، وأن عز الدولة أودع عنده عقدا ثمينا ، ووجدوا كتابا بخطه في إفشاء الأسرار ، فأنكر أنه خطه ، وكان مزوراً عليه ، واعترف بالعقد ، فأخذ منه ، =

طُلُــوعٌ هَــداه إلينـــا المغيبُ ويومٌ تَمَــزَّقَ عنه الخُطُــوبُ
لَقِيتُـك في صدرِه شاحبـــاً ومن حِلْيَةِ العربيِّ الشحــوبُ
إليه تمُــجُّ النفوسَ الصُّــــدورُ وفيه تُهنِّــي العيونَ القلوبُ[1]
تغــرَّبْــتَ مُسْتَـــأْنِساً بالبِعا دِ والليثُ في كلِّ أرضٍ غريبُ
وأحْرَزْتَ صــبرَك للنائبــــاتِ وللـــدَّاءِ يَوْمــاً يُراد الطبيــبُ[2]
لَحَى اللهُ دهــراً أَرانا الدِّيـــا رَ ينــدُب فيهـا البعيدَ القريــبُ
ومــا كـــان مــوتـاً ولكنــــه فِراقٌ تُشَــقُّ عليـــه الجُيــوبُ
لئـــن كنــتَ لم تَسْتَرِبْ بالزَّمانِ فقد كان من فعلِه ما يَريــبُ[3]
رمَى بك والأمرُ ذاوِي النَّبَـــاتِ فآل وغُصْــنُ المَعـالي رَطِيــبُ
ولَمَّــا جذَبْــتَ زِمامَ الزمــــانِ أطاع ولكــنْ عصاك الجَنيــبُ[4]
ولَمَّــا اسْتطال عليـك البِعـــادُ وذلَّــل فيك المَطِــيَّ اللُّغــوبُ[5]
رجــوتَ الإيابَ على أنـــــه كفيـــلُ طلوعِ البــدور الغروبُ[6]

= وعزل عن النقابة وولوا غيره ، وكان مظلوما » .

وقد ذكر ابن الأثير أيضا خبر إطلاق سراحه في الكامل ٩/٩ سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة ، وهي السنة التي مات فيها عضد الدولة ، واستولى فيها شرف الدولة على فارس ، وسجل الرضي خبر وفاة عضد الدولة في رسالة إلى والده وهو في القلعة سنة اثنتين وسبعين ، أولها :

أبلغا عـني الحسين ألوكـــا أن ذا الطود بعد عهدك ساخا

ولكنه لم يطلق سراحه فيما يبدو إلا سنة ست وسبعين ، كما جاء في صدر هذه القصيدة ، وقصيدة أخرى له في هذه السنة تأتي برقم ٣٠ ، يذكره في سجنه ، وقصيدة ثالثة في هذه السنة أيضا يذكر فيها فكه من السجن .

(١) تمج الصدور النفوس : تخرجها ، يصف شوق النفوس إليه .

(٢) في ه : « وأحرزت صدرك » .

(٣) في الأصل ، ك : « لم تسترب بالبعاد » .

(٤) في الأصل ، م ، ه : « عصاك الحبيب » .

والجنيب : الفرس يقاد إلى جنب الفرس المركوب ، وهو أيضا : المنقاد .

(٥) اللغوب : الإعياء والتعب .

(٦) في س ، م : « رجوت البعاد » .

رحلــتَ وفي كــلِّ جَفْــنٍ دمٌ | عليك وفي كــلِّ قلبٍ وَجيبُ
ولا نُطْــقَ إلّا ومِــن دونــه | عَــزاءٌ نَفُــورٌ ودمعٌ رَبيــبُ (١)
وأنــت تُعلِّلنــا بــالإيــا | بِ والصــبرُ مُرْتَحِلٌ لا يــؤوبُ
وما ضحِـك الدهرُ إلاَّ إليْــ | ـك مُــذْ بان في حاجبَيْـهِ القُطُوبُ(٢)
وسَرَّ العِدَا فيـك نَقْصُ العقــولِ | وأعلمُ أن لا يُســرَّ اللبيــبُ
أما عَلِم الحــاسدُ المُسْتَغِــرُّ م | أنَّ الزمــانَ عليــه رقيــبُ
قَدِمْتَ قُــدومَ رِقاقِ السحــا | ب تَنْحطُّ والرَّبــعُ ربـعٌ جَدِيبُ (٣)
خلفتُ بمــا ضُمِّنَتْــه الحَجــونُ | وما ضَمَّ ذاك المَقــامُ الرحيبُ (٤)
لقد سرَّك الدهــرُ في الغادِريــن | بعُــذْرٍ تضاءَلُ فـيه الذنــوبُ (٥)
وأجْلَــى رجوعُك عن حاسديـ | ـك هذا قتيــلٌ وهذا سَليــبُ
تَحَرَّقُ منــك قلوبُ العِــدا | ةِ غيظــاً وأنت ضَحوكٌ قَطـوبُ
وأجهــلُ ذا الناسِ مُسْتَنْهِــضٌ | دُعــاءً إلى سَمْـعٍ من لا يجيبُ
زَعــانفُ يستصرِخــون العُــلا | وما اسْتلـب العِــزَّ إلاَّ نجيبُ (٦)
وطال مُقامُــك في منــزلٍ | تَطَلَّــعُ من جانبيْــه الحروبُ
بضربٍ كمــا اشْترطَتْــه السيوفُ | وطعنٍ كما اقْترحَتْــه الكُعــوبُ
ونُجْـلٍ تَغَلْغَلَ فيها الطِّعــا | نُ وانْشَقَّ عنها النَّجيعُ الصَّبيبُ (٧)
وصُحبــةِ كــلِّ غــلامٍ عليــ | ـه من سِمَــةِ العزِّ حُسْنٌ وطِيبُ

(١) في م : « عزاء يغور » .
وربيب : مقيم .
(٢) جاء هذا البيت في س ، م ، ه بعد قوله : « قدمت قدوم رقاق السحاب » الآتي .
(٣) في الأصل : « نحط والربع » ، وفي م : « تخط والربع » .
(٤) الحجون : جبل بأعلى مكة . معجم البلدان ٢/٢١٥ .
(٥) في ه : « بقدر تضاءل » .
(٦) في ه : « يصطرخون العلا » .
والزعنفة من الناس : الرذل الذي لا غناء فيه ولا خطر له .
(٧) الطعنة النجلاء : الواسعة ، والنجيع من الدم : ما كان مائلا الى السواد .

إذا خضَب الرمحَ أَوْمَا به كأن السِّنانَ بَنانٌ خَضيبُ [1]

وقَطْعِك كلَّ بديع النِّياطِ كأنَّ الجَواد به مُسْتَرِيبُ [2]

وأرْضاً إذا ما اجْتلاها الهَجيـ ـرُ طلَّقها من يديْه الضَّريبُ [3]

وما زال منك على النَّائباتِ مَقامٌ عظيمٌ ويومٌ عَصِيبُ

فيومٌ حُسامك فيه الخَضِيبُ ويومٌ لسانُك فيه الخطيب [4]

طلبتَ لنفسِك فاطلُبْ لنا من العزِّ إن المُحامِي طَلُوبْ

وإن كنتَ تأنف من حُبِّه فإن العَلاءَ إلينا حبيب

وما نحن أنتَ وكلٌّ إلى دُعاءِ العُلا طَرِبٌ مُسْتَجيب

ونحن فَسامٍ إلينا الشبابُ وأنت فَسامٍ إليك المشيبُ [5]

على أنَّه أنتَ عينُ الزمانِ وعيشٌ بلا ناظرٍ لا يطيبْ

ولولاك ما لَذَّ طعمُ الفخارِ ولا راق بُرْدُ العَلاءِ القَشِيبُ [6]

أترْضى لمجدِك أن لا يكون لنا من عَطايا المَعالي نصيبُ [7]

فلا يُقْعِدنَّك كيدُ الحسو دِ وانْهَضْ فكلُّ مَرامٍ قريبْ

وحُثَّ الطِّلابَ فإنا نَجُدُّ وأمْضِ الأمورَ فإنَّا نتوبْ

ولِمْ لا يُضيف العُلا مَن له غَدِيرٌ مَعِينٌ ومَرْعًى خَصِيبْ

لَحيَّاك منِّي عند اللقاء خَلْقٌ عجيبٌ وخُلْقٌ أديبْ

وخلَّفْتني غَرْسَ مُسْتثمِرٍ فطال وأوْرَقَ ذاك القَضيبْ

---

(١) في م : « أدمى به » .

(٢) النياط من المفازة : بعد طريقها . وفي ك : « بعيد النياط » .

(٣) الضريب : الثلج والصقيع .

(٤) في هامش ك : « فيوم سنانك فيه الخضيب » .

(٥) في م : « ونحن قسام .. وأنت قسام » .

(٦) في س ، ك ، ه : « ما التذ طعم الفخار » .

(٧) في س : « في عطايا المعالي » ، وفي ه : « من عطاء المعالي » .

ذَخَرْتُ لك الغُــرَرَ السّائِــــراتِ يُعبِّــر عنهـــا الفـؤادُ الكئيبُ [1]
تَصونُ منـــاقِبَــــك الشَّـــاردا تِ أن تتخطَّـــى إليهـــا العيوبُ
إذا نَثَرَتْهـــا شِفَـــاهُ الـــرُّوا ةِ راقَـــك منها النِّظـامُ العجيبُ
وإنِّـي لأرْجـــوك في النَّائبـــاتِ إذا جاءني الأمــلُ المُسْتثيــبُ [2]

* * *

(١) في الأصل ، ك ، ه : « وحزت لك الغرر » ، وفي س ، ه : « يفتر عنها الفؤاد » ، وفي ك : « نقتر عنها الفؤاد » .

(٢) المستثيب : الطالب الثواب ، وهو هنا الطالب التحقق .

(١١)*

وقال يمدحه ويهنِّيه بعيد الفطر ، سنة سبع وسبعين وثلاثمائة : [طويل]

لُغـامُ المَطايا من رُضابِكِ أعْـذبُ ... ونَبْـتُ الفَيافي منكِ أشْهى وأطيبُ[1]

ومالِيَ عند البِيضِ يا قلـبُ حاجةٌ ... وعند الْقَنَا والخيـلِ والليلِ مَطْلَبُ

أحَـبُّ خَلِيلَيَّ الصَّفِيَّيْـن صـارمٌ ... وأطيـبُ دارَيَّ الخِباءُ المُطَنَّـبُ[2]

ذليـلٌ لرَيْبِ الدهرِ مَن كان حاضراً ... وحَرْبٌ لَدَى الأيامِ من يتغرَّبُ[3]

ولي من ظُهورِ الشَّدْقَمِيَّاتِ مَقْعَـدٌ ... وفوق مُتونِ اللاَّحِقِيَّـاتِ مَرْكبُ[4]

لِثامِي غُبـارُ الخيلِ في كلِّ غـارةٍ ... وثوبِي العَوالي والحديدُ المُذَرَّبُ[5]

أُساكِتُ بعضَ الناس والقولُ نافعٌ ... وأقعُد عن أشياءَ والضربُ أنْجَبُ[6]

(*) القصيدة في : الأصل ، س ، ك ، م ، هـ .

(١) اللغام : زبد أفواه الإبل .

(٢) المطنب : الذي أقيمت طنبه ، وهي حباله التي يشد بها .

(٣) في ك : « لذي الأيام » . وفي هـ : « من يتقرب » .

(٤) في ك : « في ظهور الشدقميات » .
والشدقميات : الإبل المنسوبة إلى شدقم ، فحل النعمان بن المنذر . القاموس (ش د ق م)
واللاحقيات : الخيل المنسوبة إلى لاحق ، وهو من جياد فحول العرب ، وكان لغني بن أعصر بن سعد بن قيس عيلان . انظر أنساب الخيل » .

(٥) المذرب : المحدد .

(٦) في س ، ك ، م ، هـ : « وأغمد عن أشياء » .

وأطْمعَني في العزِّ أنِّـــي مُغامِـــرٌ ... جَريٌّ على الأعداءِ والقلبُ قُلَّبُ [1]
وعنديَ ممَّا خوَّل اليـهُ سابِـــحٌ ... وأسْمَرُ عَسَّالٌ وأبيضُ مِقْضَبُ [2]
وليس الغِنَى في الخلقِ إلَّا غنيمـةٌ ... تُحامِي عليها والمَعالي تَغَلُّـــبُ [3]
إذا قَلَّ مالي قَـلَّ صَحْبِـي وإن نَمَا ... فلي من جميعِ النـاسِ أهـلٌ ومَرْحَبُ
غِنَى المـرءِ عزٌّ والفقـيرُ كـأنه ... لَدَى الناسِ مَهْنوءُ المِلاطَيْنِ أَجْرَبُ [4]
تُطالبني نفـسي بكـــلِّ عظيمـــةٍ ... أرى دونَهـا جاري دم يَتَصبَّبُ
ويأمُرني الذُّلَّانُ أن لا أُطِيعَهـــا ... وأعلمُ مِن طُرْقِ العُلا أين أذْهَبُ [5]
إذا كان حُـــبُّ المرءِ للشيءِ ضَيْعةً ... فأضْيَعُ شيءٍ ما يقول المُؤنِّـبُ [6]
أنا السيفُ إلَّا أنَّني في مَعاشـــرٍ ... أرى كـلَّ سيفٍ فيهمُ لا يُجَرَّبُ
ولا عِلْمَ لي بالغيبِ إلَّا طَليعَــــةٌ ... من الحَـزْمِ لا يخْفَى عليهـا المُغَيَّبُ
أُجَـرِّب مَن أهْـواه قَبلَ فِراقِـهِ ... فيصْدُق منه الغَدْرُ والوُدُّ يكـذِبُ
تغَيَّـرُ لي أخْلاقُ مَن كنتُ أصْطفَي ... وتغْدِر بي أيامُ مَن كنتُ أَصْحَبُ [7]
فلو لَوَّحتْ لي بالبُروقِ سحابــــةٌ ... لأَغْضَيْتُ عِلماً أنَّ ما بان خُلَّبُ [8]
إذا شئـتُ فارقتُ الحبيـبَ وبَيْنَنـا ... من الشَّوْقِ ما يُمْلِي عليَّ وأكتُبُ
وليس نَسِيبِـي أنَّ في القلبِ لَوْعةً ... ولكنَّني أبْكـي زماني وأنْـدُبُ
وما نافِعــي عنـد البعيـدِ تَقَرُّبـي ... ولا ضائري عند القريبِ التَّجنُّبُ

(١) قلب قُلَّب : بصير بتقلب الأمور .
(٢) الأسمر العسال : الرمح يهتز للدانته وشدة متنه ، والمقضب الشديد القطع وفي س ، ه : « عسال الأنابيب مقضب » .
(٣) في س : « يحامي عليها » ، وفي م : « نحامي عليها » . وفي ه : « إلا عفيفة نحامي عليها » .
(٤) في ك : « إلى الناس » .
ومهنوء الملاطين : مطلي جانبي سنامه بالهناء ، وهو القطران .
(٥) الذلان : الذليل .
(٦) في هامش س : « للشيئ نبوة » .
(٧) في م : « وتغدرني » ، وفي ه : « وتعذرني » .
(٨) سحاب خلب : لا مطر فيه . وفي ه : « فلو وجهت ... » .

قريبُ الفتى دونَ الأنامِ صديقُــه ... وليس قريباً منه مَن لا يُقَــرَّبْ
وما في نِجـادِ السيفِ زَيْنٌ لِحاملٍ ... ولا الزَّيْنُ إلَّا للفتى يومَ يضْرِبْ[1]
أخو الحربِ مَن للسيفِ فيه عَلامةٌ ... وللطَّعْنِ في جَنْبَيْهِ طُـرْقٌ ومَلْعَبُ[2]
وحَسْبُ غلامٍ شاهــداً بشجاعةٍ ... يَغيظُ العِــدا أنَّ الْقَنا منه تُخْضَبْ
إلى غايةٍ تَجْري الأنام إلى الـرَّدَى ... فماشٍ بَطيءُ مَشْيِـه ومُقَــرِّبُ[3]
يَغُـرُّ الفتى ما طال مِن حَبْلِ عُمْرِه ... وتُرْخِي المَنايا بُرْهـةً ثم تجْذِبُ
يقولون عَنْقا مُغْرِبٌ مُسْتَحيلــةٌ ... ألا كــلُّ حيٍّ مات عَنْقَاءُ مُغْرِبْ
يطُـول عَناءُ العِيسِ ما دمتُ فوقها ... وما دام لي عزمٌ ورأيٌ ومذهبْ[4]
وهَـوَّن عندي ما بقلبي من الصَّــدَى ... ظُماءٌ تُجافي مَـوْرِدَ المـاءِ لُغَّبُ[5]
فـا أنا بالْوانِي إذا كنــتُ صادِياً ... ولا الماءُ يُعْطِيني قُـوًى يومَ أشْرَبْ
وما الوِرْدُ بعد الوِرْدِ بَلًّا لغُلَّتــي ... وإن بَلَّ ظِمْءَ الدَّاعِرِيَّـاتِ مَشْرَبْ[6]
وما لي إلى غيرِ الحسين وَسيلــةٌ ... وفي جُـودِه دون الرَّغائبِ أرْغَبُ
جريءٌ على الأمرِ الذي لا يَــرُومُه ... من القـومِ إلَّا حازمُ الرأي أغْلَبُ
ألا إنَّ فَحْلاً ساعَدَتْــه نَجيبــةٌ ... فجـاء بنَجْـلٍ كالحسين لَمُنْجِبُ
وإن مَحَلًّا حَـلَّ فيــه لَــواسعٌ ... وإن زماناً عاش فيــه لَطَيِّــبْ
لك اللهُ من مُغْضٍ على جُرْمِ جارِمٍ ... ولو شاءَ ما اسْتَولَى على الذنبِ مُذْنِبُ[7]
وفي كلِّ يومٍ أنتَ طالبُ غـارةٍ ... تُجرِّر أذْيــالَ العَوالي وتسْحَــبْ

(١) نجاد السيف : حمائله .
(٢) في هـ : « طرف وملعب » .
(٣) مكان « إلى الردى » بياض في الأصل ، وفي ك ، هـ : « من الردى » ، وفي م : « لنحوها » .
(٤) في النسخ عدا الأصل : « رأي وعزم » .
(٥) الصدى : العطش ، ولغب : شديدة الإعياء متعبة .
(٦) الإبل الداعرية : منسوبة إلى فحل منجب ، أو قبيلة من بني الحارث بن كعب ، وهو داعر بن الحماس . القاموس (د ع ر) .
(٧) في الأصل ، هـ : « على حزم حازم » .

تنامُ على أمرٍ وهَمُّك ساهرٌ | وتنْزل عن أمرٍ وعَزْمُك يركَبُ
تحقَّقتِ الأحياءُ أنك فَخْرُها | وأغْضَتْ على عِلْمٍ نِزارٌ ويَعْرُبُ [1]
إذا شئتَ أحياناً شَفاك من العِدَا | سِنانٌ بَصيرٌ بالطِّعانِ ومَضْرِبُ
وخَيْلٌ لها في كلِّ شرقٍ ومغربٍ | عَقِيرٌ مُدَمًّى أو طَعِينٌ مُخَضَّبُ
إذا طلَعتْ نَجْداً أضاءتْ وجوهُها | وقُدَّامُها من سائقِ النَّقْعِ غَيْهَبُ [2]
يصيحُ الْقَنَا في كلِّ حَيٍّ ترُومُه | ويُرْدِي بك الأعداءَ يومٌ عَصَبْصَبُ [3]
ألا رُبَّ حالٍ ساعدتْك وفَتْكةٍ | رَدَدْتَ بها قَرْنَ الرَّدَى وهو أعْضَبُ [4]
رَمَيْتَ بها قلبَ العدوِّ بحَتْفِه | ووَلَّيْتَ والمغرورُ يلهو ويلعبُ [5]
كما خَرقَ الرَّامِي بسهمٍ رَمِيَّهُ | وأعْرَضَ عِلْماً أنه سوف يعطَبُ [6]
عَدُوَّان أمَّا واحدٌ فمُكاشِفٌ | جَرِيٌّ وأمَّا آخَرٌ فمُؤَلِّبُ
يُمَسِّح خِلْفَ الشَّرِّ ذاك بخيفةٍ | وهذا طويلُ الْباعِ يَمْرِي فيحلُبُ [7]
يرومون غَيّاً والعَوائقُ دونَهم | ويرْمُون بَغْياً والمقاديرُ تَحْجُبُ
سَما بك طَلَّاعاً إلى العمرِ مَشْرِقٌ | وأَدْبَرَ بالْباغي إلى الموتِ مَغْرِبُ
فذاك كما شاء الفسوقُ مُبَغَّضٌ | وأنتَ كما شاء العفافُ مُحَبَّبُ
أُهنِّيك بالعيدِ الجديدِ تَعِلَّةً | وغيرُك بالأعْيادِ واللهوِ يُعْجَبُ [8]

---

(١) في هـ : « وأغضبت في علم » .

(٢) في س : « من سابق النقع » ، وفي ك : « من سابغ النقع » ، وفي هـ : « من سابق الفقع »
والنقع : الغبار ، والغيهب : الظلمة .

(٣) عصبصب : شديد .

(٤) أعضب : مكسور .

(٥) في م : « قلب العدو بخيفة ... وأعرضت .. » .

(٦) في ك : « بسهم رمية » .
ويعطب : يهلك .

(٧) في م : « ذاك بخيفة » ، وفي س ، ك : « يمري ويحلب » . وفي هـ : « يمري فيجلب » .
وتمسيح خلف الشر : كناية عن الاستمرار في طلبه ، ويمري : يمسح ضرع الناقة لتدر .

(٨) في هامش ك : « بالعيد الجديد مباركا » . وفي هـ : « واللهو يلعب » .

فلا زال مَمْدوداً عليك ظِلالُــه ... ولا زلتَ في نَعْمائِه تَتَقَلَّـب
ولا ظَفِر الْبــاغي عليك بفُرْصــةٍ ... ولا طلَـب الأعداءُ ما كنـتَ تطلُبُ
غَمامُك فَيّـاضٌ وريحُك غَضَّــةٌ ... وحَوْضُـك مَلآنٌ وقاعُك مُعْشِبُ [1]
إذا قلتُ فيـك الشِّعْرَ جَوَّدَ مــادحٌ ... وأكْثَرَ وَصّافٌ وأغْرق مُطْنِبُ [2]
وغـيرُك لا أُطْرِيه إلَّا تَكلُّفــاً ... وغيرُ جَنِيبِي عند غـيرِك مُصْحِبُ [3]
بغيضٌ إلى الأيامِ أنك لي حِمًــى ... وغَيْظُ بَني الأيامِ أنك لي أبُ
أبَعْدَ النبيِّ والوَصِيِّ ترُوقُنــــي ... مَناسِبُ مَن يُعْزَى لمجدٍ ويُنْسَبُ
يُقرُّ بفَضْلِي كـلُّ بــادٍ وحاضرٍ ... ويحسُدُني هذا العظـيمُ المُحَجَّبُ [4]
ومَن لي بأن يشْتاقَ ما أنا قائــلٌ ... ويسْمَعَ منِّــي ما يرُوقُ ويُعْجِبُ [5]
ولولا جزاءُ الشِّعْـرِ ممَّن يُـريـدُه ... وجدتُ كثيراً مَنْ أُغنِّي ويطْرَبُ
ألا إنَّ راعي الذَّوْدِ يُعْنَى بـذَوْدِه ... حِفاظاً وراعِي الناس حَيْرانُ مُغْرِبُ [6]
أُحِبُّكُمُ ما دمــتُ أُعْزَى إليكــمُ ... وما دام لي فيكم مُــرادٌ ومَطْلَبُ
وإنِّي عن الرَّبْعِ الذي لا يضُمُّكم ... على كلِّ حالٍ نازحُ الوُدِّ أجْنَبُ [7]
فـلا تَتْركَنِّـي عاطـلاً من مُــرُوَّةٍ ... ولا قانِعاً بالدُّونِ أَرْضَى وأغْضَبُ
فمـا أنا بالْـوانِي إذا ما دَعَــوْتني ... ولا مَـوْقِفي عمَّا شهدتَ مُغَيَّبُ [8]

---

(١) في س ، ك : « وواديك ملآن وقاعك معشب » ، وفي م ، ه : « وحوضك ملآن وروضك معشب » .

(٢) في الأصل ، م ، ه : « وأعرق مطنب » .

(٣) في الأصل ، م ، ه : « وغير حنيني » .
والمصحب : الذليل المنقاد بعد صعوبة . والجنيب : الفرس يشد إلى جنب المركوب ، وهو أيضا : المنقاد .

(٤) يعني الخليفة من بني العباس .

(٥) في ك : « ومن لي أن تشتاق ... وتسمع ... وتعجب » .

(٦) الذود : ثلاثة أبعرة إلى العشرة ، وفيه أقوال أخر ، وأراد هنا صاحب النوق القليلة .

(٧) الأجنب : الغريب .

(٨) في ك : « عمن شهدت مغيب » .

أَما لِي قرارٌ في نعيمٍ ولَــــذَّةٍ فإنِّيَ في الضَّرَّاءِ أطْفُــو وأرْسُبُ
أُرِيدُ من اللهِ القضـــاءَ بحالــةٍ تَقَرُّ بها عــينٌ وقلبٌ مُعَــــذَّبُ [1]
وأسألُ أن يُعْطِيـــك في العمرِ فُسْحةً فَعِلْمِيَ أنَّ العمرَ يُعْطَى ويُوهَبُ [2]

* * *

(١) في هـ : « القضاء بحاجة ... » .

(٢) في م : « لعلمي أن العمر » .

(١٢)*

وقال يمدحه ، ويهنِّيه بعيد الفطر ، من سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة : [كامل]

مَثْوَايَ إمَّـا صَهْـوةٌ أو غـاربُ ... ومُناي إمَّا زَاغِفٌ أو قاضِـبُ [1]

في كـلِّ يومٍ تنْتضِيني عَـزْمَـةٌ ... وتُمـدُّ أعْناقَ الرَّجاءِ مَـآرِبُ [2]

قلبٌ يُصادِقُني الطِّـلابَ جَـراءَةً ... ومن القلـوبِ مُصادِقٌ ومُـوارِبُ

ما مَذْهبي إلَّا التَّقَحُّـمُ بالْقَنَـا ... بين الضُّلوعِ وللرجالِ مَـذاهِبُ

وعليَّ في هذا المَقـالِ غَضاضـةٌ ... إن لم يُساعِدْني القضـاءُ الغالبُ [3]

مالي أُخَـوَّفُ بالرَّدَى فأخافُـه ... هَيْهات لي في الخَلْـقِ بعدُ عَجائبُ

والعَـزْمُ يطْرحُني بكـلِّ مَفـازةٍ ... مُتَشابِـهٍ فيها رُبـاً وغَـوارِبُ [4]

أُعْطِي الهَجيرَ مُـرادَهُ من صَفْحَتِي ... وتكُـدُّ سمعِي بالصَّرِيرِ جَنادِبُ [5]

إمَّا أُقِيمُ صدورَ مجـدي بالعـلا ... ويَقَرُّ عَضْبِـي أو تقومَ مَنادِبُ [6]

(*) القصيدة في الأصل ، س ، ك ، م ، ه .

(١) في ك ، م : « إما راعف أو قاضب » .
ولعله أراد بالزاغف الرمح ، من قولهم : زغفه بالرمح ، أي طعنه .

(٢) في ه : « أعناق الرجال » .

(٣) في ك : « وعليَّ في هذا المقام » .

(٤) في ك ، م : « زبى وغوارب » . وفي ه : « ربا ومغارب » .
والزبية : الرابية لا يعلوها الماء .

(٥) الجندب : ضرب من الجراد ، وصريره : صوته . وفي ه : « فتكد سمعي » .

(٦) في م : « صدور مجدي بالقنا » ، وفي ك ، م ، ه : « أو تقوم نوادب » .

مُتقلِّبـاً وذُرَا الرِّمـالِ كأنهـــا دون النَّـواظِرِ عارِضٌ مُتَراكِبُ [1]

أصَابـةً من بعدِ ما ذهب الهـوى طَلْقاً وأعْـوَزُ ما يُرامُ الذَّاهِبُ [2]

وعليَّ تَضْمِـيرُ الجِيـادِ لِغـارةٍ فيها خَضِيبٌ بالدماءِ وخاضِبُ [3]

أرضَى وذُؤْبـانُ الخُطُوبِ تَنُوشُني والعزمُ ماضٍ والرمـاحُ سَوالِـبُ

أنا أُكْلَةُ المُغْتـابِ إن لم أجْنِهـا شَعْـواءَ يحضُرها العُقَابُ الغائبُ

وكأنما فيهـا الرِّمـاحُ أَراقِـمٌ وكأنمـا فيهـا القِسِيُّ عقَـارِبُ

قـد عَـزَّ مَن ضَنَّـتْ يَـداهُ بوَجْهِه إن الذليلَ من الرجـالِ الطالبُ

إن كان فقـرٌ فالقريبُ مُبـاعِدٌ أو كان مـالٌ فالبعيدُ مُقَـارِبُ

وأرى الغَنِيَّ مُطاعِنـاً بثَـرائِـه أعْـداءَه والمـالُ قِـرْنٌ غالِـبُ

يشْكـو تَبَدُّلَ الصِّحابُ وعـاذِرٌ أن ينْبِـذَ المـاءَ المُرَنَّـق شاربُ [4]

مِن أَجْلِ هذا الناسِ أَبْعَـدْتُ الهوى ورَضِيتُ أن أبْقَى وما لي صاحبُ [5]

وَأْيُ الليـالي إن غَدَرْنَ فإنَّـه ما سَنَّ أحْبَابٌ لنـا وحَبائـبُ [6]

الذَّنْبُ لي أنِّي جَزِعْـتُ وعَنْوَنَتْ عنِّي دمـوعُ العينِ وهْي سَواكِبُ

دنيـا تَضُـرُّ ولا تَسُـرُّ وذا الورَى كلٌّ يُجاذِبُهـا وكـلٌّ عاتِـبُ [7]

تُلْقِي لنا طَـرَفاً فإن هي أَعْرَضـتْ نَزَعتْ ولو أنَّ الجبـالَ جَـواذِبُ [8]

هيْهات يا دنيا وبَرْقُـك صـادقٌ أرْجُـو فكيف إذاً وبَرْقُك كاذبُ

(١) في س ، ك ، ه : « متلفتا وذرا » ، وفي م : « متأنقا وذرا » ، وفي ه : « عارض يتراكب » . والعارض المتراكب : السحاب بعضه فوق بعض .

(٢) في ه : « ذهب القوى » .

(٣) تضمير الجياد : إعدادها للحرب .

(٤) في النسخ عدا ك : « يشكو تبذلي » ، وفي ه : « الصحاب وغادر » .

(٥) في ك : « أبعدت الورى » .

(٦) في س ، ك : « وابي الليالي » .

والوأي : العهد .

(٧) في ك : « كل مجاذبها » . وفي محاضرات الأدباء : « وكل عائب » .

(٨) في ه : « ولو أن الجبال قواضب » .

والناسُ إمَّـا قانـعٌ أو طالـبٌ ... لا ينْتَهِي أو راغبٌ أو راهـبُ [(١)]

وإذا نَعِمْتَ فكـلُّ شيءٍ مُمْكِـنٌ ... وإذا شَقِيتَ فكـلُّ شيءٍ عازبُ [(٢)]

قد قلـتُ للْبـاغي علـيَّ ودونَـه ... من فضلِ أحْـلامي ذرى وذَوائِبُ

احْذَرْ مُباغَضةَ الرجالِ فإنهـا ... تُـدْمي وتَقْدِرُ أن يقولَ العائِبُ [(٣)]

البِيدَ يا أيْدِي المَطِيِّ فإنـني ... للضَّيْمِ إن أسْرَى إليَّ مُجانِـبُ

ومَجاهِلُ الفَلَـواتِ أطْيَبُ منـزلٍ ... عنْـدي وأوْفَى الواعِدين نَجائِبُ [(٤)]

وإذا بَلَغْنَ بِيَ الحسينَ فـإنـه ... حَقٌّ لَهُـنَّ على المَطالبِ واجبُ

في بلـدةٍ فيها العيونُ حَـوافِـلٌ ... والرَّوْضُ غَضٌّ والرياحُ لَواعِـبُ

عَجَبٌ من الأيّـامِ رُؤْيـةُ مثلِـه ... نَجْمِ العُلا إذْ كـلُّ نَجْمٍ غاربُ

أَوْرَدْنَـهُ أَطْـرافَ كـلِّ فضيلـةٍ ... شِيَمٌ تُسانِدُهـا عُلاً ومَناقِـبُ [(٥)]

وله إذا خَبُثَـتْ أُصولُ عِـداتِـهِ ... في تُـربـةِ العَلْيـاءِ عِرْقٌ ضاربُ

مُتَفَيِّـيءُ الآراءِ في ظُلَـلِ القَنَـا ... تجْـري إليه من العَـلاءِ مَذانِبُ [(٦)]

أنتَ المُنَـوَّهُ في المَحافِـلِ باسْمِهِ ... وإذا حضرتَ فكـلُّ لُـؤْمٍ غائِبُ

لكَ من حِياضِ المجدِ زُرْقُ جمامِهَا ... فلما يُنازِعُـكَ الوُرودَ غَرائِبُ [(٧)]

ويرُومُ شأْوَكَ مَن غُبارُكَ دونَـه ... عند الجـزاءِ غَياطلٌ وغَيـاهِبُ [(٨)]

نَفَحاتُ كفِّـكَ لِلْـوَلِيِّ غمائـمٌ ... تَهْمِي وهُـنَّ على العـدوِّ نَوائِبُ [(٩)]

---

(١) في ك : « أو راغب أو ذاهب » .

(٢) عزب : بعد .

(٣) وتقدر : أي وتهيئ للعائب أن يقول .

(٤) في هـ : « وأوفى الواعدين الجانب » .

(٥) في س ، م : « على المطايا واجب » .

(٦) في هـ : « في ظلل العلا ... مذاهب » .

(٧) الجمام : جمع الجم ، وهو معظم الماء ، وزرق الجمام : صافية .

(٨) في م ، هـ : « يوم الجزاء » .
والغياطل والغياهب : الظلَم .

(٩) في هـ : « للولي غنائم » .

فشَمَائــلٌ فيها النَّــدَى وضَرائِـــبٌ وكتائبٌ فيها الرَّدَى ومَقَانِـــبُ [1]
ولقــد وقفْــتَ على الأَعادي وَقْفَةً فيها لمــن أَبْقَى المَنــون تَجــارِبُ
تحت الْعَجــاجِ وللــدُّروعِ قَعاقِعٌ ضَرْباً وغِرْبانُ الرِّماحِ نَواعِـبُ [2]
ومُطاعِنٍ وَلَّــى بهــا وكأنــــه ممَّا يَجُــرُّ من العَوَامِلِ حاطِــبُ
من كــلِّ نافِــذَةِ المَغارِ كأنهــا في قلبِ حامِلِها فَـمٌ مُتثـــاوِبُ [3]
ومُزَمْجِــرٍ قطَع العَجاجَ أمامَـــه لِلْهــامِ منه عَمائمٌ وذَوائِـــبُ
يَرْمِي الوُحوشَ على الوحوش زَهاؤُه والأُكْمُ فيه مع الجيــادِ لَواعِبُ [4]
تَهْـدِي أوائِلُــه الأواخِــرَ كلمــا طَلَـع الجَنِيبُ طغَى عليه الجانبُ [5]
شَدٌّ كمَعْمَعَةِ الحريق وكُبَّـــــةٌ كالليلِ أَنْجُمها قَنــاً وقَواضِبُ [6]
والنَّقْــعُ قد كتَم الرُّبــا فكأنَّــه سَيْــلٌ تَحَدَّر والجيــادُ قَوارِبُ [7]
ولَــرُبَّ ليــلٍ قــد طَوَيْـــتُ رداءَه وعلى الأكامِ من الظلامِ جَلابِبُ
ليـــــلٌ تَرَامَى بالعَبِــيرِ نسيمُـــه والتُّرْبُ تَحْفِــزُهُ صَباً وجَنائِبُ [8]
وركِبْــتُ أَعْجازَ النجومِ وفِتْيَـــةٌ مثـلُ النجومِ طَوالِـعٌ وغَوارِبُ [9]

---

(١) المقانب : جمع المقنب ، وهو جماعة الخيل تجتمع للغارة .

(٢) في هـ : « وغربّان الرماح نواعب » .

(٣) في نسخة من مطلع الفوائد : « فم متثائب » .

(٤) في ك : « رهاؤه .. والأكم منه مع الجياد لواغب » . وفي هـ : « والأكم منه على الجياد » .
والزهاء : المقدار .

(٥) في ك : « تهدي أواخره الأوائل » .
والجنيب : الفرس المنقاد إلى الجانب ، أي الذي يقوده .

(٦) المعمعة : صوت اشتعال النار في قصب ونحوه . والكبة : الحملة في الحرب .

(٧) في س ، ك : « سيل تحير » .

(٨) في الأصل : « تحفزه ضبا وجنادب » ، وفي هـ : « تحقره صبا ونجائب » .
والصبا : ريح الشمال ، والجنائب : جمع الجنوب ، وهي المقابلة للصبا .

(٩) رواية البديع في نقد الشعر للبيت :
وركبت أعجاز النجوم بفتية أمثالهن طوالع وغوارب

غُلْبٌ كأنهمُ الصقورُ جَوانحاً   وكأن أكْنافَ الجيادِ مَراقِبُ[1]
خُضْنا الظلامَ وكلُّنا بجَنانِه   مَاضٍ على عَجَلٍ وليس كواكبُ
وإذا قلوبٌ لم تكنْ كعُيونِنا   لم يُغْنِنا أنَّ النجومَ ثَواقِبُ
وأذَلَّ من قَبْرِ الخُمولِ نَشَرْتَهُ   فَغَدا يُناهِبُكَ العُلا ويُجاذِبُ
أوْسَعْتَه كَرَماً فأوْغَرَ صَدْرَهُ   إنَّ الأقاربَ بعدهَا لَعقاربُ[2]
جُودٌ ضعيفٌ أن تُلِمَّ مُلِمَّةٌ   لِمُؤَمِّلٍ وأذىً أَلَدُّ مُشاغِبُ[3]
ولقد مَلأْتَ على عدوكَ جِلْدَه   حتى طَمَا جَزَعٌ وضاق مَذاهِبُ[4]
بالعقلِ يُبْلَغُ ما تعذَّر بالْقَنَا   وظُبَى القَوَاضِبِ والعقولُ مَواهِبُ[5]
أمُنِيلَ طالبِ نائلٍ من جُودِه   كمَنالِ صدرِ العَضْبِ يومَ يُضارِبُ
اليومُ من فِتْيانِ دهرِك فارْعَهُ   وجميعُ أيامِ الزمانِ أَشائِبُ[6]
والعِيدُ داعيةُ السُّرورِ ولَيْتَه   أبَداً على بعضِ الرجالِ مَصائِبُ
فَتَهنَّ طَمَّاحَ العَلاءِ ولا تَزَلْ   في غَمْرِ جُودِك للرِّجالِ رَغائِبُ
خيرٌ من المالِ الذي يُعْطِيكَه   وأحدُّ من غَرْبِ الحُسامِ الضارِبُ

* * *

(١) في س : « وكأن أكتاف الجياد مراقب » ، وفي ك : « وكأن أكتاف الجياد مراكب » ، وفي الأصل ، هـ: « وكأن أكناف الجياد مراكب » ، وبين هذا البيت والذي بعده تقديم وتأخير في : م ، وفي البديع في نقد الشعر :

غلب كأطراف الصقور حوائما   وكأن أكتاد المطى مراقب

والغلب : غلاظ الأعناق ، والمراقب : جمع المرقبة ، وهي المكان العالي المشرف يعلوه الرقيب .

(٢) في ك : « أوسعته كرما وأوسع ضده » .

(٣) يقول : إنه يضعف الجود أن تنزل بالمؤمل نازلة من ورائه أو تصحبه .

(٤) طما : علا وارتفع . وبين هذا البيت والذي بعده تقديم وتأخير في : هـ .

(٥) في ك : «تبلغ ما تعذر » وفي هـ: « تبلغ ما تعذر ... والعقول مذاهب » .

(٦) في م : « من فتيات دهرك » .

(١٣)*

وقال يمدحه ويُهَنِّيه بعيد الفطر من سنة ثمانين وثلاثمائة ، ويذكر حُسْنَ تَلافِيه للفتنة الحادثة بين السُّنَّة والشِّيعة[١] : [طويل]

ألا حَيِّها رَبَّ العُلا من غَوارِبِ ... تَعَرَّفْنَني بين العُلا والمَطالِبِ[٢]

وما لي ولِلْآمالِ من دونها الْقَنَا ... تُهَزُّ وسَوراتُ النَّوَى والنَّوائِبِ[٣]

سئمتُ زماناً تنتحيني صُروفُه ... وُثُوبَ الأفاعي أو دَبِيبَ العقاربِ

مُقامُ الفتى عجزٌ على ما يَضِيمُه ... وذُلُّ الجريءِ القلبِ إحدى العجائبِ

سأَرْكبُها بَزْلاءَ إمَّا لمادِحٍ ... يُعَدِّدُ أفعَالي وإمَّا لِنادبِ[٤]

(*) القصيدة في : الأصل ، س ك ، م ، ه .

(١) قامت هذه الفتنة بعدما سار بهاء الدولة عن بغداد ، فثار العيارون بجانبيها ، ووقعت الفتن بين أهل السنة والشيعة ، وكثر القتل بينهم ، وعمت الفوضى حتى أصبح لكل محلة أمير ، وأخذت الأموال ، وأحرقت المحال ، ووقع حريق بنهر الدجاج ، ودام ذلك عدة شهور إلى أن عاد بهاء الدولة إلى بغداد .
البداية والنهاية ٣٠٨/١١ ، الكامل ٣٢/٩ ، المنتظم ١٥٣/٧ .
وقد تفرد ابن الجوزي بذكر ما فعله أبو أحمد الموسوي حيث قال تعقيبا على هذه الحوادث: « وتوسط الشريف أبو أحمد الموسوي الأمر » .

(٢) في ك : « تعرقنني بين المنى والمطالب » ، وفي م : « تعرقني بين العلا والمطالب » ، وفي ه : « تعرقني بين المنى والمطالب » .

(٣) سورة النوى : شدته وبرحاؤه .

(٤) البزلاء : الداهية العظيمة .

إذا فُـلَّ عَـزْمُ المرءِ قَلَّ انْتصارُه وأقْلَعَ عنـه الضَّيْمُ دَامِي المَخالبِ[1]

وضاقتْ إلى مـا يشْتهي طُرْقُ نفسِه ونال قليلاً مَعْ كثيرِ المَعـائِبِ

وما بلَـغ المَـرْمَـى البعيدَ بهمَّـةٍ سوى المرءِ يغْدُو عُرْضةً لِلْجَواذِبِ[2]

وما جَرَّ ذُلَّا مثـلُ نفسٍ جَـزُوعةٍ ولا عاق عَـزْماً مثلُ خوفِ العَوَاقبِ

ألا ليت شِعْـرِي هل تُسالِمُـني النَّوَى وتخْبُـو همومِي من قِـراعِ المَصائبِ

إلى كم أَذودُ العَيْنَ أن يسْتَفِزَّهَـا وَمِيضُ الأماني والظُّنونِ الكواذبِ[3]

حُسِدتُ على أني قَنِعتُ فكيف بي إذا ما رمَى عَزْمِي مَجالَ الكواكبِ

وما زال للإنسانِ حاسدُ نعمـةٍ على ظاهرٍ منها قليـلٍ وغائـبِ

وأبْقَتْ لِيَ الأيامُ حَزْماً وفِطْنـةً ووَقَّـرْن جَأْشِي بالأمورِ الغرائبِ

تَـوزَّع لحمي في عَواجِمَ جَمَّـةٍ وبان على جَنْبَـيَّ وَسْمُ التَّجارِبِ[4]

وأرضٍ بها بِعْتُ الصَّبابـةَ والصِّبا وناهَض قلبي الهمُّ من كلِّ جانبِ

وزَورٍ من الأضْغانِ نحوي كأنَّما يُلاقِيهمُ شَخْصِي لِقاءَ المُحارِبِ[5]

أُناسِيهمُ بَغْضَاءَهم غيرَ غافـلٍ وأَسْأَلُهـم معروفَهـم غيرَ راغبِ

وإني لأَطْوِيهم على عُظْمِ دائِهـم وأقعُـد منهم بين دَامٍ وجَالِـبِ[6]

---

(١) في س ، م ، هـ : « إذا قل عزم المرء » .
وفل عزمه : تثلم ، ومعنى قوله : « وأقلع عنه الضيم دامي المخالب » أي أجهز عليه الضيم وأهلكه .

(٢) في س ، م ، هـ :
وما بلغ المرمى البعيد سوى امرئ يروح ويغدو عرضة للجواذب

(٣) يذود العين : يمنعها ويدفعها .

(٤) يقال : عجم العود : عضه ليعلم صلابته من لينه ، يعني أنه اختبر فوجد صلبا لا يلين .

(٥) في الأصل : « وذود من الأضغان » .
والزور : الزائرون .

(٦) في الأصل ، ك : « بين دام وحالب » .
وجالب : اسم فاعل من جلبه ، إذا توعده بالشر .

ألا رُبَّ مجدٍ قد ضَرَحْتُ قَذاتَـه ... وكان على الأيَّـامِ جَمَّ الشَّوائِبِ[1]

وسِـرٍّ كتمتُ الناسَ حتى كتَمتُه ... ضُلوعي ولم أُطْلِعْ عليه مَـآربي

وأغْيَدَ محسودٍ على نُـورِ وجهِـه ... هجرتُ سوى لَحْظِ البعيدِ المُجانِبِ

وغَيْـداءَ قِيدَتْ للعِناق مَلَكْتُهـا ... فنزّهْـتُ عنها بعد وَجْدٍ تَرائبـي[2]

وما عِفَّـةُ الإنسانِ إلاَّ غَبَـاوَةٌ ... إذا لم يُكافِحْ داءَ وَجْدٍ مُغالِبِ[3]

وعَزْمٍ كأَطْرافِ الأَسِنَّـةِ في الْحَشا ... طعَنتُ به كَيْدَ العـدوِّ المُـوارِبِ[4]

وضَيْمٍ كما مَضَّ الجراحُ نَجوْتُـه ... إلى المَنْظَرِ الأعْلَى نَجاءَ الرَّكائبِ[5]

وخُطَّةِ خَسْفٍ فُتُّها غـيرَ لَاصِقٍ ... بيَ العـارُ إلاَّ ما نَفَضْتُ ذَوائِبي[6]

على هِمَّةٍ أيْدِي الهُمُـومِ سِياطُهـا ... تسُوق بها الآمالَ سَوْقَ النَّجائِبِ[7]

إلى قائمٍ بالمجدِ يَحْمِي فُـروجَه ... ويطعُـن عنـه بالْقَنـا والرَّغائِبِ

مُقيمٍ بطِيبِ الذِّكْـرِ في كلِّ بَلْدةٍ ... وقد عَـوَّدَ الأكْـوارَ جَبَّ الغَوارِبِ[8]

فتًى صحِب البأسُ النَّدَى في بَنانِه ... بفَيْضِ العَطَايا والدماءِ السَّـوارِبِ

لأَمْجَدِ فَـرْعٍ في عَرانِينِ هـاشِمٍ ... وأنْجَبِ عُـودٍ من لُـؤَيِّ بنِ غالبِ[9]

(١) في الأصل ، س : « قد ضرحت قداحه » ، وفي ه : « قد طرحت قذاته » .
وضرحه : دفعه ونحاه .

(٢) في ك : « وغيداء قدت للعناق » .

(٣) في الأصل : « إلا عناؤه » .

(٤) في ه : « العدو المحارب » .

(٥) مضت الجراح : آلمت ، كأمضت ، ونجوته : كشفته ، أو نجوت منه ، ونجاء الركائب ، أي حين تسرع لتنجو من مفازة ونحوها .
وفي م : « إلى المظهر الأعلى » ، وفي س ، ك : « إلى المنظر العالي » . وفي ه : « كما مر الجراح نحوته » .

(٦) في س ، م : « غير لاحق » ، وفي ه : « غير لاحق .. ما نقضت ذوائبي » .

(٧) في م ، ه : « أيدي المنون » .

(٨) الأكوار : جمع الكور ، وهو رحل الناقة أو الرحل بأداته ، والغوارب : جمع الغارب : وهو ما بين الظهر أو السنام والعنق . وفي ه : « جب الرغائب » .

(٩) العرنين : الأنف ، وهو موضع العزة من الرجل أو القوم .

لهم سُرَّةُ المجدِ التَّليدِ وسِرُّه ... ومَحْضُ المَعالِي فيهمُ والمَناقِبِ
يَبِيتُون أغْمادُ السُّيوفِ نُحورُهم ... ويَغْدُون جُرَّارَ الرِّماحِ السَّوالِبِ
تَرَقَّوا عليها كلَّ مجدٍ ونكَّسُوا ... بأطْرافِها عن عاقِداتِ السبائِبِ[1]
وخَطْبٍ على الزَّوراءِ ألْقَى جِرانَهُ ... مَدِيدِ النَّواحِي مُدْلَهِمِّ الجوانبِ[2]
وأضْرَمها حمراءَ ينْزُو شَرارُها ... إلى جَنَباتِ الجَوِّ نَزْوَ الجَنادِبِ[3]
سَلَلْتَ عليه الحَزْمَ حتى جَلَوْتَه ... كما انْجابَ غَيْمُ العارضِ المُتراكِبِ
وقد علِم الأعْداءُ أنَّك تحتَه ... غَلَبْتَ وما كان الْقضاءُ بغالبِ
وأقْشَعْتَ من بغدادَ يوماً دَوِيُّه ... إلى الآنَ باقٍ في الصَّبا والْجَنائِبِ
ولولاك عُلِّي بالْجَماجِمِ سُورُها ... وخُنْدِق فيها بالدِّماءِ الذَّوائبِ[4]
وكم لك من يومٍ تركْتَ به الظُّبى ... مَضارِبَها مشغولةً بالضَّرائبِ
سَوابقُه ما بين كابٍ وناهِضٍ ... وأقْرانُه ما بين هاوٍ وواثبِ
وقُدْتَ إليه الخيلَ يُسْبَبْنَ بالْقَنا ... ويَسْبُبْنَ بَوْغاءَ الْمَلا والسَّباسبِ[5]
ثِقالاً بأعْباءِ العوالي كأنما ... يطَأْنَ الرُّبا وَطْءَ الإماءِ الحَواطبِ
مُعاوِدةً عَضَّ الشَّكِيمِ يُمِضُّها ... رَشاشُ الْحَوَانِي بالنِّبالِ الصَّوائبِ[6]

---

(١) في س ، م : « عن عاقدات السباسب » ، وفي هـ : « عن قاعدات السبائب » .
والسبائب : شعر الذنب والناصية والعرف من الفرس ، وعقدها يكون في الحرب ، ولعله أراد أنهم ينكسون الرماح عن النساء فلا ينالهن أذى في الحرب ، وهن اللائي يعقدن سبائب الخيل ،أو هن العاقدات ذوائبهن .

(٢) الزوراء : بغداد ، وهو يشير الى الفتنة التي سبق الحديث عنها في صدر القصيدة ، والجران : مقدم عنق البعير ، وألقى جرانه : ثبت واستقر .

(٣) الجنادب : جمع الجندب ، وهو نوع من الجراد .

(٤) في س : « بالجماجم صورها » .

(٥) في الأصل : « وقدت إليه الخيل تسبين بالقنا ويسبين ..»
والبوغاء : ما ثار من الغبار .

(٦) في س : « يمصها .. رشاش الجواني .. » وفي م : « يمصها رشاش الحواني » ، وفي هـ : يمصها .. رشاش الحواني » . =

وقد شَمَّـر التّحْجيلُ عن رُكُـباتِها ... وحَجّلَها خَوْضـاً نَجيعُ المَقَانِبِ [1]

فقَصَّدْتَ فيـه كـلَّ سَمْراءَ لَدْنَةٍ ... وأنْحلْتَ فيه كـلَّ أبيضَ قاضبِ [2]

وأصْدَرْتَ عنه الجيشَ من بعدِ هَبْوَةٍ ... تُوَصِّلُ أعْنَاق الْقَنا والقَوَاضِـبِ [3]

وأَرْعَنَ دَمَّـاغِ الرُّبَـا في مَجَـرِّهِ ... يُطَبِّـقُ عُرْضَ البيدِ ذاتِ الْمَنَاكبِ [4]

سَرَيْتَ به حتى تقلّـص نَقْعُـــه ... من الفجرِ طَلَّاعاً ثَنايا الغَيَاهِبِ [5]

وفي كلِّ يـومٍ أنتَ بالعَـزْمِ راكبٌ ... قَرادِيدَ أمرٍ لا تَـذِلُّ لراكبِ [6]

وليس عجيباً أنْ تَخَمَّـطَ بـــازِلٌ ... سَرَتْ فيه أعْـراقُ القُرُومِ المَصاعِبِ [7]

تداركْتَ أطْنابَ الخلافةِ بعـــدَما ... دَنَـا الضَّيْمُ حتى مَسَّهـا بالرَّواجِبِ [8]

= والشكيم : جمع الشكيمة ، وهي الحديدة المعترضة في فم الفرس ، وأمضه : آلمه وأتعبه ، والحواني : أطول الأضلاع كلها .

(١) التحجيل : بياض في قوائم الفرس ، والنجيع : الدم القاني ، والمقانب : جمع المقنب ، وهو الجماعة من الخيل .
وفي س : « عن نكباتها » ، وفي م : « عن جنباتها » .

(٢) في الأصل ، س ، م : « فقصرت فيه » ، وفي هـ : « فقهقرت فيه » .
وقصد الرمح : كسره .

(٣) الهبوة : الغبرة .

(٤) الأرعن هنا الجيش ، شبهه بالجبل ذي الرعان ، وهي أنوفه ، وعرض البيد ـ بالضم ـ صفحتها .
وفي هـ : « وإن عز دماغ الربا » .

(٥) في س ، م ، هـ : « طلاعا جبال الغياهب » .
والنقع : الغبار ، والغياهب : الظلمات .

(٦) في الأصل : « قلائد أمر » . وسقط عجز هذا البيت وصدر الذي يليه من : هـ .
والقراديد : جمع القردود ، وهو ما ارتفع وغلظ من الأرض .

(٧) تخمط : تكبر وغضب ، وتخمط الفحل : هدر : والبازل : البعير في تاسع سنيه ، وليس بعده سن تسمى ، والقروم المصاعب : السادة النجباء . وأصل القرم : الفحل لم يمسسه حبل .

(٨) الرواجب : مفاصل أصول الأصابع .

وما زلتَ تَرْمِي قلبَ كـلِّ مُجاذِبٍ ... يُجاذبهـا حتى قلـوبَ الأقـاربِ
هنيئـاً لك العِيدُ الجديدُ فإنـــه ... يَسُلُّ لك الإقْبالَ عَضْبَ المضاربِ
وعِزُّك باقٍ لا يُـزَلْـزَلُ طَـــوْدُه ... وكلُّ المَعـالِي بين ماضٍ وآيـبِ
وما راقتِ الأعْيـادُ إلاَّ بغُـــرَّةٍ ... تبلَّـجُ عن نُورٍ من المجدِ ثاقبِ
وكيف يَسُرُّ الفِطْرُ مَن عاش دهرَه ... بعُنْوانِ مَعْروق الجَناجِـنِ شاحبِ [1]
إذا ما امْرُؤٌ لم يكْسُهُ الشَّيْبُ عِفَّةً ... فما الشيبُ إلَّا سُبَّةٌ للأَشائِـبِ [2]
أنا القائلُ المَرْموقُ من كلِّ ناظرٍ ... إذا صَلْصَلـتْ للسَّامعـين غَرائِبـي
وما صُنْـتُ شِعْرِي عنك زُهْـداً وإنما ... هو الدَّرُّ لا يُمْرَى لغير الْحَوالبِ [3]
ولـي من قَـريضي مُنيـــةٌ لضمـيره ... ولكنَّني آبـى دَنِيَّ المَكـــاسبِ [4]
وما كـلُّ شُغْلِي بالمَقـالِ أَرُوضُه ... ولا أنا بالقَـوَّالِ ضَرْبَةَ لازبِ [5]

* * *

(١) في الأصل : « معروف الحنادب شاحب » ، وفي س ، م : « معروف الجناجن شاحب »
والجناجن : عظام الصدر ، ومعروقها ، قليل لحمها ، وهو يصف شحوب جسمه لدوام صيامه وتعبده .

(٢) في الشهاب : « إذا ما الفتى » .

(٣) في س ، م ، ه : « بغير الحوالب » . وفي ه : « هو الدهر بغير الحوالب »
ومرى الضرع : إذا مسحه ليدر .

(٤) في س ، م : « ولي من قريضي منبه » ، وفي ك : « ولي من قراضي منية » .

(٥) ضربة لازب : ثابت لازم .

(١٤) *

وقال يمدحه ويُهنِّيه بعيد الأضحى من هذه السنة : [وافر]

أرَابكِ من مَشِيبي ما أرابَا — وما هذا البياضُ عليَّ عَابَا (١)

لئن أبْغَضْتِ منِّي شَيْبَ رأسِي — فإنِّي مُبْغِضٌ منكِ الشبابَا (٢)

يذُمُّ البيضُ عن جَزَعٍ مَشِيبي — ودَلُّ البيضِ أوَّلُ ما أشابَا (٣)

وكانتْ سكْرَةً فصَحَوْتُ منها — وأنْجَبَ من أبَى ذاكَ الشَّرابَا (٤)

يمِيلُ بيَ الهوى طَرَباً فأنْأَى — ويَجْذِبُني الصِّبا غَزَلاً وآبَى (٥)

ويمْنَعُني العفافُ كأن بيني — وبينَ مَآربي منه هِضابَا

نَصَلْتُ عن الصِّبا ومُصاحِبِيهِ — وأبْدَلَني الزمانُ بهم صِحَابَا (٦)

(*) القصيدة في : الأصل ، س ، ك ، م ، هـ .

(١) في لشهاب : « من مشيب» .

(٢) جاء في الشهاب تعليقا على هذا البيت : « يريد بقوله : فإني مبغض منك الشبابا ، أنني قد عرفت وانصرفت عن الشغف بالنساء وهواهن ، فما أبالي بشبابهن ولا كبرهن ، وهما عندي سيان في الإعراض عنه ، يدلك على هذا البيت الأخير » وهو يعني البيت الرابع في القصيدة .

(٣) في م والشهاب : « من جزع » . وفي الشهاب : « ودل الشيب » .

(٤) في الشهاب : « فصحوت عنها » .

(٥) في هـ : « يميلني الهوى طربا » .

(٦) نصلت عن الصبا : خرجت عنه .

ولَمَّا جَدَّ جِدُّ الْبَيْنِ فينا وَهَبْتُ له الظَّعائِنَ والْقِبَابَا
وما رَوَّعْتُ من جَزَعٍ جَنَاناً ولا رَوَّيْتُ من دمعٍ جَنابَا
دَعِيني أطلُبُ الدنيا فإنِّي ارَى المسعودَ رُزِقَ الطِّلابَا
ومَن أبْقَى لآجِلِه حديثاً ومَن عانَى لعاجِلِه اكْتسابَا
وما المَغْبونُ إلَّا من دَهَتْهُ ولا مجداً ولا جِدَةً أَصابَا [1]
فلا واللهِ أتْرُكُها خَلِيًّا ولمَّا أجْنُبِ الأَسْدَ الغِضَابَا [2]
وأرْكَبُها مُحَصَّنَةً شَبُوباً تُمانِع غيرَ فارِسِها الرِّكابَا [3]
إذا نَهْنَهْتُهَا أَرِنَتْ جِماحاً إلى أَمَلِي تُجاذِبُني جِذابَا [4]
فإمَّا أَمْلأُ الدنيا عَلاءً وإمَّا أمْلأُ الدنيا مُصابَا
سَجِيَّةُ مَن رعَى الأيامَ حتى أَشاب جَماجِماً منها وشابَا
وهل تُشْوَى حَقَائِقُ ألْمَعِيٍّ إذا ما ظَنَّ أعْرَضَ أو أصابَا [5]
ولم أرَ كالمَآرِبِ رَامِياتٍ بنا الدنيا بِعاداً واقْتِرابَا [6]
تُخَوِّضُنا البحارَ مُزَمْجِراتٍ وتسْلُكُنا المَضايقَ والعِقابَا
وأعْظَمُ مِن عُبابِ البحرِ حِرْصٌ على الأرْزاقِ أرْكَبنا العُبابَا [7]
وغُلْبٍ كالْقَواضِبِ من قريشٍ يُرَوُّون الْقَوَاضبَ والكِعابَا [8]

(١) الجدة : الغنى واليسار .
(٢) أجنب الأسد : أقودها إلى جانبي منقادة .
وفي س : « أجلب الأسد » .
(٣) الشبوب : الفرس تجوز رجلاه يديه .
(٤) نهنهتها : كففتها ، وأرنت : نشطت .
(٥) في ،س : « إذا ما ضن أغرض » ، وفي ك ، م ، ه : « إذا ما ظن أغرض » .
وتشوى : تصاب شواته ، وهي أطرافه ، والحقائق : جمع الحقيقة ، وهو ما يجب على الإنسان أن يحميه .
(٦) في ك : « بنا أبدا بعادا واقترابا » .
(٧) في الأصل : « أركبنا الصعابا » .
(٨) الغلب : جمع الأغلب ، وهو الغليظ العنق .

فما وَلَدَ الأجــارِبُ من تمــيمٍ نَظِيرَهُــمُ ولا الشُّعْرُ الرِّقَابَــا [1]

وإن المجــدَ قد علمــتْ مَعَـــدٌّ ودارَ العِـــزِّ والنَّسَبَ القُــرَابَا [2]

لأَطْـوَلِهِم إذا ركبُوا رِمــاحــاً وأعْلاهم إذا نزَلــوا قِبابَـــا

وأغْزَرِهِم إذا سُئلــوا عَطـــاءً وأَوْحاهم إذا غَضِبــوا ضِرابَا [3]

بنو عَـمٍّ النــبيِّ وأقْــرَبُــوه وأَلْصَقُهـــم به عِــرْقاً لُبابَــا [4]

عُــلاً بيَدِ الحسين ذُؤابَتَـــاهــا وفَــرْعاهــا اللَّــذا كَثُـرَا وطابَا [5]

وكانتْ لا تُجَــارُ من الأَعــادِي فساَنَد غَرْبُـــه ذاك النِّصَابَـــا [6]

وحَصَّنَهـــا فليس يَنـــالُ منهـــا ذَنوبـــاً من يَهُـــمُّ ولا ذُنابَى [7]

هُمـــامٌ مـــا يزالُ بكـــلِّ أرضٍ يُبَرْقِـــعُ تُرْبَهـــا الخيلَ العِرابَا [8]

---

(١) في ك : « فما ولد الأعارب » .
والأجارب هم : عوف ، وحرام ، وربيعة ، وعبد العزى ، وعبشمس ، وجشم ، والحارث الأعرج ، بنو كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم . جمهرة أنساب العرب ٢١٦ .
ويقال للرجل الشديد : فلان أشعر الرقبة ؛ شبه بالأسد وإن لم يكن ثم شعر . اللسان (ش ع ر) ٤١١/٤ .

(٢) النسب القراب : القريب .

(٣) أوحاهم : أسرعهم . وفي هـ : « وأوجهم إذا غضبوا .. » .

(٤) اللباب : الخالص .

(٥) اللذا : هكذا على لغة بلحارث وبعض ربيعة ، وهم يحذفون نون اللذان واللتان في حالة الرفع تقصيرا للموصول لطوله بالصلة لكونهما كالشيئ الواحد . حاشية الصبان على الأشموني ١٤٧/١ .

(٦) النصاب : مقبض السكين ، وغربه : حده .

(٧) الذنوب : الدلو لها ذنب ، والذنابى : ذنب الطائر ، وجاء رسمها في الأصول : « ذنابا » ، وهو بكسر الدال : خيط يشد به ذنب البعير ، أو عقب الشيئ ومؤخره .

(٨) في س : « هما لا يزال » .
والخيل العراب : السالمة من الهجنة .

نزائِـعُ كالسِّهامِ كُسِـينَ نَخْضـاً ... خَفِيفـاً لا اللُّـؤَامَ ولا اللُّغابَـا [1]

مُحَبَّسَةٌ على الأهْـوالِ تَلْقَـى ... بهـا العِقْبَـانَ رافعـةً الذُّنـابَـى

يُوَقِّـرها فتحسِبُهـا أُسـوداً ... ويُطْلِقهـا فتحسِبُهـا ذِئابَـا

وأعْطَتْـه الرُّؤوسَ مُسَوَّمـاتٍ ... يدُقُّ بهـا الْجَنادِلَ والظِّـرابَا [2]

إذا قطعـتْ به شَـأْواً بَـلاهَا ... بأبْعَـدَ غايـةً وأَمَـدَّ قَابَـا [3]

تَجاوَزَهُ المَقَـاوِلُ وهْـو بـاقٍ ... يُـذُّ رِقَـابَ غُلْبِهِمُ غِـلَابَا [4]

كَنَصْلِ السيفِ تَسْلَم شَفْـرَتَـاهُ ... ويُخْلِـق كـلَّ أيـامٍ قُـرابَا [5]

إذا اشْتَجَـر الْقَنَـا فَصَـلَ الْهَوَادِي ... وإن قَـرَّ الوَغَـى فَصَـلَ الخِطابَا [6]

بَلَا وبلَـتْ يَـداهُ من الأعـادِي ... أَراقِـمَ نُـزَّعـاً وقَنـاً صِلابَا [7]

فقَـوَّمَ بالأذَى منهـا صِعـاداً ... وذَلَّـلَ بالرُّقَى منهـا صِعابَـا [8]

وغادَر كـلَّ أرْقَمَ ذِي طُلـوعٍ ... على الأعداءِ يَدَّرِعُ التُّـرابَـا [9]

حَذار بني الضَّغائِـنِ مِن جَـرِيٍّ ... إذا مـا الرَّيْبُ بَادَهَـهُ أَرابَـا

---

(١) النزيعة من النجائب : التي تجلب إلى غير بلادها ومنتجها ، والنخض : اللحم ، واللؤام : الريش الذي يلائم بعضه بعضها ، واللغاب : السهم الفاسد لم يحسن بريه .

(٢) مسومات : معلمات . والظراب : ما نتأ من الحجارة وحد طرفه .

(٣) القاب : المقدار .

(٤) المقاول : جمع المقول ، وهو الملك من ملوك حمير يقول ما يشاء فينفذ ، وأراد هنا السادة العظماء .

(٥) في اليتيمة ونهاية الأرب : « ونصل السيف » .

(٦) في ك : « .. فصل الهوادي .. فصل الخطابا » ، وفي ه : « وإن فتر الهوى فصل الخطابا » . واشتجر القنا : اشتبك ، وفصل الهوادي : قطع الأعناق ، وفصل الخطاب : أي عدل في حكومته ، أو قال قولا بليغا .

(٧) الأرقم : أخبث الحيات ، وأطلبها للناس .

(٨) الصعدة : القناة المستوية المستقيمة .

(٩) يدرع التراب : يتخذه درعا .

يَغُضُّ على لَـــواحِـظِ أُفْعُـــوانٍ فإن سِيمَ الأذَى طلبَ الوِثابَـــا [1]
وإنَّ وَراءَ ذاكَ الحِلْـــمِ صَـــوْلاً وإنَّ لتلكمُ البُقْيَــا عِقابَـــا
ولـو أنَّ الضَّراغِـمَ نابَــذَتْـــه توَلَّـجَ خَلْفَهَا أَجَمـاً وغابَـا [2]
رَماكُـمْ بالضَّوامِـرِ مُقْرَبَــاتٍ يُــزاوِلْـنَ المَحَــانـيَ والشِّعابَـا [3]
ويُعْجِلْـــنَ الصَّـــريـخَ وهُـنَّ زَوْرٌ إلى الأعْـــداءِ يُرْسِلْنَ اللُّعَــابَا [4]
فأرْعَـــى من جَماجِمِكُـــم جَميماً وأَمْطَـرَ من دمائِكُـمُ سحابَـا [5]
لك الهِمَمُ الـتي عـرَف الأعَــادِي تُشِبُّ بكـلِّ مُظْلِمَـــةٍ شِهابَـــا [6]
إذا خَفَقَتْ ريَــاحُ العَزْمِ فيهــا تَبَلَّـــجَ عارِضٌ منهـا فصابَـا [7]
ومُشْرِعَـةُ الأسِنَّـــةِ ذاتُ جَـــرْسٍ يقُـود عُقَـابُ رَايتِهـا العُقَابَـا
تخُـوضُ الليـلَ يلْمَـعُ جانِباهَــا كأنَّ الصبحَ قد حَـدَرَ النِّقابَـا
لها في فُـــرْجَـةِ الفجـرِ اخْتِلاطٌ يَــرُدُّ الصُّبْـــحَ من رَهَجٍ غُرابَا [8]
وتغْـدُو كالكواكِبِ لامِعَـــاتٍ تُمزِّقُ من عَجاجَتِهـا الحِجابَا [9]
يُصافِحُهَا شُعَـــاعُ الشمسِ حتـى كأنَّ على الظُّبَـى ذَهَبــاً مُــذابَا

---

(١) في س ، ك : « فإن سئم الأذى » .
والأفعوان : ذكر الأفعى .

(٢) الأجم : جمع الأجمة ، وهي الشجر الكثير الملتف .

(٣) المقربات : المقربة إلى صاحبها لعتقها وأصالتها ، والمحاني : جمع المحنية ، وهي منعطف الوادي .

(٤) الصريخ : المستغيث أو الداعي إلى الحرب ، والزور : الزائرون ، ولعلها زُؤْر ، من الزئير . وفي س : « وهن زورا » ، وفي الأصل : « وهن زوزا .. يرسلن اللغابا »

(٥) الجميم من النبت : الكثير ، أو الكثير من كل شئ .

(٦) جاء هذا البيت في : ك بعد البيت ٥٤ الآتي .

(٧) صاب المطر : انصب ونزل .

(٨) في م : « من رهج غيابا » .
والرهج : الغبار المثار .

(٩) في ك : « وتغدو والكواكب لامعات » .
والعجاجة : الغبار أيضا .

صَدَمْتَ بها العدوَّ وأنتَ تدْعُو ... نَزالِ فأيَّ داعيةٍ أجابَا

وقَوَّضْتَ الخيامَ تذُبُّ عنها ... أُسودُ وَغىً وأصْفَرْتَ الوِطابَا (١)

رأَيْنا الطائعَ المَيْمُونَ بَدْءاً ... يَسُلُّك في النَّوائِبِ واعْتِقابَا (٢)

ولمَّا جَرَّب البِيضَ الْمواضِي ... رآك من الظُّبَى أَمْضَى ذُبابَا (٣)

فألْحَمَكَ العِدَا حتى تهاوَوْا ... ولا دِمَناً تحِسُّ ولا ضِبَابَا (٤)

هنَاكَ قُدومُ أعْيادٍ طِراقٍ ... تصُوبُ العِزَّ ما وَجدَتْ مَصابَا (٥)

وأيَّامٌ تجوزُ عليك بِيضٌ ... وقد قَرَعتْ من الإقْبالِ بابَا (٦)

فكم يومٍ كيومِك قُدْتَ فيه ... على الغُررِ المَقانِبَ والرِّكابَا (٧)

إلى البلدِ الأمينِ مُقوَّماتٍ ... تُماطِلُها التَّعجُّلَ والإيابَا

بحيث تُفَرِّغُ الكُومُ الْمَطَايا ... حَقَائِبَها وتَحْتَقِبُ الثَّوابَا (٨)

مَعالِمُ إن أجالَ الطَّرْفَ فيها ... مُصِرٌّ القَومِ أقْلَعَ أو أَنابَا (٩)

ففُزْتَ بها ثمانيَ مُعْلَمَاتٍ ... نَصَرْتَ بها النُّبُوَّةَ والكتابَا

---

(١) أصفرت الوطاب : أهلكتهم .

(٢) في ك : « يسلك في العظائم » .

واعتقابا : أي مرة عقيب مرة . وتقدمت ترجمة الخليفة الطائع لله في القصيدة الأولى .

(٣) في م : « ولما جرت البيض » .

وذباب السيف : طرفه .

(٤) ألحمك العدا : جعلهم طعمة لك ، والدمن : الأحقاد ، والضباب : الأضغان .

(٥) في هـ : « سناك قدوم أعياد طراق » .

وطراق : يطرق بعضها إثر بعض ، والمصاب : مكان صوب المطر ، أي نزوله .

(٦) في اليتيمة : « وقد فتحت » .

(٧) المقانب : جمع المقنب ، وهي الجماعة من الخيل .

وفي اليتيمة : « وكم يوم » .

(٨) في الأصل : « وتجتنب الثوابا » ، وهو خطأ .

والكوم : القطعة من الإبل ، وهو جمع الكوماء ، وهي الناقة العظيمة السنام ، واحتقب الثواب : اكتسبه .

(٩) في اليتيمة : « مسيء العوم » .

بَعَثْتُ لكَ الثَّنَاءَ على صَنِيعٍ إذا ما هِبْتَ دَعْوتَه أَهابَا
رَغائِبَ قد قَطَعْنَ حَنِينَ عِيسٍ فلا نَأْياً أُرِيغُ ولا اغْتِرَابَا [1]
وقيلَ اليومِ ما أَغْمَدْنَ عنِّي من الأيامِ نائِبَةً ونابَا

* * *

(١) أريغ : أريد .

(١٥)*

وقال يمدح خالَه أبا الحسين أحمد بن الحسين [الناصر]، ويهنيه بمولودة جاءته [١]:

[بسيط]

لكلِّ مجتهدٍ حظٌّ من الطَّلبِ ... فاسْبقْ بعَزْمِك سَيْرَ الأَنْجُمِ الشُّهُبِ

وارْقَ المَعالي التي أَوْفَى أبوك بها ... فكم تَناوَلَها قومٌ بغيرِ أبِ

ولا تَجُزْ بصُروفِ الدهرِ في عُصَبٍ ... من الْقَرَائِنِ غيرِ السُّمْرِ والقُضُبِ

نَدْعوكَ في سَنَةٍ شابتْ ذَوائِبُها ... حتى تُفَرِّجَها مُسْوَدَّةَ القَصَبِ [٢]

(*) القصيدة في : الأصل ، س ، ك ، م ، هـ .

(١) « ما بين المعقوفين ساقط من الأصل .

وأما خاله ، فهو أبو الحسين أحمد بن الحسين ـ أو الحسن ـ بن أحمد ؛ من ذرية علي زين العابدين بن الحسين بن علي عليه السلام .

ولم أجد في المصادر التي بين يدي ما يجلي شيئا عن حياته ، وسيرثيه الرضي بقصيدة ، مؤرخة سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة ، ترد في باب الرثاء .

ووجدت في كتاب « الشريف الرضي ، ترجمته » لمحمد رضا آل كاشف الغطاء صفحة ٣٧ في نقله عن مقدمة كتاب الناصريات للمرتضى ذكر والده الملقب بالناصر ، وقد تسلم نقابة العلويين بمدينة السلام سنة اثنتين وستين وثلاثمائة عند اعتزالها من قبل أبي أحمد الموسوي ، والد الرضي والمرتضى ، وذكر المرتضى أن وفاته كانت سنة ثمان وستين وثلاثمائة .

(٢) كنى بشيب الذوائب : عن الجدب والقحط لما يطبق من الثلج والبرد ، وبسواد القصب عن الخصب ، وإذا اشتدت خضرة النبات ضرب إلى السواد ، وبه سمي سواد العراق ، لكثرة زرعه وشدة خضرته .

ولم تزلْ خُـدُعاتُ الـدهرِ تطْـرُقها حتى تعانَقَ عُودُ النَّبْـعِ والغَرَبِ [1]
أتَيْتَ تَحْتَلِبُ الأيـامَ أشْطُـرَها فكلُّ حادثـةٍ مَنْزُوحةِ الحَلَبِ [2]
لولا وَقَارُكَ في نَصْلٍ سَطَوْتَ به فاضتْ مَضارِبُـه من خِفَّة الطَّرَبِ [3]
وحُسْنُ رأْيك في الأرْماحِ يُنْهِضُها إلى الطِّعانِ ولولا ذاك لم تَثِبِ
كُـنْ كيف شِئْتَ فإنَّ المجدَ مُحْتَمِلٌ عنك المَعارِضَ في بَـدْءٍ وفي عَقِبِ [4]
ما زال بِشْرُك في الأيامِ يُؤْنِسُها حتى أضاءتْ سُروراً أَوْجُـهُ الحِقَبِ [5]
يَفْـدِيك كلُّ بَخِيلٍ مـات خاطرُه فإن حَضَرْتَ عَدَدْناه مـن الغَيَبِ [6]
إذا المَطامـعُ حامتْ حولَ مَـوْعِدِه أَنَّت إليه أنِينَ المُدْنَفِ الوَصِبِ [7]
وعُصْبةٍ جاذَبُـوك العِـزَّ فانْقَبَضتْ أَكُفُّهم عن دِراكِ المجـدِ بالطَّلَبِ
شابَهْتَهُم مَنْظَـراً أو فُتَّهم خَبَـراً إن الرُّدَيْنِيَّ مَعْدودٌ من القَصَبِ [8]

(١) في ك ، هـ : « ولم تزل خدعات الذل » .
وخدعات الدهر : ما يخدع به ، ولعله أخذه من قولهم : سنون خدَّاعة ، وهي التي يقل فيها الغيث ويعم بها المحل . اللسان (خ د ع) ٦٦/٨ .
والنبع : شجر صلب تتخذ منه القسي والسهام ، والغرب : السهم الذي يرمى فيصيب غير الهدف ، والغرب أيضا : شجر تسوى منه الأقداح . انظر اللسان (غ ر ب) ٦٤١/١ ، ٦٤٤ . وهو هنا يريد أن المحل اشتد حتى استوى الجيد والرديئ .
(٢) يقال : حلب الدهر أشطره ، إذا جربه وعرف خيره من شره ، وهو مأخوذ من أشطر الناقة ، ولها شطران قادمان وآخران .
(٣) في س : « لولا وقادك » .
(٤) في س : « عنك المغارم » ، وفي م ، هـ : « عنك المغافر » .
(٥) في س ، م ، هـ : « في الأزمان يؤنسها » .
والحقب : جمع الحقبة وهي المدة من الزمن .
(٦) في م : « فإن خطرت » .
والغيب ، بالتحريك : جمع الغائب .
(٧) في هـ : « إذا المطامع حالت » .
والمدنف الوصب : المريض الذي ثقل مرضه .
(٨) في ك : « وفتهم خبرا » .
و « أو » هنا بمعنى الواو ، والرديني من الرماح : زعموا أنه منسوب إلى امرأة السمهري ،=

هابُوا ابْتسامَك في دَهْيـاءَ مُظْلمةٍ — وليس يُوصَفُ ثَغْرُ الليثِ بالشَّنَبِ [1]
سَجِيَّةٌ لك فاتتْ كـلَّ مَنْـزِلةٍ — وضَعْضَعتْ جَنَباتِ الحادثِ الأَشِبِ [2]
نَسِيمُها من طِباعِ الرَّوْضِ مُسْتَرَقٌ — وطِيبُ لَـذَّتِها من شِيمَةِ الضَّرَبِ [3]
تَلْقَـى الخَمِيسَ إذا اسْـودَّتْ جوانِبهُ — بالمُسْتَنِيرَيْن من رَأْيٍ وذي شُطَبِ [4]
ونَثْرةٌ فوقهـا صَبْـرٌ تُظاهِرُه — أرَدُّ منهـا لأَذْرابِ القَنـا السُّلُبِ [5]
لو لم يُعَوِّضْـك هَجْـرُ العيشِ صَالحةً — ما كنـتَ تخرُج عن أثْوابه القُشُبِ [6]
يا ابـن الذين إذا عَدُّوا فضائلَهم — عَـدَّ النَّدَى ضَرْبَهم في هامَةِ النَّشَبِ [7]
بأَلسُنٍ رَاضَـةٍ للْقَـوْلِ لو نُصِبتْ — نابتْ عن السُّمْرِ في الأَبْدانِ والحُجُبِ [8]
لا يسْتَشِيرون إلّا كـلَّ مُنْصَلِـتٍ — حَامِي الحقيقةِ طَـلّاعٍ مع النُّوَبِ [9]

= تسمى ردينة ، وكانا يقوِّمان القنا بخط هجر . الصحاح (ردن) .

(١) الدهياء : النائبة الشديدة . والشنب : ماء ورقة وبرد وعذوبة في الأسنان .

(٢) الأشب : المختلط الملتف .

(٣) في هـ : « وطيب لذاتها » .
والضرب : العسل إذا ابيض وغلظ .

(٤) الخميس : الجيش ، وذو الشطب : السيف ، وشطبه : طرائقه في متنه .

(٥) في هـ : « أرق منها لأذراب القنا السلب » ..
والنثرة : الدرع السلسة الملبس أو الواسعة ، وفسر الشيخ محي الدين الأذراب بأنها الجراح التي لا تقبل الدواء ، وأرى أنه جمع الذرب ، وهو الحاد ، على غير قياس ، والقنا السلب : يحتمل وجهين ؛ أحدهما أن يكون جمع سلوب ، كأنه يسلب الناس أموالهم ، والآخر أن يكون جمع سَلِب ، وهو الطويل ، يقال : رمح سلب . انظر هذا القول للتبريزي في شرحه على ديوان أبي تمام ١/٦٠ ، ٦١ .
ومعنى البيت أنه يلبس درعا يعضدها صبر هو أقدر على رد القنا المذربة الطوال .

(٦) في م : « من أثوابه » . وفي هـ : « من أثوابها » .
والقشب : الجُدُد .

(٧) النشب : المال الأصيل من الناطق والصامت ، والضرب في هامته : بذله بالإنفاق .

(٨) في م ، هـ : « لو نضيت » .

(٩) في هـ : « طلاع على النوب » .
في س : « لا تستشيرون ... على النوب » ، وفي م : « طلاع على النقب » ، وفي هـ : « طلاع=

ذي عَزْمةٍ إن دَعاها الرَّوْعُ مُنْتَصِراً	تلفَّتتْ عن غِرارِ الصارمِ الخَشِبِ [(١)]
يَقْرون حتى لَوَ اَنَّ الضَّيْفَ فاتَهمُ	حَثُّوا إليه صُـدورَ الأَيْنُقِ النُّجُبِ
أو أَعْـوَزَ الخَطْبُ في ليلٍ بُيوتَهمُ	مَـدُّوا يَدَ النارِ في الأعْمادِ والطُّنُبِ [(٢)]
لو أن بَأْسَهُمْ جارَى الزمانَ إذاً	لَارْتَدَّ عن شَأْوِه مُسْتَرْخِيَ اللَّببِ [(٣)]
إنْ أَوْرَدُوا الماءَ لَم تَنْهَلْ جِيادُهُـمُ	حتى تُعَلَّ برَقْـراقِ الدَّمِ السَّرِبِ [(٤)]
قادُوا السَّوابِقَ مُحْفـاةً مُقَـوَّدةً	كأنها بحَثَتْ عن مُضْمَرِ التُـرُبِ [(٥)]
أعْطَافُها بالْقَنَـا الخَطِّـيِّ مُثْقَلَـةٌ	تكادُ تَعْصِفُ بالسَّاحاتِ والرَّحَبِ [(٦)]
ما انْفَكَّ يطْعُن في أعْقَابِ حافِلـةٍ	بذابلٍ من دمِ الأقْرانِ مُخْتَضِبِ [(٧)]
إذا امْترى عَلَقَ الأوْداجِ عامِلُـهُ	أعْشَى العَوالِي فلم تنظُرْ إلى سَلَبِ [(٨)]
ولا يزالُ يُجَلِّي نَقْعَ قَسْطِلِـهِ	بمُحْرَجِ الغَرْبِ مَلْآنٍ من الغَضَبِ [(٩)]

= على النوب » .

والمنصلت من الرجال : الشجاع الماضي في الحوائج ، والحقيقة : ما تجب حمايته من عرض وغيره .

(١) غرار السيف : حده ، والخشب أراد الخشيب فلم تساعده القافية ، والخشيب من السيوف : الصقيل المشحوذ .

(٢) الطنب : حبل طويل يشد به سرادق البيت .

(٣) اللبب : ما يشد من سيور السرج في صدر الدابة ليمنع استئخار السرج .

(٤) النهل : الشرب الأول ، والعلل : الشرب الثاني .

(٥) المحفاة : التي رق حافرها من شدة السير ، والمقودة : المقودة ، وشدد للكثرة . انظر اللسان (ق و د) ٣/٣٧٠ .

(٦) الرحب : جمع الرحبة ، وهي الأرض الواسعة المنبات المحلال .

(٧) في هـ : « في أثياب حافلة » .

والحافلة : الناقة التي حفل ضرعها ، أي غزر لبنه ، والذابل : الرمح الدقيق .

(٨) في س : « فلم ينظر إلى سلب » .

وامترى علق الأوداج : استخرج دماء الودجان ، وهما عرقان في العنق ، وأعشى العوالي : منعها النظر فلا ترى ، والسلب : ما على القتيل .

(٩) نقع قسطله : غباره أو غبار حربه ، ومحرج الغرب : يريد حد سيفه المضيق عليه فلا سبيل له إلا الضرب .

إذا انْتَضاهُ ليـومِ الرَّوْعِ تحْسَبُـه يسْتَلُّ مِن غمْدِه خَيْطاً من الذَّهَبِ[1]
وإن شاحَ بـه سال الحِمامُ لـه في مَضْرِبَيْه فلم يَرْقَـأْ ولم يُصَبِ[2]
جَذْلان يركعُ إن مال الضِّرابُ به مُطَرِّباً في قِبابِ البِيضِ والْيَلَبِ[3]
يا أيها النَّدْبُ إن السَّعْدَ مُتَّضِحٌ بطَلْقَةِ الوَجْهِ جَلَّتْ سُدْفَةَ الرِّيَبِ[4]
مَولودةٌ سقطتْ عن حِجْرِ والدةٍ جاءتْ بها مِلْءَ حِجْرِ المجدِ والحَسَبِ[5]
لَمَّا ظَمِئْتَ إليها قبلَ رُؤْيَتِها أعطيتَ لَـذَّةَ ماءِ الوِرْدِ بالقَرَبِ[6]
باشِرْ بطَلْعَتِها العَلْياءَ مُقْتَبِلاً فإنها دُرَّةٌ في حِلْيَـةِ النَّسَبِ[7]
واسْعَدْ بها واشْكُرِ الأَقْدارَ أن حَمَلَتْ إليك قُرَّةَ عينِ العُجْمِ والعربِ
وحُثَّ خَيْلَ كؤوسِ العـزِّ جامحةً إلى السُّرورِ بخَيْلِ اللهـوِ واللَّعِبِ[8]
وانثُرْ على الشَّرْبِ سِمْطاً من فَواقِعِها وابنُ الغَمَامِ يُسَمَّى بابْنَةِ العِنَبِ[9]
واصْدِمْ بكأسِك صدرَ الدهرِ مُعْتَقِلاً بصارمِ اللهوِ يَجْلُو قَسْطَلَ الكُرَبِ
كأسٌ إذا خُضِبتْ بالماءِ لِمَّتُها شابتْ وإن زَلَّ عنها الماءُ لم تَشِبِ[10]
نفسي تَقِيكَ فكم وَقَّيْتَني بِيَدٍ وقد أَلَظَّ بِيَ الزَّامُون من كَثَبِ

(١) في ك ، ه : « خيطا من اللهب » ، وفي م : « يسل من غمده » .
(٢) في م : « أو إن أشاح به » ، وفي ك : « ولم يرقأ » .
وأشاح : جد وحذر ، ورقأ الدم والدمع : انقطع مسيله .
(٣) اليلب : الدروع اليمانية من الجلود ، وقيل : جلود يخرز بعضها إلى بعض تلبس على الرؤوس خاصة .
(٤) الندب : السريع الخفيف في الحوائج ، والسدفة : الظلمة .
(٥) في الأصل : « من حجر والدة » .
(٦) القرب ، بالتحريك : سير الليل لورد الغد .
(٧) في س : « من حلية النسب » .
(٨) في ك : « وحث خيل الكؤوس الغر » .
(٩) في م : « وابن الغمام مسمى » .
والشرب : القوم الشاربون ، وابن الغمام القطر ، وابنة العنب : الخمر .
(١٠) في م : « عن كثب » .
وألظ به : لازمه ولم يفارقه .

إذا اتَّقَيْـتُ بك الأعـداءَ رَامِيـةً فواجبٌ أن أُوَقِّـيك النَّوَائِبَ بِـي

أبا الحسين أعِـرْ شِعْـرِي إصاخَةَ مَن تَرْوِي مَسامِعُه عن مُسْمِعٍ عَجَبِ[1]

إذا مَدَحْتُك لم أَمْنُنْ عليـك به فالمدحُ باسْمِك والمعنِي به نَسَبِـي[2]

* * *

(١) في س ، م : « يروي مسامعه من مسمع » ، وفي ك : « روى مسامعه من مسمع » .

(٢) في س : « والمعني به حسبي » ، وجاء عقيبه فيها : « وعتب عليه في هذا البيت ، فقال يعتذر اليه ، ويعلمه أنه ما قصد ولا عنى إلا مشاركته في النسب ، بقصيدة رائية ، تجيء في موضعها من القافية » .

(١٦)*

وقال يمدح أبا سعد بن خَلَف ، ويُهنِّيه بالمِهْرَجان(١) : [وافر]

أَلانَ جَـوانِبي غَمْــزُ الخُطـوبِ   وأعْجَلَني الزمانُ إلى المَشِيـــبِ

١٦

(*) القصيدة في : الأصل ، س ، ك ، م ، هـ .

(١) أبو سعد علي بن محمد بن خلف النيِّرمانيّ الهَمَذانيّ الكاتب .

كان يخدم في ديوان بني بويه ببغداد ، وصنف لبهاء الدولة « المنثَور البهائي » في مجلدة ، وهو نثر لكتاب « الحماسة » ، وكانت له صداقة بالأمير أبي الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي . توفي سنة أربع عشرة وأربعمائة .

ونيرمان التي ينتسب إليها : قرية من قرى الجبل بالقرب من همذان .

الأنساب ٥٧٤ أ وفيه « أبو سعيد محمد بن علي بن خلف » ، تتمة اليتيمة ١٢٦/١ ـ ١٣٠ ، دمية القصر ٥٤٧/١ ، فوات الوفيات ١٥٠/٢ ـ ١٥٢ ، كشف الظنون ١٨٥٩/٢ ، وفيه : « محمد بن علي الهمذاني » ، اللباب ٢٥١/٣ ، وفيه : « أبو سعد محمد بن علي بن خلف » ، معجم البلدان ٨٥٦/٤ . وفيه : « أبو سعيد محمد بن علي بن خلف » ، يتيمة الدهر ٤١٢/٣ ، ٤١٣ .

ويلاحظ أن صاحب معجم البلدان وصاحب اللباب وصاحب كشف الظنون ينقلون عن ابن السمعاني في الأنساب ، فأصل الخطأ واحد ، وقد رجحت أن صوابه : « أبو سعد علي بن محمد بن خلف » لأن الثعالبي وهو معاصر له ذكره كذلك ، وكذلك ساقه ابن شاكر في الفوات ، وكتابه مرتب ترتيبا هجائيا ، وجاء التصريح به في تقديم القصيدتين ٢٦٩ ، ٤٠٧ من هذا الديوان ، كما جاء التصريح باسمه « علي » في البيت ٢٩ من القصيدة الأولى ، وكذلك تردد ذكره على هذه الصورة في ديوان أخيه المرتضى ٤٢/١ ، ٣١٧/٣ وجاء التصريح بكنيته « أبو سعد » في البيت ٢٥ من القصيدة ٣٦ .

وكم يَبْقَى على عَجْمِ الليالي ... وقَرْعِ الدهرِ خائِرةُ الكُعوبِ [1]
نَبَا ظَهْرُ الزمانِ وكنتُ منه ... على جَنْبَيْ مُوَقِّعةٍ رَكُوبِ [2]
وقالوا الشَّيْبُ زار فقلتُ أهلاً ... بنَوْرِ ذَوَائبِ الغُصنِ الرَّطِيبِ
ولم أَكُ قبلَ وَسْمِك لي مُحِبًّا ... فيُبْعِدُني بَياضُك عن حبيبي [3]
ولا سَتَرَ الشبابُ عليَّ عَيْباً ... فأجْزَعُ أن يَنمَّ على عُيوبي [4]
ولم أَذْمُمْ طُلوعَك بي لشيءٍ ... سوى قُرْبِ الطلوعِ إلى شَعُوبِ [5]
وأعْظَمُ ما ألاقِي أنَّ دهري ... يَعُدُّ مَحاسِني لي من ذُنوبي
أقول إذا امْتَلأْتُ أَسًى لنفسي ... أيا نفسُ اصْبِري أبداً وطِيبي
دَعِي خَوْضَ الظلامِ بكلِّ أرضٍ ... وإعْمَالَ النَّجِيبةِ والنَّجيبِ
وجَرَّ ضَوامِرِ الأحْشَاءِ تَجْرِي ... كما تَهْوِي الدِّلاءُ إلى القَلِيبِ [6]
مُنَزَّفةً إلى الْغَاياتِ حتى ... تَرَنَّحَ في الشَّكِيمِ من اللُّغوبِ [7]
فليس الْحَظُّ للبطلِ المُحامِي ... ولا الإقْبالُ للرجلِ المَهِيبِ
ونَيْلُ الرِّزْقِ يُؤْخَذُ من بعيدٍ ... كَنيلِ الرزقِ يُؤْخَذُ من قريبِ

(١) في م : « جائزة الكعوب » .
وعجم العود : عضه لتعرف صلابته من لينه .
(٢) الموقع ، كمحدث : الخفيف الوطء ، والركوب : المذلل .
(٣) في س : « من حبيبي » ، وفي م : « فيبعد بي بياضك من حبيب » .
(٤) في م :«ولا ستر الزمان» . وفي مطلع الفوائد : « وما ستر .. » .
(٥) في ك : « طلوعك لي بشيئ » .
وشعوب : المنية .
(٦) في ك ، ه : « تهوي .. كما تهوي .. » . وكذلك في شروح سقط الزند .
والقليب : البئر .
(٧) في ك ، م ، ه : « مترفة إلى الغايات » .
ومنزفة إلى الغايات ، أي مستخرج أقصى ما عندها من الجري وصولا إلى الغاية ، من قولهم : نزف ماء البئر : نزحه كله . والتشديد للتكثير أو المبالغة . والشكيم : الحديدة المعترضة في فم الفرس ، واللغوب : التعب والإعياء .

وغايــةُ راكبِـي خُطَـطِ المَعــالِي كغايةِ مَـن أقام عن الرَّكــوبِ[1]

أليس الدهـرُ يجمعُنـا جميعــاً على مَرْعًى من الحِدْثانِ مُـوبِي[2]

كِـلانا تضْرِبُ الأيـــامُ فيـــه بجُــرْحٍ من نَـوائِبِهـا رَغِيــبِ[3]

أرى بُـرْدَ العفافِ أغَضَّ حُسْنــاً على رجلٍ من البُـرْدِ القَشِيــبِ[4]

عليَّ سَــدادُ نَبْلِي يــومَ أرْمِــي ورَبُّ النَّبْـلِ أعْلَـمُ بالمُصِيــبِ

ولي حَـثُّ الرِّكـابِ وشَـدُّ رَحْلِي ومالِيَ عِلْـمُ غامضـةِ الغُيُــوبِ

وما يُغْنِي مُضِيُّـك في صَعــــودٍ إذا ما كان جَـدُّك في صَبــوبِ[5]

تَطَأْطَأَتِ الــذَّوائــبُ للذُّنــابَـى وأُسْجِـدَتِ المَــوارنُ للعُجوبِ[6]

وخَرْقٍ كالسمــاءِ خرجــتُ منـه بجَـرْيِ أَقَــبَّ يَرْكَــعُ في السُّهوبِ[7]

يجُــرُّ عِنانَـــه في كــلِّ يــومٍ إلى الأعْـــداءِ مَعْقُــودَ السَّبِيبِ[8]

---

(١) في س : « على الركوب » .

(٢) الحدثان : نوائب الدهر وحوادثه ، والموبي : المهلك ، من وبأت الأرض : إذا كثر فيها الهباء ، وهو سبيل الهلكة .

(٣) في هـ : « من نوائبها غريب » .
والرغيب : الواسع .

(٤) في هـ : « أغض غصناً » .
وأغض : أنضر وأكثر جدة ، والقشيب : الجديد .

(٥) الصعود : الطريق صاعدا ، أو ضد الهبوط ، والصبوب : الحدور ، أو ما انصببت فيه . وانظر للثاني اللسان (ص ب ب) ٥١٧/١ ، ٥١٨ .

(٦) الذنابى : ذنب الطائر ، والموارن : أطراف الآناف أو ما لان من أطرافها ، والعجوب : جمع العجب ، وهو أصل الذنب عند رأس العصعص .

(٧) الخرق : الأرض الواسعة تتخرق فيها الرياح ، وفرس أقب : ضامر البطن دقيق الخصر ، وركوعه هنا : هويه في الأرض ، وهي لغة يمانية ، يصف سرعة جريه واندفاعه .
انظر اللسان (ر ك ع) ١٣٣/٨ ، والسهوب : جمع السهب ، وهو البعيد المستوي من الأرض .

(٨) السبيب من الفرس : شعر الذنب والناصية والعرف .

وخُوصٍ قد سَرَيْتُ بِهِنَّ حتى تَقَوَّضت النجومُ إلى الغُيوبِ [1]
وجُرْدٍ قد دَفَعْتُ بِهِنَّ حتى وَطِئْنَ على الجَمَاجِمِ والتَّرِيبِ [2]
ويوم تُرْعَدُ الرَّبَلاتُ منه كما قطَعَ الرُّبى عَسَلانُ ذِيبِ [3]
هَتَكْتُ فُروجَه بالرُّمْحِ لَمَّا دَعَوا باسْمِي ويا لَكَ من مُجِيبِ
وعند تعانُق الأقْرانِ يُبْلَى قِراعُ النَّبْعِ بالنبعِ الصَّلِيبِ
إخاؤُك يا عليُّ أساغَ رِيقِي ووُدُّك يا عليُّ جَلَى كُروبِي
فيا عَوْنِي إذا عَدَتِ الليالي عَليَّ ويا مِجَنِّي في حُروبِي [4]
عجبتُ من الأنامِ وأنتَ منهم ومثلُك في الأنامِ من العجيب
عَلَوْتَ عليهمُ في كلِّ أمرٍ بطُولِ الْباعِ والصدرِ الرَّحِيبِ [5]
وفُتَّهمُ مَراحاً في سُفورٍ بلا نَزَقٍ وجِدًّا في قُطوبِ [6]
خِطابٌ مثلُ ماءِ الْمُزْنِ تُبْرِي مَواقِعُهُ العليلَ من القلوبِ [7]
وألْفاظٌ كما لَعِبَتْ شَمالٌ مَلاعِبَها على الرَّوْضِ الخَصِيبِ
وعَزْمٌ إن مَضَيْتَ به جَرِيًّا هَوَى مَطَرُ الْقَنا بدَمٍ صَبِيبِ
وحِلْمٌ إن عَطَفْتَ به مُعِيداً أطارَ قَوادِمَ اليومِ العَصِيبِ
بطَرْفٍ لا يخفِّض من خُضوعٍ وقلبٍ لا يُتَعْتَعُ من وَجِيبِ [8]
تَهَنَّ بِمِهْرَجانِك واعْلُ فيه إلى العلياءِ أعْناقَ الخُطوبِ

---

(١) في ك : « إلى الغروب » ، وفي هـ : « إلى المغيب » .
والخوص ، بالتحريك : صغر العين وغؤورها .

(٢) الأجرد من الخيل : السباق ، وهو أيضا القصير الشعر ، والتريب : مفرد الترائب ، وهي عظام الصدر .

(٣) الربلات : جمع الربلة ، وهي باطن الفخذ ، وعسلان الذئب : اضطرابه في عدوه .

(٤) في م : « في الحروب » .

(٥) في ك ، هـ : « والقلب الرحيب » .

(٦) النزق : الخفة والطيش .

(٧) في ك : « الغليل من القلوب » .

(٨) تعتعه : حركه بعنف، قلقله ، والوجيب : خفقان القلب واضطرابه .

وعِشْ صافِـي الغَدِيـرِ من الرَّزايَا ... به خَـالِي الأديمِ مـن النُّـدوبِ
لَعَلِّـي أن أهُـزَّك في مقـامٍ ... فأبْلُـو منـك مُنْدَلِقَ الغُـروبِ [1]
وحَـاجٍ في الضَّميرِ مُعَضِّـلاتٍ ... سأُسْلِمُهـا إلى عَـزْمٍ طَلُـوبِ [2]
لأَقْضِيهِـنَّ أو أقْضِي بهَمِّـي ... غريبَ الوَجْـهِ في بلـدٍ غريبِ [3]
مُنازَعـةً إلى العَلْيـاءِ حتـى ... أَزُرَّ على ذَوائِبِهـا جُيـوبِـي
فإمَّـا لِـينُ جانِبِهـا وإمَّـا ... لِقـاءُ مُسَنَّـدين على الجُنُـوبِ [4]

* * *

(١) في س ، م ، ه : « أن أهزك في مرام » .
ومندلق الغروب : مندفعها ، والغرب : الدلو العظيمة .
(٢) عضل عليه ، بالتشديد : ضيق عليه وعسّر .
(٣) في م : « في البلد الغريب » .
(٤) في ه : « لقاء مستدير على الجنوب » ، وفي النسخ ه ، س : « فإما نيل جانبها » ، وفي س : « نيل » وما أثبته كتب تحت الكلمة في الأصل .
والمسندون على الجنوب : الموتى .

(١٧) *

وقال يُهنِّي بعضَ أصدقائه من الرؤساء بقدُومه من سفر في الماء ، وأظنها في أخيه المُرْتَضَى[1] : [متقارب]

وَفَـى ذا السرورُ بتلـك الكُــرَبْ	وهذا المَقَـامُ بــذاك التَّعَــبْ
قَدِمْـتَ فأطْــرَقَ صَرْفُ الزمـا	نِ عَنَّــا وأغْضَتْ عيـونُ النُّـوَبْ[2]
ومثلُــك مَن قَذَفتْــه الخُطـــو	ب في صــدرِ كـلِّ خَمِيسٍ لَجَبْ[3]
قَريــبُ المَــرادِ بعيدُ المَــرام	عظـيمُ العَــلاء جليـلُ الحَسَبْ[4]
ومَـن قَلْقَـلَ البَيْــن أوطـانـه	ونال أَقاصِي المُنَــى والطَّلَـبْ[5]
غَدَتْ تشْتَكِيـك كؤوسُ المُـدامِ	ويُثْني عليـك القَنَـا والقُضُـبْ

(*) القصيدة في : الأصل ، س ، ك ، م ، ه .

(١) قوله : « وأظنها في أخيه المرتضى » ساقط من : س .
ولهذا الظن ما يقويه ، فقد ناداه في البيت العشرين بكنيته أبي القاسم ، وذكر في البيت السادس والعشرين أنه يساهمه في العلاء ويشركه في النسب .

(٢) في م ، ه : « عناء وأغضت » .
والنوب : النوازل والمصائب .

(٣) بين هذا البيت والذي بعده تقديم وتأخير في س ، ك .
والخميس اللجب : الجيش تضطرب جوانبه كثرة .

(٤) المراد : مكان رياد الإبل أي اختلافها في المرعى مقبلة مدبرة .
وسقط هذا البيت من : ه .

(٥) في م : « ومن قلقل البين أطنابه » ، وفي النسخ عدا الأصل : « المنى بالطلب » .

وكُنَّا نُصانِـع فيـك الهمـومَ فصِرْنا نُصانِـعُ فيك الطَّـرَبْ
وكيـف يُهنِّيـك لفـظُ امْـرِيءٍ يُهنِّـي بقُـرْبـك أعْلَى الرُّتَـبْ
وكُنَّا بذِكْـرِك نشْفِي الغليـل وما بيْننـا أَمَـدٌ مُنْشَعِـبْ[1]
إذا ما الفتـى وَصَـلَ الزَّائـريـنَ أثْنَـوْا عليه نأى أو قَـرُبْ[2]
إلى أن تَهلَّـلَ وَجْـهُ الـزمـانِ ومَن بان مثلُـك عنـه شحـبْ[3]
رأيْنـا بوجهـك نُـورَ اليقيـنِ حتـى خَلَعْنَـا ظلامَ الرِّيَـبْ
وما زِلْـتَ تَمْسَـح خَـدَّ الصَّباحِ وتَرْحَـمُ قلبَ الظَّلامِ الأشِبْ[4]
بمَطْـرورةِ الصَّـدْرِ خفَّـاقـةٍ تطِير مَجاذِيفُهـا كـالعَـذَبْ[5]
تُعانِقُـك الرِّيـح في صَدْرِهَـا ويشْتـاقُـك المـاءُ حتى يَثِـبْ
تمُـرُّ بشَخْصِـك مَـرَّ الجِيـادِ وتَسْرِي برَحْلِـك سَيْـرَ النُّجُـبْ
إذا اطَّـرَدتْ بك خِلْـتَ القُصو رَ تُـرْعَـدُ بالبُعْـدِ أو تَحْتَجِبْ
يُسَرُّ بهـا عاشقٌ لا يَلَـذُّ م بالنَّأْيِ أو نـازِحٌ يَقْتَـرِبْ[6]
وقد بلَّغتْـك الـذي رُمْتَـهُ وحَـقٌّ المُبلِّـغ أن يُصْطَحَـبْ
أبـا قاسمٍ كـان هذا البِعـادُ إلى طُـرُق القُـرْبِ أقْـوَى سَبَبْ
فما كنـتَ أوَّلَ بَـدْرٍ أَتَـى ولا كنـتَ أوَّلَ نَجْـمٍ عَزَبْ[7]
أَلا إنَّـني حَسْـرةُ الحـاسِدِيـن وما حَسْرَةُ العُجْـمِ إلاَّ العَـرَبْ
فـلا لَبِسُـوا غـيرَ هذا الشِّعـارِ ولا رُزِقُـوا غـيرَ هـذا اللَّقَـبْ

---

(١) المنشعب : المتباعد .

(٢) مكان هذا البيت في م بعد البيت السابع .

(٣) بان : بعد ، شحب : تغير وتبدل لونه ذبولا وضعفا .

(٤) في النسخ عدا ك: « وترحم قلب الظلام » ، وما أثبته أوفق لوصف دوام سيره ليلا ونهارا . والأشب : المختلط الملتف ، يصف شده ظلمته .

(٥) في ك : « بمطرودة الصدر خفافة » .

ومطرورة الصدر : محددته ، والعذب : أغصان الشجر والأطراف من كل شيُ .

(٦) في ه : « يسير بها » .

(٧) في ك : « أول بدر أنار » .

مَنَحْتُـك من مَنْطِقِـي تُحْفَــةً   رأيـت بهـا نهـزة تُسْتَلَــبْ [1]
تُصَفِّقُهَـا بالنَّشِيــدِ الــرُّواةُ   كمـا صَفَّـق الماءُ بِنْـتَ العِنَبْ [2]
وأنت تُساهِمُــني في العَــلَا   ءِ فخـراً وتشْرَكُـني في النَّسَبْ

* * *

(١) في م : « فرصة تستلب » .
والنهزة : الفرصة ، واستلابها : اختلاسها والفوز بها .
(٢) التصفيق : صب الشراب من إناء في إناء ومزجه رغبة في صفائه وبرده ، ونبت العنب : الخمر . وهو يريد تردد شعره في أفواه الرواة ومجالسهم .

(١٨)*

وقال يشكر حمزة بن إبراهيم على قضاء حاجة [له][1] :

[بسيط]

لأَشْكُرَنَّـك ما ناحتْ مُطَـوَّقـةٌ ... وإن عجزتُ عن الحقِّ الذي وَجَبَا

فما الْتفَتُّ إلى نَعْمَـاءَ سابغَـةٍ ... إلَّا رأيتُـك فيهـا الأَصْلَ والسَّبَبا[2]

أَخْدَمْتِني نُـوَبَ الأيـامِ طائعـةً ... وكان كـلُّ الرِّضَى أن آمَـنَ النُّوَبَا[3]

ولا لَقِيتُ يَداً للدهرِ جارحـةً ... إذا بَقِيتَ ولا أُلْقِي لهـا السَّلَبَـا[4]

وقد أقمتَ عمـادَ البيتِ راسخةً ... على القواعـدِ فامْدُدْ بعدها الطُّنبَا[5]

* * *

(*) القصيدة في : الأصل ، س ، ك ، م ، هـ .

(١) ما بين المعقوفين زيادة من : س ، م ، هـ .

وأما حمزة فهو أبو الخطاب حمزة بن إبراهيم ، كانت له معرفة بالنجوم فاتصل ببهاء الدولة ، وبلغ عنده منزلة لم يبلغها أمثاله ، فكان الوزراء يخدمونه ، وحمل إليه فخر الملك مائة ألف دينار فاستقلها ، ثم صار أمره إلى الضيق والفقر والغربة .

ولد سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة ، وتوفي سنة ثمان عشرة وأربعمائة ، ورثاه الشريـف المرتضى .

هكذا ذكر ابن الأثير في الكامل ١٥١/٩ وفاته ، وقد رجعت إلى ديوان الشريف المرتضى ٣٢٨/٢ فوجدته يذكر وفاته في شهور سنة تسع عشرة وأربعمائة ، وكذلك ذكر ابن الجوزي وفاته سنة تسع عشرة وأربعمائة . المنتظم ٣٦/٨ ، ٣٧ .

(٢) في س : « إلا وجدتك فيها » .

(٣) في س : « وكان كل المنى » .

والنوب : حوادث الأيام ونكباته .

(٤) في هـ والحماسة الشجرية : « فما أخاف يدا » ، وفي م ، هـ : « ولا ألقي لها السببا » .

(٥) الطنب : حبل طويل يشد به سرادق البيت .

« قافية الحاء »

من المدائح والتهاني

وليس له في المديح على قافية التاء والثاء والجيم شيء

(١٩) *

قال يمدح الطائعَ لله ، ويذُمُّ بعضَ أعدائه ، وذلك في سنة أربع وسبعين وثلاثمائة : [وافر]

أغـارُ على ثَـراك من الـرِّياحِ ... وأسألُ عن غَديرِك والمُـراحِ [1]

وأجْهَـرُ بالسـلامِ ودون صَـوْتي ... مَنيـعٌ لا يُجَـاوَزُ بالصِّيـاحِ

وأهْـوَى أن يُخَالِطَـك الخُـزامَى ... ويلْمَـعَ في أَباطِحِـك الأقـاحي

وكم لي نحـوَ أرْضِـك من مَسِيرٍ ... دَفَعْـتُ به الغُـدُوَّ إلى الـرَّواحِ

وهـذا الـدهرُ خَفَّـضَ من عُرامي ... ورَنَّـقَ من غَبُـوقِي واصْطِباحِي [2]

وقد كان المَـلامُ يُطِيـفُ منِّـي ... بمُنْجَذِبِ العِنانِ إلى الجمـاحِ

تَـؤولُ النَّائبـاتُ إلى مُـرادِي ... ويُعْطِيـنِي الزمانُ على اقْـتراحِي

وعاليةِ السَّـوالِـفِ والهَـوادِي ... تُـدافِـعُ في الأسِنَّـةِ والصِّفاحِ [3]

إذا اسْتَقْصَينَ غامِضـةَ الدَّياجِـي ... فقَـأْتُ بهـنَّ غاشِيَـةَ الصَّباحِ [4]

١٩

(*) القصيدة في : الأصل ، س ، ك ، م ، هـ .

(١) المراح : مأوى الإبل والبقر والغنم .

(٢) العرام : الشراسة والأذى ، والغبوق : شرب العشي ، والاصطباح : شرب الصبوح ، ورنقه : كدره .

(٣) الهوادي : الأعناق ، يصف خيله .

(٤) في الأصل : « غايشة الصباح » ، وفي س ، م : « حاشية الصباح » .

ومُـدَّرِعٍ سَمَوْتُ لـه مُغِـذًّا ... وقد غَرِضَ المُقـارِعُ بالكفاحِ [1]
بنـافِذةٍ تَمَطَّـقُ عن نَجيـعٍ ... تَمَطُّـقَ شاربِ المَقِرِ الصُّـراحِ [2]
وأُخْـرَى في الضُّلوعِ لهـا هَـديرٌ ... هديرُ الفَحْـلِ قُـرِّبَ لِلِّقَـاحِ
فما لي تَطلـبُ الأعـداءُ حَـرْبِـي ... ويُصْبِـح جانِبـي غَرَضَ اللَّـواحِي [3]
أبا هَـرِمٍ وأنتَ تُـرِيدُ ضَيْمِـي ... بأيِّ يَـدٍ تُطَامِـنُ من طِماحِي [4]
لَحِقْـتُ أبي نِـزاعـاً في المَعـالي ... وعِرْقاً في الشجـاعةِ والسَّمـاحِ
وأنـتَ فما لَحِقْـتَ أبـاك إلَّا ... كما لَحِـقَ الـذُّنـابَى بالْجَناحِ [5]
نَمَيْـتَ من العُقـوقِ إلى المَخـازي ... كما يَنْمِي الهَـرِيرُ إلى النُّبَـاحِ [6]
فنحن نَـرَى مَكانَـك من نِـزارٍ ... مكانَ الـدَّاءِ في الأُدُمِ الصِّحاحِ [7]
بَنِي مَطَـرٍ دَعُـوا العَلْيـاءَ يطْلُـعْ ... إليها كُـلُّ مُنْـدَلقٍ وَقَـاحِ [8]
ووَلُّـوا عن مُقَارَعـةِ المَنـايَـا ... ولُقْيـانِ المُلَمْلَمـةِ الـرَّداحِ [9]

---

(١) مغذاً : مسرعا ، وغرض : مل وضجر .
وفي م : « وقد غرض المقارع بالرماح » . وفي ه : « سموت له معدا » .

(٢) التمطق : إلصاق اللسان بالغار الأعلى فيسمع له صوت ، أو التمطق بالشفتين : أن يضم إحداهما بالأخرى مع صوت يكون منهما ، والنجيع : الدم القاني ، والمقر : الصَّبِر أو شبيه به أو هو السم ، والصراح : الخالص .
يصف نفاذ الطعنة وصوتها ، ويشبهه بصوت التمطق .
وفي ه : « شارب الفر القراح » .

(٣) اللواحي : اللوام . وفي ه : « تطلب الأعداء حولي » .

(٤) طامن من طماحه : خفض منه .

(٥) الذنابى : ذنب الطائر .

(٦) في الأصل : « من النباح » .

(٧) الأدم : جمع الأديم ، وهو الجلد المدبوغ .

(٨) في م : « منذلق وقاح » .
والمندلق : المندفع ، ورجل وقاح : صلب الوجه قليل الحياء ، يعني أنه يجابه المخاطر ولا يخشى الملمات .

(٩) الململمة الرداح : الكتيبة المجتمعة الثقيلة الجرارة .

أَيَخْفَى لُـؤْمُ أصْلِكُـمُ وهـذي ... قُرُوفُكُـم تَنِـمُّ على الجِـراحِ [1]
تُعَيِّـرُنَـا القبـائلُ أن قَطَعْنَـا ... قَـرائِـنَ عامـرٍ وبني ريـاحِ
وعَلَّقْنـا مَطامِعَنـا بحَبْـلٍ ... تعلّقـه القـلوبُ بغـيرِ رَاحِ
وكلُّهـمُ يجُـرُّون العَـوالِـي ... مُحافظـةً على عُشْـبِ البِطـاحِ
فَبَلِّـغْ سـادةَ الأحْيـاءِ أنَّـا ... سَلَوْنـا بالغنى ضَرْبَ القِـداحِ [2]
وعِفْنـا الْقاعَ نسْكُنُـه ومِلْنـا ... عن السَّمُـراتِ والنَّعَـمِ المُـراحِ [3]
وطَبَّقـتِ العـراق لنا قِبـابٌ ... نُظَلِّلُهـا بأَطْـرافِ الرمـاحِ
نُعَلَّـلُ بالـزُّلالِ من الغَـوادِي ... ونُتْحَـفُ بالنَّسِيمِ من الـرياحِ
وجَاوَرَنـا الخليفـةُ حيث تسْمُو ... عَـرانِـينُ الرجـالِ إلى الطِّمـاحِ [4]
نُـوَجِّـه بالثنـاءِ لـه مَصُونـاً ... ونَـرْتَـعُ منه في مـالٍ مُبـاحِ
وسَيَّـالِ اليَديْـنِ من العَطـايا ... مَهيـبِ الجِـدِّ مَـأْمونِ المُـزاحِ
إذا ابْتَـدَرَ المَـلامُ نَـدَى يَـديْهِ ... مَضَى طَلْقـاً على سَنَنِ المِـراحِ [5]
أمـيرَ المؤمنـين أذالَ سَيْـرِي ... ذُرَى هـذي المُعَبَّـدةِ الـرَّزاحِ [6]
فكم خاض المَطِيُّ إليـك بحـراً ... يمُـوج على الأَماعِـزِ والضَّواحي [7]
سَرابٌ كالغَدِيرِ تعُـوم فيـه ... رُبـاً كغَـوارب الإبـلِ القِماحِ [8]

---

(١) القروف : جمع القرف ، بالكسر ، وهو قشر الجرح .

(٢) في ك : « سلونا بالقنى » .

وضرب القداح من عادة أهل البادية يجيلونها فمن فاز بالقدح المعلى حاز سبعة أنصباء من الجزور .

(٣) القاع : الأرض السهلة التي انفرجت عنها الجبال والآكام ، والسمرات : شجرات من العضاه وليس في العضاه أجود خشبا منه .

(٤) العرنين : الأنف ، وهو موضع العزة والإباء .

(٥) المراح : المرح والنشاط .

(٦) أذال سيره ناقته : أتعبها وهزلها من طوله ، والرزاح : التي سقطت إعياء .

(٧) الأمعز : المكان الصلب الكثير الحجارة والحصي .

(٨) القماح : جمع القامح ، وهو البعير يرفع رأسه ويمتنع عن الشرب ريا .

وكم لك من غَـرامٍ بالمَعَـالِـي وهَــمٍّ في الأمــاني وارْتيــاحِ
وأيامٍ تُشَــنُّ بهــا المَنــايــا عَوابِسَ يَطَّلِعْــنَ من النَّواحِــي
إذا رِيــعَ الشُّجاعُ بِهِــنَّ قُلْنــا لأمرٍ غُـصَّ بالمــاءِ القَــراحِ
فلا نَقَـلَ المُهَيْمِــنُ عنـك ظِــلًّا من النَّعْمـاءِ ليس بمُسْتَبــاحِ
ووَاجَهَــك الثَّنــاءُ بكــلِّ أرضٍ مُعاوَنــةً لشُكْــرِي وامْتداحِي

* * *

(٢٠)*

وقال في القادر بالله وقد جلس للناس ، ودخل إليه في سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة[1] : [وافر]

تَخَطَّيْنَــا الصُّفُــوفَ إلى رُواقٍ تَحَجَّــبَ بالصَّــوارِمِ والرماحِ[2]
وحَيَّيْنــا عظيمــاً من قــريشٍ كأنَّ جَبِينَــه فَلَــقُ الصبــاحِ
عليــه سِيمِيــاءُ المُلْــكِ يبْــدو وعُنْــوانُ الشجاعـةِ والسَّمــاحِ

* * *

(*) القصيدة في : الأصل ، س ، ك ، م ، هـ .

(١) والقادر بالله هو : أبو العباس أحمد بن إسحاق بن جعفر الخليفة العباسي .
ولد سنة ست وثلاثين وثلاثمائة ، وولي الخلافة سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة ، بعد عزل الطائع لله .
وفي أيامه استقر أمر الخلافة العباسية . وجدد ناموس الخلافة فهابه الترك والديلم .
وطالت أيامه حيث ظل خليفة إحدى وأربعين سنة .
وكان حازما ، حليما ، كريما ، عالما ، صنف كتابا في الأصول .
توفي سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة .
البداية والنهاية ٣٠٩/١١ ، ٣١/١٢ ، تاريخ بغداد ٣٧/٤ ، الكامل ٣٣/٩ ، ١٧٣ ، المنتظم ١٥٧/٧ ـ ١٦٣ .

(٢) في س ، ك : « يحجب » بالبناء للمجهول ، وتشديد الجيم .

(٢١)*

وقال في أبيه يمدحه ، ويتألَّم لبُعْده بفارس فيما كان نُفِّذ فيه من الإصلاح بين المِلكين بهاءِ الدولة وصَمْصامِها ابنَيْ عَضُد الدولة ، والعسكريْن البغداديِّ والفارسِي ، [وأقام يماطل بالعودة مدة طويلة] وذلك في [شهر] رمضان من سنة سبع وثمانين وثلاثمائة (١) : [بسيط]

مِثالُ عيْنَيْك في الظَّبْيِ الذي سَنَحَا ... وَلَّى وما دَمَلَ القلب الذي جَرَحَا (٢)

٢١

* القصيدة في : الأصل ، س ، ك ، م ، هـ .

(١) ما بين المعقوفين الأولين ساقط من : الأصل ، ك ، وما بين الآخرين ساقط من الأصل . هذا وقد استولى صمصام الدولة بن عضد الدولة على فارس بعد موت أخيه شرف الدولة سنة تسع وسبعين وثلاثمائة ، وكان شرف الدولة قد أمر بسمل عينيه قبل موته ، فنفذ هذا فيه بعد وفاته ، ولم يترك بهاء الدولة لصمصام الدولة فارس : فقد سار إليه سنة ثمانين وثلاثمائة ، ولكن عسكر بهاء الدولة هزم ، وتم الصلح على أن يكون لصمصام الدولة بلاد فارس وأرجان ، ولبهاء الدولة خوزستان والعراق ، وفي سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة ملك صمصام خوزستان بعد نقض بهاء الدولة للصلح ، ثم هزم صمصام الدولة سنة أربع وثمانين وثلاثمائة ، وتملك بهاء الدولة الأهواز ، واستطاع جيش صمصام الدولة سنة خمس وثمانين وثلاثمائة أن يهزم عسكر بهاء الدولة ، ويعود إلى الأهواز ، بل إنه استولى على البصرة أيضا سنة ست وثمانين وثلاثمائة ، وكان قتل صمصام الدولة سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة ، وعمره خمسة وثلاثون عاما .
الكامل ٩/٢٥ ، ٣١ ، ٤٠ ، ٤٣ ، ٤٦ ، ٥١ . وانظر لمقتل صمصام الدولة أيضا : البداية والنهاية ١١/٣٢٥ ، المنتظم ٧/٢٠٤ .

(٢) دمل القلب : أبرأه .

فَرُحْتُ أَقْبِضُ أَثْنَاءَ الْحَشا كَمَداً | وراح يَبْسُطُ أَثْنَاءَ الخُطَا مَرَحَا
صَفَحْتُ عن دمٍ قلبٍ طَلَّه هَدَراً | بُقْيَا عليه فما أَبْقَى ولا صَفَحَا
حَمَى له كلَّ مَرْعًى سَهْمُ مُقْلَتِه | ومَوْرِدَ الماءِ مَغْبوقاً ومُصْطَبَحَا
أَماتِحٌ أنتَ غَرْبَ الدَّمْعِ من كَمَدٍ | على الظَّعائنِ إذْ جاوزْنَ مُطَّلَحَا [1]
أَتْبَعتُهم نَظَراً تَدْمَى أَواخِرُه | وقد رَمَلْنَ على رَمْلِ العَقِيقِ ضُحَا [2]
فيهنَّ أحْوَى غَضِيضُ الطَّرْفِ رِعْيَتُه | حَبُّ القلوبِ إذا ما رَادَ أو سَرَحَا [3]
عندي من الدَّمْعِ ما لو كان وَارِدَه | مَطِيُّ قَوْمِك يومَ الجِزْعِ ما نَزَحَا
غادَرْنَ أَسْوانَ مَمْطُوراً بعَبْرَتِه | يَنْحُو مع البارقِ العُلْوِيِّ أين نَحَا [4]
يُروعُه الرَّكْبُ مُجْتَازاً ويُزْعِجُه | زَجْرُ الحُداةِ تَشُلُّ الأَيْنُقَ الطُّلَحَا [5]
هل تُبْلِغَنَّهمُ النفسُ التي ذَهَبَتْ | فيهم شُعاعاً أو القلبُ الذي قَرِحَا [6]
إن هانَ سَفْحُ دمي بالبَيْنِ عندهمُ | فواجبٌ أن يهُونَ الدمعُ إن سُفِحَا
قُلْ للعَوَاذِلِ مَهْلاً فالَمشِيبُ غداً | يغْدُو عِقالاً لذا القَلْبِ الذي طَمَحَا [7]
هيْهات أُحْوَجُ مَعْ شَيْبي إلى عَذَلٍ | فالشَّيْبُ أعْذَلُ ممَّن لَامَني ولَحا
قِفْ ظالِعاً أيَّها الساعي لِيُدْرِكَني | فبَعْدَك الجَذَعُ المَغْرُورُ قد قَرَحَا [8]

---

(١) في الأصل : « وقد جاوزن مصطلحا » . وفي ك : « أمايح أنت » . وفي هـ : « إذ جاوزن مصطحبا » . ومطلح هنا مكان ، نص على ذلك ياقوت ولم يعينه ، فقال : « وهو موضع في قوله : وقد جاوزن مطلحا » . معجم البلدان ٤/٥٦٦ .

(٢) رملن : هرولن .

(٣) الأحوى : من كانت به حوة ، وهي سواد إلى الخضرة أو حمرة إلى السواد ، مما تمتدح به الشفاه .

(٤) الأسوان : الحزين .

(٥) شل الإبل : طردها ، والطلح : المتعبة العيية .

(٦) في هـ : « أو القلب الذي جرحا » .

(٧) في م : « لذي القلب » . وكذلك في الشهاب .

(٨) في م : « قف طالعا ... فبعدك الجزع المغرور قد قرحا » .

وظلع البعير : غمز في مشيه ، والجذع : ما قبل الثني ، والثني هو الذي يلقي ثنيته ، يكون =

لا عَـزَّ أَخْبَثُنَا عِرْقاً وأهْجَنُنـا أُمَّاً وأصْلَدُنـا زَنْـداً إذا قَدَحَا[1]
أظُنُّ رَأْسَك قد أعْيـاكَ مَحْمِلُـه ورُبَّ ثِقْـلٍ تَمَنَّاهُ إذا طُـرِحَا[2]
كـم المُقـامُ على جِيـلٍ سَواسِيَـةٍ تَرْجُو النَّدى من إناءٍ قَلَّ ما رَشَحَا[3]
تَشَاغَلَ الناسُ باسْتِدْفاعِ شَرِّهِـمُ عن أن يَسُومُوهمُ الإعْطاءَ والمِنَحَا[4]
في كـلِّ يومٍ يُنـادِيـني لوَثْبَتِـهِ مُشَمِّـرٌ في عِنـانِ الغَـيِّ قد جَمَحَا[5]
إنَّ يَمينِـي لمنـديل إذاً لكـمُ متى يشأ مَاسِحٌ منكم بها مَسَحَا[6]
إلى مَ أُصْفِيكُمُ وُدِّي على مَضَضٍ وكم أُنِيرُ وأسدي فيكم المِدَحَا[7]
يرُومُ نُصْحِيَ أقْـوامٌ وَرَوْا كَبِدِي والعجزُ أن يُجعَلَ المَوْتُور مُنْتَصَحَا[8]
أرى جَنانِيَ قد جاشَتْ حَلائبُـهُ ما يمنـعُ القلبَ من فَيْضٍ وقد طَفَحَا
شَمِّرْ ذيولَـك واركَبْها مُذَكَّـرةً واطْلُـبْ عن الوطنِ المَـذْمومِ مُنْتَزَحَا[9]
وحَمِّـلِ الهَـمَّ إن أعياك نَازِلُـه غَـوارِبَ الليلِ والعَيْرَانةَ السُّرُحَا[10]

من ذوات الظلف والحافر في السنة الثالثة ، ومن ذوات الخف في السنة السادسة .
والمفرور : الذي سقطت رواضعه وطلع غيرها ، وقرح : شق نابه وطلع .

(١) صلد الزند : صوَّت ولم يُور .

(٢) في س ، م : « الذي طرحا » .

(٣) جاء ضبط الدال في الأصل بالكسر ، وهو على هذا الضبط بمعنى المبتل أو البلل .

(٤) في م : « عن أن يسومهم » .

(٥) في م : « يناديني لبيعته » .

(٦) في الأصل : « إن يمنيني » ، وفي م : « إن تمنين » .

(٧) في س ، ك : « ولم أنير .. » .
وأنار الثوب : جعل له نيرا ، وهو هدب الثوب ولحمته ، وأسدى الثوب : أقام سداه ، وهو ما مد من خيوطه خلاف اللحمة . أي أنه ينسج فيهم المِدَح .

(٨) في محاضرات الأدباء : « أقوام رأوا كيدي » ، وفيه وفي هـ : « أن تجعل » .

(٩) في س ، م : « شمر ذويلك » ، وفيهما : « المذموم منتدحا » ، وكتب ذلك أيضا فوق كلمة « منتزحا » في : ك.

(١٠) في س ، م ، ك : « إن عناك نازله » ، وفي س : « عوازب الليل » .
والعيرانة من الإبل : الناجية في نشاط ، والسرح : السريعة السهلة السير

وانْفُضْ رِجالاً سَقَوْكَ الغَيْظَ أَذْنِبةً ... وأَوْرَثُوكَ مَضِيضَ الداءِ والكَشَحَا[1]

إن عَايَنُوا نعمةً ماتُوا بها كَمَداً ... وإن رَأَوْا غُمَّةً طاروا بها فَرَحَا

أَوْهَتْ أَكُفُّهُمُ بيْني وبينهُمُ ... فَتْقاً بغيرِ العَوالِي قَلَّ ما نُصِحَا[2]

نالُوا المَعالِي ولم تَعْرَقْ جِباهُهُمُ ... فيها لُغُوباً وما نال الذي كَدَحَا

سائِلْ عن الطَّوْدِ لِمْ خَفَّتْ قَواعِدُهُ ... وكان أن مال مِقْدارٌ به رَجَحَا[3]

قد جَرَّبُوه فما لانَتْ شَكِيمَتُهُ ... وحَمَّلُوه فما أعْيَى ولا رَزَحَا

رَمَوْا به الغَرَضَ الأقْصَى فشافَهَهُ ... مَرَّ القُطَامِيِّ جَلَّى بعدَما لَمَحَا[4]

مِن العراقِ إلى أجْبالِ خُرَّمَةٍ ... يا بُعْدَه مُنْتَبَذاً عَنَّا ومُطَّرَحَا[5]

ليس المَلُومُ الذي شَدَّ اليديْن به ... بلِ الملومُ المُرَزَّا مَن به سَمَحَا

هو الحُسامُ فمنْ تَعَلَّقْ يَداهُ به ... يَضْمُمْ على الصَّفْقَةِ العُظْمَى وقد رَبِحَا[6]

إن أغْمَدُوه فلم تُغْمَدْ فضائلُه ... ولا نَأَى فضلُه الدَّانِي ولا برِحَا[7]

أهْدى السلام إليك اللهُ ما حَمَلَتْ ... غَوارِبُ الإبلِ الغادِينَ والرُّوَحَا

ولا أَغَبَّ بلاداً أنتَ ساكِنُها ... مَسْرَى نسيمٍ يُمِيطُ الداءَ إن نَفَحَا[8]

أغْدُو على سُبُلِ الأنْواءِ مُشْترِطاً ... سُقْياكَ في البلدِ النَّائي ومُقْتَرِحَا

أفْرَدْتَ للهَمِّ صَدْراً منك مُتَّسِعاً ... على الهُمومِ وقلباً منك مُنْشَرِحَا[9]

---

(١) أذنبة : جمع ذنوب ، وهو الدلو العظيمة ، والكشح : داء في الكشح يكوى منه ، أو هو ذات الجنب .

(٢) في حاشية ك مكان « نصحا » : « صلحا » .
ونصح الفتق : خيط والتأم .

(٣) في هـ : « واسئل عن الطود » .

(٤) في الأصل : « بعدما بلحا » .
والقطامي : الصقر الحديد البصر الرافع رأسه للصيد .

(٥) خرمة : ناحية من نواحي فارس ، قرب إصطخر . معجم البلدان ٢/٤٢٧ .

(٦) في هـ : « على الصفقة العليا » .

(٧) في س ، م : « ذكره الداني وقد نزحا » ، وفي ك : « فضله الداني ولا نزحا » .

(٨) أغب : جاء مرة وأخلف أخرى .

(٩) في هـ : « فرده الهم ... منك منسرحا » .

كَساهمُ البُهْمَةَ الدَّهْماءَ عَجْزُهمُ — والعزمُ ألْبَسَك التَّحْجيلَ والقَرَحَا[1]

عَلَّ الليالِيَ أن تُثْني بعاطفةٍ — فيسْتَقيلَ زَمانٌ بعضَ ما اجْتَرَحَا[2]

كما رَمَى الداءُ عُضْواً بعدَ صِحَّتِهِ — كذا إذا الْتاثَ عُضْوٌ ربَّما صَلَحَا[3]

فكم تَلاحَكَ بابُ الخَطْبِ ثم رُمِي — بقارِعٍ من يَمينِ اللهِ فانْفَتَحَا[4]

وكم تَلاحَمَ كَرْبٌ عندَ مُعْضِلَةٍ — فانْجابَ عن قَدَرٍ للهِ وانْفَسَحَا

أرَى رِجالاً كبَهْمِ الْقاعِ عندهمُ — سِيَّانِ مَن مَذَقَ الآراءَ أو صَرَحَا[5]

يعْلُو على قُلَلِ الأَعْنَاقِ بَيْنَهمُ — مَن غَشَّ رَأْياً ويُوطَا عُنْقُ مَن نَصَحَا[6]

تظاهَرُوا بنَفاقِ العيِّ عندهُمُ — حتى ادَّعاه على مَكْرُوهِهِ الفُصَحَا[7]

* * *

---

(١) في س : « والحزم البسك » ، وفي م : « التحجيل والفرحا » .

ويعني بالبهمة الدهماء : الظلمة الشديدة أو الداهية العظيمة ، والتحجيل : بياض في قوائم الفرس ، وهو مما يتمدح به ، والقرح : خروج القروح ، أو خروج ناب الفرس .

(٢) في س ، م : « بعدما اقترحا » . وفي ه : « أن تثني لعاطفة » .

(٣) في م ، ه : « ربما اصطلحا » .

والتاث العضو بالدم : تلطخ به .

(٤) تلاحك باب الخطب : تداخل وتلاءم ، أي اشتد غلقه . وفي ه : « من يمين الله فاتضحا » .

(٥) بهم القاع : ماشيته ، ومذق اللبن : مزجه بالماء ، وصرحه : لم يمزجه ، وكشف عن رغوته ، وقد استعارهما الرضي للرأي .

(٦) قلل الأعناق : أعاليها .

(٧) في ه : « بنفاق الغي » .

« قافية الدال »

(٢٢)*

وقال يمدح [الخليفة] الطائع لله . ويُهَنِّيه بعيد الفطر مِن سنة سبع وسبعين وثلاثمائة ، ويُعاتبه على تأخُّرِ الإذْنِ في لقائِه ، ويذُمُّ بعضَ أعدائِه[1] :

[بسيط]

إلى كَـم الطَّـرْفُ بالبَيْـداءِ مَعْقودُ — وكم تشكَّى سُرايَ الضُّمَّرُ القُودُ[2]

تَعِلَّـةٌ لِيَ بعـدَ القُـرْبِ تَوْلِيَـةٌ — عن المُقـامِ وبعد النومِ تَسْهِيـدُ

يا دارَ ذُلٍّ لمَـن فارقتُ قَعْـدَتَهُ — والعِـزُّ أَوْلَى بمَـن عُلِّقْتُ يا بيدُ

أرْمِي بأيْدِي المَطايـا كُلَّ مُشْتَبِـهٍ — تَنْبُـو بأخْفافِها عنه الجَلاميـدُ[3]

وكـلَّ ليـلٍ تُضِلُّ النَّجْـمَ ظُلْمتُه — قلبُ الدَّليلِ به حَيْـرانُ مَزْؤودُ[4]

وغِلْمَةٍ في ظهـورِ العِيسِ أَرَّقَهـمْ — هَـمٌّ شَعاعٌ وآمالٌ عَباديـدُ[5]

مُلَثَّمِيـنَ بمـا راختْ عَمائمُهـمْ — وكلُّهم طَـربٌ للبَيْنِ غـرِّيـدُ[6]

(*) القصيدة في : الأصل ، س ، ك ، م ، هـ .

(١) ما بين المعقوفين زيادة من س ، وفيها وفي م : « تأخير » مكان : « تأخر » .

(٢) القود : الطويلة الظهر والعنق . وفي هـ : « تشكي سرائي » .

(٣) المشتبه من الأرض : الذي خفيت أعلامه فيضل فيه الدليل ، والجلمود : القطيع الضخم من الإبل .

(٤) المزؤود : الخائف المفزوع .

(٥) هم شعاع : متفرق ، وآمال عباديد : متفرقة فرقا ، أو بعيدة .

(٦) بما راخت عمائمهم : بما استرخى وتدلى منها .

لا آخُذُ الطَّعْنَ إلَّا عن رماحِهِمُ ... إذا تَطَاعَنَتِ الشُّمُّ المَناجيدُ [1]
ورُبَّ أمرٍ بعيدِ الْغاي قَرَّبني ... منه السَّوابقُ والبُزْلُ المَقاحِيدُ [2]
وخُطَّةٍ بين أرْماحِ العِدَا ضَمِنَتْ ... نَجايَ مِن ضِيقِها جَرْداءُ قَيْدُودُ [3]
مالي بغير العُلَا في الأرضِ مُضْطَرَبٌ ... ولا لِجَنْبي بغيرِ العِزّ تمْهيدُ [4]
ولا خَطَوْتُ إلى بأسٍ ولا كَرَمٍ ... إلَّا ومَوْضِعُ رِجْلي منه محسودُ [5]
ضاع الشَّبابُ فقُلْ لي أين أطْلُبُه ... وازْوَرَّ عن نَظَري البِيضُ الرَّعادِيدُ [6]
وجَرَّدَ الشَّيْبُ في فَوْدَيَّ أبْيَضَهُ ... يا لَيْته في سَوادِ الشَّعْرِ مَغْمودُ
بِيضٌ وسُودٌ برأسي لا يُسَلِّطُها ... على الذَّوائِبِ إلَّا البِيضُ والسُّودُ
يُؤَمِّل الناسُ أن يبْقَوْا وما علموا ... أنَّ الفتى لِيَدِ الأقْدارِ مَوْلُودُ
شُغِلْتُ بالهَمّ حتى ما يُفَرِّحُني ... لولا الخليفةُ نَوْروزٌ ولا عِيدُ [7]
أهوى له كلّ أيامٍ يُسرُّ بها ... وإن طغَى بيْننا نَأْيٌ وتَبْعيدُ
مُحسَّدُ المجدِ مَغْبوطٌ مَناقِبُه ... مُتيَّمُ القلبِ بالعَلْياءِ مَعْمودُ [8]
كريمُ ما ضَمَّ بُرْداهُ وعَمَّتُه ... عَفِيفُ ما ضُمِّنَتْ منه المَراقِيدُ
مُطَهَّرُ القلْبِ لا انْهَلَّتْ مَدامِعُه ... وَجْداً وما حقَر الأنْفاسَ تَصْعِيدُ [9]

---

(١) في س ـ ك : « لا آخذ المجد » . وفي نسخة على هامش ك : « الشم المراعيد » .
ورجل منجاد : نصور . وفي مجموعة المعاني : « الشم الصناديد » .

(٢) بازل : البعير الذي طلع نابه ، وذلك في تاسع سنيه ، وليس بعده سن تسمى ، والمقحاد : الكبير السنام .

(٣) في س ـ م : « سمراء قيدود » .
والقيدود : الناقة الطويلة الظهر .

(٤) في نسخة على هامش ك : « في الأرض مصطرخ » . وفي هـ : « ما لي بغير العدى » .

(٥) في م : « منه موجود » .

(٦) أزور : عدل وانحرف ، والرعديدة : المرأة الرخصة .

(٧) النيروز والنوروز واحد . وهو أول يوم من السنة الفارسية . وفي أنوار الربيع « لا يفرحني » .

(٨) بالعلياء معمود : متيم كلف .

(٩) في ك ـ هـ : « ولاحقر الأنفاس » .

ما راق عَيْنَيْهِ إلّا ما أقَرَّهُمَا مِن المَكَارِمِ لا عَيْنٌ ولا جِيدُ
المُورِدُ الرُّمْحَ ما نالتْ عَوامِلُه والمُطْعِمُ العَضْبَ ما عَرَّاهُ تَجْرِيدُ[1]
والقائدُ الخيلَ تَمْطُو في أَعِنَّتِها مَطْوَ النَّعامِ أضَلَّتْها القَرادِيدُ[2]
في كلِّ يومٍ له نُعْمَى مُجَدَّدَةٌ تَملَا يَدِي ولقَوْلي فيه تَجْدِيدُ[3]
وما أُسَرُّ بمالٍ لا أَعِزُّ به ولا أَلَذُّ برأْيٍ فيه تَفْنِيدُ
ليس الثراء بغيرِ المجدِ فائدةً وما البَقاءُ بغيرِ العِزِّ محمُودُ[4]
جُرْحُ الحِمامِ ولا جُرْحُ الأذى أبداً والمَوْتُ عند طُروقِ الضَّيْمِ مَوْدُودُ[5]
صارتْ إليك أميرَ المؤمنين عُلاً غَرَّاءُ أحْرَزَهَا آباؤُك الصِّيدُ
مِن هاشمٍ أنتَ في صَمَّاءَ شاهقةٍ لها رُواقٌ بِبَاعِ المجدِ مَعْمُودُ[6]
نِهايةُ العِزِّ أن تبْقَى له أبداً وغايةُ الجودِ أن يَبْقَى بك الجودُ[7]
لأيِّ حالٍ يُداري القلب غُلَّتُه رجاءَ وِرْدٍ ووِرْدِي مِنك تَصْرِيدُ[8]
قد كنتُ عن عَدَدِ الأيامِ في شُغُلٍ فاليومُ عامي لوَعْدٍ منك مَعْدودِ
ألامُ فيك وأُذْني غيرُ سامعةٍ فاللَّوْمُ مُطَّرَحٌ والعَذْلُ مَرْدُودُ
يرُومُ مُلْكَكَ مَن لا رأْيَ يُنْجِدُهُ ولا فَخَارَ ولا بَأْسٌ ولا جُودُ
وكيف يطلبُ شَأْواً منك ذو ظَلَعٍ بَاقِي غُبارِك في عَيْنَيْهِ مَوْجودُ[8]

(١) في س ، م : « ما عزاه تجريد » .
(٢) تمطو : تسرع في سيرها ، والقراديد : جمع القردود ، وهو ما ارتفع وغلظ من الأرض .
(٣) في م : « نعمى يجددها » . وفي ه : « نعمى مجددة » .
(٤) في م : « ليس السراء » .
(٥) في الأصل : « عند طروق الضيم موروود » .
(٦) رواق معمود : له عمد يرتكز عليها .
(٧) في م ، س ، ه : « لك الجود » .
(٨) في الأصل ، ه : « ووردي فيك تصريد » .
والتصريد : السقي دون الرِّيّ .
(٩) الظلع : غمز الجواد برجله في سيره .

ما كلُّ بَارِقَةٍ تَحْدُو السحابَ ولا ... كُلُّ السحابِ مَباريقٌ مَراعِيدُ [1]

يَسْتَفْرِهُ الخيلَ والأقْدارُ تحْصُرُه ... ويسْتَطِيلُ العَوالِي وهْوَ رِعْدِيدْ [2]

لا تَحْفَلَنْ بوَعِيدٍ زَلَّ عن فَمِهِ ... فما يضُرُّ من المغرورِ توْعِيدْ

ولا يُؤَمِّل أن يَلْقَاك في عَدَدٍ ... إن أصْحَرَ الليثُ أخفَى شَخْصه السِّيدُ [3]

ولو بَسَطْتَ يَميناً بالعراقِ إذاً ... نالَتْهُ وهْو بعيدُ الدَّارِ مطْرودُ

أُعِيذُ مَجْدَكَ أن أَبْقَى على طَمَعٍ ... وأن تكونَ عطايايَ المَواعِيدُ

وأن أَعِيشَ بعيداً من لِقائِكُمُ ... ظَمْآنَ قلبٍ وذاك الوِرْدُ مَوْرُودُ

ما لي أُخَبُّ حَبِيباً لا أُشاهِدُه ... ولا رَجايَ إلى لُقْياهُ مَمْدُودُ [4]

وأُتْعِبُ القلبَ فيمَن لا وِصالَ له ... يا لَلرِّجالِ أقَلَّ الخُرَّدُ الغِيدُ [5]

أَكْثَرْتُ شِعْرِي ولم أظْفَرْ بحاجتِهِ ... فَسَقِّني قبلَ أن تفْنَى الأغارِيدُ

قد جاء عِيدٌ وعِيدُ المرءِ لَذَّتُه ... وأنتَ فيهم عظيمُ القدرِ محمودُ [6]

عَيْشُ الفتى كلُّه وقتٌ يُسَرُّ به ... من الدُّنا وجميعُ العَيْشِ مَفْقُودُ

فاسْعَدْ به وبأيامٍ طَرَقْنَ به ... إن العزيزَ على العِلّاتِ مَسْعودُ [7]

قليلُ مَدْحِك في شِعْرِي يُزَيِّنُهُ ... حتى كأنَّ مَقالِي فيك تَغْرِيدْ

كم خَوَّض الناسُ في قَوْلِي وقائلِه ... وكم غَلَا بي إغراقٌ وتجْوِيدُ

---

(١) في هـ : « مباريق مواعيد » .

(٢) يستفره الخيل : يستكرمها ، أي يختار جيادها ، والرعديد : الجبان .

(٣) أصحر الليث : خرج من عرينه وظهر ، والسيد : الذئب ، يعني أن الذئب يخفي شخصه ويتوارى عندما يبرز الأسد .

(٤) في س ، م : « مالي أحب حبيبا » .
وأخب ، بالبناء للمجهول : أمنع منه .

(٥) الخريدة الغيداء : البكر اللينة الأعطاف .

(٦) في ك : « وأنت فيه » ، وفي الأصل ، ك : « عظيم القدر معبود » . وفي هـ : « معيود » .

(٧) في الأصل ، هـ : « على العلياء مسعود » .

أُذَمُّ من أجْـلِ أشْعارِي فواعَجَباً تُذَمُّ أن جَنَتِ الخَمْرَ العَنَاقِيـــدُ [1]
وما شَكَـوْتُ لأنَّ العِـزَّ يُقْعِــدُني وأنتَ سيفي ويـومُ الرَّوْعِ مَشْهُودُ [2]

* * *

(١) في هـ : « فيا عجبا » .

(٢) في هـ : « لأن العز يفقدني » .

(٢٣)*

وقال يمدح الملك بهاءَ الدولة ، ويشكره على ما ورد من أمره بأن يُضاف إلى أعماله النَّظَرُ في أمر الطالبيِّين وذلك في المحرم من سنة ثلاث وأربعمائة [1] :

[رمل]

مَن رأَى البرقَ بغَوْرِيِّ السَّنَدْ في أَدِيم الليل يَفْري ويَقُدّ [2]

القصيدة في : الأصل . س . ك . م . هـ .

(١) جاءت مقدمة في القصيدة في س . م على نحوٍ أوفى من ذلك . ففيهما : « وقال يمدح الملك بهاء الدولة . ويشكره على ما ورد من أمره بأن يضاف إلى أعماله النظر في أمور الطالبيين بجميع البلاد . ولم يبلغ ذلك أحد من أهل هذا البيت . واجتمع الناس في دار فخر الملك . وقرئت الكتب الواردة بذلك ، وكان يوما مشهودا مذكورا ، وذلك في يوم الجمعة السادس عشر من المحرم . سنة ثلاث وأربعمائة » .
وقد ذكر ابن الجوزي . في المنتظم ٧/٢٦٠ . هذا الخبر بنوع تفصيل . فقال : « ثم دخلت سنة ثلاث وأربعمائة : فمن الحوادث فيها أنه قلد الرضي أبو الحسن الموسوي يوم الجمعة السادس عشر من المحرم نقابة نقباء الطالبيين في سائر الممالك ، وورد له عهد بذلك من حضرة بهاء الدولة . وقرىء في دار فخر الملك بحضرته ، بعد أن جمع الأكابر من الأشراف والقضاة والعلماء والجند . وخلعت عليه خلعة سوداء . وهو أول طالبي خلع عليه السواد » .
ونقل ابن كثير في البداية والنهاية ١١/٣٤٧ بعض هذا الخبر عن ابن الجوزي . وساق ابن الأثير في الكامل ٩/١٠٠ الخبر بإيجاز شديد .

(٢) السند : ما قابلك من الجبل وعلا من السفح . وغوريه : قاعه . وفرى الأديم . قطعه وشقه . وفي ك : « في أديم الأرض » .

حَيْرَهُ المِصْبَــاحِ تَزْهُــوه الصَّبــا ... خَلَلَ الظَّلْمـاءِ يخبُــو ويَقِــدْ [1]
كلَّما أَنْجَــدَ عُلْــوِيّ السَّنــا ... قام بالقلبِ اشْتياقٌ وقَعَــدْ [2]
كم أضــاءَ البرقُ لي من مَعْهَــدٍ ... ذاب دَمْــعُ العَيْنِ فيــهِ وجَمَدْ
ومَغانٍ أنْبَــتَ الحُسْــنُ بهــا ... هَيَفــاً تَــرْعــاهُ عيــني وغَيَــدْ
كلَّمــا عَــاوَدَ قلــبي ذِكْــرُها ... لَعِبَ الدمــعُ بجَفْنَــيَّ وجَــدّ
إنَّ رِيمَ السِّرْبِ أدْنَى لي الجَــوى ... ونــأى بالصــبرِ عنِّي والْجَلَــدْ
بنَدَى غَضَّيْــن غُصْــنٍ ونَقــاً ... وجَنَى عَــذْبَيْــن شُهْــدٍ وبَــرَدْ
قُــلْ لزَوْرِ الشَّيْــبِ أهــلاً إنــه ... أخَــذَ الغَــيَّ وأعْطَــاني الرَّشَــدْ
طَــارِقٌ قَــوَّمَ عُــودِي بالنُّهَــى ... بعدَ ما اسْتَغْمَــزَ من طُولِ الأَوَدْ [3]
وقَّــرَ اليَــومَ جَمُوحــاً رَأْسُــه ... جَارَ ما جَــارَ طويلاً وقَصَــدْ [4]
ظِــلٌّ لَمَّــاعٍ جَــلاه بــارحٌ ... بعدَ ما أَبْرَقَ حِينــاً ورَعَــدْ [5]
لا تَعُــدَّ العَيْشَ شيئــاً إنــه ... نَفَسٌ يُقْضَــى وأيــامٌ تُعَــدّ
إنمــا الأيــامُ يــومٌ واحــدٌ ... وَغُــرورٌ اسْمُــه اليــومَ وغَدْ
يا قِــوامَ الــدِّين مُلِّيــتَ بهـا ... دولــةً تجْــري إلى غيــرِ أَمَــدْ
كسِقاطِ النــارِ أَوْرَى قَــدْحُــه ... كلَّمــا فُرَّ عن النــارِ وَقَــدْ [6]
أَصْلُهـا يطلُــب أعْماقَ الثَّــرَى ... وذُراهــا يطْلُب النجمَ صُعُــدْ

---

(١) في ك : « ترهاه الصبا » .

وتزهوه الصبا : تزيد ضوءه ، وتجعله يضطرب .

(٢) في س ، ك : « اشتياقا وقعد » .

(٣) الأود : الاعوجاج ، واستغمز : طلب الغمز ليستقيم .

(٤) جار : مال عن الحق ، وقصد : اعتدل . وفي هـ : « حاد ما حاد طويلا ... » .

(٥) في الشهاب : « حلاه بارح .. بعدما أبرق حيا ... » .

والبارح : الريح الحارة في الصيف ، يصف سرعة ذهاب الشباب .

(٦) في ك ، هـ : « كسقاط الزند » .

ويقال : فر الأمرُ جَذَعا ، أي رجع عودا لبدئه .

كلَّما زاد عُلُوّاً فَرْعُها زاد مَرْساها قَراراً ووَطَدْ[1]

كيف تُوهِي طُنُباً من بَيْتِها نُوَبُ الأيامِ والْجَدُّ وَتِدْ[2]

أنتَ آسِيها إذا لَجَّ بها من أَعادِيها رُداعٌ وضَمَدْ[3]

قائدُ الخيلِ تُساقِي بالرَّدَى تحت آسادٍ لها النَّقْعُ لِبَدْ

تحسَبُ الشُّوسَ على أكْتادِها فِلَقَ الجَنْدَلِ في ماءِ الزَّرَدْ[4]

وعلى أرْبَقَ قد أرْسَلَها كالْقَطَا الجُونِ يُبادِرْنَ الثَّمَدْ[5]

وبِيَمٍّ ودَّجوها بالْقَنَا رُبَّما داوَيْتَ من غيرِ عَمَدْ[6]

يومَ أَمْسَى من قَناهَا ماطِرٌ سال وَادِيهِ من الطَّعْنِ ومَدّ[7]

فَضَّ جَمْعَ الغَيِّ عن شَدَّتِها زَأَرَ الضَّيْغَمُ فانْصاعَ النَّقَدْ[8]

ونَجا المغرورُ من جَامِحِها مُفْلِتَ الشَّحْمَةِ حَلْقَ الْمزدرِدْ

غَادِياً يحلُم بالمُلْكِ وهل يغْلِب العَيْرُ على بيتِ الأسَدْ[9]

---

(١) في الأصل ، م : « زاد مسراها » .

(٢) في ك : « طنبا من بينها » . وفي هـ : « كيف تهوي » .
والطنب : حبل طويل تشد به الخيمة .

(٣) الرداع : معاودة المرض ، والضمد : الحقد .

(٤) الشوس : الشداد الجريون في القتال ، والأكتاد : جمع الكتد ، وهو مجتمع الكتفين .
والجندل : الحجارة العظيمة ، والزرد : حلق الدرع ، أو الدرع يتداخل بعضها في بعض .

(٥) أربق : مكان من نواحي رامهرمز من نواحي خوزستان . معجم البلدان ١/١٨٥ .
والقطا : طائر مثل الحمام ؛ سمي بذلك لثقل مشيه . والجون : السود . والثمد : الماء القليل .

(٦) اليم : القصد ، والتوديج في الدواب كالفصد في الناس ، وهو قطع الودجين وهما عرقان متصلان من الرأس إلى السحر .

(٧) في م : « من قناها ماطرا » .

(٨) في الأصل : « قط جمع الغى » .
والنقد : جنس من الغنم رذل ، صغار الأرجل .

(٩) في نسخة على هامش ك : « على خيس الأسد » .

أذْكَـرُونـا يومَ ذِي قـارٍ وقـد أَقْبَلُـوهُ عارِضَ الطعنِ بِـرَدّ [1]

دَحَضَ الأَغْلَـفَ في تيَّـارِهِ ورد العِلْـجُ وما كـان يَرِدْ [2]

يصْطَلِـي نـارَ طعـانٍ مَضَّـةٍ أَوْقَدتْ فيهـا نِزارُ بنُ مَعَـدّ [3]

سَلْ صَفيحَ الهنـدِ عن مَـوْقِفـهِ وبعَيْـنِ الشمسِ للنَّقْـعِ رَمَـدْ [4]

جَرَّ في دارِ الأعـادِي فَيْلَقـاً كرُغـاءِ البحرِ يَـرْمِي بالزَّبَـدْ [5]

فعلى الجَـوِّ سُقـوفٌ من قَنـاً وعلى الأرضِ قُطـوعٌ من جَسَدْ

أصْعَقَ الأعْـداءَ حتى خِلْتَـه زَفَيـانَ الرِّيحِ يَرْمِي بالعَضَدْ [6]

رَكْـدةٌ عن جَوْلةٍ تحسَبُهـا مِرْجَـلَ القَيْنِ غَـلَا ثـم بَـرَدْ [7]

ما أَضَلَّ الرُّمْـحَ فيهـا منهـمُ عـثَرَ السيـفُ بـه فيما وَجَدْ [8]

من بني ساسانَ أقْنَـى ضُـرِّبتْ حُجَرُ المُلْكِ عليـه والسُّـدَدْ [9]

---

(١) في ك : « أذكرتنا يوم ذي قار » .

وذوقار : ماء لبني بكر قريب من الكوفة . وفيه كانت الوقعة بين بكر والفرس ، التي انتصف فيها العرب من الفرس ، وهزموهم هزيمة منكرة .

أنظر ذلك مفصلا في : تاريخ الطبري ١٩٣/٢ . خزانة الأدب ٣٤٣/١ . الكامل في التاريخ ٢١٧/١ . معجم البلدان ٣٤٩/٢ . ١٠/٤ . النقائض ٦٣٨ .

(٢) في م : « رحض الأغلف » . وفي الأصل : « في قياره » . وفي س . ك : .« وما كاد يرد » .

والأغلف : الذي لم يختتن ، وهو يريد به الرئيس من رؤساء العجم . والعلج : الضخم القوي من كفار العجم . وسقط البيت من : هـ .

(٣) مضة : مؤلمة .

(٤) النقع : الغبار .

(٥) الفيلق : الجيش العظيم ، ورغاء البحر : صوت أمواجه .

(٦) يقال : زفت الريح السحاب زفيانا : طردته . والعضد : الورق المنثور من الشجر .

(٧) القين : الحداد .

(٨) في س : « في ماء وجد » .

(٩) بنو ساسان : الفرس ، والأقنى : من كان به قنا في أنفه . وهو ارتفاع وسط قصبته وضيق منخريه ، والسدد : جمع السدة . وهي سرير الملك .

طَلَعـــتْ في كـــلِّ أُفْـقٍ شمسُه ... هل تُـرى يخْتَصُّ بالشمسِ بَلَـدْ
مـا رأيْنـــا كـأَبيـه ناجِـــلاً ... ولَـدَ الناسَ جميعـاً بولَـــدْ [1]
إن يكـنْ تَاجاً وعَضُـــداً فابْنُـــه ... دُرَّةُ التـاجِ ودُمْلُـوجُ العَضُـــدْ [2]
لا ضَحَا ظِلُّكـــمُ يـومـاً ولا ... مَطَـــلَ الإقْبَـــالُ فيكـم ما وَعَدْ [3]
وتَفَارَطْتُم على رَفْـهِ السُّـــرَى ... مَـــوْرِدَ النَّعْمـــاءِ والعَيْشَ الرَّغَـدْ [4]
وغَـــدَا الجَـــدُّ جَمُوحـــاً بكـــمُ ... ما لَــهُ عن غـايةِ الأيـامِ رَدّ [5]
تقْصُر الآجالُ مـن أعـــدائِكـــمْ ... ويُطـــال العَيْشُ فيكـــم ويُمَـــدّ [6]
تنْفَـــدُ الغُـــدْرانُ أحْيانـــاً ومـــا ... لِعُبَابِ اليَـــمِّ ذي اللُّـــجِّ نَفَـــدْ
جَعْجَـــعَ المجـــدُ بكـــم مَبْرَكَـــه ... راضيـــاً بالدارِ فيكـــم والبَلَـــدْ [7]
وقِبَـــابُ المُلْـــكِ في أَعْطَانِهـــا ... رُفِعـــتْ منكم بعـــادِيّ العَمَـــدْ [8]
مَعْشَـــرٌ فـــات المَساعِي سَعْيُهـــم ... ضَـــلَّ مَن كـــاثَر رَمْـــلاً بعَـــدَدْ
أفْسَدُوا الدهـــرَ عـــلى أولادِه ... لا يـرى مثلهمُ فيمـــن وَلَـــدْ
يا مُعِيـــدَ المـــاءِ في عُـــودِي ويا ... مُثْبِـــتي بعـــد اضْطِـــرابٍ وأَوَدْ [9]
ثَمَـــرِي اليـــومَ لمـــن أَوْرَقَنِـــي ... وإذا مـــا أَوْرَقَ الفَـــرْعُ عَقَـــدْ
كـــلّ يـــومٍ لـــك نُعْمَـــى غَضَّـــةٌ ... تَعْقِـــدُ الفخـــرَ بأطْـــواقٍ جُدُدْ

---

(١) الناجل : الكريم النسل .

(٢) الدملوج : المعضد ، وهو حلي يلبس في العضد .

(٣) يقال : ضحا ظله ، أي مات .

(٤) تفارط القوم : تسابقوا ، « وعلى رفه السرى » أخذه من رفه الإبل ، وهو أن ترد الإبل كل يوم متى شاءت .

(٥) في هـ : « من غاية الأيام » .

(٦) في هـ : « في أعدائكم » .

(٧) جعجع القوم : أناخوا ، ومبركه : منصوب على نزع الخافض ، أي في مبركه .

(٨) أعطانها : مرابضها ، وعادي العمد : قديمه ، كأنه من عهد عاد .

(٩) في هـ : « ويا .. منبتي بعد اضطراب .. » .

رُبَّ مَــنٍّ بعـــدَ مَــــنٍّ منكـــمُ ‏ جاء عَفْـــواً ويَـــدٍ من بعــدِ يَدْ [1]

فاعْتَقِـــدْهـــا ناظِمــــاتٍ للعُــلَا ‏ جامعـــاتِ المجــدِ والمجـدُ بَدَدْ [2]

مِـن مَطايـــا الذِّكْــرِ لا يُحْسِرُها ‏ أَبَـداً وعْـــثُ بــلادٍ وجَـــدَدْ [3]

عُقَـدٌ للمجــدِ بـــاقٍ عَيْنُهـــا ‏ أَبَـــدَ الدهـــرِ وللمجــدِ عُقَـدْ

خارِجِيَّـــاتٌ يُبـــادِرْنَ المَــــدَى ‏ ولهـا فيـك بَـواقٍ وقُعُـــدْ [4]

* * *

(1) في م : « ويدا من بعد يد » .

(2) بدد : متفرق . وفي هـ : « فاطمات للعلا ... والمجد برد » .

(3) حسرت المطية : تعبت وأعيت ، والوعث : الطريق الغليظ العسر ، والجدد : الأرض الغليظة .

(4) الخارجيات : جمع الخارجي ، وهو كل ما فاق جنسه ونظائره ، وتوصف به سوابق الخيل ، والقعد : جمع القعود ، وهو من الإبل ما يقتعده الراعي في كل حاجة ، ولعلها « وقَعَد » بالتحريك ، وهو الذين لا يذهبون إلى الحرب ، والمعنى المقصود هنا معنى يردف قوله « بواق » ويعضده .

وفي هـ : « بواق وعدد » .

(٢٤) *

وقال يمدحه وقد اشْتدَّ به المرض ، وأُرجِف عليه ثم أَبَلّ وصَلَح ، وذلك في جمادى الأولى من سنة ثلاث وأربعمائة : [طويل]

أَبَى اللهُ إلَّا أن يسُوءَ بكَ العِدَا ... وتُصْبِحَ مُسْتَثْنَى البَقاءِ على الرَّدَى

وما كان هذا الدهرُ يوماً بنازِعٍ ... نِجادَ حُسامٍ مِثْلَه ما تَقَلَّدَا

لَعاً ولَعاً لا عَثْرَ من بعدِ هذه ... تَلَقَّ العُلَا واسْتأْنِفِ العِزَّ أَغْيَدَا (١)

خَفِيتَ خَفَاءَ البدرِ يُرْجَى ظُهورُهُ ... وما غاب بدرُ الليلِ إلَّا لِيُشْهَدَا (٢)

غُروبُ الدَّراري ضامِنٌ لطُلوعِها ... فيا فَرْقَداً باقٍ على الأُفْقِ فَرْقَدَا (٣)

مَعاذاً لهذا البحرِ ممَّا يَغِيضُه ... مَعاذاً لِشَمْلِ المجدِ أن يَتَبَدَّدَا

سَلِمْتَ لنا واللهُ أرْأفُ بالعُلَا ... مِنَ اَنْ تَنْطَوِي عنَّا وأَرْحَمُ للنَّدَى

فقُل للعِدَا شُمُّوا الهَوَانَ بأجْدَعٍ ... وعَضُّوا على الأيدي القصارِ بأدْرَدَا

أَفِيقُوا لها من سَكْرَةِ الغيِّ وابْتَغُوا ... زِماماً إلى ما تكْرهون ومِقْوَدَا (٤)

حَسِبْتُم بأنّ المُلْكَ هِيضَتْ جُبورُهُ ... وأنَّ سَوامَ المجدِ أصْبَحْنَ شُرَّدَا

لها اليومَ رَاعٍ لا تُراعُ سَوامُه ... أذَلَّ لها نَهْجَ الطريقِ وعَبَّدَا

(*) القصيدة في الأصل ، س ، ك ، م ، ه .

(١) لعاً ولعاً : دعاء له بالإقالة من العثرة .

(٢) في ه : « بدر التم » .

(٣) في س ، م : « باق على الليل » ، وفي ه : « باق على الأرض » .

(٤) سقط البيت من : ه .

إذا طمِعَ الأعداءُ فيها أجارَها ... وأرْتَعَها بين العَوالي وأوْرَدَا

وإنَّ قِوامَ الدِّينِ قد عبَّ بَحْرُه ... وَعِيداً أقامَ الخالِعين وأقْعَدَا

تَقُوهُ فبَيْنا تنْظُرِ البحرَ ساكناً ... إلى أن تَراهُ شائلَ اللُّجِّ مُزْبِدَا

أأَطْمَعَكم أنَّ الحُسامَ قَضَى المُنَى ... ولم يُبْقِ عند الدهرِ ثأْراً فأُغْمِدَا

وإنِّي ضَمِينٌ إن تجرَّد مَأْزِقٌ ... لغاوٍ من الأيامِ أن يَتَجَرَّدَا

أما يُرهَبُ القطَّاعُ إلا مُجَرَّداً ... أما يُتَّقَى العَسَّالُ إلَّا مُسَدَّدَا [1]

لِيَهْنِ المعالي والليالي وأهْلَها ... إثابةُ بُرْءٍ عَدَّها المجدُ مَوْلِدَا [2]

على حين طارتْ بالقلوبِ مَخافةٌ ... أُطِيرَ فَرِيصُ المُلْكِ منها وأُرْعِدَا [3]

وأصْبَحَتِ الآمالُ غَرْثَى ظَمِيَّةً ... يُواعَدْنَ من نُعماكَ مَرْعَى ومَوْرِدَا

فلو يسْتطيع الدهرُ من بعدِ هذه ... لَأَلْبَسَك اليومَ التَّمِيمَ المُعَقَّدَا [4]

ضِبابَ الثرى لا تَحسُدِي أعْقُبَ الذُّرَى ... على قَابِها وارْضَيْ على الرَّغْمِ بالكُدَى [5]

بأيِّ مَنالٍ أمْ بأيَّةِ أذْرُعٍ ... تَعاطَيْتُمُ اليومَ البناءَ العَطَوَّدَا [6]

بناءٌ أقامَ المجدُ فيه عِمادَهُ ... وقَرَّرَهُ تحت العَوالِي ووَطَّدَا

كَدأْبِكُمُ منه غَداةَ حَدَاكمُ ... بشَاغِلَةِ الآذانِ عن طَرَبِ الحُدَا [7]

وكَبِّكُمُ كَبَّ الحَجِيجِ هَدِيَّهُ ... يُحَثْحِثُهَا نَخْسُ النِّصالِ إلى المُدَى

---

(١) العسال : الرمح يهتز لينا .

(٢) في س ، م : « ليهن الليالي والمعالي أنها » .

(٣) الفريص : أوداج العنق ، والفريصة واحدته ، واللحمة بين الجنب والكتف لا تزال تُرْعَد .

(٤) التميم : جمع تميمة ، خرزة رقطاء تنظم في السير ثم يعقد في العنق .

(٥) سقط البيت من : س ، م . وفي الأصل : « على الرغم بالذرا » خطأ .
وأعقب : جمع عقاب ، وهو الطائر المعروف . والكدى : جمع الكدية ، وهي الأرض الصلبة الغليظة .

(٦) العطود : الشديد الشاق .

(٧) في م : « تشاغله الآذان »

كأيَّامِ حِنْوَيْ دَارَزِينَ وأَرْبَقٍ مَواقِفُ أخْبَى الطَّعْنُ فيها وأَوْقَدَا[1]
أُطِيلَ اخْتِراطُ البِيضِ فيها فلو خَفِي بها لَمَعانُ البَرْقِ ظُنَّ المُهَنَّدَا
وتَخْفَى بها الأمطارُ من طُولِ ما جرى عليها نَجيعُ الطَّعْنِ والضربِ سَرْمَدَا
شُلِلْتُمْ بها شَلَّ الطَّرائدِ بالْقَنَا تَبَرَّأَ مَن دَلَّى وضَلَّ الذي هَدَى[2]
ومَا زَادَكم مِنْهُنَّ غيرَ جَوائِفٍ هَوَادِرَ يَرْدُدْنَ الْمَسابِرَ والْيَدَا[3]
دَعُوا لَقَمَ العَلْيَاءِ للمُهْتَدِي به وخَلُّوا طريقاً غَارَ فيه وأَنْجَدَا[4]
لأَطْوَلِكم طَوْلاً إذا المُزْنُ أصْبَحَتْ غَوارِزَ لا يَعْدَمْنَ خِلْفاً مُجَدَّدَا
نَهَيْتُكُمُ عن ذي هَمَاهِمَ مُشْبِلٍ حَمَى بجنوب السِّيِّ ضَالاً وغَرْقَدَا[5]
قُصاقِصُ غِيلٍ في الدِّماءِ عَبِيَّةٍ كأَنَّ على لِيتَيْهِ سِباً مُوَرَّدَا[6]

---

(١) الحنو : المنعرج . ودارزين : من نواحي سجستان . وقال الرهني : من نواحي كرمان معجم البلدان ٢/٥٢٠ . وتقدم ذكر أربق في القصيدة السابقة (البيت ٢٣) .
ولبهاء الدولة واقعة في دارزين ، حيث سيّر الموفق أبو علي بن إسماعيل في جيش كثير لقتال الأمير أبي نصر بن بختيار الذي كان قد استولى على فارس ، فلحقه بدارزين وهزمه ، وقتل ابن بختيار سنة تسعين وثلاثمائة . الكامل (بيروت) ٩/١٦١ .

(٢) في م : « من ولى » ، وفي ه : « من ذلى » .

(٣) الجوائف : جمع الجائفة ، وهي طعنة تبلغ الجوف .

(٤) لقم العلياء : معظم طريقها أو أوسطه .

(٥) الهماهم من أصوات الرعد نحو الزمازم . وهمهم الأسد . اللسان ١٢/٦٢٢ .
والسي : علم لفلاة على جادة البصرة إلى مكة ، بين الشبيكة والوجرة ، يأوى إليها اللصوص . معجم البلدان ٣/٢٢٣ .
والضال من السدر : ما كان عذيا ، أو السدر البري . والغرقد : شجر عظام ، أو هي العوسج إذا عظم .

(٦) في م : « فضافض غيل » ، وفي ه : « قضاقض غيل » ، وكل ذلك خطأ .
وأسد قصاقص : عظيم الخلق شديد . ورجل قصاقص فراقص : يشبه بالأسد . اللسان ٧/٧٧ .
وفي م : « في الدماء عيبة » ، وفي ه : « في الدماء عبيبه » .
والليث : صفحة العنق . والسب : الخمار والعمامة . وفي الأصل ، ه : « سبئا » .

يُفَرِّقُ بين الجَحْفَلَيْنِ زَئِيرُهُ كما أَطَّ نَجْدِيُّ الغَمامِ وأَرْعَدَا [1]
يَجُرُّ أسَابِيَّ الدِّماءِ وَراءَهُ مَجَرَّ الْخَليعِ الشَّرْعَبِيَّ الْمُعَضَّدَا [2]
وحَذَّرْتُكُمْ مُغْلَوْلِباً ذا غُطامِطٍ إذا كَبَّ بُوصِيَّ السَّفِينِ وأزْبَدَا [3]
له زَجَلٌ كالفَحْلِ يقْرَعُ شَوْلَهُ أَلَظَّ بقرْقارِ الهَديرِ ورَدَّدَا [4]
ألا أُخرِس الْغاوِي ولا فَاهَ قائلٌ بأمْثالِها ما بَلَّلَ القَطْرُ جَلْمَدَا
ولا وجَد الرَّاجون أُفْقَكَ مُظْلِماً وزَنْدَ النَّدَى يوماً بكَفِّك مُصْلِدَا [5]
ولا سمِع الأعداءُ إلَّا بأصْلَمٍ ولا نظرَ الحُسَّادُ إلاَّ بأرْمَدَا [6]
فليس الْمُنَى ما عِشْتَ قَالِصةَ الْجَنَى علينا ولا النُّعْمَى بناقصةِ الْجَدَا
بَقِيتَ بَقَاءَ القَوْلِ فيك فإنَّه إذا بلَغ الباقي الْمَدَى جاوزَ الْمَدَى [7]
ولا بَعُدَ المأْمولُ من أن تَنالَه فإنْ فات في ذا اليوم أَدْرَكْتَهُ غَدَا
ومُلِّيتَ حتى تَسْأَمَ العَيْشَ مَلَّةً فلو خُلِّد الأقْوامُ كنتَ الْمُخَلَّدَا [8]

---

(١) أط : صوت .

(٢) في م : « سآبي الدماء » ، وهو خطأ .
وأسابي الدماء : طرائقها ، الواحدة إسباءة ، بالكسر .
والشرعبي : ضرب من البرود ، وهو الطويل أيضا والمعضد : ثوب له علم في موضع العضد .

(٣) في ك : « مغلوليا » ، وفي هـ : « معلوليا » . والمغلولب : المتكاتف . واغلولى : ارتفع وعظم . وبحر غطامط : عظيم الأمواج ، كثير الماء . والبوصي : ضرب من السفن . فارسي معرب . القاموس المحيط ، والألفاظ الفارسية المعربة ٣١ . وقد تكلموا به قديما . وهو في شعر طرفة . انظر المعرب ١٠٢ .

(٤) الشول : جمع الشائلة ، وهي من الإبل ما أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فجف لبنها . وألظ : لازم ودام . وقرقر البعير قرقرة : هدر ، وذلك إذا هدل صوته ورجَّع . والاسم القرقار . يقال : بعير قرقار الهدير ، صافي الصوت في هديره .

(٥) صلد الزند : صوَّت ولم يور .

(٦) رحل أصلم : كأنه مقطوع الأذنين خلقة . والألف في « أرمدا » للإطلاق .

(٧) في س . هـ : « إذا بلغ الباقي مدى » .

(٨) مللت الشيْ ملة : برمت به . اللسان ٦٢٨/١١ .

(٢٥) *

وقال يمدح الصاحبَ أبا القاسم إسماعيلَ بن عَبَّاد ، ولم يُنْفِذْهَا إليه ، وذلك في سنة خمس وسبعين وثلاثمائة : [طويل]

إباءٌ أقــام الدهــرَ عنِّـي وأَقْعَــدا ... وصبرٌ على الأيامِ أنْأَى وأَبْعَدَا (١)

وقلبٌ تَقاضـاهُ الجَـوانِـحُ أَنَّـةً ... إذا راح مَـلْآنَ من الهَمِّ أو غدَا (٢)

أَخُـوذٌ على أيْدِي المَطامعِ بالنَّـوَى ... نِزاعـاً وما يَـزْدادُ إلَّا تَبَعُّدَا (٣)

إذا ركبتْ آمالُــه ظَهْرَ نِيَّـةٍ ... رأيتَ غلامـاً غائِرَ الشَّوْقِ مُنْجِدَا

غَـذِيَّ زمـاعٍ لا يَمَلُّ كأنمـا ... يرى الليـلَ كُـوراً والمَجَرَّةَ مِقْوَدَا (٤)

يُلَثِّمُ عِرْنِـينَ الحُسامِ بهمَّـةٍ ... تُكَلِّفُـه خَـوْضَ الليالي مُجَـرَّدَا

أيا خاطبـاً وُدِّي على النَّأْيِ إنـني ... صديقُـك إن كنـتَ الحُسَامَ المُهَنَّدَا

فإنِّـي رأيتُ السيفَ أنْصَرَ للفتـى ... إذا قـال قَـوْلاً ماضِياً أو تَوَعَّدَا

(*) القصيدة في : الأصل ، س ، ك ، م . والأبيات ١ ــ ١٨ في : هـ . وسقطت منها بقية القصيدة . وللرضي في الصاحب قصيدة أخرى تلي هذه القصيدة ، ومرثية تأتي برقم ٢٦٨ .

(١) في س ، ك ، هـ : « أقام الدهر مني » ، وفي ك : « أدنى وأبعدا » .

(٢) سقط عجز هذا البيت وصدر الذي يليه من الأصل ، وتألف من صدره وعجز التالي بيت . وفي ك ، هـ : « ملآنا » على الصرف . وفي هـ : « عن الهم » .

(٣) في ك ، هـ : « أجود » مكان « أخوذ » . وفي ك : « بالثرى » مكان : « بالنوى » .

(٤) الزماع : المضاء في الأمر والعزم عليه . والكور : الرحل .

أرى بين نَيْلِ العِزِّ والذُّلِّ ساعةً — من الطَّعْنِ تَقتاتُ الوَشِيجَ المُقَصَّدَا[1]

فمَن أَخَّرَتْه نفسُه مات عاجِزاً — ومن قَدَّمَتْه نفسُه مات سَيِّدَا

إذا كان إقْدامُ الفتَى ضائِراً لـه — فما المجدُ مَطْلُوباً ولا العِزُّ مُقْتَدَى[2]

فِدًى لابنِ عَبَّادٍ ضَنِينٌ بنفسِه — إذا نَقَضَ الرَّوْعُ الطِّرافَ المُمَدَّدَا[3]

ودَبَّرَ أطْرافَ الرِّماحِ وإنما — يُدَبِّرُ قبلَ الطَّعْنِ رَأْياً مُسَدَّدَا

به طال من خَطْوِي وكنتُ كأنني — مَشَيْتُ إلى نَيْلِ المَعالِي مُقَيَّدَا

ومن مات في حَبْسِ المَذَلَّةِ قلبُه — رأى العِزَّ في دارِ المَمالكِ مَوْلِدَا[4]

يسُرُّ الفتى حَمْلُ النِّجادِ ورُبَّما — رأى حَتْفَه في صَفْحَتَيْ ما تَقَلَّدَا[5]

لَنالَ المَعالِي مَن يُدِلُّ بنفسِه — ولا يدَّخِرُ الآباءَ مجداً مُوَطَّدَا

وما يُسْتفادُ العِزُّ من شِيمةِ الفتى — إذا كان في دِينِ المَعالِي مُقَلِّدَا

أبا قاسمٍ هذا الذي كنت راجياً — لأُرْغِمَ أعداءً وأكْبِتَ حُسَّدَا

إذا جَزِعَتْ أيَّامُنا كنتَ مَعْقِلاً — وإن ظَمِئتْ آمالُنا كنتَ مَوْرِدَا

ولَمَّا رأيتُ الثَّوْبَ يُعْفِي قَرِينَهُ — لبستُ إليك الشَّرْعَبِيَّ المُعَضَّدَا[6]

ولو كان لا يَجْنِي على المرءِ بأْسُه — لَدَرَّعَني العَزْمُ الدِّلاصَ المُسَرَّدَا[7]

وليلٍ دَفَعْناهُ إليك كأنما — دَفَعْنا به لُجًّا من اليَمِّ مُزْبِدَا

وشمسٍ خَلَعْناها عليك مَرِيضةٍ — وكُنَّا لبسْناها رداءً مُوَرَّدَا

ومَلْكٍ أنِفْنا أن نُقِيمَ ببابِه — فزَوَّدَنا زادَ امْرِئٍ ما تَزَوَّدَا

---

(١) في س : « بين نيل الذل والعز » . وفي م : « تقتاد الوشيج » وفي هـ : « يُقتاد » .

والوشيج المقصد : قصب الرماح المكسر .

(٢) في ك : « فلا المجد » . وفي م ، هـ : « ولا العز مفتدى » .

(٣) الطراف : بيت من أدم .

(٤) في م : « في دار المذلة » .

(٥) في محاضرات الأدباء : « وسر الفتى » .

(٦) تقدم شرح الشرعبي المعضد في القصيدة السابقة بيت ٣٧ .

(٧) الدلاص المسرد : الدرع اللينة الملساء .

وأمْـرَدِ حيٍّ مُلْتَـحٍ بلِثامِـهِ ... يطُول جَـواداً قارِحَ السِّنّ أجْرَدَا[1]
رأى أَرْجُـلَ الخُوصِ الخماصِ كأنما ... تُسالِبُ أيْدِيها النَّجَاءَ العَمَـرَّدَا[2]
تركْنـا لأَيْـدِ العِيسِ ما خَلْفَ ظهرِها ... ومن ذَلَّ في دارٍ رأى البُعْـدَ أَحْمَدَا
وسِرْنا على رَغْمِ الظلام كأننـا ... بُـدورٌ تُـلاقِي من جَنابِـك أسْعُدَا
تركتُ إليك الناسَ طُـرًّا كأنـني ... أرى كـلَّ مَحْجوبٍ بَعِيراً مُعَبَّدَا[3]
فيـاليت رُعْيانَ الْقَضِيمـةِ خُبِّـروا ... بأنِّـي رَعيْـتُ العِزَّ غَضًّـا مُجَدَّدَا[4]
فلله نُـورٌ في مُحَيَّـاك إنَّـه ... يُمَزِّقُ جِلْبـاباً من الليلِ أَرْبَـدَا
ولله ما ضَمَّـتْ ثَنَايـاك إنهـا ... ثَنايا جِبَـالٍ تُطْلِـع البَأْسَ والنَّدَى
أغَـرْ ضوءَها يا قِبْلَةَ المجدِ إنَّـني ... أرى غُرَرَ الآمالِ نَحْوَك سُجَّـدَا
وأنت الذي ما احْتَلَّ في الأرضِ مَقْعَداً ... من الجِـدِّ إلَّا شَقَّ في الجو مُصْعِدًا[5]
إذا ظَمِئتْ عِيسٌ إليـك فإنمـا ... حَقائبُها تُـرْوَى لُجَيْنـاً وعَسْجَدَا
تُكَتِّمُـك الأسْرارُ حَزْمـاً وفِطْنَـةً ... وتفْضَحُك الآراءُ عِـزّاً وسُـؤْدُدَا
وما كنت إلاَّ السيفَ يُعْرَفُ مُنْتضًى ... ويُنْكَـرُ في بعض المَواطِنِ مُغْمَدَا
وحَيٍّ حِـلَالٍ قد صَحِبْتَ بغَـارةٍ ... من الخيلِ يسْتاقُ النَّعـامَ المُشَـرَّدَا[6]
ويومٍ من الأيامِ شَوَّهْـتَ وَجْهَهُ ... بأغْبَـرَ كَـدَّ الطيرَ حتى تَبَلَّـدَا
رَمَتْ بك أقْصَى المجـدِ نفسٌ شريفةٌ ... وقلبٌ جريءٌ لا يخـافُ من الرَّدَى
وهِمَّةُ مِقْـدامٍ على كـلِّ فَتْكَـةٍ ... يُفارِق فيها طَبْعُـه ما تَعَـوَّدَا

---

(١) في م : « قادح السن » .
(٢) الخوصاء : الغائرة العين ، والخماص : الجياع : والعمرد : الطويل من كل شيئ ، والشرس الخلق القوي .
(٣) المعبد من الطريق : المذلل . ومن الفحول : المغتلم ، وهو يريد المعنى الأول .
(٤) القضيمة : شعير الدابة .
(٥) في س ، ك : « إلا اشتق في الجو » .
(٦) في م : « وحي جلال قد صبحت » . وفي س : « وحي حلال قد صبحت » . وفي ،ك، : « يستاق النعام » .

مُقِيمٌ بصحراءِ الضَّغائِنِ مُصْحِراً ... إذا أَخْمَدَتْ من نارِها الحربُ أَوْقَدَا

لك القلمُ الماضي الذي لو قَرَنْتَهُ ... بجَرْيِ العَوالِي كان أجْرَى وأجْوَدَا

إذا انْسَلَّ من عَقْدِ البَنانِ حَسِبْتَهُ ... يَحُوكُ على القِرْطاسِ بُرْداً مُعَمَّدَا

يُغازِل منه الخَطُّ عَيْناً كَحِيلةً ... إذا عاد يوماً ناظِرُ الرُّمْحِ أرْمَدَا

وإن مَجَّ نَصْلٌ من دمِ الضَّرْبِ أحْمَراً ... أراق دماً من مَقْتَلِ الخَطْبِ أسْوَدَا[1]

إذا اسْتَرْعَفَتْهُ هِمَّةٌ منك غادَرتْ ... قَوَادِمَهُ تجري وَعِيداً ومَوْعِدَا

سأُثْنِي بأشْعارِي عليك فإنَّني ... رأيتُ مَسُودَ القومِ يُطْرِي المُسَوَّدَا

فلا عَرَّفَتْنِي الأرضُ غيرَك مَطْلَباً ... ولا بلَّغَتْنِي العِيسُ إلَّاكَ مَقْصِدَا[2]

ألا إنَّ تَرْكَ الحمدِ تبْخِيلُ مُحْسِنٍ ... وما بذَلَ المِعْطاءُ إلَّا لِيُحْمَدَا

لَئِنْ كنتُ في مدحِ العُلا فاغِراً فَماً ... فإنِّي إلى غيرِ النَّدَى باسِطٌ يَدَا

خَطَبْتُ إليك الوُدَّ لا شَيْءَ غَيْرُه ... ووُدُّ الفتى كالبِرِّ يُعْطَى ويُجْتَدَى[3]

دَعانِي إليك العِزُّ حتى أجَبْتُه ... ومَن طَلَبَتْه جَمَّةُ الماءِ أَوْرَدَا

وإنِّي لأَرْجو من جِوارِك فَعْلَةً ... أغِيظُ بها الحُسَّادَ مَثْنَى ومَوْحِدَا[4]

ومَدْحُك هذا بِكْرُ مَدْحٍ مَدَحْتُه ... وكنت أَرُوضُ القَوْلَ حتى تَسَدَّدَا

ولو عَلِقَتْ مِنِّي بغيرِك مِدْحةٌ ... لكنتُ كمَن يعْتاضُ بالماءِ جَلْمَدَا

ولستُ براضٍ هذه لك تُحْفَةً ... أُضَمِّنُها فيك الثَّناءَ المُخَلَّدَا

فإن كان شِعْرِي فاتَكَ اليومَ آبِياً ... عليَّ فإنِّي سوف أُعْطِيكَهُ غَدَا

ولولاك ما أَوْمَا إلى المدحِ شاعرٌ ... يُعِدُّ عَلِيًّا للعُلا ومحمدَا

أبوه أبوه المُسْتَطِيلُ بنفسِه ... على العِزِّ مَصْروفاً به ومُقَلَّدَا

فَتًى سِنُّه عن خمسَ عشرةَ حِجَّةٍ ... تُرَبِّي له فضلاً ومجداً ومَحْتِدَا

(١) في م : « من دم الصرب » ، وفي مطلع الفوائد : « من دم الصب » .

(٢) في س ، م : « فما عرفتني » .

(٣) في س : « كالمال يعطى » وفوقها : « كالبر .. » .

(٤) في ك : « في جوارك » .

فَتِيُّ الصِّبا كَهْلُ الفضائِلِ ما مَشى إلى العُمْرِ إلاّ احْتَلَّ في العُمْرِ مَقْعَدا[1]

تفَرَّد لا يُفْشِي إلى غيرِ نفسِه حديثاً ولا يدعُو من الناس مُنْجِدَا

ولا طالباً من دهرِه فَوْقَ قُوتِهِ كَفاني من الغُدْرانِ ما يَنْقَعُ الصَّدَى[2]

سأَحْمَدُ عَيْشاً صانَ وَجْهِي بمائه وإن كان ما أعْطَى قليلاً مُصَرَّدَا[3]

وقالوا لِقاءُ الناسِ أنْسٌ وراحةٌ ولو كنتُ أرْضَى الناسَ ما كنتُ مُفْرَدَا

طَرِبْتُ إلى الفضلِ الذي فيك وانتشَى لِذِكْرَاكَ شِعْرِي راقِداً ومُسَهَّدَا[4]

وما كنتُ إلَّا عاشِقاً ضاع شَجْوُهُ فأصْبَحَ يسْتَمْلي الحَمَامَ الْمُغَرِّدَا

وليس عجيباً أن طغَى فيك مِقْوَلٌ رآك حَقِيقاً بالمعالي فجَوَّدَا[5]

بَعُدْتُ عن الإنْشادِ من غيرِ رَغْبَةٍ ولكنَّني اسْتَخْلَفْتُ نُعْمَاكَ مُنْشِدَا

فَمُرْني بأمرٍ قبلَ مَوْتِي فإنَّني أرى المرءَ لا يبْقَى وإن بَعُدَ المدَى

وما المَيْتُ إلَّا راحِلٌ كَرِهَ النَّوَى وأعْجَلَهُ المِقْدارُ أن يتَزَوَّدَا

* * *

(١) في س ، م : « في الفضل مقعدا » . وفي ك : « في العلم مقعدا » .

(٢) في س ، م : « ما نقع الصدى » .

(٣) التصريد . التقليل . وفي السقي : دون الري .

(٤) في م : « لذكرك شعري » . وفي س : « أو مسهداً » .

(٥) في م : « في المعالي » مكان : « بالمعالي » . وفي ك : « بالعلاء » ، وفوقها : « بالثناء » .

(٢٦) *

وقال يمدحه ، وقد بلغه أن شيئاً من شعره وقع إليه ، فأُعجب به ، وأنفذ إلى بغداد لاسْتِنْساخ تَمامِ شعره ، وكتب بها إليه في المحرم من سنة خمس وثمانين وثلاثمائة [1] :

[كامل]

أَترى الهَـــوادِجَ في عِراصِ البِيدِ ... مثلَ الجبالِ على الجمـالِ القُـــودِ [2]

يَطْلُعْــنَ من رَمْلِ الشَّقِيقِ لَواغِبــاً ... زَحْفَ الجَنــوبِ بعارضٍ مَمْدُودِ [3]

كم بانَ في الْمتحمِّلـــين عَشِيَّـــةً ... من ذي لَمًــى خَصِرِ الرُّضابِ بَرُودِ [4]

وقَضيبِ إِسْحِلَةٍ لو انْعطَفَ الصبًا ... يوماً لنــا بقَـــوامِـهِ الأُمْلُــودِ [5]

مُتَلفِّتـــين من القِبَابِ كأنَّمـــا انْـ ... ـتَقبُـــوا بأعْيُنِ رَبْرَبٍ وخُـــدودِ [6]

مَــرُّوا على رملي زَرُودَ فهل تَــرَى ... إلْصاقــةً لحشًى برَمْــلِ زَرُودِ [7]

غَــرَسُوا الغُصونَ على النَّقا وتَرنَّحُوا ... مِــن كــلِّ مائلـــةِ الغَـــدائر رُودِ

(*) القصيدة في : الأصل ، س ، ك ، م . والأبيات من ٢٣ ـ ٨٤ في : هـ . وسقط الباقي منها .

(٢) في م : « أثر الهوادج». وفي ك : « في عراض البيد » .

والقود : الطويلة الظهر والعنق .

(٣) الشقيق : جمع الشقيقة ، وهي كل غلظ بين رملين .

(٤) خصر الرضاب : بارده .

(٥) الإسحلة : شجرة يتخذ منها السواك . والأملود : الناعم اللين .

(٦) (٧) بين هذين البيتين تقديم وتأخير في : م .

زرود : رمال بين الثعلبية والخزيمية بطريق الحاج من الكوفة . معجم البلدان ٩٢٨/٢ .

إنَّ الَّـلآلىءَ بـين أصْـدافِ اللَّمَـى غلَبـتْ مَراشِفُـها على مَجْلـودِي

ولَوَوْا بوَعْدِي يومَ خَفَّ قَطِينُهُـم ومن الصُّدودِ اللَّيُّ بالْمَـوْعُـودِ

لم تُرْضِــني تلـك الليـالي عنهمُ بنَـوالِهم فأقـولُ يوماً عُــودِي

سِيَّانِ قُـرْبُهمُ عـــليَّ وبُعْــدُهـم لولا الجَـوَى وعَــلاقـةُ المَعْمُودِ

رَبَعَـــتْ عـلى آثـارِكـم نَجْـدِيَّةٌ غَـرَّاءُ ذاتُ بَـوارِقٍ ورُعـودِ

تَسْقِـي مَعالِـمَ منكـمُ لولا النَّـوَى لم أَرْمِهـا بِقِلًـى ولا بصُـدودِ

ولَعُجْــتُ فيها طارِحاً عن ناظري ثِقَـلَ الدمـوعِ وثانِيـاً من جِيدِي

هل تُبْرِدُون حَـرارةً من حائـمٍ حَـرَّانَ عن ذاك الغَدِيرِ مَـذُودِ[1]

فلقد تَمَعَّـك في مَواطِيءِ عِيسِكمْ يومَ الوَداعِ تَمَعُّـكَ المَـوْرُودِ[2]

وأمَا وذَيَّـاك الغُـزَيِّـل إنَّــهُ عَرَضَ الزُّلالَ وحال دون وُرُودِي

أغْـدُو إلى طَـرْدِ الظِّباءِ وأَنْثَنِـي وأنـا الطَّـرِيدةُ للظِّبـاءِ الغِيـدِ

حتى مَ تَعْتَلِـقُ البَطالـةُ مِقْـوَدِي ويعُودُني لِهَـوَى الظَّعائِنِ عِيدِي

عشرون أَرْدَفَهَـا الزمانُ بأرْبَـعٍ أرْهَقْنَنِـي ومَنَعْـنَ من تَجْرِيدِي

أعْلَقْـتُ في سِرْبِ الخُطُوبِ حَبائِلي وقَدَحْتُ في ظُلَمِ الأُمورِ زُنُودِي

وكَرَعْـتُ في حُلْوِ الزمانِ ومُـرِّهِ ما شـئتُ واعْتَقَبَ العَواجِمُ عُودِي

وفَرَعْـتُ رَابِيةَ العُـلا مُتَمَهِّــلاً أَجْرِي أمـامَ الطالبِ المَجْهُـودِ

وخَبَطْـتُ في الْمتَعَرِّضين بقَوْلَـةٍ حَـذَّاءَ من بِـدَعِ الزمان شَـرُودِ[3]

فضربتُ أَوْجُهَهـم بغيرِ مَناصِـلٍ وَهَزَمْتُ جَمْعَهُـمُ بغيرِ جنـودِ

ما ضَـرَّني لمَّـا فَلَلْـتُ غُـرُوبَهم أَنِّي كَثُـرْتُ لهم وقَـلَّ عَـدِيدِي

وأبِـي الذي حسَد الرجالُ قَدِيمَهُ إنَّ المَنـاقبَ آيـةُ المحسـودِ

---

(١) في ك : « هل تبردن » .

(٢) في الأصل ، م : « تمعك الموءود » .

والتمعك : التمرغ . والمورود : من وردتْه الحُمَّى .

(٣) في م : « جداء من بدع الزمان » .

وحذاء : سريعة .

ذُو السِّنِّ والشرفِ الذي جَمَعتْ به | كُفَّاهُ أخْطِمةَ العُلا والجودِ [1]
أحْذَى أَخامِصَه رقابَ عِداتِه | من سيّدٍ بلَغ العُلا ومَسُودِ
فالآنَ إذْ نَبذَ المَشيبُ شَبيبَتِي | نَبْذَ القَذَى وأقام من تأْوِيدِي
وفُرِرْتُ عن سِنِّ القُروحِ تَجارِباً | وعَسَا على قَعَسِ الزمانِ عَمُودِي [2]
ولبستُ في الصِّغَرِ العُلا مُسْتَبدِلاً | أطْواقَها بتمائِمِ المَوْلُودِ
وصَفَقْتُ في أَيْدِي الخلائفِ راهِناً | لهمُ يَدِي بوثائِقٍ وعُقودِ [3]
وحَلَلْتُ عندهُمُ مَحلَّ المُجْتَبَى | ونَزَلْتُ منهم مَنْزِلَ المَوْدُودِ [4]
فَغَرَ العَدُوُّ يريد ذَمَّ فضائِلي | هَيْهاتَ أُلْجِمَ فُوكَ بالجَلْمُودِ
هَمْساً فكم أسْكَتُّ قبلَك كاشِحاً | بمَناقِبي وعليَّ فضلُ مَزِيدِ
ما لي أريغُ النِّصْفَ من مُتَحامِلٍ | أو أطلُبُ الإجْمَالَ عند حَسُودِ [5]
أم كيف يرْأمُني وليس بناتجي | أترى الرَّؤُومَ تكون غيرَ وَلُودِ
فلأَنْهَضَنَّ إلى المَعالِي نَهْضةً | مِلْءَ الزمانِ تفي بطُولِ قعُودِي
اجْمَحْ أمامَك إن هَمَمْتَ بفعْلَةٍ | وتَغابَ عن عَذَلٍ وعن تَفْنِيدِ
وإذا الْتَفتَّ إلى العَواقِبِ بَدَّلَتْ | قلب الجريءِ بمُهْجَةِ الرِّعْدِيدِ
قد قلتُ للإبلِ الطِّلاحِ حَدَوْتُها | غَلَسَ الظَّلامِ بسائِقٍ غِرِّيدِ
مِن كلِّ مُضْطَرِبِ الزِّمَامِ كأنه | في الليلِ زُمَّ بأرْقَمٍ مَطْرُودِ
فَتَلَ الطَّوَى أجْوَافَها بظُهورِها | وأحَلَّ أكْلَ لحُومِها لِلْبِيدِ

---

(١) في ك ، ه : « ذو السر والشرف » ، وفي م ، ه : « أخمطة العلا » .، وفي هـ : .« جمعت له » .

(٢) في م : « وفررت عن » . وفي س ، ك ، والشهاب : « على قعس السنين » والقارح : الذي شق نابه وطلع . وعسا : غلظ وصلب . وقعس الزمان : يريد به هنا عدم اعتداله .

(٣) في ه : « في أيدي الخلائق » .

(٤) في الشهاب : « محل المحتبى » .

(٥) أريغ النصف : أطلب الإنصاف والعدل .

إن لم تَرَيْ كافِي الكُفاةِ فلا يَزَلْ منكنَّ مسقط ظالعٍ أو مُودِ[1]

بهُداهُ يَسْتَضْوِي الوَرى وبهَدْيِهِ قرُبَ الطريقُ لهم إلى المعبودِ

أسدٌ إذا جرَّ القنابلَ خلْفَهُ حَلَّ الطُّلَى بلوائِه المَعْقُودِ[2]

ومَقَصِّرٌ في الطَّوْلِ غيرُ مُقَصِّرٍ في الضربِ يقْطعُ حَبْلَ كلِّ وَرِيدِ[3]

ومُزَعْزعٌ مثلُ الجَرِيرِ إذا انْحَنى للطَّعْنِ شُيِّعَ بالطِّوالِ المِيدِ[4]

ما مَرَّ يسْحبُ منه إلَّا رَدَّهُ ريَّانَ يقْطُرُ من دماءِ الصِّيدِ

والجيشُ يُرفَع عِمّةً من قَسْطَلٍ فوق الْقَنَا ويجُرُّ ذيلَ حَدِيدِ[5]

سَلَفٌ لكلِّ كتيبةٍ يطَأُ العِدَى فيها مُفاجَأةً بغير وَعِيدِ

في غِلْمةٍ حملُوا الْقَنَا وتحمَّلُوا أعْباءَ يوم المَأْزَقِ المَشْهُودِ

قومٌ إذا ركِبوا الجِيادَ تَجَلْبُبُوا بقَساطِلٍ وتعَمَّمُوا ببُنُودِ

وإذا سَرَوْا كَمَنُوا كُمونَ أَراقِمٍ وإذا لَقَوا بَرزُوا بُروزَ أُسودِ[6]

وإذا هتَفْتَ بهم ليوم كَرِيهةٍ تَدْمَى غَوارِبُ بَحْرِها المَوْرُودِ[7]

كَثَرُوا الحَصَى بجُموعِهم وتلاحَقُوا بك من قيامٍ في السُّروجِ قُعودِ[8]

كم من عَدُوٍّ قد أباتَ كأنما يَطْوي الضُّلوعَ على الْقَنَا المَقْصودِ[9]

لِوَعِيدِ مُحْتَضِرِ العِدَى بحسامِه قبلَ احْتمالِ ضَغَائِنٍ وحُقودِ

---

(١) في س ، م ، هـ : « فلم يزل » .

(٢) في م ، هـ : « إذا جر القبائل » .

(٣) في م : « يقطع كل حبل وريد » . خطأ .

والقنبل : الطائفة من الناس ومن الخيل .

(٤) الجرير : حبل يجعل للبعير بمنزلة العذار للدابة والزمام .

(٥) في الأصل : « يرفع غمة » .

(٦) في هـ : « مكنوا مكون أراقم » .

(٧) في س ، م : « نحرها المورود » .

(٨) في هـ : « كثروا الخطا » .

(٩) في س ، م : « على قنا مقصود » . ومقصود ، مكسر .

وَمُؤَلّلاتٍ كالرِّماحِ تَلَمَّظَتْ ... فيها المَنُونُ تَلَمُّظَ المَزْؤُودِ [1]
سُودِ المَخاطمِ يَنْتَظِمْنَ مَحاسِناً ... بيضاً يُضِئْنَ على الليالي السُّودِ
كَتَفَتُّحِ النُّوّارِ فَتَّقَهُ الْحَيَا ... أو كالصباحِ فَرَى الدجى بعَمُودِ
ما زال قَدْرٌ من عَقِيرةِ سَيْفِهِ ... عَلَماً أمامَ رُواقِهِ المَمْدُودِ
وجِفانِ جُودٍ كالرَّكايَا تُسْتَقَى ... أبداً بأيْدي نُزَّلٍ ووُفُودِ
كم حُجَّةٍ لك في المحافلِ نوَّهَتْ ... بدُعاءِ دِينِ العَدْلِ والتوحيدِ [2]
ومُجادِلٍ أدْمَى جِدالُك قلبَه ... وأعَضَّه بجَوانِبِ الصَّيْخُودِ [3]
وشَفَيْتَ مُرْتمضَ الهدى من مَعْشَرٍ ... سَدُّوا من الآراءِ غيرَ سَدِيدِ [4]
قَارَعْتَهُم بالقولِ حتى أذْعَنُوا ... وأطَلْتَ نَوْمَ الصَّارمِ المَغْمُودِ
جمرٍ بِمَسْهكَةِ الرِّياحِ نَسَفْتَهُ ... كان الضلالُ يمُدُّه بوَقُودِ [5]
في كلِّ مُعْضِلةٍ أُضِبَّ رِتَاجُها ... يُلقي إليك الدِّينُ بالإقْلِيدِ [6]
فاللهُ يشكرُ والنبيُّ محمدٌ ... وَقَفَاتِ مُبْدٍ في النِّضالِ مُعِيدِ
رأيٍ يُغِبُّ إذا الرجالُ تَلَهْوَجُوا الْـ ... آراءَ أو عجِلُوا عن التَّسْديدِ
لو كان يُمكنني التقلُّبُ لم يكنْ ... إلاَّ إليك تَهائِمي ونُجُودِي
وطَوَيْتُ ما بعُدتْ مَسافةُ بَيْنَنا ... إن البعيدَ إليك غيرُ بَعِيدِ

---

(١) في هـ : « تلمظ المزرود » .
ومؤللات : محددات . ولعله يعني أقلامه . والمزؤود : المذعور .

(٢) في م : « في النوافل نوهت » .
ويعني بدين العدل والتوحيد : مذهب المعتزلة .

(٣) صخرة صيخود : شديدة .

(٤) في م ، هـ : « ممترض الهدى » .
وارتمض الرجل : فسد بطنه ومعدته .

(٥) في الأصل ، هـ : « جمر تمسكه الرياح » .
والمسهكة : ممر العاصفة الشديدة .

(٦) أضبّ رتاجها : أغلق بابها . الإقليد : المفتاح .

وأَنَخْتُ عِيسي في جَنابِك طارِحاً بفِناءِ دارِك أَنْسُعِي وقُتُودي[1]
وتركتُ أسْوُقَها تكُوسُ عَقِيرَةً مُتَبَدِّلاتِ صَوارِمٍ بقُيودِ[2]
بيني وبينك حُرْمتان تلاقَتا نَثْرِي الذي بك يَقْتَدِي وقَصِيدِي[3]
ووصَائِلُ الأدب التي تصلُ الفتى لا باتِّصالِ قبائلٍ وجُدودِ[4]
قد كنتُ أعضُل عن سِوَاكَ عقائلي وأصُونُ دُرَّ قَلائِدِي وعُقُودِي[5]
وأحُوكُ أفْوافَ القَرِيضِ فلا أَرَى أنِّي أُدَنِّسُ باللِّئام بُرُودِي
ولقد ذمَمتُ الناسَ قبلَك كلَّهم فالآنَ طُرِّق لِي إلى المَحْمُودِ
إنْ أهْدِ أشْعارِي إليك فإنه كالسَّرْدِ أَعْرِضُهُ على دَاوُودِ[6]
لكنَّني أعْطَيْتُ صَفْوَ خَواطِرِي وسَقَيْتُ ما صَبَّتْ عليَّ رُعُودِي
وسمحتُ بالمَوْجودِ عند بَلاغتِي إنِّي كذاك أجُودُ بالمَوْجُودِ

* * *

(١) النسع : سير أو حبل عريض طويل تشد به الرحال . والقتد : خشب الرحل . وفي ه : « بفناء عيسك » .

(٢) في م ، ه : « نكوس عقيرة » .
وكاس البعير يكوس : مشى على ثلاث قوائم وهو معرقب .

(٣) جاء بعد هذا البيت في الأصل البيت ٨٠ الآتي ، وكذلك ورد في ك ، وفوقه أنه مؤخر ، ثم إشارة في نهاية البيت ٧٩ إلى مكان البيت ٨٠ . والترتيب المثبت الآن في س ، ك بعد التصحيح ، م ، ه . وهو المناسب للمعنى .

(٤) في الأصل ، م : « الذي تصل الفتى » .

(٥) في م : « كنت أعقل » . وفي ه : « كنت أعطل » .
وعضل المرأة : منعها عن الزواج ظلما .

(٦) في ه ، ومجموعة المعاني : « إليك فإنها » .
والسرد : اسم لكل درع وحلق .

(٢٧) *

وقال يمدح الوزير أبا نصر سابور بن أرْدَشِير ، وكتب بها إليه وهو بالأهْواز ، بعقب وَحْشَة كانت بينه وبين والده ، ويُذكره بالوصلة التي كانت بينهما على بنت الوزير ، ثم انْفَسَخ ذلك لأشياء جَرَتْ :

[طويل]

أُعاتبُ أيّامِي وما الذنبُ واحدُ ... وهُنَّ الليالي البادِياتُ العَوائِدُ
وأهْوَنُ شيءٍ في الزمانِ خُطُوبُه ... إذا لم يُعاونْها العَدُوُّ الْمُعانِدُ
وكيف تَلَذُّ العَيْشَ عَيْنٌ ثَقِيلةٌ ... على الخَلْق أو قلبٌ على الدهرِ واجدُ
وناصبُ مالٍ وهْو في الجُودِ فائض ... وناقصُ حَظٍّ وهْو في المجدِ زائدُ[1]
نَضَوْتُ شباباً لم أنَلْ فيه سُبَّةً ... على أنَّ شيطانَ البَطالةِ مَارِدُ
وكنتُ قصيرَ الْباعِ عن كلِّ مجرمٍ ... ومِن عُدَدِي قلبٌ جَرِيءٌ وساعدُ[2]
وعنْدِي إباءٌ لا يَلِينُ لغامِزٍ ... ولو نازَعَتْنِيهِ الرِّقاقُ البَوارِدُ
وكلُّ فتًى لم يَرْضَ عن عَزْمِهِ الْقَنَا ... ذليلٌ ولو ناجَى عُلاه الفَراقِدُ
ولولا الوزيرُ الأرْدَشِيرِيُّ وحدَه ... لغاضَ المعالِي والنَّدَى والْمَحَامِدُ
وسُدَّ طريقُ المجدِ عن كلِّ سالكٍ ... وضاقتْ على الآمالِ هَذِي الْمَوَارِدُ[3]

(*) القصيدة في : الأصل ، س ، ك ، م ، هـ .
وفي س ، م : « بعقب زوال وحشة كانت بينه وبين والده » ، وفي هـ : « لأسباب جرت » .
وتقدمت ترجمة سابور في القصيدة ٦ .

(١) في هـ : « وفائض مال وهو في الجود ناقص » .

(٢) في ك : « عن كل محرم » وتحت الحاء علامة الإهمال .

(٣) في هـ : « عن كل سابح » .

فتًى نَفَحَتْني منه رِيحٌ بَلِيلَةٌ ... تُغادِرُ عُودِي وهْوَ رَيَّانُ مائِدُ
ومَدَّ بضَبعِي يومَ لا العَزْمُ ناصرٌ ... ولا الرُّمْحُ مَنَّاعٌ ولا العَضْبُ ذائِدُ
وساعَد جَدِّي في بُلوغِي إلى العُلَا ... وما بَلَّغَ الآمالَ إلَّا المُساعِدُ
على حين ولَّاني المُقارِبُ صَدَّهُ ... وزاد على الصَّدِّ العَدُوُّ المُباعِدُ
تَؤودُ العُلَا طُلَّابَها وهْوَ وَادِعٌ ... ويبْلُغُ ما لم يبْلُغُوا وهْو قَاعِدُ
تُخلِّي له عن كلِّ عِزٍّ وسُؤْدُدٍ ... وتُلقَى إليه في الأُمورِ المقالدُ
أنِيسُ سُروجِ الخيْلِ في كلِّ ظُلْمَةٍ ... وبين الغَواني مَضْجَعٌ منه بارِدُ
هُمُومٌ تُناجِي بالعَلَاءِ وهِمَّةٌ ... لها فارِطٌ في كلِّ مجدٍ ورائِدُ
يُعلِّمُه بَهْرامُ كلَّ شَجاعةٍ ... ويُقْطِعُه أقْصَى المعالي عُطارِدُ
فكيف يغَصُّ الأقْرَبُون بوِرْدِه ... وقد نَهِلتْ منه الرِّجالُ الأباعِدُ[1]
لك اللهُ ما الآمالُ إلَّا ركائِبٌ ... وأنت لها هادٍ وحَادٍ وقائِدُ
أبَى لك إلا الفضلَ نَفْسٌ شريفةٌ ... ورأيٌ إلى فعلِ الجميلِ مُعاوِدُ[2]
وطَودٌ من العَلْياءِ مُدَّتْ سُمُوكُه ... فطالتْ ذَراهُ واطْمأَنَّ القواعِدُ
وإنِّي لأَرْجُو من عَلائِك دَوْلَةً ... تُذَلَّلُ لي فيها الرِّقابُ العوانِدُ
ويوماً يُظِلُّ الخافِقَيْنِ بمُزْنَةٍ ... رَذاذُ غَوادِيها الرُّؤُوسِ الشَّوارِدُ
لأَعْقِدَ مَجْداً يُعجِزُ الناسَ حَلُّهُ ... وتَنْحَلُّ مِن هَامِ الأعادِي مَعاقِدُ
فمَن ذا يُرامِيني ولي منك جُنَّةٌ ... ومَن ذا يُرادِيني ولي منك عاضِدُ[3]
عليَّ رِداءٌ مِن جَمالِك واسِعٌ ... وعنديَ عِزٌّ مِن جَلالِك خالِدُ
ولو كنتُ مِمَّن يَمْلِكُ المالُ رِقَّهُ ... لقلتُ بعُنْقِي مِن نَداك قلائدُ
فلا تَتْرُكَنِّي عُرْضَةً لِمُضاغِنٍ ... يُطارِد في أضْغانِه وأُطارِدُ
فلولا صُدُودُ منك هانَتْ عَظائِمٌ ... تَشُقُّ على غيْرِي وذَلَّتْ شَدائِدُ

---

(١) في س ، م : « وكيف » .

(٢) في أصل س وفي م : « نفس كريمة » ، وفي تصحيح س كما هنا .

(٣) في الأصل ، م : « ومن ذا يدانيني » .

وراداه : راوده وداراه ، وعن القوم : رمى عنهم بالحجارة .

ولكنَّك المرءُ الذي تحت سُخْطِـهِ أُسُودٌ تَرَامَـى بالرَّدَى وأَســاوِدُ
كأنَّـك للأَرْضِ العَرِيضةِ مالِـكٌ وَحِيداً وللدنيـا العَظِيمـةِ والِـدُ
فعَـوْداً إلى الحِلْـمِ الذي أنت أهلُه فمثلُـك بالإحْسانِ بـادٍ وعائِـدُ
وحامِ على مـا بَيْنَنَـا مِن قَـرابةٍ فَإنَّ الذي بيْني وبينـك شاهِـدُ
وأرْعِ مَقَالِي منك أُذْنـاً سَمِيعـةً لها بلقـاءِ السائِلين عـوائِـدُ
ومُـرْ بجَـوابٍ يُشْبِـهُ البَدْءَ عَـوْدُه لِيُـرْدِي عَـدُوًّا أو لِيُكْبَتَ حاسِدُ[1]

* * *

(١) في هـ : « ومن بجواب » .

(٢٨) *

وقال في الكافي وزيرِ بهاء الدولة ، وقد عاتبه على تأخُّره عنه :

[مجزوء الوافر]

أكافِينـــا النَّصيـــحَ بَقيـــتَ فينـــا دائمـــاً أبـــدَا
تَحُـــثُّ إلى العُـــلا قَـدَمـــاً وتبْسُـط بالنَّـــوالِ يَـــدَا
لئـــن حرَّقْتِنِـــي عـــذلاً لقـــد نَـوَّهْتَ بي صُعُدَا
فطُلْـــتُ الأَطْـولَيْـــنِ عُـــلاً وفُـــتُّ الأَبْعَـدَيْـــنِ مَـــدَى
عَـلَيَّ طُـــروقُ ورْدِكُـــمُ وليـــس عَـلَيَّ أنْ أرِدَا [1]

* * *

(*) المقطوعة في : الأصل ، س ، ك ، م ، هـ .
ولم أجد في وزراء بهاء الدولة من لقبه الكافي النصيح ، ولكن الثعالبي ذكر في اليتيمة ١٥٤/٣ هذه المقطوعة عدا البيت الرابع ، وصدرها بقوله : « وقال في أبي الحسن النصيح وقد لامه في تأخره عنه » . فلعل المقصود أبو الحسن بن محمد الكوكبي المعلم ، وكان المدبر لدولة بهاء الدولة منذ سنة ٣٨٠ هـ ، حيث استولى على الأمور ، وانصرفت إليه الوجوه ، فأساء السيرة ، ويكفي أنه الذي أشار على بهاء الدولة بخلع الطائع لله ، طمعا في أمواله ، وقد اشترك بنفسه في هذا العمل ، ثم شغب الديلم والأتراك ، وطالبوا بتسليمه وقتله ، وحاول بهاء الدولة أن يستنقذه دون جدوى ، فسلمه ، فسم ثم خنق سنة ٣٨٢ هـ .
العبر لابن خلدون ٤٣٩/٣ ، ٤٤٠ ، المنتظم ١٦٧/٧ ـ ١٦٩ ، الكامل ٩٤/٩ .

(١) في اليتيمة : « على طروق داركم » .
وفيها أنه أخذه من قول منصور :

عـلَيَّ أن أزوركُـمُ وليس عليَّ أنْ أصِلاَ

(٢٩)*

وقال يمدح أباه ، ويذُمُّ الزمان ، على خُطوبٍ طَرَقَتْه ، في سنة أربع وسبعين وثلاثمائة : [سريع]

إذا احْتَبَى بالعُشُبِ الوادِي ... وانْحَلَّ فيه الواكِفُ الغَادِي

وفَوَّفَتْ رِيحُ الصَّبا مَتْنَه ... تَفْوِيفَ أعْلامٍ وأبْرادِ [1]

فلا سَقاكِ اللهُ مِن صَفْوِهِ ... أو تُنْجِزي في السَّيْرِ مِيعادِي

رُبَّ طِلَابٍ أتْلَعٍ رُمْتُهُ ... وحاجَةٍ عالِيَةِ الْهادِي [2]

مُعْتَجِراً باللَّيْلِ أحْدُو به ... بَزْلاءَ تَسْتَولِي على الحادِي

لا أرِدُ الماءَ ولَوْ أنَّني ... ضَجِيعُ أسْدامٍ وأعدادِ [3]

كأنَّني رَوْعاءُ مَطْرودَةٌ ... يَزْوَرُّ عنها جانِبُ الوادِي [4]

(*) القصيدة في : الأصل ، س ، ك ، م ، هـ .

وتاريخ القصيدة في هـ سنة ٣٧٥ هـ .

(١) برد مفوف : فيه خطوط بيض .

وفي هـ : « وفوقت .. تفويق أعلام .. » .

(٢) أتلع : مرتفع . والهادي : العنق .

(٣) في هامش ك من نسخة أخرى : « ضجيع أعداد وحساد » .

وأسدام : جمع سدم ، ككتف . وهو الماء المندفق . وأعداد : جمع عد ، بكسر العين وتشديد الدال ، وهو الماء الجاري الذي له مادة لا تنقطع .

(٤) في س : « يزور عني » .

هذا وكـم قيـظٍ تَرَشَّفْتُـه — والمـاءُ لا يَلْـوي على الصَّادِي[1]

تَـؤُمُّ بي الخَـرْقـاءَ مَخْطُومَـةٌ — أمـامَ وُرَّادٍ ورُوَّادِ[2]

أشْرفُ بيـتٍ من بـني هـاشمٍ — وخـيرُ أطْنـابٍ وأعْمادِ[3]

ألْقـتْ إليـه ناقتي في السُّـرَى — فُضـولَ إتْهـامِـي وإنْجَـادِي

تركـتُ مَـن ليسـتْ لـه هِمَّـةٌ — مُلْتَقِمـاً في المـاءِ والزَّادِ[4]

تَلَـوتَ موسى يَابْنَـهُ في العُـلَا — بفَضْـلِ آبـاءٍ وأجْـدَادِ[5]

نِعْمَ حِمَـى الـدِّرْعِ ليـومِ الْوَغَى — أنتَ وراعِـي الحِلْـمِ في النَّادِي[6]

إذا الْقَنَـا مَـدَّ مَـدَى باعِـه — عانقتَـه في ثـوب فِرْصـادِ[7]

أدْعـوكَ والـدهـرُ لـه وَقْفَـةٌ — ما بـين إصْـدارٍ وإيـرادِ[8]

لِمِثْلِهـا أدْعُـو بَنـاتِ السُّرَى — تَخْلِـطُ أعْنـاقاً بأعْضـادِ

نفسِي كمـا تعـرفُ صَبَّـارةٌ — لو لم يَفُـضَّ الخَطْـبُ مِن آدِي[9]

ولو أمِنْـتُ الدهـرَ أحْـداثَه — صافَحْـتُ كـفَّ الضَّيْغَمِ الْعَـادِي

---

(١) في س ، م ، هـ : « هذا وكم فيض .. » .

(٢) الخرقاء : الأرض الواسعة تتخرق فيها الرياح .

(٣) في س ، ك : « أشرف بيت في بني هاشم » .

(٤) في س ، وأصل ك ، م ، هـ : « ملتفتا في الماء » وفي الأصل ما لعل قراءته : « ملتقتا » أو لعله موافق للمثبت هنا ، وهو من تصحيح ك .
والتقمه : ابتلعه .

(٥) في الأصل : « بلوتُ موسى بابنه ... بفضل اجداد وأجداد » ، وفي س ، م ، هـ : « بابنه في العلا » . وفي س ، م ، هـ : « بفضل أجداد وأجداد » ، والمثبت من : ك

(٦) في س ، م ، هـ : « للنادي » ، وفي نسخة من ك : « وداعي الحلم للنادي » وفي أصلها : « وراعي الحكم في النادي » .

(٧) في ك : « إذا الفتى .. علقته في ثوب فرصاد » .
والفرصاد : صبغ أحمر .

(٨) في س ، ك ، هـ : « ما بين إصداري وإيرادي » .

(٩) في ك : « لو لم يفض الدهر » .
والآد : الصلب والقوة .

ما لِيَ لا أرْغَبُ عن بَلْدةٍ ... تَرْغَبُ في كَثْرَةِ حُسَّادِي [1]
ما الرِّزْقُ بالكَرْخِ مُقيمٌ ولا ... طَوْقُ العُلَا في جِيدِ بَغْدادِ [2]
بكلِّ أرْضٍ إن تَوَرَّدْتُها ... ديارُ أشْكالٍ وأضْدادِ [3]
أنْحلنِي فيها طِلابُ العُلَا ... وذاك فَخْرِي عند أنْدادِي
لو كان دَائِي مِن غَرامِ الهوى ... جَزِعْتُ مِن أبْصارِ عُوَّادِي
أيْن الغَواني مِن طِلابِي ومَا ... أطلُبُ إلّا الرائِحَ الْغادِي
أكثرُ ما يَلْقَيْنَني ساهِراً ... ما بيْن أعْرافٍ وأكْتادِ [4]
وقَلَّ ما يَلْقَيْنَني راقِداً ... ما بيْن أحْشاءٍ وأجْيَادِ
إن مَسَّني نابُ الرَّدَى لم أقُلْ ... يا ليت مَوْتِي كان مِيلادِي
هيْهاتَ ما سَيْرِي على سابحٍ ... أو شَرْجَعٍ تَخْفُقُ أبْرادِي [5]
وما مُقامُ الحُرِّ في عِيشَةٍ ... لها الْمَقَادِيرُ بمِرْصادِ
تَفْدِي الفتَى في عَيْشِهِ ألْسُنٌ ... وما لَهُ في حَتْفِهِ فَادِ
قالُوا وما أنْكَرَها قَوْلة ... مِن مَائِقٍ في الغَيِّ مُنْقَادِ
الظلمُ والإنْصافُ مِن فعْلِ مَن ... يحكُم في الحاضرِ والْبادِي
فقلتُ إنِّي وجميعُ الوَرى ... منهُ علَى وَعْدٍ وإيعادِ
إنْ كان إسْلامِي على هذه ... فكلُّ غَيٍّ عنْدَ إرْشادِي

---

(١) في تمام المتون : « عن منزل .. يكثر فيه الدهر حسادي » . وفي الغيث المنسجم : « يكثر فيها الدهر حسادي » .

(٢) في تمام المتون : « في الكرخ » ، وفي الغيث المنسجم : « بالكرخ مقيما » .

(٣) في ه : « إن توددتها » .

(٤) الأكتاد : جمع الكتد ـ بالتحريك ـ وهو مجتمع الكتفين من الإنسان والفرس ، كالكتد ، بالكسر . أو هما الكاهل أو ما بين الكاهل إلى الظهر .

(٥) في س ، م : « سيان ما سيري » . وفي ك : « وإنما سيري » .
والشرجع : الطويل والنعش أو الجنازة والسرير والناقة الطويلة . والمقصود على ما أثبته عن الأصل ، ه ، النعش أو الجنازة .

هيْهَاتَ لا أحسد ذا قُدْرَةٍ ... ولو حَوَى عاقِرَ أغمادِي [1]
ولو حَسَدْتُ الفَضْلَ في أهْلِهِ ... حَسَدْتُ آبائِي وأجْدادِي

* * *

(١) لعله يعني بـ « عاقر أغمادي » سيفه . أي ولو حوى سلاحه وما يدفع به عن نفسه .

(٣٠)

وقال يمدحه ويُهنّيه بعيد الأضحى من سنة ست وسبعين وثلاثمائة ، ويُعَرِّض بذمِّ المُطَهَّر بن عبد الله وزير عضد الدولة . وذلك بعد مدة لعداوة كانت بينهما :

[خفيف]

شَقِيَتْ منك بالعَلاءِ الأعادِي ... والْمَعَالِي ضَرائِرُ الحُسَّادِ

واسْتَقَادَ الزَّمانُ بعد التَّداني ... مِن رجالٍ تَفاءلوا بالبِعادِ

ورَعَيْتَ الإيابَ غَضًّا جَدِيداً ... وتَبَدَّلْتَ مَطْمَحاً بالقِيادِ

وإذا ما الشُّجاعُ شَمَّرَ بُرْدَيْـ ... ـهِ فلِلَّهِ أيُّ يَومِ جِلادِ

أمْرَعَتْ أرْضُنا بكلِّ مكانٍ ... واسْتَجابَتْ لنا بُروقُ الْغَوادِي

وَحبانا بوبْلِهِ كلُّ أُفْقٍ ... وأتانا بسَيْلِهِ كلُّ وَادِ

أتُرَى آنَ لِلْمُنَى أن تَقاضَى ... حاجَةً طالَ مَطْلُها في الفُؤادِ

بيْنَ هَمٍّ تحتَ الْمَناسِمِ مَطْرُو ... حٍ وعَزْمٍ على ظُهورِ الْجياد

(*) القصيدة في : الأصل . س . ك . م . هـ .

وجاء في المقدمة في الأصل . ك « بأم المطهر » مكان « بذم المطهر » وهو خطأ . وجاء فيها في س . هـ : « بعد موته » . وفي م : « بعد وفاته » مكان « بعد مدة » . وما في الأصل . ك هو الصواب ؛ لأن المطهر قتل نفسه في شعبان سنة تسع وستين وثلاثمائة ، لإخفاقه في حرب ندبه لها عضد الدولة . وتاريخ القصيدة سنة ست وسبعين وثلاثمائة . انظر تجارب الأمم ٢/٤٠٩ ـ ٤١١ .

وسيرد في مقدمة القصيدة ٣٢ طرف من العداوة بين المطهر وأبي أحمد .

ومهـــارٍ يَكــدُّهــا كــلَّ يـــومٍ طَـرَدٌ أو قَـــوارِحٌ في الطِّـــرادِ[1]
مِن قُلـــوبٍ لهـــا التَّقَلُّـــبُ في الْعَزْ مِ وأَيْـدٍ طَلِيقَـــةٍ بالأَيـــادِي
ما يُبـــالي الهُمـــامُ أيْـــن تَـــرَقَّى وخِبـــاءُ العُـــلا أَمِيـنُ الْعِمادِ[2]
يا حيـــاةً يَشْجَـــى بها كــلُّ حَيٍّ والتَّـــوَالِي شَجِيَّـــةٌ بالهَـــــوادِي
إنْ سَمَا بالنِّفَـــاقِ غـــيرُك فـــالْأَوْ عـــالُ مَلْـوِيَّـــةٌ على الأطْـــــوادِ
أو تَعاطَـــى مَـداكَ فالْمَـــرْءُ مَسْبُو قٌ إذا كَــفَّ مِن عِنـــانِ الْجَوادِ
حَرَّكَتْ عَـزْمَكَ الْمَعالِي ولكـــنْ يُحْدِثُ السَّيْـــلُ خِفَّـــةً في الجمادِ[3]
كيـف يسْتَعلـمُ السَّماحَ وبَذْلَ الْـ مـالِ غـيرُ الْمُعَلَّـمِ الْمُسْتَفـــادِ[4]
نحن في عُصْبـــةٍ تَرَى الْجَوْرَ عَدْلاً وتُسَمِّـي الضَّلالَ دارَ الـــرَّشادِ[5]
في رِجالٍ تَهْـــزَا بوَفْـدِ الْمَعَـــالي وديارٍ تسْطُـــو على الـــــوُرَّادِ
إنَّمـــا أنتَ نِعْمَـــةُ اللهِ فـــي الأرْ ضِ إذا كـــان نِقْمَـــةً للْعِبـــادِ[6]
لـك طَبْـــعٌ تعرَّفَتْـــهُ الليـــــالي وامْتَـــرَى فيـــهِ كلُّ قَـارٍ وبـادِ[7]
جاعِلٌ قَسْـوَةَ الوَعِيـدِ على الأيَّـــ ـامِ عَبْـــداً لِـرِقَّـــة الْمِيعـــادِ
أيكـــونُ البخيـــلُ غـــيرَ بخيـــلٍ أم يكـــونُ الجَـــوادُ غـــيرَ جَوادِ
لَأَجـــارَ الزَّمـــانُ من كــلِّ بُؤْسٍ ظاهرَ الجَـدِّ طاهـرَ الأجْـــدادِ[8]
فَرِحـــاتٌ به العُيـــونُ كـما تفْـ ـرحُ بـــالعُشْبِ أعْيُـــنُ الـــرُّوَّادِ

(١) في هـ : « طرد أم قوارح » .
والمهاري : إبل تنسب إلى حي من أحياء العرب ، وهو مهرة بن حيدان .
(٢) في الأصل : « ما يبالي الهموم » .
(٣) في س ، م ، ك ، هـ : « حركت عزمه » .
وفي حاشية ك : « يحدث الجهل خفة » .
(٤) في ك ، م : « كيف يستعمل » .
(٥) في خ من ك : « دار الجهاد » .
(٦) نقمة ، بالنصب ــ يعني المطهر بن عبد الله .
(٧) امترى فيه ، من المرية ــ بضم الميم ــ وهي در اللبن ، أي نعم به واستفاد منه .
(٨) في هـ : « لا أجار » وهو خطأ . وفي الأصل ، ك : « طاهر الجد » .

واضِحُ العَزْمِ مُتْلِئبُّ الْمَطَايَا مُسْتَطِيبُ الإتْهَامِ والإنْجادِ[1]
أخَذَتْ كفُّه بصَخْرَةِ عَزْمٍ دَوَّخَتْ بالطِّلابِ هامَ البِلادِ
وجَبانٍ لَوَيْتَ عنه فأمْسَى وَجِلَ العَيْنِ من قِراعِ الرُّقَادِ
مُسْتطِيراً كأنَّ هُدَّابَ عَيْنَيْـ ـهِ على النَّاظِرَيْنِ شَوْكُ الْقَتادِ[2]
لا أقالَ الإلهُ مَن خانَكَ الْعَهْـ ـدَ وجازاكَ بِغْضَةً بالوِدَادِ
ظَنَّ بالعَجْزِ أنَّ حَبْسَك ذُلٌّ والْمواضِي تُصانُ بالأغْمادِ
قَصَرَ الدَّهْرُ مِن ذُراهُ وقدْ كا نَ بتلكَ الظُّبَى طَوِيلَ النِّجادِ
وأذَلَّ الزَّمانُ بَعْدَكَ عِطْفَيْـ ـهِ وقد كان مِن أعَزِّ العِبادِ
كنْتَ لَيْثاً وكان ذِئْباً ولكنْ لا تَلَذُّ الأشْكالُ بالأضْدادِ
وتَمادَى بما جَناهُ على الأيَّا مِ حتَّى جَنَى عليْه التَّمادِي
سَمَحَتْ كَفُّه بِه لِلْمَنَايا بعد أنْ لم يكنْ مِن الأجْوادِ
ظَنَّ أنَّ الْمَدَى يطولُ وفي الآ مالِ ما لا يُعانُ بالأجْدادِ
كلُّ حَيٍّ يُغالِطُ العَيْشَ في الدهـ ـرِ وكلٌّ يغْدُو عليه الغَوادِي[3]
لو رَجَعْنا إلى العُقولِ يَقِيناً لَرأيْنا الْمَماتَ في المِيلادِ
كيف لا يطلُبُ الحِمامَ عَلِيلٌ حَكَّمَ الدهرُ فيه رَأْيَ الْمُعادِي[4]
لو أُجِيزتْ له العِيادَةُ يَوْماً لَقَضَى من فَظاظةِ الْعُوَّادِ
أو تَصَدَّى لِمَجْمَعٍ جَرَّحَتْهُ أَلْسُنُ القومِ بالعُيوبِ الحِدادِ[5]
هكذا تُدْرِكُ النُّفوسُ من الأعْـ ـداءِ بَرْدَ القُلوبِ والأكْبادِ
كُلُّ حَبْسٍ يَهُونُ عند اللَّيالي بعد حَبْسِ الأرْواحِ في الأجْسادِ

---

(١) فوق كلمة « مستطيب » في ك : « مستطاب » .
ومتلئب المطايا : مستقيمها . أو إذا انتصبت المطايا أقامت صدورها ورؤوسها .
(٢) في س ، ك ، م ، ه ، ومجموعة المعاني : « هداب جفنيه » .
(٣) في م ، ه : « بالدهر » مكان « في الدهر » ، وفي الأصل ، ه : « تغدو عليه الغوادي » .
(٤) في س : « رأي الأعادي » ، وتحتها : « المعادي » .
(٥) في م خطأ : « بالعيون الحداد » .

وتَدارَكْتَ ما تَمَنَّيْتَ والأحْـ ـشاءُ مَزْرُورَةٌ على الأحْقَادِ
نِلْتَ بَعْضاً وسوف تُدْرِكُ كُلَّا إنَّما السَّيْلُ بَعْدَ قَطْرِ العِهَادِ
مِثْلُ ما مَرَّ لا تُعِيدُ الليالي والحديثُ السَّفِيهُ غيرُ مُعَادِ
رُبَّ يَومٍ شَهِدْتَهُ والْمَنَايَا تَطْرَحُ الطَّعْنَ في رُؤوسِ الصِّعادِ [1]
والظُّبَى تَقْذِفُ الغُمودَ وماءُ النَّقْـ ـعِ جارٍ على الرُّبَا والوِهَادِ
خلَّقَ الخَيْلَ بالنَّجيعِ وكانتْ غُرَرُ الخيلِ مَعْقِلاً للجِسادِ [2]
يا قَرِيعَ الزَّمانِ دَعْوَةَ صَبٍّ بالأَماني مُتَيَّمٍ بالمُرادِ
لك إن ذُمَّتِ الْمَحاضِرُ يَوْماً عُنْفُوانُ الثَّناءِ في كلِّ نادِ
نَظَرَ العِيدُ منك بَدْراً تَخَفَّى بُرْهَةً عن نَواظِرِ الأعْيادِ
فَتَهَنَّ السُّرورَ فاليومُ مَصْقُو لُ الْحَواشِي مُجَرَّرُ الأبْرادِ
مِن مَرَامٍ بِعَادُه لِتَدانٍ ومُرادٍ نُقْصانُه لازْدِيادِ
لو قَدِرْنَا على الْمُنَى لَفَدَيْنَا ذي الأَضاحِي مِن الظُّبَى بالأَعادِي
إنَّما نحن مُشْبِهُوكَ وما الأَشْـ ـبالُ إلَّا طَبَائِعُ الآسادِ
نحن ذاك الغِرارُ من هذهِ البِيـ ـضِ وذاك الشِّرارُ مِن ذا الزِّنادِ
هذه تُحْفَتِي إلَيْك وخيرُ الشِّـ ـعرِ ما كان تُحْفَةَ الإنْشادِ
وضَمِيرِي إذا طَرَحْتُك فيه جَاشَ لي بَحْرُه بخَيْرِ الْعَتَادِ
أنا مِن صَفْوَةِ البَنِينَ وغَيْرِي وَلَدٌ لا يُعَدُّ في الأَوْلَادِ [3]

* * *

(١) في س ، م ، ه : « من رؤوس الصعاد » .

(٢) النجيع : الدم الأحمر القاني ، وخلق الخيل به : جعله خلوقا لها أي طيبا . والجساد : الزعفران .

وفي الأصل : « عزز الخيل » .

(٣) في م ، ه : « من صفوة النبي » .

(٣١)*

وقال يمدحه : [منسرح]

خيرُ الهوى ما نَجَا من الكَمَدِ وعاشقُ العِزِّ ماجدُ الكَبِدِ
ما حَمَلَ الذُّلَّ ظهرُ مارِنِهِ ولا انْزَوَى عن طبيعةِ الصَّيَدِ
كيف يُرَبِّي الحياةَ مُقْتَبِلٌ يَرَى المُنَى عاقِراً بلا وَلَد
يَعْذِلُني في الزَّماعِ كلُّ فَتًى والسيفُ إن قَرَّ في الغُمُودِ صَدِي[1]
أنا النُّضارُ الذي يَضِنُّ به لو قلَّبَتْني يَمينُ مُنْتَقِدِ
إنِّي أظُنُّ الظُّنونَ صادِقةً كأنَّ يومي طَلِيعَةٌ لغَدِي
ما وَتَرَ الدهرُ لِمَّتي ويدي تأخذُ قبلَ المشيبِ بالْقَوَدِ
تغْدُرُ بي وَفْرَتي وكنتُ إذا طلبتُ غيرَ الوفاءِ لم أجِدِ
بَعْدَكُمُ حنَّتِ الرِّكابُ وسا لَ الرَّكْبُ بالصَّحْصَحانِ والجَدَدِ[2]
والليلُ بين النجومِ تحسِبُه يخْطُرُ في نَثْرَةٍ من الزَّرَدِ
لَيْلي ببغداذَ لا أقَرُّ به كأنَّني فيه ناظِرُ الرَّمِدِ
ينْفِرُ نَوْمي كأنَّ مُقْلَتَهُ تُشْرَجُ أجْفَانُها على ضَمَدِ[3]

(*) القصيدة في : الأصل ، س ، ك ، م ، هـ . وسقط من هـ من البيت ٣٩ إلى آخر القصيدة .

(١) الزماع : المضاء في الأمر والعزم عليه .

(٢) الصحصحان : ما استوى من الأرض . والجدد : الأرض الغليظة المستوية .

(٣) تشرج أجفانها على ضمد : أي تضم على حقد . والضمد ، بالتسكين : اليبيس . فكأنه حركه للوزن .

أفكِرُ في حالةٍ أُطاوِلُها … وفَعْلَةٍ تخضِبُ الْقَنَا بيَدِي

للنفسِ أن تبْعَثَ العزائمَ والرَّأْ … يَ وكُلُّ الفِعالِ للْجَسَدِ

ها إنَّها نَوْمَةٌ بسَوْرَتِها … أقالت العَيْنَ عَثْرَةَ السَّهَدِ

لا اطَّرَدَتْ بي إليك سابِحَةٌ … حتَّى أرَى النَّقْعَ عالِيَ الكَتَدِ

ما لِيَ أركبُ البعَادَ ولا … أُدْعَى على القُرْبِ بَيْضَةَ الْبَلَدِ

أصْحَبُ مَن لا أَلُومُ صُحْبَتَهُ … غيرَ نَزُورِ النَّدَى ولا جَحِدِ

فتًى رأَى الدهرَ غيرَ مُؤْتمَنٍ … فما فَشَا سِرُّه إلى أَحَدِ

واتَّهمَ الخَيْلَ فهْوَ يَمْتَحِنُ المُهْ … رةَ قبلَ الطِّرادِ بالطَّرَدِ

في كلِّ فَجٍّ يقُودُ راحِلةً … تَجْذِبُها الأرْضُ جَذْبَةَ الْمَسَدِ[1]

لا يُبْعِدُ اللهُ غِلْمةً ركِبُوا … أغْراضَهم واشْتَفَوْا مِن البُعُدِ[2]

رَمَوْا بعَهْدِ النَّعيمِ واصْطَنَعُوا … كلَّ نَجيلِ الذُّبابِ مُطَّرِدِ[3]

قَلُّوا على كَثْرةِ العَدُوِّ لهم … كم عَدَدٍ لا يُعَدُّ في العُدَدِ

لي فيهمُ أشْرَفُ الحُظوظِ إذا الرَّ … وْعُ أعانَ الحُسامَ بالعَضُدِ

وأين مثلُ الحسينِ إن حَسُنَتْ … صَنائِعُ البيضِ والْقَنَا القُصُدِ

أبْلَجُ إنْ صاحَتِ الْمَطِيُّ به … فَدَى الثَّنائي بعِيشِهِ الرَّغِدِ

ما خَلَعَ الدهرُ عنه سابغَةً … والليثُ لا يُنْتَضَى مِن اللِّبَدِ

لو أمْطَرَتْهُ السماءُ أنْجُمَها … عِزًّا لَمَا قال للسماءِ قَدِ

لا يسألُ الضيفُ عن مَنازلِهِ … ومنزلُ البدرِ غيْرُ مُفْتَقَدِ

رأَى الظُّبَى في الغُمُودِ آجِنَةً … والخَيْلَ مَلْطومةً عن الأمَدِ

فاسْتَلَّ أسْيافَه وأوْرَدَها … غَمْرَ الْمَنَايا بمائِها الثَّمَدِ

---

(١) المسد : حبل من ليف ، أو الحبل المحكم الفتل .

(٢) في م ، هـ خطأ : « واستفوا من البعد » .

(٣) في م ، هـ : « كل بخيل الذباب » .

(٤) قدِ : اسم فعل مرادفة ليكفي .

تَخْلُقُ أجْفَانُهَا ويعْرِضُها دَمُّ الطُّلَى في غَلائِلٍ جُدُدِ
يا قائدَ الخَيْلِ في سَنابِكِها ما يُشْمِتُ السَّهْلَ منه بالْجَلَدِ
يفْديك يومَ الخِصَام مُمْتَهَنٌ كَأَنَّهُ مُضْغَةٌ لِمُزْدَرِدِ
وصارخٌ رافعٌ عَقيرَتَه فَكَكْتَ عنه جَوامِعَ الزُّؤَدِ[1]
إذا الْمُنَى قَابلَتْك أَوْجُهُهَا صَفَدْتَ باعَ المِطَالِ بالصَّفَدِ[2]
رُبَّ مَخُوفٍ كَأَنَّ طَلْعَتَه تَلْقَى الْمَطَايَا بطَلْعَةِ الأَسَدِ
حَطَطْتَ فيه الرِّحالَ مُعْتَزِماً وأنت ثاني الْمُهَنَّدِ الفَرَدِ
تسْحبُ بُرْدَيْكَ في مَلَاعِبِه وما اقْتَفَتْهُ براثِنُ الأسَدِ
زَادُكَ في كلِّ ما خُصِصْتَ به في كلِّ أَمْنٍ ويوم مُحْتَشَدِ
كلُّ أَصَمِّ الكُعوبِ مُعْتَدِلٌ خَلَتْ أنابيبُه من الْأَوَدِ[3]
وكلُّ طَاغِي الغِرَارِ تَلْحَظُهُ مِن غِمْدِه في طَرَائقٍ قِدَدِ
وَلَأْمَةٌ سالَ فَوْقَهَا زَرَدٌ كالْماءِ في قِطْعَةٍ مِن الزَّبَدِ
حِلْمُك بالسيفِ غيرُ مُنْهَجِمٍ وأنْتَ بالضَّرْبِ غيرُ مُتَّئِدِ[4]
للهِ بيتٌ رَفَعْتَ قِمَّتَهُ أغْناه سُلْطانُهُ عن العُمُدِ[5]
خَلائِقٌ طَلْقَةٌ مُعَبَّسَةٌ كالصَّابِ يجْري بسَوْرَةِ الشُّهُدِ[6]
فأنتَ يومَ السُّؤالِ في حُلَلٍ منها ويومَ النِّزَالِ في زَرَدِ[7]
عَلامةُ العِزِّ أنْ حُسِدْتَ به إنَّ المعالي قَرائِنُ الحَسَدِ

(١) في الأصل ، م ، ه : « جوامع الزرد » .
والزؤد : الفزع .
(٢) الصفد : العطاء .
(٣) في هامش ك : « جلّت أنابيبه عن الأود »
(٤) في م : « حكمك بالسيف » .
(٥) في س ، م : « رفعت عمته » .
(٦) في م : « بصورة الشهد » .
(٧) في س ، م : « فأنت يوم النوال في حلل »

كـم لـك مِن وَقْفَـةٍ صَقَلْـتَ بها رسائلاً دُبِّجَـتْ على البُـرُدِ

تُـوبُ عن كُنْهِهـا مَعـارِفُهـا وفضـلُ بَـدْرٍ ينـوبُ عن أُحُدِ

ناجاك شِعْـرِي وكنتُ أُخـرِسُـهُ عن الـوَرَى قانِعـاً بمُقْتَصِـدِي[1]

كان نِـزَاعِي إليـك يَسْمَـحُ بي فالآن مُـذْ عُـدْتَ ضَـنَّ بي بَلَدِي

* * *

(١) في الأصل ، ك : « وكنت أحرسه » ، وتحت الحاء في ك علامة الإهمال .

(٣٢)*

وقال فيه ويذكر مجلسه مع المُطَّهر بن عبدالله وزير عَضُد الدولة ، وقد قال له : كم تُدِلُّ علينا بالعظام النَّخِرة ! ، فقال هذه القصيدة ، وسنُّه فوق العَشْر بقليل ، وهذَّبها بعد ذلك : [طويل]

نُصافِـي المعالِـي والزمانُ مُعانِـدُ ... ونَنْهَـضُ بالآمالِ والجِـدُّ قاعِدُ (١)

تمُـرُّ بنـا الأيـامُ غـيرَ رَواجِـعٍ ... كما صافحتْ مَـرَّ السُّيولِ الْجَلامِدُ

وتُمْكِنُنَـا من مائِها كـلُّ مُزْنَـةٍ ... وتمْنَعُنَـا فَضْلَ السحابِ الْمَـزاوِدُ

وما مَرِضتْ لي في المطالبِ هِمَّـةٌ ... وأحْدَاثُـه في كـلِّ يومٍ عَوائِدُ

عَـوائِـدُ هَـمٍّ لا يُحَيِّنَ غِبْطَـةً ... بِهِنَّ ولا تُلْقَـى لَهُـنَّ الْوَسائِـدُ

ولله ليـلٌ يمـلأُ القلـبَ هَـوْلُه ... وقد قَلِقَـتْ بالنائمـين الْمَـراقِدُ

يَقَـرُّ بعَيْنِـي أن أرَى أرضَ بابِلٍ ... تخُوضُ مَغَـانيها الجيـادُ الْمَذَاوِدُ

وأسْحَـبُ فيها بُـرْدَ جَذْلانَ شامِتٍ ... إذا شاءَ غَنَّتْـهُ الرِّقـاقُ الْبَـوارِدُ

سَلَلْنـا رقابَ العِيسِ مِن خَلَلِ الدُّجَى ... تُلاعِبُهـا أشْطـانُهـا والْمَقـاوِدُ

وقد حَـفَّ بالبـدرِ النُّجومُ كأنَّـه ... هَدِيٌّ تَهـاداهُ الإمَـاءُ الوَلائِدُ (٢)

(*) القصيدة في : الأصل ، س ، ك ، م . وسقطت كلها من : هـ .

وجاء في س بعد قوله في المقدمة « وزير عضد الدولة » زيادة : « حين قبض عليه ، وحمل إلى فارس ، فحبس في القلعة ، هو وابن عمر العلوي وابن معروف القاضي » .

(١) في س ، ك : « وننهض بالآراء » .

(٢) في ك : « هدى تهادته » .

وفي أَعْيُنِ القومِ انْضِمَامٌ مِن الكَرَى ... وطِرْفُ السُّرَى بين الأزِمَّةِ شاهِدُ
فمُضْطَرِبٌ في غَرْزِهِ مُتَرَنِّحٌ ... وآخَرُ مَكْبُوبٌ على الرَّحْلِ ساجِدُ
وغائِرَةٍ قد وَقَّرَ النَّوْمُ لَحْظَهَا ... تُسَفِّهُ جَفْنَيْها الهمومُ العَوَائِدُ
تقودُ جِياداً ما اتُّهِمْنَ على مَدًى ... بلَى ربما ارْتابَتْ بِهِنَّ الأَوابِدُ
إذا جال في أشْدَاقِها الظِّمْءُ قَلَّصَتْ ... لها الأرْضُ وانْقَادَتْ إليها الْمَوارِدُ
أَبَحْنَا لها تَقْتَضُّ من عُذَرِ الرُّبَى ... فكَرَّتْ عليها بالعَجاجِ الفَدَافِدُ [1]
طَرائِقُ نيل يَعْسِلُ الآلُ بيْنَها ... كما اضْطَرَبَ السِّرْحانُ والليلُ بارِدُ [2]
هَجَمْنا على غَوْلِ الطريقِ وبُعْدِه ... وما رَكَضَتْ فيهِ الرِّياحُ الصَّوارِدُ [3]
أَأَرْسِلُ خيْلَ اللَّحْظِ في طَلَبِ الهَوى ... ومِن ظَنِّها أنَّ الخُدُودَ طَرائِدُ
ولي شُغُلٌ في طالبٍ ضَلَّ قَصْدُه ... أُسائِلُ عنه ما يقولُ المَقاصِدُ
أقولُ لدهرٍ تاهَ إذْ صِيدَ لَيْثُه ... كذاك يُصادُ الليثُ والليثُ راقِدُ
أثَلَّمَ هذا النَّصْلَ بالضَّرْبِ ضارِبٌ ... وزَعْزَعَ هذا الطَّوْدَ بالوَطْءِ صاعِدُ
تَعزَّ فما كلُّ الْمَصائِبِ قادمٌ ... عليك ولا كلُّ النَّوائِبِ عائِدُ
ينالُ الفتَى مِن دهرِه قَدْرَ نَفْسِهِ ... وتأْتِي على قَدْرِ الرجالِ الْمَكائِدُ
فِدًى لك يا مجدَ المعالي وبأْسَها ... فِعالُ جَبانٍ شَجَّعَتْهُ الْحَقائِدُ
فما تركَتْ منك الصَّوارِمُ والْقَنَا ... ولا أخَذَتْ منك الحِسانُ الْخَرائِدُ
عُزِلْتَ ولكنْ ما عُزِلْتَ عن النَّدَى ... وجُودُك في جِيدِ العُلا لك شاهِدُ
بوَجْهِك ماءُ العِزِّ في العَزْلِ ذائِبٌ ... ووَجْهُ الذي وُلِّي مِن الماءِ جامِدُ
فأنت تُرَجِّي الْمُلْكَ وهْوَ زَوالُه ... بغيرِ جِلادٍ فيه وهْوَ مُجالِدُ
فلا يَفْرَحِ الأعْداءُ فالعَزْلُ مَعْرِضٌ ... إذا راح عنه صادِرٌ جاء وَارِدُ

---

(١) في ك : « تقتص من عذر الربى » .
واقتض ــ بالقاف ــ عذرة الجارية : افترعها . والعجاج : الغبار . والفدفد : الفلاة .
(٢) في الأصل : « طرائق نيل » .
يعسل : يضطرب . والآل : السراب . والسرحان : الذئب .
(٣) الصوارد : الباردة .

وما كنتَ إلَّا السَّيْفَ يَمْضِي ذُبابُه ولا يَنْصُرُ العَلْيَــاءَ مَن لا يُجالِدُ[1]
نُضِي فقضَى حَقَّ الضَرائِبِ في الوَغَى وأَثْنَتْ عليه حينَ رُدَّ الْمَغَامِــدُ
فأعْطَـوْا عِنانَ الضُّرِّ غيرَك إذْ رأَوْا يَمِينَك تسْتولِي عليها الْفَوائِـــدُ
وما كنتَ يوماً في الزمانِ بمُمْسِكٍ عُرَى المالِ إن ضَجَّتْ إليك الْمَوَاعِدُ
ولا كنتَ تَرْضَى أن تَصِحَّ بِبَلْــدَةٍ إذا قيل عُضْــوٌ مِن زمانِك فاسِدُ
أيا غُـدْوةً ساءَ الحسينَ صَباحُهـا وسرَّ العِدَا فيها الزمانُ الْمُعَــانِدُ
تحقَّقـتُ عندي أنَّ كـلَّ صَبيحةٍ مُجاجَـةُ سَمٍّ والليالي أَســاوِدُ[2]
يُعَرِّفُك الإخْـوانُ كـلٌّ بنَفْسِــهِ وخيرُ أخٍ مَن عَرَّفَتْـكَ الشَّدائِدُ
وطَاغٍ يُعيرُ الْبَغْيَ غَـرْبُ لِسانِــهِ وليس له عن جانبِ الدِّين ذائِــدْ
شَنَنْـتَ عليـه الْحَقَّ حتى رَدَدْتَـه صَموتاً وفي أنيابِه القَــولُ رَاكِدُ[3]
يُـدِلُّ بغيرِ اللهِ عَضُــداً وناصِراً وناصِـرُك الرحمنُ والمجدُ عاضِدْ
تُعَيِّـرُ رَبَّ الخيرِ بالِي عظامِــه أَلا نُـزِّهَـتْ تلك العِظامُ البَوائِدُ
ولكِـنْ رأى سَبَّ النَّبِـيِّ غَنِيمـةً وما حَوْلَـهُ إلاَّ مُرِيبٌ وجاحِــدُ
ولو كان بين الفاطِمِيِّـينَ رَفـرَفَت عليه الْعَوالِي والظُّبَـى والسَّواعِـدُ
أَلا إنَّ جَدْبَ الحِلْمِ عندَك مُخْصِبٌ وإن لئِـيم المجـدِ عنـدَك راقِدُ[4]
ضَجِرْتَ من العَلْيَاءِ فاختَرتَ عَزْلَهَا كأنَّـكَ قد أفْنَتْ نَداكَ الْمَحامِدُ[5]
تركْـتَ قَلُوصاً بالْفَلَاةِ ووَحْشَهـــا تُجاذِبُــه عن نَفْسِـهِ وتُـــراوِدُ
ستذْكُـرُك الأرْمــاحُ وهْيَ قَــوارِبٌ وليس لهــا إلَّا القلوبُ مَـــوارِدُ
حَـوَى المجدَ يا قَيْسُ بنَ عَيلانَ ماجِدٌ وجَلَّ فما يُلْقَى له فيــه حـــاسِدُ
فتًى يحتَـوي أرْواحَكم وهْوَ صارِمٌ ويَسْرِي جُيوشاً نَحْوَكم وهْوَ واحِدُ

(١) في الأصل خطأ : « ولا ينصر العلياء ألا يجالد » .
(٢) في س ، ك ، م : « لحققت » .
(٣) في س ، م : « وفي أنيابه القول راقد » .
(٤) في ك : « جدب العلم » ، وفي س ، م : « رافد » مكان « راقد » .
(٥) في الأصل : « قد أفنت يداك » .

ويومَ غُوَيْثٍ والسيوفُ بَـــوارِقٌ تُظِـلُّ الْمَنَايا والقِسِيُّ رَواعِـــدُ [1]
رَدَدْتَهُـمُ والسُّمْرُ بـيـنَ ظُهورِهم تُعَقِّـلُ فيها المَـوْتَ والموتُ شارِدُ [2]
وقد خلَقَـتْ فيها عُيُـوناً قَرِيحةً ينامون عُمْرَ الليلِ وهْيَ سَواهِـدُ
أَسِنَّـةُ فِهْـرٍ في صُدورِ جيادِهم كأنَّ قَنَاهـا لِلْجيـادِ مَعَـاوِدُ
هُمُ ذَخَــرُوا أعْمارَهم لسيوفِــهِ فأوْلَى لهـا والحربُ عَذْراءُ ناهِدُ [3]
رأيت الفَيافي تَقْتَضي هَبَواتِـــهِ وترْقُـبُ أرْساغَ الجيادِ القَـــرادِدُ [4]
مَدَى يمْخُضُ الأشْواطَ حتى يُعيدَها ولا زُبْـدَةٌ إلاَّ الْجَـوادُ الْمجاوِدُ
لَنِعْمَ حَرِيمُ العَزْمِ أنْتَ وثَغْــرُهُ إذا رَجَّحَ الرَّأْيَ الأَلَــدُّ الْمُجَالِدُ
أَلَسْتَ مِن القومِ الذين إذا سَطَـوْا تَبَرَّاً مِن التاجِ العظيمُ الْمُعَاقِـدُ
سِياطُهُـمُ بِيضُ الظُّبَـى وسُجُونُهم إذا غَضِبُـوا دون العـلاءِ الْمَلاحِدُ
رِقابُ الْعِدَا والعِيسِ فيهم ذَلِيلَـــةٌ ولِلْبِيضِ ما نِيطَـتْ عليه الْقَلائِدُ
يُعَشِّشُ طَيْـرُ الخِصْبِ في حُجُراتِهمْ وتُعْقَلُ فيهنَّ الْبُيُوتُ الشَّـوارِدُ [5]
وما وَالِدٌ مثلَ ابنِ مُوسَى لمولــدٍ قريبٍ تَجافاهُ الرِّجالُ الأبـــاعِدُ
حَمَى الحجَّ واحْتَلَّ المَظالمَ رُتْبَـــةً عَلَى أنَّ رَيْعانَ النِّقَابَةِ زائِـــدُ [6]
فأقْبَـــلَ والدُّنْيـــا مَشُوقٌ وشائِقٌ وأعْرَضَ والدُّنْيـا طَرِيــدٌ وطارِدُ

---

(١) في س ، م : « ويوم عويث » .
قال ياقوت : « غويث ـ بالتصغير وآخره ثاء مثلثة ـ ولم يتحقق عندي أوله ، هل هو بالعين أو بالغين ، وهي قرية بعد الطائف من اليمن ، من أمهات القرى . معجم البلدان ٨٢٧/٣ .
(٢) في الأصل . م : « تعقل فيه الموت » .
(٣) في الأصل : « لسيوفهم » بعود الضمير على « أسنة فهر » .
(٤) في الأصل : « رأيت القوافي » . وفي م : « رأيت فيافي تقضي هبواته » . وفي م أيضا « وترغب ... القوادد » .
والقردد : ما ارتفع وغلظ من الأرض .
(٥) في م : « وتعقل منهن » .
(٦) الريعان من كل شئ : أوله وأفضله .

وساعَدَهُ يومَ اسْتَقَلَّ رِكابَه أخُوهُ وقال الْبَيْنُ نعمَ الْمُساعِدُ
هُمَا صَبرًا والحقُّ يركبُ رأْسَهُ عَشِيَّةَ زالتْ بالفُروعِ الْقَواعِدُ
تَفَرَّدَ بالْعَلْياءِ عن أهلِ بَيْتِهِ وكلٌّ يُهَدِّيهِ إلى المجدِ والِدُ [1]
وتختْلفُ الأثمارُ في شَجَراتِها إذا شَرِقَتْ بالرِّيِّ والماءُ واحِدْ [2]
ومَدَّ على الْجَوْزاءِ أطْنابَ مَنْزِلٍ يلُوذُ بحقْويْهِ السُّهَا والْفَراقِدُ
فقُرٌّ لِنيرانِ الْبَوارِقِ مُصْطَلٍ وظِمْءٌ لأحْواضِ الغَمائِمِ وَارِدْ [3]
أحَقٌّ بلادِ اللهِ بالمُزْنِ أرْضُه إذا شامَ أقْصَى خَطْرَةِ البَرْقِ رائِدْ
كأنِّي به والعِزُّ يَنْضُو هُمُومَه وقد خَضَعَتْ تلك الخُطُوبُ النَّواكِدُ
أعاد إليه اللهُ ماضِي سُرورِهِ وردَّ الليالي وهْيَ بِيضٌ أماجِدُ
مُنِيتُ بِشَوْقٍ ينْحَرُ الدَّمْعَ سَيْفُه إذا حادَثَتْهُ بالصِّقَالِ المَعَاهِدُ
أآلَ هُذَيمٍ هل تَقَرُّ قُلوبُكم وقلبُ ابنِ عَدْنانَ على الدَّهْرِ واجدْ [4]
إذا جَحَدُوا نُعْماكَ لَوَّتْ رِقابَهم لِمَنِّكَ أطْوَاقٌ لها وقلائِدُ [5]
فلا زالتِ الأسْيافُ تَسْبِي حَرِيمَهم وتَسْبِي حَرِيمَ المالِ منك القصائِدْ [6]

* * *

(١) في م : « وكل يهاديه » .
(٢) في م : « وتختلف الآمال في ثمراتها » . وفي محاضرات الأدباء : « إذا شرقت بالماء » .
(٣) القرّ : البرد . أو من أصابه .
(٤) في الأصل : « آآل هزيم » .
وفي القاموس المحيط : « وسعد بن هذيم — كزبير — أبو قبيلة . وهو ابن زيد ولكن حضنه عبد أسود اسمه هذيم . فغلبه عليه » .
وفيه أيضا في هـ ز م : « وكزبير : نخيل وقرى باليمامة . ولقب سعد بن ليث القضاعي . وهزيم بن أسعد في نسب حضرموت » .
(٥) في الأصل : « أطواق لها » .
(٦) في م : « ولا زالت » .

(٣٣) *

وقال ، يمدحه ويهنئه بردِّ أعماله القديمة إليه ، وهي النِّقابة ، وإمارة الحاجّ ، والنظر في المظالم ، وذلك في جمادى الأولى من سنة ثمانين وثلاثمائة :

[كامل]

انْظُرْ إلى الأيامِ كيفَ تعودُ ... وإلى المعالِي الغُرِّ كيفَ تزيدُ

وإلى الزمانِ نَبَا وعاوَدَ عَطْفَه ... فارْتاحَ ظَمْآنٌ وأوْرَقَ عُودُ

نِعَمٌ طَلَعْنَ على العَدُوِّ بغَيْظِهِ ... فتَرَكْنَه خَمِرَ الْجَنانِ يَمِيدُ [1]

قد عاوَدَ الأيامَ ماءُ شَبَابِها ... فالعَيْشُ غَضٌّ والليالي غِيدُ

إقْبالُ عِزٍّ كالأسِنَّةِ مُقْبِلٍ ... يَمْضِي وجَدٌّ في العَلاءِ جَدِيدُ

وعُلاً لأبْلَجَ مِن ذُؤابةِ هاشمٍ ... يُثْني عليه السُّؤْدُدُ الْمَعْقُودُ

قد فات مَطْلُوباً وأَدْرَكَ طالباً ... ومُقارِعُوه على الأُمورِ قُعودُ

وشَأَتْ عُيونَهم وقد طَمَحَتْ له ... عُدَدٌ عِراض في العُلا وعَدِيدُ [2]

ما صالَ إلَّا انْجابَ غَيٌّ مُظْلِمٌ ... وانْدَقَّ من عُمُدِ الضَّلالِ عَمُودُ

(*) القصيدة في : الأصل ، س ، ك ، م . وسقطت كلها من : هـ .

وفي يتيمة الدهر ١٣٧/٣ في التقديم للقصيدة أنه يشكره على تفويضه أكثر هذه الأعمال إليه .

(١) في م : « حمر الجنان » . وفي ك : « وتركنه » .

(٢) في م : « خسأت عيونهم .. عدد عراض » .

وشأت : سبقت .

يأسو ويَجْرَحُ والجراحةُ عَزْمةٌ ... تُصْمِي وآسِيها النَّدَى والجُودُ(1)

سَطْوٌ وصَفْحٌ يطْرُقان عَدُوَّه ... أبَداً ووَعْدٌ صادِقٌ ووَعِيدْ

عن أيِّ باغٍ في العَلاءِ رَمَيْتُمُ ... لِيثاً تَقِيهِ مَقَادِرٌ وجُدودُ

طاشتْ سِهامُكم وفارق نَزْعَه ... سَهْمٌ إلى قلبِ العدوِّ سَدِيدُ

حَسَدوك لمَّا فات سَعْيُك سَعْيَهم ... صُعُداً فما نقَع الغليلَ حَسُودُ

ورَأَوْا بوائِجَها تلُوحُ وريحَها ... تَسْرِي وعارِضَها الغزيرَ يجُودُ (2)

عَجِلَ الزمانُ بها إليكَ وحُطِّمتْ ... بين الضلوعِ ضَغَائِنٌ وحُقُودُ

قد كنتُ أخْشَى أن يقول مُخَبِّرٌ ... كادوا وما أُعْطُوا المُرادَ فكِيدُوا (3)

أو أن يقول أقاربٌ نَزَعتْ بهم ... ظِنَنٌ فكلٌّ بالعُقوقِ بَعِيدْ (4)

سُئِلُوا العَوادَ فجانَبُوه وعاودوا ... والآن إذْ مُلِك الزِّمامُ وقِيدُوا (5)

لولا الألِيَّةُ منك ألَّا تَنْتَضِي ... عَضْباً يقومُ مَقامَهُ التَّفْنِيدُ

لَسَنَنْتَ في الأقْوامِ غيرَ مُلَوَّمٍ ... ما سَنَّ يومَ ابنِ الزُّبَيْرِ يزيدُ (6)

اليومَ أصْحَرَتِ الضَّغَائِنُ وانْجَلَتْ ... تلك المَوارِنُ والجِباهُ السُّودُ

وتراجَعُوا عُصَباً إليك وخلْفَهم ... عُنُفُ السياقِ وللقلوبِ وَئِيدُ

فاصْفَحْ فسوف ينالُ صَفْحُك منهمُ ... ما لا ينالُ العَضْبُ وهو حديدُ

وحَذارِ من وَبْلِ العقابِ وقد بَدَتْ ... مِلْءَ العيونِ بَوارِقٌ ورُعُودُ

وتَغَنَّمُوا عَفْواً يُفِيضُ وفَيْئَةً ... تدْنُو وحِلْماً لا يزالُ يعودُ

---

(1) في س ، ك ، م : « فالجراحة عزمة » .

(2) البوائج : الدواهي .

وفي ك : « ورأوا لوائحها » .

(3) في الأصل : « وما أعطوا المراد يكيدوا » .

(4) في س ، م : « أو أن يقال » .

(5) في م : « فجانبوه فعاودوا » . وفي الأصل ، م : « إذ ملك الزمان » .

(6) أنظر لخبر يزيد بن معاوية مع عبد الله بن الزبير حوادث سنة أربع وستين في : تاريخ الطبري ٤٩٦/٥ ، الكامل ١٢٣/٤ .

فَلَسَطْوةُ الضِّرْغامِ أجْمَلُ بالفتى   من أنْ يُرى عالٍ عليه السِّيدُ [1]
ما السُّؤْدُدُ الْمَطْلوبُ إلّا دونَ ما   يرمي إليه السُّؤْدُدُ الْمَوْلُودُ [2]
فإذا هُما اتَّفَقَا تكسَّرتِ الْقَنَا   إن غالَبا وتَضَعْضَعَ الْجُلْمُودُ [3]
وأجَلُّ ما ضرب الرِّجالُ بحَدِّه الـ   أعداءَ مَجْدٌ طارفٌ وتَلِيدُ
الآنَ أُطْلِقَتِ النُّصولُ ورُشِّحَتْ   لِسَبيلِها قُبٌّ الأَياطِلِ قُودُ [4]
وتبَلَّجَ البيتُ الحرامُ طَلاقةً   مُذْ قِيلَ إنَّ جَمالَه مَرْدُودُ
وعلى الْمَظَالِمِ والنِّقابةِ هِمَّةٌ   يَقْظَى وظِلٌّ أمانةٍ مَمْدودُ
حَمْداً لأَنْعُمِكَ الجِسامِ فلم يزَلْ   أبداً يزيدُ لها عليَّ مَزِيدُ
علَّيْتَنِي حتى تحقَّقتِ الْعِدَا   أنِّي حَمِيمٌ للعُلَا وعَقِيدُ
وتركْتَ حُسَّادِي على زَفَراتِهم   عُوجَ الضُّلوعِ فواجِدٌ وعَمِيدُ
فَلأَشْكُرَنَّكَ ما تَجاذَبَ مِقْوَلِي   نَثْرٌ يشُقُّ على الْعِدَا وقَصِيدُ
والشُّكْرُ أَنْفَسُ ما وَجَدْتُ وإنَّمَا   أَمَلُ الفتى أن يُقْبَلَ الموجودُ

* * *

(١) كذا جاء : « عال عليه السيد » ، وحق « عال » النصب .
والسيد : الذئب .

(٢) في بهجة المجالس : « ما السؤدد المكسوب » . وفيه وفي نهاية الأرب : « يومي اليه السؤدد المولود » .

(٣) في بهجة المجالس : « إن غولبا وتضعضع الجلمود » .

(٤) قب الأياطل قود : الخيل دقيقة الخصر ضامرة البطن منقادة ذلول .

(٣٤) *

وقال / يمدح أخاه ، ويهنئه بمولودة جاءته : [بسيط]

جُـرِّي النسيـمَ على مـاءِ العناقِيـدِ ... وعَلِّلِـي بالأمـانِي كـلَّ مَعْمُودِ

يا نَفْحـةً هزَّتِ الأحْشاءَ شائِقـةً ... وذَكَّرتْ نَفَحَاتِ الخُـرَّدِ الغِيدِ

يضُمُّها الليلُ في أثناءِ غَيْهَبِـه ... والقَطْرُ يلْمَسُ أطْـرافَ الجَلاميدِ

كأنها عن طريقِ المُـزْنِ طائِشـةً ... لَحْظٌ تُـردِّدُه أجْفانُ مَـزْؤودِ(١)

ليت الأحِبَّـةَ أغْرَيْنَ الرِّياحَ بنـا ... وإنْ نَأَيْنَ على شَحْطٍ وتَبْعِيـدِ

ولَيْتَهُـنَّ على يأْسِ اللِّقَـاءِ لنـا ... عَلَّلْـنَ بالوَعْـدِ سَيْرَ الضُّمَّـرِ الْقُودِ

أبِيـتُ والليـلُ مَبْثوثٌ حَبائِلُـه ... والوَجْـدُ يقْنِصُ منِّـي كـلَّ مَجْلُودِ(٢)

شَوْقاً إليـك وإشْفاقـاً عليك ولي ... دَمْعانِ ما بين مَحْلُـولٍ ومَعْقـودِ

ليس الغريبُ الذي تَنْأَى الدِّيارُ بـه ... إن الغريـبَ قريـبٌ غيرُ مَـوْدُودِ

يا طائِـرَ الأيْـكِ ما غُرِّبْتَ عن سَكَنٍ ... يَوْماً ولا كنتَ عن مَأْوًى بمَطْرُودِ(٣)

وأنتَ في ظِـلِّ أفْنـانٍ مُهَـدَّلَـةٍ ... تحنُـو عليك بِقِنْـوانِ الْعَنَاقِيـدِ

مُلِّئْـتَ عيشك طُعْمـاً غَيْـرَ مُخْتَلَسٍ ... بلا رقيبٍ ووِرْداً غـيرَ تَصْرِيدِ(٤)

(*) القصيدة في : الأصل ، س ، ك ، م . وسقطت كلها من : هـ .

(١) المزؤود : الخائف الفزع .

(٢) في ك : « والوجد يقبض » .

(٣) في س ، م : « يا طائر البان » . وفي س : « ما عريت عن سكن » . ،وفي ك : « ما غربت من سكن » .

(٤) التصريد : السقي القليل ، أو دون الري .

تبْكِي ومـا لَكَ من إلْفٍ فُجِعْـتَ به ... ولا لُوِيـتَ على وَعْـدٍ بمَـوْعُودِ[1]

ظَلَمْـتَ ما أنتَ عن هَمِّـي ولا كَمَدِي ... إن الغليل لقلبٍ عادَه عِيـدِي[2]

أنا الذي إنْ بكى وَجْـداً يَحُـقُّ له ... كم بين بـاكٍ من البَلْـوَى وغِرِّيدِ[3]

وخُلَّـةٍ جَذَبَـتْ ثِنْيَـيْ مَوَدَّتِهـا ... عنِّـي وأمْسكتُ عنها بالمَـواعِيدِ[4]

مِنِّـي إلى الدهرِ شكْـوَى غيرُ غافلةٍ ... عن مُوثَقٍ في حبال العجزِ مَصْفُودِ[5]

يُحارِبُ الهَـمَّ إن مال الرُّقَادُ بـه ... حتى تجلَّى غَيايـاتُ الْمَـراقِيدِ[6]

بيني وبـين الْمُنَـى أنِّـي أقـولُ لها ... بيني وبينك قَطْـعُ البيـدِ بالبِيدِ[7]

وساهمِين على الأكْـوارِ دأْبُهُـمُ ... قَـرْعُ السِّيـاطِ بأعْنـاقِ الْمَقَاحِيدِ[8]

عاطِيْتُهـم مِن عُلالاتِ الْكَرَى نُطَفاً ... والسَّيْرُ يَرْجُمُ جُلْمُوداً بجُلْمـودِ[9]

وللحُـداةِ على آثـارنا زَجَـلٌ ... يُغْـرِي الْمَطَـايَا بأجْـوازِ الْقَرَادِيدِ[10]

يُقَطِّعُـونَ حُبَـى الأيَّـامِ عن طَبَعٍ ... وتُجتَنَى بالْمَعـالي والْمَحَامِيدِ[11]

ويهْجُـرون إذا جَـدّتْ عَـزائِمُهم ... دُنْيـا تَلاعَـبُ بالغُـرِّ الْمجاوِيـدِ

ما الفَقْـرُ عارٌ وإن كَشَّفْتَ عَـوْرَتَه ... وإنَّما العـارُ مـالٌ غـيرُ محمودِ

---

(١) في س ، م ، ك : « على بعد بموعود » .

(٢) في م : « إن العليل » .

(٣) في س ، م : « فحق له » .

(٤) في م : « تثني مودتها » .

(٥) في م : « بحبال العجز » .

(٦) الغياية : كل ما أظل الإنسان من فوق رأسه كالسحابة ونحوها .
وفي م : « غيابات المراقيد » .

(٧) في س ، م : « قطع البيد والبيد » .

(٨) ناقة قحدة ومقحاد : عظيمة السنام .

(٩) في ك : « والسير يزحم » . وتحت الحاء علامة الإهمال .

(١٠) في الأصل ، م : « يغزي المطايا » .
والقردد : ما ارتفع من الأرض .

(١١) في س ، م : « وتحتني بالمعالي » . وفي ك : « وتحتبي بالمعالي » .

تَلْقَى أكُفَّهُمُ في كلِّ نائبةٍ مَلْويَّةٍ بحبالِ البأسِ والجُودِ
إنْ صاح صائِحُهم يومَ الوغَى هَجَمُوا على السَّوابقِ بالبِيضِ المَذَاويدِ[1]
وكم عَدُوّ مَشَتْ فيه رِماحُهمُ فاسْتَنْصَرَ الرَّكْضَ مِن جَرْداءَ قَيْدُودِ[2]
مِن كلِّ أَبْلَجَ إن خَبَّتْ عَزائمُه أَلْقَتْ إليهِ الأمانِي بالْمَقَالِيدِ[3]
إذا تَخرَّقَ أحْشَاءَ الْفَلا مَلأَتْ من رُعْبِه خاطِرَ الرِّئْبالِ والسِّيدِ[4]
وإن جرَى شَرِقَتْ بالخَصْلِ رَاحَتُهُ أخْذاً وبَدَّدَ أنْفاسَ الْمَجاهِيدِ[5]
يا ابنَ الحُسَيْنِ وما دَعْوَايَ كَاذِبةً إذا نَسَبْتُكَ في الشُّمِّ الْمَناجِيدِ
الطَّاعِنِينِ مِن الأعْداءِ ما لَحِقُوا والخيلُ تَلْطِمُ هاماتِ الصَّياخِيدِ[6]
مُعَوَّدُونَ مِن الأيَّامِ مَرْتبةً لا يسْتَطِيلُ إليها كلُّ صِنْدِيدِ
يأْبَون أن يَلْبَسَ الإظْلامُ رَبْعَهمُ لَيْلاً وما عَذَّبُوا طَرْفاً بتَسْهِيدِ
ويغْضَبون إذا عاطَيْتَهم هِمَماً مُرَفَّهاتٍ وهَمّاً غَيْرَ مَكْدُودِ
همُ الضُّيُوف لأرْضٍ غيرِ آهِلَةٍ مِن الأنِيسِ ووِرْدٍ غيرِ مَوْرُودِ
فأنتَ أبْسَطهم باعاً إذا بَسَطُوا أيْديهمُ لوَعِيدٍ أو لِمَوعُودِ[7]
الآنَ جاءتْ خيُولُ السَّعْدِ رَاكِضَةً تَجْرِي بيوم مُضِيءِ الوَجْهِ مَجْدُودِ[8]
بمَوْلِدٍ صَقَلَ الآباءُ حِلْيَتَهُ فطَوَّقَ المجد أعْنَاقَ الْمَوَالِيدِ
مَوْلُودةٌ نَهبَ الرَّاؤون بَهْجتَها لَثْماً وعانَقْتَها في ثَوْبٍ مَحْسُودِ
كانتْ شِهاباً كسَا ظَلْماءَه وَضَحاً والليلُ يدخلُ في أثْوابِهِ السُّودِ

---

(١) المذاويد : التي يذاد بها ، أي يحمى ويدافع .
(٢) القيدود : الناقة الطويلة الظهر .
(٣) في ك : « إن خبت عزيمته » .
(٤) في الأصل. م ، ك : « إذا تحرق » ، وفي م : « ملئت من رعيه ... » .
(٥) الخصل في النضال : أن يقع السهم بلزق القرطاس . وخصل القوم خصلا : نضلهم .
(٦) صخرة صيخود : شديدة .
(٧) في الأصل : « فأنت أسبطهم » .
(٨) في هامش ك : « بيوم عزيز النصر مجدود » .

جاءتْ بها ليلـةٌ تَثْني سَـوالِفَهَـا في صـدرِ يومٍ رَشِيقِ القَدِّ أُمْلُودِ[1]

للهِ شَمْسُ عُـلاً جاءتْ بجَوْهـرةٍ غَـرَّاءَ عن قمـرٍ بالمجـدِ مَسْعودِ

مـا عُـدِّدتْ عنك إلَّا نُطْفَـةً سَلَكَتْ إلى الأماني طريق الماءِ في العُـودِ[2]

نَشَرْتَ منها خِماراً في الفَخارِ طَوَى مع النَّوائبِ تِيجَانَ الصَّنـاديـدِ

شَرِيفَـةٌ رشَحتْ منهـا مَناسِبُهـا بِحلْيـةِ العِـزِّ مَجْرَى اللِّيتِ والجِيدِ[3]

ما كنتَ تقبلُ بَذْلَ الدَّهْرِ تَكْـرِمَةً حتى حَباكَ ببَذْلٍ غـيرِ مَـرْدُودِ

أعْطاك كَنْـزَ فَخارٍ كان يَصْرِفُـهُ مِن نَسْلِ غـيرِك في شَتَّـى عَبادِيدِ[4]

شَجَىً لنفسِ شُجاعِ الحربِ مُعْتَرِضاً وفَرْحةً لِفُـؤادِ العاتِـقِ الـرُّودِ

فَرَّقْـتَ عنك العِدَا تَدْمَى ضَمائِرُها بِبَاعِ عِـزٍّ على الأيـامِ مَمْـدُودِ

لا زلت تَمْلِـكُ والأحْداثُ راغِمـةٌ عِناقَ غُصْنِ الأماني غـيرَ مَخْضُودِ

وتسْتثيرُ لـك الأيـامُ مُلْهِيَـةً يَنْمِـي بها كـلُّ إصْبَاحٍ إلى عِيدِ[5]

يا مُطْلَقَ السَّمْعِ والأسْمَاعُ ما بَرِحَتْ أسِيرَةً في يَدَيْ عَذْلٍ وتفْنِيـدِ

ورُبَّ رُزْءٍ من الأيامِ مُنْهَجِـمٍ عَـزَّاكَ منـه النُّهَـى عن خَيْرِ مَفْقودِ

ما زِلْتَ ترْقُـبُ إحْسانَ الزمـانِ له حتى تَبَدَّلْـتَ مولـوداً بمولـودِ

* * *

---

(١) الأملود : الناعم .

(٢) في س ، م : « ما عددت منك » .

(٣) في س ، م : « لحلية العز » ، وفي م : « مجرى الليث » .
واللِّيت : صفحة العنق .

(٤) عباديد : متفرقين .

(٥) في م : « وتستنير لك الأيام » ، وما في س أقرب إليه .

(٣٥) *

وقال فيه ، جواباً عن أبيات كتبها إليه ، بعقِب وَحْشةٍ كانت بينهما :

[طويل]

عجبتُ من الايامِ إنجازَها وَعْدِي ... وتقْريبَها ما كان منِّي على بُعْدِ

وأنَّ الليالي مُذْ لَبِسْتُ رِداءَهَا ... تُحاذِرُ من حَدِّي وتُزْرِي على جَدِّي (١)

ولي إن يَطُلْ عمري مع الدهرِ وَقْعَةٌ ... تُذَلِّلُ أحْدَاثَ الزمانِ لمن بَعْدي (٢)

وإنِّي لَمَرُّ البأسِ مُسْتَرْعَفُ الظُّبَى ... وإنِّي لَحُلْوُ الجُودِ مُسْتَمْطَرُ الرِّفْدِ

إذا بَزَّني مالي عَطاءٌ تركتُه ... حميداً وطالبتُ القَواضِبَ بالرَّدِ

وقد عَجَمتْ منِّي الليالي مُذرَّبا ... تَخَلَّلَ أنْيابَ الأساود والأُسْدِ (٣)

إذا خَبَّ فيه مِلْءَ حَيْزُومِهِ الجوَى ... توَقَّرَ يُخْفِي منه غيرَ الذي يُبْدِي

وكنتُ إذا الأيامُ جُلْنَ بساحتِي ... رَجَعْنَ ولم يَبْلُغْنَ آخرَ ما عندِي

(*) القصيدة في : الأصل ، س ، ك ، م . وسقطت كلها من : هـ . وسقط البيت الأخير من : م .

وقصيدة المرتضى في ديوانه ٢٥٥/١ ، ووردت أيضا في م ، عقيب قصيدة الرضي .

وأول قصيدة المرتضى :

تكشَّف ظِلُّ العَتْب عن غُرَّةِ العهدِ ... وأعْدى اقْترابُ الوصلِ منَّا على البُعْدِ

(١) في س ، م : « فتزري على جدي » .

(٢) في س ، م : « مع الدهر وقفة » .

(٣) في الأصل ، ك : « مدربا » .

وسيف مذرب : قاطع .

ولكنها نفسٌ كما شئتُ حُرَّةٌ تصُولُ ولو في ما ضِعِ الأسَدِ الْوَرْدِ[1]
وأعْظَمُ ما لاقيتُ شَجْواً ولَوْعةً عِتابُ أخٍ فلَّ الزمانُ به حَدِّي[2]
أقِيكَ الرَّدى ما كان ما كان عن قِلًى ولكنْ هَناتٌ كِدْنَ يَلْعَبْنَ بالجَلْدِ
فلا تَحْسَبَنَّ الوجدَ جازتْ كُلومُه إلى القلبِ إلاَّ بعد ما حَزَّ في الجِلْدِ[3]
مَنَحتُكَ ما عِندي مِن الصَّدِّ مُعْلِناً وعَقْدُ ضَميرِي أن أدومَ على العهدِ[4]
ولم أَغْدُ محْلُولَ اللِّحاظِ طَلاقةً وقلبِيَ مَعْقُودُ الجَنانِ على حقدِ[5]
سَجايَا رَعَيْنَ المجدَ في تَلَعاتِهِ وناقَلْنَ في العَلْياءِ غَوْراً إلى نَجْدِ
وقد كنتُ أَبْغِي رُتْبةً بعدَ رُتْبةٍ فآنَفُ لي من أن أفوزَ بها وَحْدِي
حِفاظاً على القُرْبى الرَّؤومِ وغَيْرَةً على الحَسَبِ الدَّاني وبُقْيا على المجدِ
ولِمْ لا ونحن الرَّاجعانِ مِن العُلا إلى الْمَغْرِسِ الرَّيَّانِ والعُودِ الرَّغْدِ
مِن القومِ أَشْباهُ المَكارِمِ فيهِمُ وعِرْقُ المعالي الغُرِّ والحَسَبِ العِدِّ[6]
حَسَدْتُ عليك الأَجْنَبِينَ مَحَبَّةً ونافَسْتُ فيكَ الأبْعَدِين على الوُدِّ
وقد كان لَذْعٌ فاتَّقَيْتُ شباتَه بقلْبٍ على العَزَّاءِ كالحَجَرِ الصَّلْدِ[7]
تَجَلَّدتُ حتى لم يجد فيَّ مَغْمَزاً وعُدْتُ كما عاد الجُرازُ إلى الغِمْدِ[8]

---

(١) في الأصل ، ك : « تصول وتوفي ماضغ الاسد الورد » .
(٢) في م : « وأعظم ما ألقيت » .
(٣) في م : « ولا تحسبن القلب جازت كلومه » .
(٤) في س ، م : « أن أدوم على الود » .
(٥) في م : « على الحقد » .
(٦) العد : الكثير ، والماء الجاري لا ينقطع .
(٧) في س ، م : « وقد كان لذع » ، والمثبت من ك ، والإعجام غير واضح في الأصل ،.
وفي م : « بقلب على الضراء » .
والعزاء : الشدة .
(٨) في ك : « حتى لم تجد » .
والجراز : السيف القطاع .

وها أنا عُرْيانُ الْجَنانِ من الـتي تسُوءُ ومنقوض الضُّلوعِ من الوَجْدِ[1]

وكم سَخَطٍ أمْسَى دليلاً إلى رِضًـى وكم خَطَأً أضْحَى طريقـاً إلى عَمْدِ

أُقَلِّبُ عَيْناً في الإخـاءِ صحيحةً إذا ارْتَمَتِ الأعداءُ بالأَعْيُنِ الرُّمْدِ

وإنِّي مُـذْ عـاد التَّـوَدُّدُ بيْننـا تجلَّـى الدُّجَى عن ناظِرِي ووَرَى زَنْدِي

وعاد زَمانِي بعد ما غاضَ حُسْنُـه أَنِيقاً كبُرْدِ العَصْبِ أو زَمَنِ الوَرْدِ

وكنتُ سَلِيبَ الكَفِّ مِن كـلِّ ثَرْوَةٍ فأصبحتُ مِن نَيْلِ الأماني على وَعْدِ

وفارقتُ ضِيقَ الصدر عنك إلى الرِّضَى كما نَشِطَ المأْسورُ مِن حَلَقِ القِدِّ[2]

وقد ضَمَّنِي مَحْضُ الصَّفـاءِ وصِدْقُهُ إليكَ كما ضُمَّتْ ذِراعٌ إلى عَضدِ

وكنتُ على ما بيْنَنـا مِن غيَـايَـةٍ أَعُـدُّك حَدِّي حين أسْطُو على ضِدِّي[3]

فدُونَكها عَفْـواً ولولا عَـوائِـقٌ عَرَضْنَ لجَاز القولُ بي غايةَ الجُهْدِ[4]

* * *

(١) في م : « ومنفوض الضلوع » .

(٢) القد : سيور تقد من جلد فطير غير مدبوغ ، فتشد بها الأقتاب والمحامل .

(٣) في م : « من عيابة ... أعدك جدي » .

والغياية : كل ما أظل الإنسان من فوق رأسه . وهو يعني الوحشة التي كانت تظلهما .

(٤) سقط هذا البيت من : م .

(٣٦) *

وقال في أبي سعد بن خَلَف ، وقد تخلَّص من نكبة لحقته :

[مقطوع الكامل]

يـا دارُ مَــن قتـلَ الهــوى بَعْدِي وَجَدُوا ولا مثَـلَ الذي عِنْـدِي

لا تَعْجبــي يـــا دارُ إنَّهـــمُ أبْــدَوا ومَن يــكُ وَاجِداً يُبْدِي

رَبْــعٌ قريــبُ العَهْـــدِ أحْسِبُــه بالظَّــاعِنِين وقــد مَضَى عَهْـدِي

لو حرَّكـتْ ذاك الرَّمـــادَ يَـــدٌ لَــرأتْ بَقَــايَـا الجَمْـــرِ والوَقْدِ

إنِّـي لَيُعْجبـني حِمَـــــاكَ إذا نَشَرَ النَّسيمُ ذَوائِـــبَ الـرَّنْـــدِ

والماءُ تَصْفِّقُلُـــهُ الـرِّيـــاحُ كمــا أبْـدَى العِيَابُ مُضاعَــفَ السَّرْدِ [1]

حَيَّـى مَرِيـضَ ثَــراك غادِيَــةٌ تُعْطِيــهِ رِيـحَ العَنْبَــرِ الـوَرْدِ

أو ذاتُ هُـــدَّابَيْـــنِ سارِيـــةٌ يَتَلَــوَّيـــان تَلَـوِّيَ القَـــدِّ [2]

يَتَشَقَّــقُ البَــرْقُ اللَّمُــوعُ بهــا وتَــرُوعُــه بتَهَـــزُّمِ الرَّعْـدِ [3]

(*) القصيدة في : الأصل ، س ، ك ، م . وسقطت كلها من : هـ .

وجاء في المقدمة في الأصل ، ك ، م : « أبي سعيد » . وهو خطأ يدل عليه ما يـأتي في البيت ٢٥ . وتقدمت ترجمة أبي سعد بن خلف في القصيدة ١٦ .

(١) العياب : هنا الصدور يظهر مضاعف السرد عليها ، أو ما يجعل فيه الثياب بدا الخرز عليه .

(٢) في م : « أو ذات نهدبين » .

والقد : السوط .

(٣) في الأصل : « ولموعه بتهزم الرعد » .

لي مُقْلَــةٌ مــا تسْتَفِيــقُ جَــوًى ... تَــدْمَــى ويقْــرَعُ ماؤُهَــا خَــدِّي
والعِيسُ ما وَجِــدتْ تَحِنُّ ولا ... تُخْفِي وأكْتُــمُ دائِبــاً وَجْدِي [1]
ومَــلامُ أيَّــامٍ وليــس لهــا ... عَطْــفٌ وبعــضُ اللَّــوْمِ لا يُجْدِي
لا خيرَ في دُنْيَــا نَــوائِبُهــا ... تُــدْوِي وداءُ مَنُونِهــا يُعْــدِي
لا تحسَبَــنَّ الــرِّزْقَ مُطَّــرَحــاً ... فالرزقُ بــين مَواضِعِ الأُسْــدِ [2]
ولَرُبَّ مَصْحُــوبٍ غَرِضْتُ بــه ... غَرَضَ الْخَوَامِسِ مِن قَذَى الورْدِ [3]
دَانَى يَــدِي فنَفَضْتُهَــا حَــذَراً ... مِن أن يُدَنِّسَ هَــزْلُــه جِــدِّي
ومُبَخَّــلٍ إن جــاد بعــد مَدًى ... فالمــاءُ يطْلُــعُ مِن صَفــاً صَلْدِ
كيــف السبيــلُ إلى بُلَهْنِيَــــةٍ ... في ذا الزمانِ وعِيشَــةٍ رَغْــدِ [4]
في كــلِّ ليــلٍ لي وُفُــودُ مُنًــى ... ومَطامِــعٌ وَسَّــدْتُهَــا عَضْدِي [5]
والمرءُ ما أرْضَــى أمــانِيَــهُ ... يَنْقَــادُ مِن لَغَــبٍ إلى جُهْــدِ [6]
وَجْهِــي مَجــالٌ للطِّعــانِ فمــا ... خَــوْفي لِقــاءَ الحَــرِّ والبَــرْدِ
فَــلأَشْــرَبَــنَّ مَنَاقِبــاً بدَمِــي ... ولأَنْقُبَــنَّ على العُــلا جهدِي [7]
ولأُرْحِلَــنَّ العِيــسَ مَــرْحلَــةً ... عَــوْجاءَ بــين القُــورِ والوَهْدِ [8]
عَلِّي أُلاقِــي مَــن أُسَــرُّ بــه ... ويَقِــلُّ عنــدَ لِقــائِه كَــدِّي
وأتُــوبُ مِن ذَمِّ الـزمــانِ إذا ... عَلِقَــتْ يَدَايَ يَدَيْ أبي سَعْــدِ [9]

(١) في م : « وأكتم دائما وجدي » .
(٢) في النسخ كلها : « مواضع الأسد » .
(٣) غرض : ضجر . والخوامس : الإبل ترعى ثلاثة أيام وترد الرابع .
(٤) البلهنية : رخاء العيش .
(٥) في م : « وقود مني » خطأ .
(٦) في م : « ينقاد من لعب إلى جد » .
(٧) في ك : « عن العلا جهدي »
(٨) القور : جمع القارة ، وهو الجبيل الصغير المنقطع عن الجبال ، أو الأرض ذات الحجارة السود .
(٩) في الأصل : « ندى أبي سعد » . والمثبت في سائر النسخ وأنوار الربيع .

خِلِّي وإن بَعُدَ الزمانُ به ... يوماً وماطَلَني به وَعْدِي

ومُطالِعِي بالأُنْسِ إن لُوِيَتْ ... عنّي الرِّقابُ ولُجَّ في صَدِّي[1]

لا تَحسَبُوا ذا البُعْدَ غَيَّرني ... فالبُعْدُ غَيْرُ مُغَيِّرٍ وُدِّي[2]

وإذا الفَتَى حسُنتْ رِعايتُه ... في القُرْبِ ضاعَفَها على البُعْدِ

لو تَسْأَلون دَمِي سَمَحْتُ به ... مِن غيرِ مَعْصِيَةٍ ولا رَدِّ

أو كان جِلْدٌ يُستعارُ إذاً ... يومَ الطِّعانِ أعَرْتُكُم جِلْدِي[3]

أو أن خَطْواً يُستَرابُ به ... منكم سَحَبْتُ وراءَكم بُرْدِي

كانتْ غَيايَةُ حادثٍ فجَلا ... دَيْجُورَها قمرٌ مِن السَّعْدِ[4]

ونَهَضْتَ منها غيرَ مُكْتَرِثٍ ... مِثْلَ الحُسامِ نَزَا مِن الغِمْدِ[5]

اللهُ جارُك ما رَمَتْك نَوًى ... بِذُرَى الرَّكائبِ أو قَطَا الجُرْدِ[6]

وأنا الذي إن تَدْجُ نائبةٌ ... يُصْبِحْ أَمامَك مُورِياً زَنْدِي

* * *

(١) في م : « ومطالعي في الأنس » .

(٢) في شرح ديوان ابن الفارض ٧٥/٢ : « مغير عهدي » ، وجاء البيت فيه مرة ثانية في ٧٨/٢ كما هنا .

(٣) في ك : « لو كان » . وفي م : « لعرتكم جلدي » .

(٤) في الأصل ، م : « غياية حادث » . وقد استعمل الرضي غياية قبل هذا في البيت ٣١ من القصيدة السابقة ، وفي البيت ١٨ من القصيدة ٣٤ .

(٥) نزا من الغمد : وثب منه .

(٦) في س ، م : « تذري الركائب » .

والقطا : جمع القطاة ، وهو العجز ومركب الرديف من الدابة .

(٣٧)[*]

وقال يهنِّيءُ بعض أصدقائه بمولود ذكر ، وقيل إنه أعدَّها ليهنىء أخاه المرتَضَى بابن فجاءه بنت : [طويل]

أُسائِلُ سَيْفِي أيَّ بارِقَةٍ تُجْدِي ... ولي رَغْبَةٌ عمَّن يُعَلِّلُ بالوَعْدِ

وأطلبُ في الدُّنْيا العُلا ورَكائِبِي ... مُقَلْقَلَةٌ ما بين غَوْرٍ إلى نَجْدِ

يُشَتِّتُ تُرْبَ الْقَاعِ وسْمُ أَكُفِّهَا ... وأخْفَافُهَا في حَيِّزِ النَّصِّ والوَخْدِ[1]

وخُطَّةِ ضَيْمٍ خادَعَتْنِي فَفُتُّهَا ... إلى مَطْلَعٍ بين المَذَمَّةِ والْحَمْدِ

ويومٍ مِنَ الشِّعْرَى خَرَقْتُ وشَمْسُه ... تَساقَطُ مِن هامِ الأَكامِ إلى الوَهْدِ[2]

وليلٍ دَجُوجِيٍّ كأنَّ ظَلامَه ... سَماوةُ مَلْوِيِّ الذِّراعَيْنِ بالقِدِّ[3]

خَطَوْتُ وفي كَفِّي خِطامُ نَجِيبَةٍ ... مُدَفَّعَةٍ مِن كلِّ قُرْبٍ إلى بُعْدِ[4]

إذا لَحَظَتْ ماءً جَذَبْتُ زِمامَها ... وقلتُ ارْغَبِي بالعِزِّ عن مَوْرِدٍ ثَمْدِ[5]

(*) القصيدة في : الأصل ، س ، ك ، م . وسقطت كلها من : هـ .

(١) نص ناقته : استخرج أقصى ما عندها من السير . والوخد للبعير : الإسراع ، أو أن يرمي بقوائمه كمشي النعام .

(٢) الشعرى : كوكب نير يقال له المرزم يطلع بعد الجوزاء ، وطلوعه في شدة الحر . اللسان ٤/٤١٦ .

(٣) سماوة كل شيء : شخصه وطلعته .

(٤) في محاضرات الأدباء : « أتيت وفي كفي ... في كل قرب » .

(٥) في محاضرات الأدباء : « ارغبي بالقل .. » .
والثمد : القليل .

تَؤُمِّينَ خيرَ الأرضِ أهلاً وتُربْةً ... يَحُطُّ بها رَحْلُ المَكارمِ والمجدِ[1]

وفي الأرضِ قومٌ يَلْطِمون جِباهَها ... إذا هَجَمتْ أعْلَا المنازلِ بالوفدِ[2]

وتنبُو أكُفُّ العيسِ عن عَرَصاتِهم ... من البُخْلِ حتى تَسْتَغيثَ إلى الطَّرْدِ

فما خَدَعَتْها رَوْضةٌ عن مَسِيرِها ... ولا لَمْعُ مَعْسولٍ تَطلَّع مِن وِرْدِ

أكُفُّ بني عَدْنانَ تَسْتَمْطِرُ الظُّبَى ... وتأْنَفُ من جُودِ الغمائِمِ بالعَهْدِ

وتلْقَى الوغَى واليومُ ينصرُ بِيضَهم ... على البَيْضِ في مُجْرٍ من الجِدِّ والجَدِّ[3]

منازلُهم عُقْلُ المَطِيِّ وإنَّما ... تُعقِّلُها بالبِشْرِ والنائِلِ الجَعْدِ[4]

جَذَبْتُم بضَبْعِ الجودِ يا آلَ غالِبٍ ... وغادَرْتُمُ الإعْدامَ مُنْعَفِرَ الخَدِّ[5]

على حين سَدَّتْ ثَلْمَةَ العارِ عنكمُ ... صُدُورُ العَوالي والمُطَهَّمَةِ الجُرْدِ

وكم غارةٍ أقْبَلْتُموها مَواقِراً ... مِن الأَسَلِ الذَّيَّالِ والبِيضِ والسَّرْدِ

كما قاد عُلْوِيُّ الرِّياحِ غَمامةً ... وجَلْجَلَها مَلْءٌ من البَرْقِ والرَّعْدِ[6]

كفَى أمَلِي في ذا الزمانِ وأهْلِه ... عليٌّ مجيراً من يدِ الدهرِ أو مُعْدِ

فَتًى ما مشَى في سَمْعِهِ شَدْوُ قَيْنَةٍ ... ولا جَذَبتْ أحشاءَه سَوْرَةُ الحِقْدِ[7]

ولا هَجَرَ السُّمْرَ العَوالِي لِلَذَّةٍ ... ولا عَاتَبَ البِيضَ الغَواني على الصَّدِّ

إذا أظْلَمتْ آمالُ قومٍ بِرَدِّها ... أضاءَ سَنَا مَعْروفِهِ ظُلْمَةَ الرَّدِّ

وإن شامَ يوماً نارَه خِلْتَ أنَّها ... تَطَلَّعُ نحوَ الوَارِدينَ مِن الزَّنْدِ

وكم بين كَفَّيْهِ إذا احْتَدَمَ الوغَى ... وبين العَوالي من ذِمَامٍ ومن عَقْدِ[8]

(١ ، ٢) بين هذين البيتين تقديم وتأخير في الأصل .

(٣) في م : « في مجرى » .

(٤) في م : « منازلهم عقر المطايا » .

وعقل المطي : يريد المطي المعقولة .

(٥) في م : « بضبع المجد » .

(٦) في س ، م : « علوي السحاب » .

(٧) في س ، ك ، م : « سورة الوجد » .

(٨) في س ، م : « إذا احتدم الردى » . وفي م : « من زمام ومن عقد » .

لِيَهْنِكَ يا ابنَ الأكْرَمين ابنُ حُرَّةٍ تمزَّقَ عنه النَّحْسُ عَن غُرَّةِ السَّعْدِ[1]
فَرَبِّ له خيلَ الوَغى فلِمثْلِهِ تُرَبِّي الليالي كاهِلَ الفَرَسِ النَّهْدِ
وبَشِّرْ به البِيضَ الصَّوارِمَ والْقَنَا وبَشِّرْهُ عن قَولِ النَّوائِبِ بالجُلْدِ
ستذكُره والحربُ يَنْكَحُها الرَّدَى وقد طَلَّقَتْ أغْمادَها قُضُبُ الهِنْدِ
كأنّي به جارٍ على حُكْمِ سَيْفِهِ يُعاهِدُهُ أن لا يَبيتَ على حِقْدِ
إذا أنْهَضَتْهُ للنِّزالِ حَفيظَةٌ وأنْهَضَ مُسْتَنَّ الحُسامِ مِن الغِمْدِ
وأرْخَى بعِطْفَيْهِ حَواشِي نِجادِهِ وجَرَّ على أعْصَابِهِ فاضِلَ الْبُرْدِ
وعطَّفَ خِرْصانَ الرِّماحِ كأنها من الدَّمِ في أطْرافِها شجرُ الوَرْدِ[2]
وزَعْزَعَ نَظْمَ الرُّمْحِ حتى يرُدُّه نِثاراً على الأعْداءِ بالحَطْمِ والقَصْدِ
وشَايحَ عن أحْسابِه بحُسامِهِ وذَبَّ عن العِرْضِ المُمَنَّعِ بالرِّفْدِ[3]
رأيتَ فتًى في كَفِّه سِمَةُ النَّدَى وفي وَجْهِهِ شَبَهٌ من الأبِ والجَدِّ
إذا ما احْتَبَى في الحَيِّ وامْتَدَّ باعُه رأيتَ أباه حين يحكُمُ أو يُجْدِي
إلى جَدِّه تُنْمَى شَمائِلُ مجدِه وهل ترجِعُ الأشْبالُ إلَّا إلى الأُسْدِ
وَلِيدٌ هَمَى ماءُ العُلا من جَبينِهِ وقد شِمْتُ منه بارِقَ الحَسَبِ العِدِّ[4]
فلو قيل يوماً أين صَفْوَةُ يَعْرُبٍ رأيتَ العُلَا تُومي إلى ذلك المَهْدِ
إلى رَبْعِكَ المَأْلُوفِ مِنِّي تطلَّعتْ رِقابُ القَوافي تحت أَدْعَجَ مُرْبَدِّ[5]
سقيْتَ النَّدَى شِعْرِي فأنْبَتَّ حَمْدَهُ ولو صابَ في جِسْمِي لأَنْبَتَّهُ جِلْدِي[6]
ولمَّا بعثْتُ الشِّعْرَ نحوكَ قال لي أَلآنَ فعُقْ إلَّا إلى بابِهِ قَصْدِي[7]
وإنِّي لأسْتَحْيِي العُلَا فيك أن أُرَى ضَنيناً من الشِّعْرِ المَصُونِ بما عِنْدِي

(١) في س : « تمزق منه النحس » .
(٢) خرصان الرماح : أسنتها ، أو الخرصان : الرماح نفسها .
(٣) شايح : قاتل .
(٤) في س ، م : « في جبينه » .
(٥) في م : « أرعد مزبد » .
(٦ ، ٧) بين هذين البيتين تقديم وتأخير في : س ، م .

كبَتُّ الحَسُـودَ النَّـدْبَ حتى كَبَتُّهُ	فمَن عاذِري يوماً من الحاسِدِ الوَغْدِ
إذا الشمسُ غَضَّتْ كلَّ عَيْنٍ صَحِيحَةٍ	فكيف بها في هذه الأَعْيُنِ الرُّمْدِ[1]

* * *

(١) في م : « إذا الشمس غاضت » . وفي س ، م : « في هذه المقل الرمد » .

(٣٨) *

وقال يمدح ، وقد سُئل ذلك : [كامل]

هو سيفُ دَوْلَتِنَا الذي يومَ الوغَى يَفْرِي قلوبَ عِداتِهِ بِفِرِنْـــدِهِ
يَعْدُو بِطَـرْفٍ إن جَرَى سَبَقَ الرَّدَى وبصَارمٍ يَسِمُ الطُّلَى في غِمْـدِهِ
جارٍ ولكـن رأيُـه في جَرْيِـهِ ماضٍ ولكن عَزْمُـه في حَـدِّهِ

* * *

(*) الأبيات في « الأصل ، س ، ك ، م . وسقطت من : هـ .

آخرُ الجزءِ الأولِ

ويليهِ الجزءُ الثاني وأولُه :

بقيّةُ بابِ المديح

قافية الراء

والحمدُ للهِ حقَّ حمدِه

التخريج

١

محاضرات الأدباء ٢/٦٢ (١١)

٢

أنوار الربيع ٢/١١٤ (٢ ، ٣٧)

٥

الشهاب في الشيب والشباب ٤٧ (١٤ ـ ١٦)

٦

أنوار الربيع ٤/٢٦٨ (١١)

٧

الشهاب ٣٠ ، ٣١ (١ ـ ٦)

محاضرة الأبرار ١/١١٠ (١٢ ـ ١٤)

تشنيف السمع ٤٤ (١٣ ، ١٤)

مواسم الأدب ٢/٣٨ (٤)

٩

الشهاب ٤٣ (١ ـ ٣ ، ٣٨)

١١

محاضرات الأدباء ١/١٠ (١٧)

١٢

محاضرات الأدباء ٢/١٦٧ (٢٣)

البديع في نقد الشعر ٢١٣ (٥٤ ، ٥٥)

مطلع الفوائد ٢٦٧ (٤٥ ، ٤٦)

مواسم الأدب ٢/٣٨ (٤٦)

١٣

الشهاب ٣٢ (٦٠)

شروح سقط الزند ٥٠٤ ـ الخوارزمي ـ (صدر ٤)

١٤

يتيمة الدهر ٣/١٣٧ ، ١٣٨ (١٠ ـ ٢٠ ، ٣٨ ، ٦٣ ـ ٦٧)

الشهاب ٣٢ (١ ـ ٤)

نهاية الأرب ٦/٢١٢ (٣٨)

١٦

الشهاب ٣٢ ، ٣٣ (٤ ـ ٧)

شروح سقط الزند ١١٠٢ ـ الخوارزمي ـ (١١)

مطلع الفوائد ٢٥٧ ، ٢٥٨ (٤ ، ٦)

١٧

مواسم الأدب ٢/٣٨ (٢٠)

١٨

الحماسة الشجرية ١/٤١٥ (١ ـ ٤)

(*) الأرقام بجانب المرجع للجزء والصفحة فيه ، أو للصفحة وحدها ، وما بين القوسين الأبيات الموجودة في هذا الموضع من المرجع .

مجموعة المعاني ٤١ (٧١)
مجموعة المعاني ١٧٥ (٧٣)
١٢٨
الشهاب ٣٦ (١٦ ــ ١٨)
١٢٩
محاضرات الأدباء ١/٣٣ (١١)
محاضرات الأدباء ٢/٢٧٦ (٢٦)
١٣١
البديع في نقد الشعر ٨٧ (١٩)
١٣٣
الشهاب ٢٧ (١ ــ ٩)
مواسم الأدب ٢/٣٩ (٥٠)
١٣٤
يتيمة الدهر ٣/١٥٢ (٥ ، ٧ ، ٨ ، ١٤ ، ١٥ ، ٢٩ ــ ٣١ ، ٤٢ ــ ٤٥)
الشهاب ٣٤ (١ ــ ٤)
١٣٥
يتيمة الدهر ٣/١٥١ (٤٦ ــ ٤٩)
محاضرات الأدباء ١/١٤٠ (٤٠)
محاضرات الأدباء ٢/٢٨٨ (٢٧)
١٣٨
يتيمة الدهر ٣/١٤٦ ، ١٤٧ (١ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٥٩)
الفتح على أبي الفتح ٢٠٩ (٦١)
شرح العكبري لديوان أبي الطيب ٣/٦٣ (٦١)
١٣٩
يتيمة الدهر ٣/١٤٧ ، ١٤٨ (٤٥ . ٤٧ . ٤٨ ، ٧٠ ، ٧١)
محاضرات الأدباء ١/٢١٥ (٧٠ ، ٧١)
معاهد التنصيص ٢/١٨٨ (٤٥ ، ٤٧ . ٤٨ ، ٧٠ ، ٧١)
مواسم الأدب ٢/٣٩ (٣٣)
١٤٠
تمام المتون ٣٢٥ (٥)
الغيث المنسجم ١/٦٨ (٥)
١٤٢
المنازل والديار ٢٠٢ (٦ ، ٧ ، ١٢ ، ٨)
١٤٣
يتيمة الدهر ٣/١٥٢ (١١ ، ١٣)
١٤٤
يتيمة الدهر ٣/١٥١ (١١ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٧ ، ١٨ ، ٤٢)
الشهاب ٣٧ (١٣ ــ ١٥)
شفاء الغليل ١٢٩ (١٤)
مجموعة المعاني ٦٦ (١٧ ، ١٨)
١٤٥
محاضرات الأدباء ٢/٢٢٣ (٣٩ . ٤٠)
محاضرات الأدباء ٢/٢٨٥ (٣٣ . ٣٤)
١٤٦
محاضرات الأدباء ١/٢٧٦ (٩)
١٤٨
محاضرات الأدباء ١/١٨٥ (٤٨)
محاضرات الأدباء ١/٢٥٦ (٤٩)
مجموعة المعاني ٤١ (٢٦ ــ ٢٩ . ٣٢)
١٤٩
محاضرات الأدباء ١/١٢٤ . ١٨٩ (١٦)
محاضرات الأدباء ٢/٦٩ (٦٦)
محاضرات الأدباء ٢/٢٨٧ (٤٠)
مطلع الفوائد ١٩٩ (٦٦)

محاضرات الأدباء ٢/٥٠ (١٨)
البديع في نقد الشعر ٢٣١ (٥٨)
أنوار الربيع ٢/١١٥ ، ١١٦ (١٤ ، ٢٥ ـ ٢٨ ، ٦٣ ، ٦٦)
مجموعة المعاني ١٩ (٤١ ـ ٤٥)
مجموعة المعاني ٩١ (٥٨ ـ ٦٠)

١٧٨

يتيمة الدهر ١/١٤٧ (٥٤ ، ٥٥)

١٨٠

محاضرات الأدباء ٢/٦٢ (١٤)

١٨٢

مطلع الفوائد ٢٠٠ (٦٠ ، ٥٨)
الذخائر والأعلاق ١٧٦ (٦)

١٨٣

البديع في نقد الشعر ٢١٠ (٢٨ ، ٣٢)
أنوار الربيع ١/٤٢ (١)
مجموعة المعاني ٢٤ (٢٠ ـ ٢٣)

١٨٤

محاضرات الأدباء ١/٣٢ (٤٥)
محاضرات الأدباء ٢/٢٧١ (٣٢)
مطلع الفوائد ٣٧١ (٣)

١٨٥

الشهاب ٣٠ (٢١ ، ٢٢)
محاضرة الأبرار ١/١٠٩ (١٠ ، ١١)

١٨٦

أنوار الربيع ٢/٤٥ (٣٦)

١٨٧

دمية القصر ١/٢٧٧ (١ ـ ٣)
محاضرات الأدباء ٢/١٤١ (١ ـ ٣)

١٨٩

التمثيل والمحاضرة ١٥٤ (٥٥) دون نسبة .
يتيمة الدهر ٣/١٥٥ (٥٥)
الشهاب ٣٦ (٢٤ ، ٢٥)
شروح سقط الزند ـ الخوارزمي ـ ١١٢٠ (٧)
محاضرات الأدباء ١/١٧٥ (٥٠ ، ٥٢ ، ٥٤)
محاضرات الأدباء ١/١٩٠ (٥٤)
محاضرات الأدباء ٢/٥٩ (٦١)
محاضرات الأدباء ٢/٦١ (٧٤)
مجموعة المعاني ٧٦ (٨٧،٨٨).
مجموعة المعاني ٩١ (٢٦ ، ٣٣ ، ٣١ ، ٣٠ ، ٣٤ ـ ٣٨ ، ٤٠)
مجموعة المعاني ١٦٧ ، ١٦٨ (٥٠ ، ٥١ ، ٥٤ ـ ٥٧ ، ٥٩)

١٩٠

الشهاب ٥١ (١٢ ـ ١٨)
طيف الخيال ١١٦ (٨ ـ ١١)

١٩١

يتيمة الدهر ٣/١٤٤ (١ ، ٢ ، ٨ ، ٩ ، ١١ ، ٢٥ ، ٢٩ ، ٣٠)
مجموعة المعاني ٢٣ (٨ ـ ١٠)

١٩٢

يتيمة الدهر ٣/١٥٢ (١ ـ ٣ ، ٧ ، ٨)

١٩٣

الشهاب ٣٦ (١١ - ١٣)
محاضرات الأدباء ١/١٤٢ (٢٧)
مجموعة المعاني ٤١ (١٩ ، ٢٠)

١٩٤

مطلع الفوائد ٢٠٠ (٢٨ ، ٢٩)

مواسم الأدب ٢/٦٩ (١ ــ ١٨)

٣٦٣

تمام المتون ٣٤٤ (١ ، ٣ ، ٥ ، ٦)

٣٦٥

محاضرة الأبرار ١١٠ (١٠ ، ١١)

٣٦٧

مواسم الأدب ٢/٧٠ (١ ــ ٧)

٣٦٨

محاضرات الأدباء ٢/٥٢ (١)

مواسم الأدب ٢/٦٠ (١ ــ ٥)

٣٧٠

يتيمة الدهر ٣/١٤٥ (١ ــ ١٤ ، ١٧ ، ١٨)

الشهاب ٣٥ ، ٣٦ (١ ــ ١٩)

محاضرات الأدباء ٢/١٤٣ (١ ، ٢ ، ٥ ، ٦)

٣٧٤

خزانة ابن حجة ٢٤٢ (١ ، ٢ ، ٤)

٣٧٥

مواسم الأدب ٢/٦٤ (١ ــ ٥)

٣٧٦

مطلع الفوائد ٣٠٢ (٢)

أنوار الربيع ٥/١٤٢ (١ ، ٢)

٣٧٧

يتيمة الدهر ٣/١٥٥ (١ ، ٣)

مواسم الأدب ٢/٦٤ (١ ــ ٣)

٣٧٨

سر الفصاحة ٨٢ (١٦)

دمية القصر ١/٢٧٥ (٨ ، ٩ ، ١١ ــ ١٤)

شرح الشريشي للمقامات ١/١٧٦ (١١ ، ١٤)

شرح الشريشي للمقامات ١/٢٣٥ (١١ ، ١٢ ، ١٤ ، ١٧ ، ١٨)

وفيات الأعيان ١/٥٩ (١٤)

الوافي بالوفيات ٢/٣٧٦ (١ ، ٢ ، ١١ ، ١٤ ، ١٢ ، ١٧ ، ١٨)

حلبة الكميت ٢١٧ (١١ ، ١٤)

معاهد التنصيص ٢/١٩٤ (١ ، ١٢ ــ ٢١)

شفاء الغليل ١٥٧ (١٩)

أنوار الربيع ١/٢٠٨ (١٣)

شرح ديوان ابن الفارض ٢/١٣٧ (١١)

مواسم الأدب ٢/٦٢ ــ ٦٤ (١ ــ ٢٨)

٣٧٩

دمية القصر ١/٢٧٨ (١ ــ ٣ ، ٦)

مجموعة المعاني ٢١٥ (١ ، ٢ ، ٥)

٣٨٠

الشهاب ٤١ (١ ــ ٩)

محاضرات الأدباء ٢/١٤٦ (٦ ، ٧)

مواسم الأدب ٢/٦٨ ، ٦٩ (١ ــ ٩)

٣٨١

محاضرات الأدباء ٢/١٣٩ (٦ ، ٩)

شرح الشريشي للمقامات ١/١٤٦ (٦ ، ١٠ ، ١١)

مطلع الفوائد ٣٠٢ (٦ ، ٩ ، ١١)

ديوان الصبابة ١/٧٣ (١٠ ، ١١)

نزهة العمر للسيوطي ٩ (٦ ، ٧ ، ٩ ــ ١١)

مواسم الأدب ٢/٧٠ ، ٧١ (١ ــ ١١)

٣٨٢

مواسم الأدب ٢/٧٠ (١ ــ ٣)

٣٨٤

تتمة اليتيمة ١/٤ (١٨)

من غاب عنه المطرب (التحفة البهية)

المنازل والديار ٢٢٢ (١٠ ـ ١٤)
محاضرة الأبرار ١٠٢ (١٠ ـ ١٤)
تذكرة ابن حمدون ٣٢ (٢٦ ـ ٢٨)
تحرير التحبير ١٠٧ (١٠)
خزانة ابن حجة ٣٦ (١٠)
غرر الخصائص الواضحة ٣٤٢ (٢٧)
معاهد التنصيص ٧٩/٢ (١٠)
أنوار الربيع ١٤٤/١ (١٠ ، ١١)
مجموعة المعاني ٨٥ (٢٧)

٥٥٤

يتيمة الدهر ٣٠٣/٢ (١ ـ ٥ ، ٢٠ ـ ٤٦)
رسائل الصابي والشريف الرضي ٢١ ـ ٢٦ (١ ـ ٤٦)
شرح الشريشي للمقامات ٣٨٧/١ ، ٣٨٨ (٢٩ ، ٣١ ، ٣٢)
الصبح المنبي ٢٠٠ (٣٦ ، ٣٧)
خلاصة الأثر ٢١١/١ (٣٦ ، ٣٧)
مجموعة المعاني ٧٣ (٢٩ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٥)

٥٥٥

التمثيل والمحاضرة ١٢٠ (٢٦ ، ٤٠)
خاص الخاص ١٥٨ (٢٦ ، ٤٠)
يتيمة الدهر ٣٠٦/٢ ، ٣٠٧ (١ ـ ٥ ، ٢٤ ـ ٢٩ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٤٠ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٧ ـ ٥٩)
رسائل الصابي والشريف الرضي ٣٢ ـ ٣٩ (١ ـ ٥٩)
المختار من شعر بشار ٢٠٩ (٤٦ ، ٤٧)
الغيث المنسجم ٥٠/١ (١٦ ، ٢٠)
الغيث المنسجم ٧٤/١ (٣٢ ، ٣٣)
الغيث المنسجم ٨٢/١ (٤٦)

غرر الخصائص الواضحة ٤٥٤ (٤٠ ، ٢٦)
نفحة الريحانة ٢٣٧/١ (٤٠)
مجموعة المعاني ٦٢ (٣٧ ، ٣٨ ، ٤٠)

٥٥٧

الكشكول ٢٤٩/٢ (١ ـ ٥)
أنوار الربيع ٣٢٨/١ ، ٣٢٩ (١ ـ ٥)

٥٦٥

الفخري ١٩٣ (١ ، ٢ ، ٤ ـ ٧)
الكامل ، لابن الأثير ٢٤/٨ ، ٢٥ (١ ، ٤ ـ ٧)
البداية والنهاية ٤/١٢ (٤ ، ٥)
أنوار الربيع ٣٣٤/١ ، ٣٣٥ (١ ـ ١٢)
الدرجات الرفيعة ٤٦٩ (١ ـ ١٢)

٣٣٦ ـ ٣٤٢

أنوار الربيع ٢٠٤/٣
الدرجات الرفيعة ٤٧١

٣٦٦ ـ ٣٦٨

الحماسة الشجرية ٨٢٢/٢

٣٦٧ ، ٣٦٨

مجموعة المعاني ١٢٦

٣٨٧ ، ٣٨٨

تذكرة ابن حمدون ٨٨

٤٥٧ ، ٤٥٨

الحماسة الشجرية ٨٨٦/٢ ، ٨٨٧
وفي وفيات الأعيان ٢٦٤/٥ ، ٢٦٥ ، في ترجمة المقلد العقيلي ، ذكر ولده قرواشا ، ونقل شعرا له عن الباخرزي ، ثم قال : « ومن المنسوب اليه أيضا » : ونقل البيتين .

٤٦٧

مجموعة المعاني ٧٩

٤٩٠ ، ٤٩١

مجموعة المعاني ٧٨

٥٠٠

مجموعة المعاني ١٥٦

ب ـ الزيادات[1]

(١) الأرقام في وسط السطر هي أرقام أبيات الزيادات . وبجانب المرجع للدلالة على الجزء والصفحة ، أو الصفحة وحدها .

الفهرس

دار الطليعة للطباعة والنشر
باريس

Imprimé en France. 788003-9-1977. - **6.**